

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
-قسم الفلسفة -

رسالة دكتوراه في الفلسفة:

الأسس الفلسفية للعولمة الاقتصادية

إعداد الطالب ولو شاء الله لجعلكم أمهتكم
ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا
إشراف: الخيرات. إلى الله مرجعكم جميعا
عبد القادر تومي فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
عمار طالبي

[الآية 48 من سورة

المائدة]

صدق الله العظيم



الإهداء

إلى الوالدين الكريمين .
إلى كل الاساتذة الذين تعلمت عنهم .
إلى زوجتي وأبنائي .

إلى اخوتي وأخواتي و أصدقائي.
إلى جميع المخلصين للوطن.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع
الذي
أتشرف به.

الباحث

مقدمة :

عندما أصدر الفيلسوف الألماني **كانط Kant** في أواخر القرن الثامن عشر، كتاباً بعنوان : **مشروع من أجل السلام الدائم بين الأمم** . كان يفكر آنذاك في كيفية تخلص الأمم الأوروبية من الحروب المذهبية والفتن القومية والمشاكل الاقتصادية التي أنهكتها. وكانت الحروب التي دارت بين الدول البروتستانتية والدول الكاثوليكية آنذاك تشغله لدرجة انه كان يتمنى لو يستطيع إيجاد حل لها لكي تنعم الشعوب الأوروبية بالسلام والأمان، ثم الرفاهية والازدهار. ولكن **كانط** لم يكتف بذلك في الواقع. فمن خلال الحالة الأوروبية أو فيما وراءها كان يفكر بحالة العالم ككل. وهنا تكمن عظمتة واتساع أفقه. فقد مكنه حدسه الفلسفي أن يرى ما سيحدث في القرون القادمة. فقد راح يحلم بتشكيل دولة كونية، تشمل جميع شعوب الأرض، وهذا الحلم الطوباوي الذي كان يبدو لمعاصريه شيئاً جنونياً، أصبح الاتجاه إليه واضحاً في عصر العولمة الشمولية الذي ندخله الآن.

وقد جدد **هابرماس** الفكرة الكانطية ووسعها وجعلها أكثر وضوحاً على ضوء تسارع الأحداث والتطورات العالمية الراهنة. وعلى هذه الفكرة أسس بناءه في خياله ، فحلم كسلفه **كانط** بتحقيق نظام عالمي جديد تسوده العدالة والمساواة، يحتكم الى سياسة

داخلية على الصعيد العالمي¹، وينتشر فيه السلام والأمان. وقد يبدو هذا الحلم طوباوياً أيضاً إذا ما نظرنا إلى حالة الحروب والصراعات التي تمزق العالم اليوم². وعلى الرغم من ذلك فالمشروع العملي لتحقيق نظام عالمي تتضح ملامحه في ما يقال انه القرية الكونية، وهاهي الولايات المتحدة الأمريكية تحاول فرض سلطتها وقوانينها على معظم شعوب الأرض. ولكن هل هذه القرية العالمية ستتحقق حتى ولو انحرفت عن المبدأ الأساسي الذي طالما ركزت عليه فلسفة **كانط** وروسو ونادت به الأديان السماوية: مصالح السياسة مع الأخلاق وتجسيد حكم العدالة على وجه الأرض؟ ذلك هو السؤال المحير.

لقد أصبح مصير الإنسان الشخصي في هذا العصر ملتصقا مع المصير العام الذي يحكم هذا الكوكب وتشابكت العلاقات بين الأفراد والجماعات والدول والأمم داخل منظومة شاملة. و للفلسفة دور طليعي في فهم قضايا العصر ومنها مصير الإنسان داخل هذه المنظومة، وحل مشكلاته الخاصة والعامة، فهي- أي الفلسفة- تضطلع بمهمة فهم ظروفه من أجل حماية حقوقه، والدفاع عن حريته بمناحيها المختلفة، وتأمين الظروف الديمقراطية للملائمة لتطوره، وازدهاره وسعادته. خاصة في هذا العصر حيث تزخر الساحة العالمية بالكثير من الأحداث والمتغيرات المختلفة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا، وتتسارع هذه الأحداث بشكل مستمر، مما يؤثر على حياة الأفراد والجماعات. من هنا تغدو محاولة فهم واستيعاب هذه المتغيرات من الضروريات التي يتطلب التعامل معها بإيجابية، و تأمل وروية، وحتى نحدد لأنفسنا المسار الذي نسلكه ونؤثر به على مجريات هذا الوضع. ويسمي الناس هذا الفصل التاريخي الذي تحدث فيه هذه المتغيرات المتسارعة بفصل العولمة.

أهمية الموضوع :

يكتسي البحث في موضوع العولمة أهمية قصوى، أولا لأنها ظاهرة تاريخية كبرى شديدة التعقيد³، وأغلب شعوب الأرض تسعى إلى استيعابها، وفهم مخاطرها، والتعرف على وسائلها، وأهدافها، والبحث في تطورها والكشف عن أسسها، والتنبؤ بنتائجها. وثانيا إنها لا تفهم بغير الأسلوب العلمي، الذي يتبنى النموذج المعرفي المتكامل⁴

¹ ? 149 P : Habermas . J . Après l'état nation, Paris fayard 2000

² أبرزها ما يحدث في العراق والشرق الأوسط

³ Yann Moulier- Boutang , que ce que la globalisation? Université de tous savoirs, Odile Jacob, Paris, 2004 -P : 1 39

⁴ - المقصود به الأسلوب الذي لا يفصل بين الجوانب السياسية، والاقتصادية، والثقافية وغيرها من الجوانب. ولا يتناول هذه التغيرات من الرؤية الأحادية التي تركز على جانب دون آخر، كما هو الآن منتشر في كثير من الدراسات. و التي تعتبر العولمة ذات مظهر اقتصادي ومالي وتجاري، وهو المظهر الذي يمثل لنا الجزء الظاهر من الجبل الجليدي الذي يطفو فوق سطح الماء. وهو ما يعني ان هناك

وبقيس الظاهرة قياسا رياضيا، كما يذهب إلى ذلك عالم الفيزياء البريطاني اللورد كيلفين¹ في قوله: "عندما يستطيع المرء قياس ما يتحدث عنه، ويعبر عن ذلك بالأرقام، فإنه يكون قد بلغ شيئا من المعرفة بما يتحدث عنه، ولكن عندما لا يكون بمقدور المرء قياس ما يتحدث عنه، ولا التعبير عنه بالأرقام، فإن معرفته بالشئ عندئذ تكون ضئيلة ولا تشفي غيلا.²"

يشير موضوع العولمة في الثقافة العربية اليوم ردود فعل كثيرة، تعكسها الاهتمامات الواضحة من طرف النخب والسياسيين من جهة، والمتابعات الصحفية والمحاولات البحثية المختلفة من جهة أخرى، وتتضح أيضا في الندوات والمحاضرات والموائد المستديرة التي تعقدها المراكز العلمية، والملتقيات العلمية التي تقيمها مؤسسات البحث في مختلف الأقطار العربية³. لكن مهما يكن هذا الاهتمام العربي، فهو بعيد في مستوى تناول الغرب لها كما ونوعا، وهناك الكثير من الدراسات الجادة التي تناولت موضوع العولمة وتزخر المجلات العلمية بموضوعات مهمة عن هذا الجانب، وهي تعد الآن، وقد أنشأت مراكز علمية مختصة بالبحث في موضوعات العولمة. أما عن الملتقيات التي تنظمها الجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية خصيصا لمناقشة الموضوع تعد بالمئات.

كما أن العولمة في الجامعات فتحت لها أقسام خاصة بها تماما كقسم الفلسفة أو الاجتماع أو علوم الاتصال، كما تدرس وحدات في أقسام الاقتصاد والعلوم السياسية والحقوق في مختلف الجامعات. أما عن الكتب التي أخرجتها دور النشر العالمية فهي تعد بالآلاف فالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس على سبيل المثال تتوفر على عدد هائل من الكتب التي عالجت موضوع العولمة بلغ 2681 كتابا،⁴ وأخذت العولمة الاقتصادية حصة الأسد من الاهتمام إذ بلغت عدد الكتب التي تناولت الجانب الاقتصادي 1250 كتابا وقد قمت (أثناء دراستي بباريس) بتبويب للموضوعات التي تناولتها كتب العولمة فوجدتها على النحو الموالي:

مظاهر أخرى خفية وأكثر عمقا انظر.

Jean-Claude Empereur. « Mondialisation - globalisation et métamutation »- la gazette -n° 46: septembre 2001 France

Lord Kelvin¹

A.T.Kearney. "Measuring Globalization"-Foreign Policy Magazine N° : 1779 USA --² ?
/www.cipe-egypt.org

³ ? إنما يعكس هذا التوجه الموقف من المفهوم والظاهرة، كما يعبر عن درجات اهتمام العقل العربي بمقاربة المتغيرات العالمية وسعيه لاستيعاب مضمونها، واتخاذ موقف بل مواقف متعددة منها.

⁴ إلى غاية جوان 2006 (تاريخ الإحصاء الذي قمت به)

الموضوع	العدد
المظاهر السياسية للعولمة	73
المظاهر الاجتماعية للعولمة	97
الآثار النفسية للعولمة	1
الآثار الأخلاقية للعولمة	16
الآثار الدينية للعولمة	24
العولمة الثقافية	31
العولمة الاقتصادية	1250
العولمة بصورة عامة	789
آثار العولمة على البيئة	14
قواميس العولمة	02
العلاقات الدولية والعولمة	330
الفلسفة والعولمة	18
العولمة وإفريقيا	01
العولمة والحقوق	01
العولمة والتلفزيون	01
عولمة القرن العشرين	01
تاريخ العولمة	32
المجموع	2681

ومن أهم هذه الدراسات التي مهدت الطريق للاهتمام بالموضوع، بصورة كبيرة، وأحدثت ضجة واسعة النطاق، على صعيد الفكر الاقتصادي العالمي، ما جاء به المفكر الأمريكي، الياباني الأصل **فرانسيس فوكوياما** في كتابه **نهاية التاريخ** وخلاصة ما فيه أن الإنسانية قد وقف اختيارها على النظام الاقتصادي الرأسمالي منهجا لها في سعيها نحو التقدم والاستقرار، واتخاذ الديمقراطية كحل وحيد لحل جميع المشاكل السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية¹.

وعلى صعيد الثقافة العربية فإن المتابعة المتواصلة لحصيلة الحلقات الدراسية والندوات، والكتابات المتنوعة، التي تفكر بطريقة أو بأخرى في موضوع العولمة وسياقها التاريخي، أو في مفهومها وسياقه النظري العام، أو المحاولات التي تبشر موقفاً أيديولوجياً خالصاً في الموضوع. تبين لنا بصورة واضحة سيادة الالتباس العام في مسألة دلالات المفهوم، ونادراً ما نعثر على محاولات جادة تتجه للإحاطة به في مستوى مفهوم الكلمة، وتدلل على المرجعيات الفلسفية المختلفة التي أطرت وتؤطر عمليات تشكله المتواصلة، وتؤسس الظاهرة على قواعدها الفكرية التي أفرزتها.

وقد شمل هذا الالتباس أيضاً عدم القدرة على ربط المفهوم بالتخصصات المعرفية، التي نشأ وتشكل هذا المفهوم في إطارها،

¹ قد أكد لي شخصياً هذا الطرح عندما سألته عن أفاق النظام الدولي الجديد بتاريخ 10-03-2006م بباريس أثناء مشاركته في ملتقى نظمه مركز الدراسات والبحوث الدولية بباريس بمحاضرة تحت عنوان "أي مستقبل، وأية أولويات للنظام الدولي الجديد".

فمن الاقتصاد إلى السياسة إلى المجتمع والثقافة إلى التاريخ الحديث والإستراتيجية التي تبلورت بعد الحرب الباردة ، عرف المفهوم كثيراً من التعديلات التي تزرح دلالاته وتلونها بألوان متعددة إن لم تكن في بعض الأحيان متناقضة.

وإذا كانت جميع المحاولات التي أحاطت بالموضوع علي كثرتها قد اتسمت بالتباين تبعاً لتعدد مستويات الفهم من جهة، أو الانحياز الأيديولوجي من جهة أخرى. فإن العولمة باعتبارها ظاهرة فرضت نفسها على الواقع المعيشي بتأثيراتها الواضحة على كل الميادين، جديرة بالدراسة والتحليل البعيدين عن المقاربات الوهمية غير الواقعية وغير الموضوعية التي تواجهها في حالات كثيرة. يمكن تقسيم الدوافع التي كانت وراء اختياري لهذا البحث إلى دوافع ذاتية، وأخرى موضوعية.

1-الدوافع الذاتية: تتعلق بمجموعة التساؤلات التي حيرتني في مختلف أطوار دراستي، والتي تدور محاورها حول التنوع اللغوي، والثقافي والتباين الاقتصادي و السياسي بين الشعوب والأمم. وقد هالتني الصراعات القومية، و مساويء التمييز العنصري في العالم، و نتائج الحربين العالميتين الأولى و الثانية، و أرقام التسليح العسكري و ما ترصد له من ميزانيات مذهلة على حساب الأكثرية الجائعة من سكان العالم و كان اهتمامي بالنظرة الشاملة والكلية للأشياء يدفعني إلى التساؤل حول حوار الحضارات، وعالمية القيم والمفاهيم، وعلاقة الإسلام بالديانات الأخرى، إذ كنت أتساءل كثيراً عن إمكانية الثقاف الحضاري بين الشعوب والأمم، وعيش الأفراد تحت ظلال واحدة، يجمعهم الإخاء الإنساني والتعاون الإيجابي، وتحكمهم فلسفة واحدة تعترف بالاختلاف مع الآخر، وتمكن للحوار بين الأفراد والشعوب على تباين أديانهم، و ثقافتهم ، بعيداً عن الحروب والنزاعات التي تستنكرها العقول السليمة، ومبادئ الأديان المحقة، و المصالح المشتركة.

وعلى الرغم من كل ذلك كنت مدركاً لطغيان الجانب العاطفي على هذا الإشكال خاصة بعد أن أدركت أن هيئة الأمم المتحدة باعتبارها المنظمة الحاملة لمشروع العالمية لا تملك ضمانات موضوعية كافية للتطبيق. والأسوأ من ذلك أنها سرعان ما تتحول إلى وسيلة خداع و تمويه تتكئ عليها القوى الغالبة للهيمنة و النفوذ على الشعوب المغلوبة على أمرها. لكن بما أن مهمة الفلسفة هي مهمة نقدية اتجاه الماضي والحاضر معاً، وقد علمتنا الفلسفة أن فهم ذاتنا وتاريخنا هو بوابة لفهم حاضرنا، فقد اضطرت لقراءة التحولات التي نشهدها بحس نقدي من أجل تحديد إطار لذاتنا ومعرفة العوائق التي قد توضع أمامنا من أجل النفاذ إليها. إن التغيرات التي يشهدها العالم، تفرض على الباحث فهم ما يجري حوله، من خلال السعي

لإدراك هذه الظاهرة قصد فهمها، واستكشاف أبعادها، وهو ما يمكنه من مساهمة جميع المستجندات.

إن الخلط في المفاهيم هو الذي غيَّب عنا الحقائق وهو يرجع إلى ذلك الكم الكبير من البحوث التي تناولت ظاهرة العولمة بالدراسة، والتي غلب على معظمها التكرار والترجمة و الإنشائية البعيدة عن التحليل العلمي والإدراك الحقيقي، ناهيك عن التحيز الإيديولوجي الذي يوقع عادة في سطحية الأبحاث العديدة التي عرضت لموضوع العولمة، فجاءت في الغالب منافية لما تقتضيه الحقيقة العلمية الأمر الذي حفزني إلى بحث هذه الظاهرة.

2-الدوافع الموضوعية: وهي ترتبط بالخصائص التي تتصف بها العولمة، وأذكر منها:

1- العولمة ليست ظاهرة عفوية، بل هي تتويج لآراء فلسفية قدمها العقل البشري من خلال جملة من الجهود المستمرة ، وعليه فهي جديرة بالدراسة قصد معرفة حقيقتها، لأجل التعامل معها بفهم وحكمة.

2- العولمة ظاهرة شاملة، وعامة تمس بشكل مباشر جميع المجتمعات.

3- العولمة لا زالت في طور التكوين فهي لم تصل إلى مرحلتها النهائية، ولم تتبلور معالمها. أي إنها ظاهرة مستمرة في الزمن وبسرعة ملفتة للنظر وتوقيفها معناه توقيف للوقت¹ وهي بمفهوم "ستانلي هوفمان" واقع لا يمكن الاستغناء عنه ولا يمكن مقاومته².

4- إن العولمة ليست ظاهرة بسيطة أو تافهة تتناول جانباً من جوانب الحياة بل هي ظاهرة استراتيجية تاريخية تسري آثارها في جميع أنحاء العالم، أو هي كما يقول سيار الجميل "...إنها عملية اختراق كبرى للإنسان وتفكيره، وللذهنيات وتراكيبها، وللمجتمعات وأنساقها، وللدول وكياناتها، وللجغرافيات ومجالاتها، وللإقتصاديات وحركاتها، وللثقافات وهوياتها..."³.

5- اكتساب العولمة لوجهات نظر مواتية ووجهات أخرى معادية، يحمل رايتها أنصار مناهضة العولمة.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث في معرفة الأسس الفكرية التي أخرجت العولمة الاقتصادية إلى عالم الوجود، وأظهرتها بالصورة التي

¹ - 08 : p Leonardo le blanc " cultural globalization" offshore, nov 2001 v61 I11

² - 104 : p Stanly Hoffman "clash of globalization" foreign affairs, July august. 2002 v81 I4

³ - سيار الجميل. العولمة والمستقبل إستراتيجية تفكير، الطبعة الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2000 ، ص: 32

هي عليها الان. لذلك جاءت تساؤلاتي تدور حول ماهيتها و تجلياتها "السياسية والاقتصادية و الثقافية و الاتصالية"، وركزت البحث على أسسها الاقتصادية، والتقنية والعلمية، والإيديولوجية باعتبارها فرضيات بارزة تكمن وراء بروز الظاهرة للوجود، إضافة إلى تحدياتها الكبرى على مستويات متعددة أخرى وقد صغنا هذه الأسئلة كما يلي:

- ماهي العولمة ؟ و كيف نشأت ؟ و ماهي جذورها التاريخية ؟
- هل هي ظاهرة اقتصادية ؟ أم سياسية ؟ أم إيديولوجية ؟ وأي من هذه الأبعاد أكثر دلالة على حقيقتها ؟
- هل العولمة حتمية تاريخية ؟ أم هي من صنع البشر يمكن التحكم فيها وبالتالي توجيهها ؟
- هل هي مؤامرة تحاك ؟ أم هي نتيجة منطقية للتقدم الكبير الذي وصل إليه العالم في مختلف المجالات ؟
- هل هناك عولمة واحدة أم عولمات متعددة ؟
- ماهي مظاهرها وقيمها وأثارها ؟
- ما هي تجلياتها ؟ في:
 - المجال السياسي المعاصر
 - المجال الاقتصادي المعاصر
 - المجال الإعلامي المعاصر
 - المجال الثقافي المعاصر
- ما هي المرجعيات الفكرية للعولمة من المنظور الفلسفي ؟
- ماهي فلسفتها ؟ وما خطابها ؟
- سياسيا هل تؤدي العولمة إلى ذوبان كل ما هو محلي في ما هو عالمي ؟
- و هل ستزول جميع الفواصل والحدود بين المجتمعات في ظل هذا النظام
- العالمي الجديد ؟ بمعنى آخر هل تتحقق القرية الكونية التي بشر بها المعولمون ؟

- ما هي مكانة الإنسان والدولة في ظل هذا النظام ؟
- ما هي الأسس الفكرية للعولمة الاقتصادية ؟
- من هم المنظرون الحقيقيون لهذا التوجه ؟
- هل تعتبر الرأسمالية قاعدة اقتصادية للعولمة وهل يمكن القول إن العولمة هي استمرار للرأسمالية ؟ وما علاقتها بالبرالية ؟
- ماذا يمثل النظام الاقتصادي العالمي الراهن بالنسبة للعولمة ؟
- ما هي آليات العولمة ؟
- ما هي الأدوار التي تلعبها المؤسسات المالية العالمية مثل البنك العالمي وصندوق النقد الدولي في توجيه حركة العولمة ؟

- كيف ساهمت منظمة التجارة العالمية في تنميط النشاط التجاري العالمي ؟
- كيف تمكنت الشركات متعددة الجنسيات من التحكم في مسار الاقتصاد العالمي ؟
- ما هو تأثير العولمة الاقتصادية على اقتصاديات الدول العربية والإسلامية عموماً وعلى الجزائر خصوصاً ؟
- هل تركز العولمة على التقدم التكنولوجي ووسائل الاتصال ؟
- كيف ساهمت وسائل الاتصال الحديثة في تسريع حركة العولمة ؟
- هل وضعت الثورة المعلوماتية أسس العولمة ؟
- ماهي الأبعاد الاقتصادية للتجارة الالكترونية ؟
- هل صنعت الانترنت مجتمع العولمة الاستهلاكي ؟
- ماهي الإيديولوجية التي تركز عليها العولمة ؟
- ماهي أبعاد فكرة {نهاية التاريخ} فلسفياً ؟
- هل أطروحة هانتغتون {صراع الحضارات} صائبة ؟
- هل العولمة هي أمركة العالم ؟
- ماهي الفلسفة التي تنتهجها أمريكا في السيطرة على العالم ؟
- ما هي المشكلات التي تفرزها العولمة على مستوى الأفراد والجماعات
- والمؤسسات والهيئات ؟
- إلى أين تتجه العولمة ؟ وهل تسعى بالبشرية نحو التقدم والرفاهية ؟
- كيف نتعامل نحن العرب والمسلمين مع هذه الظاهرة ؟ وما هي أسلم المواقف اتجاهها ؟

فرضيات البحث :

ينطلق هذا البحث من تحليل منطلقات رئيسية نحسبها ركائز أساسية لظاهرة العولمة الاقتصادية وهي:

الركيزة الاقتصادية:

على اعتبار أن تطور الفكر الرأسمالي منذ بداية مبادئه الأولى مع المدرسة التجارية في بداية القرن الخامس عشر، والتي سادت حتى منتصف القرن الثامن عشر ثم المدرسة الطبيعية، مروراً بالمدرسة الكلاسيكية وروادها الأربع: (آدم سميث، و مالتوس، ريكاردو، جون استوارث مل) حيث استمر تطبيق مبادئ هذا الفكر التقليدي لفترة امتدت حتى ظهور **المدرسة الكينزية** في بداية الثلاثينات من القرن العشرين ثم ظهور **المدرسة النقدية** ودون إغفال الفكر الاشتراكي ومقوماته الناقدة لأسس النظام

الرأسمالي إلى غاية التجلي النهائي للنظام الرأسمالي في صورته اللبرالية، كل ذلك يعد ممهداً لنظام العولمة الاقتصادية .

الركيزة العلمية والتقنية:

وهي فرضية تكشف عن الدور الذي لعبته تكنولوجيا المعلومات في صناعة الوجه الجديد لنظام العولمة الاقتصادية، واستفادة النظام الاقتصادي العالمي من التطورات الحاصلة في مجال التكنولوجيا خاصة تلك التي عرفها التاريخ في القرن العشرين ومن تلك المنتجات التي أبدعها العقل البشري، نجد الإنترنت وسيلة اتصال متطورة، تمكن من ربط الأفراد والمؤسسات في دائرة اقتصادية واجتماعية تتفاعل أطرافها بصورة مستمرة.

الركيزة الإيديولوجية :

وهي فرضية ثالثة تجعلنا نبحث عن أسس الهيمنة الحديثة التي تنتهجها الدول القوية المسيطرة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا مستخدمة شعارات العولمة وجها من أوجه التحديث والتطور وتقديس النظام الرأسمالي، وهي تسلك السلوك الإمبراطوري في هذا المنحى، مستخدمة أوراق الديمقراطية وحقوق الانسان والشراكة الاقتصادية، تبريرات تسوغ لها السيادة والتدخل، وفي كل الأحوال نتساءل عن مكان القوة عند الأقوياء وأسرار الضعف عند الضعفاء. وسنجهتد على ضوء هذه الفرضيات الثلاث أن نختبر إن كانت ظاهرة العولمة الاقتصادية تعتمد على هذه الركائز كما أسعى للكشف عن علاقة هذه الأسس بفلسفة العولمة .

وسائل واطر البحث:

إن اختبار هذه الفرضيات دفعنا إلى العمل في ثلاثة جبهات :
الجبهة الفلسفية : حيث تسلحنا بالأدوات الفلسفية التي تمكننا من الولوج إلى المصادر الحقيقية التي تعرفنا بتاريخ النشاط الإنساني، الذي يعبر عن البعد العالمي في التفكير، اقتصاديا، وسياسيا، وثقافيا، ففتشنا عن العولمة كمفهوم، من خلال تصفح كبريات المعاجم، على اختلاف اللغات . وكذلك البحث عن الأجوبة لتساؤلاتنا في الكتابات الجادة و الدراسات الهامة على كثرتها¹ كما ففتشنا عن العولمة كظاهرة لها جذورها، وحركتها في التاريخ من خلال الغوص في تاريخ الفكر الفلسفي، والتوقف عند المنعطقات الكبرى، قصد المسائلة والتروي، مع التركيز على الجانب الاقتصادي باعتباره الفرضية الأولى والأساسية في البحث .

الجبهة المعلوماتية :

¹ قارب عدد الكتب التي استفدت منها الألف كتاب. بينما بلغ عدد الدوريات التي استفدت منها -650 بين مجلات وصحف.

لقد حفزنا اختيار الموضوع على الولوج إلى عالم التقنية عن قرب وذلك بتعلم استخدام الوسائل التقنية المتاحة قصد تجريب الفرضية الثانية في هذا البحث ابتداء من كتابة هذا البحث بنفسني دون مساعدة من احد على حاسوبي الخاص مروراً بالاستغلال الدقيق للبحث عن المعلومات من خلال شبكة الانترنت إلى شراء المعلومات الثمينة والإحصائيات العلمية من مصادرها (كتب ومجلات) بواسطة التجارة الالكترونية عن طريق بطاقتي الائتمانية، بالإضافة إلى المشاركة في الملتقيات العلمية عن بعد.

جبهة الاتصال بواقع الظاهرة والمتخصصين بها:

عندما ضمنا هذا البحث الفرضية الايدولوجية كأساس لنظام العولمة، قررنا أن أخضعها للتجريب ، وذلك عن طريق التعامل مع البحث ، في أوسع نطاق له، و بصورة ميدانية . ففي اعتقادنا أن فهم العولمة ينبغي أن يعاش على الواقع، فكان لزاما علينا أن نعيش الحدث في واقعه فكان السفر إلى عواصم الدول الكبرى التي يشار إليها بالبنان على أنها وراء تحريك دولاب العولمة ونقصد بذلك أمريكا التي مكثنا فيها أربعة أشهر وفرنسا التي مكثنا فيها عاما كاملا وبريطانيا وألمانيا حيث مكثنا فيهما شهرين كاملين. وقد مكثنا هذه المعيشة من الإجابة على كثير من الإشكاليات التي حملناها معنا. وقد أفادتنا كثيرا تلك المساعدات التي قدمت لنا في الجامعات الأمريكية،¹ ومراكز البحث الفرنسية،² والبريطانية. سواء من طرف الأساتذة الباحثين في تلك المؤسسات، أو من طرف الإداريين والعاملين على تسييرها.

منهجية البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي، الذي يقتضي تحليل ونقد أهم النصوص الواردة بشأن الظاهرة. سواء تعلق الأمر بالذين أيدها ودافعوا عنها، أم تعلق الأمر بالذين رفضوها، ودعوا إلى مواجهتها. وقبل ذلك سنتناول بالدراسة التحليلية الأسس الفكرية التي أنطلق منها أصحابها لتأسيس الظاهرة، ولضبط اتجاهاتها، ومراقبة إفرازاتها على عدد من المستويات.

كما طبقنا المنهج الوصفي الذي يلائم دراسة ظاهرة العولمة والوصف العلمي لهذه الظاهرة يقتضي تحليل وتفسير أبعاد هذا الخطاب الذي تستخدمه العولمة.

ويمكن القول إن المنهج البحثي المستخدم يجمع بين الاستقرائي والاستنباطي في شكل متداخل بينهما، وبخاصة في تحليل ونقد

¹ وأخص بالذكر جامعة إنديانا الحكومية ومعهد انترلينك وجامعة شيكاغو وجامعة سان لويس الحكومية

² مركز الدراسات والبحوث الدولية التابع لقسم العلوم السياسية بباريس، وقسم الفلسفة بجامعة السوربون، ومعهد العلوم الإنسانية بجامعة جيسيو، ومكتبة جورج بونبيدو بباريس، ومكتبة معهد العالم العربي، وجامعة ناتار، ومكتبة المعهد الكاثوليكي بباريس.

ايجابيات وسلبيات العولمة الاقتصادية على دول العالم الإسلامي أما صياغة الرؤية الاستراتيجية لمواجهة تحديات العولمة فقد اعتمدت أساساً على المنهج الاستنباطي. كذلك الأمر بالنسبة للإحصاء فقد لجأنا إليه باستخدام أرقام ، وجداول ، وأشكال توضيحية ، الهدف من ورائها تغليب الجانب الموضوعي على البحث . كما اعتمدنا أسلوب المقارنة، كلما اقتضت الضرورة العلمية ذلك. و سعيانا إلى وضع تصورات تعتمد على الأدلة المعرفية بقدر الإمكان للإجابة على الأسئلة المطروحة في هذا الشأن حسبما يتطلبه البحث، وصغنا خطة البحث على النحو التالي:

مقدمة

حدود البحث وصعوباته.
إشكالية البحث.
فرضيات البحث.
خطة البحث.
منهجية البحث.

الباب الأول: مفهوم العولمة وتجلياتها (مظاهرها)

الفصل الأول : مفهوم العولمة في اللغة و الاصطلاح.
المبحث الأول: مفهوم العولمة في اللغة (المفهوم اللغوي للعولمة).

المبحث الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعولمة.

1 - عند الدارسين الغربيين

2 - عند الدارسين العرب

مفاهيم العولمة

أ -المفهوم الفكري أو الفلسفي.

ب- المفهوم الإيديولوجي.

ج-المفهوم الثقافي.

د-المفهوم السياسي.

هـ-المفهوم الاقتصادي.

و-المفهوم الإعلامي.

المبحث الثالث : علاقة مفهوم العولمة بمصطلحات أخرى
(مفهوم العالمية، النظام الدولي الجديد).

المبحث الرابع: الجذور التاريخية للعولمة.

الفصل الثاني: تجليات العولمة -المعالم= القيم= المنطلقات

المبحث الأول: تجليات العولمة في المجال السياسي المعاصر.

المبحث الثاني: تجليات العولمة في المجال الاقتصادي المعاصر.

المبحث الثالث: تجليات العولمة في المجال الثقافي المعاصر.

المبحث الرابع: تجليات العولمة في المجال الاتصالي المعاصر.

الفصل الثالث : المنطلقات المرجعية للعولمة من المنظور الفلسفي.

المبحث الأول: المصادر الفكرية للعولمة.

المبحث الثاني: فلسفة العولمة ومنهجيتها.

الباب الثاني: الأسس الفكرية للعولمة الاقتصادية

الفصل الأول: الأساس الاقتصادي

المبحث الأول: تاريخ الفكر الاقتصادي والمراحل الممهدة للعولمة.

المبحث الثاني: الرأسمالية قاعدة اقتصادية للعولمة. مبادئ النظام الرأسمالي قواعد للعولمة. الليبرالية مذهب العولمة الرأسمالية .

المبحث الثالث: آليات العولمة (المؤسسات الحاملة لمشروع العولمة)

منظمة التجارة العالمية، وتحرير النشاط الاقتصادي.

البنك الدولي ، آلية ربط الأطراف إلى المركز صندوق النقد الدولي، ووضع استراتيجية العولمة. الشركات المتعددة الجنسيات، وصناعة القرار العالمي.

المبحث الرابع : اثر العولمة الاقتصادية على اقتصاديات الدول الإسلامية.

(الجزائر نموذجا)

خلاصة الفصل

الفصل الثاني: الأساس التقني للعولمة

المبحث الأول: نظرة تاريخية عن تطور العلوم والتقنيات

المبحث الثاني: ثورة الاتصالات وتسريع حركة العولمة.

المبحث الثالث: الثورة المعلوماتية أساس العولمة.

المبحث الرابع: التجارة الالكترونية وإبعادها الاقتصادية.

المبحث الخامس: الانترنت وصناعة مجتمع العولمة.

خلاصة الفصل

الفصل الثالث: الأساس الأيديولوجي للعولمة

المبحث الاول: " نهاية التاريخ " تاريخ الفكرة وأبعادها من

هيجل إلى فوكوياما.

المبحث الثاني: أطروحة هنتغتون ونقدها.

المبحث الثالث: تاريخ الولايات المتحدة ومعالم السيطرة

الأمريكية (الأفكار والأدوات والمنهج)

موقف بريجنسكي -هنتغتون - كيسنجر.

المبحث الرابع: فكرة أمركة العولمة بين النظرية والواقع .

خلاصة الفصل

الخاتمة:

الفهارس

الآيات -الأعلام- المصطلحات

المصادر والمراجع.

- المصادر باللغة العربية.
- مراجع من المجلات والصحف باللغة العربية.
- القواميس والمعاجم والموسوعات باللغة العربية.
- المصادر باللغة الأجنبية.
- مراجع من المجلات والصحف باللغة الاجنبية.
- القواميس والمعاجم والموسوعات باللغة الفرنسية .
- مراجع من شبكة الانترنت.

تمهيد:

يشهد العالم في الوقت الراهن تحولات سريعة وتغيرات مختلفة، جعلت الإنسانية تتجه نحو الشمولية، والاندماج غير إنه وبقدر ما ساهمت العولمة في التقارب بين الأفراد بفضل الخدمات المختلفة فإنها بقدر ما باعدت بينهم بفعل التنافس والتسابق، وكان من نتائج هذه التحولات العميقة أن أفرزت تباينا واضحا في موازين القوى، مما أدى إلى إعادة النظر في صياغة العلاقات الدولية. فظهرت في الساحة الدولية أمم قوية مهيمنة وبرزت على الساحة شعوب ضعيفة لأنها لم تعد العدة للمتقلبات الدولية السريعة. وقد كانت سنة 1991م خاتمة لمرحلة تاريخية عرفت بالحرب الباردة. وما كانت باردة في الواقع بدليل استخدام الرأسمالية كل الوسائل الممكنة ضد احتواء حركات التحرير وإخضاعها لسيطرتها، بعد ما تأكد انهيار الاتحاد السوفيتي.

لقد انتصرت الرأسمالية الغربية في نظر كثير من المفكرين وأصبحت اليوم "عالمية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية"¹ معلنة بداية مرحلة جديدة تحولت فيها منظمة الأمم المتحدة إلى أداة طيعة في يد الولايات المتحدة² وبرزت الرأسمالية في صيغة نظام اقتصادي واجتماعي لا منافس له، وبرزت هذه الأخيرة قطبا يطمح للهيمنة والسيطرة على العالم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وإعلاميا وثقافيا. ولكن المشكلة تكمن في أن تداعيات العولمة لا تهدد عالم الجنوب فقط بل تصل تهديداتها إلى عالم الشمال، سواء تعلق الأمر بالتهديدات الكبرى مثل أسلحة الدمار الشامل والإرهاب أو ما وصفه وزير خارجية ألمانيا فرنك فالتر شتاينماير "Frank- Walter Steinmeier بالتهديد "اللين"، مثل التغيرات الجسيمة في البيئة والمناخ، الفقر، كوارث التربية والتعليم، والجوانب المظلمة للعولمة، منها أفواج اللاجئين والأمراض والأوبئة مثل فيروس نقص المناعة والإيدز أو الملاريا. فهي تهدد الأمن والاستقرار³.

وروج أنصار العولمة إلى إيجابيات العولمة الاقتصادية، وتحدثوا عن تنوع مجالات الاستثمار، و تحرير الأسواق و توحيدها و تسهيل انتقال رؤوس الأموال، و زيادة السلع و الخدمات كما و نوعا، و تعميق التبادلات التجارية بين الأمم. لكن بالمقابل وجد المتعولمون (المنفعليون بالعولمة) على أرض واقعهم الاقتصادي سلبات كثيرة، مثل زيادة مستوى الفقر بين أفراد دول العالم، بالإضافة إلى انخفاض الأجور، و

¹ - Rachid sfar- mondialisation, régulation et solidarité, plaidoyer pour des reformes internationales et un programme de relance économique au profit de tous les pays ، L'harmattan. Paris 1999, P : 43

² اتضح هذا الأمر جليا مع الضغوطات التي مارستها الولايات المتحدة على مجلس الأمن لاتخاذ القرارات التي تخدم المصالح الأمريكية وأخرها قرار غزو العراق.

³ ⁷ فرنك فالتر شتاينماير - Frank- Walter Steinmeier "في سبيل إصلاح نظام الأمم المتحدة"، خطاب وزير الخارجية الألماني فيشر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها التاسعة والخمسين، نيويورك في 23 سبتمبر 2004. انظر موقع وزارة الخارجية الألمانية www.almania-info.diplo.de

زيادة التضخم، وارتفاع نسبة البطالة ، وعدم استقرار العملات فضلا على تفكيك الاقتصاديات الوطنية .

ومن صفات الحالة الراهنة أيضا بروز مشاعر الإحباط والقلق لدى جماهير واسعة في العالم، وظهور خلافات وفتن كثيرة في مجتمعات مختلفة، لذلك لم تستطع البشرية في العصر الحديث تحقيق العدالة الاجتماعية، رغم الصيحات التي أطلقها رواد الاشتراكية تحت شعار: "يا **عمال العالم اتحدوا**". وعليه فقد زادت حدة الفقر، وكثرت معاناة الأفراد، وظهرت الاشتراكية ضعيفة في رؤيتها الفلسفية نظرا للاختلاف العميق بين النظرية و التطبيق، وتبخرت مفاهيم المساواة والعدالة الاجتماعية التي كانت تطالب بها. أما الرأسمالية فهي الأخرى لم تقض على الفقر وتبعاته، ولم تحصن الشعوب من الصراعات والحروب، ولم تسعد الأفراد رغم المساعي الدولية لخلق نظام دولي جديد يتكأ على خدمات التكنولوجيات الحديثة، وكل ما هنالك ان الناس أصبحوا يعيشون فصلا من فصول التاريخ عنوانه العولمة.

شغل هذا الموضوع الكثير من المهتمين، حيث كتبت الجرائد والمجلات عنه كما هائلا من المقالات والبحوث. وأقيمت الندوات الفكرية بشأنه في الجامعات والمنتديات، و نوقشت مختلف جوانبه في القنوات التلفزيونية، وعقدت من اجله المؤتمرات في مختلف البلدان. وتجددت المفاهيم والآراء بشأنها كلما حدثت تطورات على الصعيد العالمي.¹ وهكذا باتت كلمة العولمة على كل لسان وفي كل منتدى بل "أضحى الناس في كل مكان في الأرض يعيشون شكلا من أشكالها".² وقد زاد هذا التناول من حيرة الأفراد في كل مكان لأن العولمة تؤثر حسب **محمد دواس** على جميع النواحي وهي في نظره لا تؤثر على الافراد والجماعات بصورة معينة فحسب بل حتى " على حكومات وأمم القارات الخمس"³، وعلى أساس خاصية التعدد والتشابك التي تتصف بها ، قال احد الكتاب معرفا للعولمة: " العولمة ظاهرة متعددة الأبعاد وفي صورة متشابكة تخص انتقال المنتجات، والخدمات ، والأفكار والأشخاص، ورؤوس الأموال ، والاستثمارات الخارجية."⁴ انقسم الناس إزاء العولمة إلى أقسام . فمنهم من اعتبرها شرا لا بد من مواجهته ومحاربتة، و منهم من اعتبرها معلما من معالم تطور

¹ - إلى غاية ديسمبر 2001 عقدت اكثر من 1500 مؤتمر وندوة حول الموضوع انظر : نبيل علي "الثقافة العربية وعصر المعلومات " رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، مجلة عالم المعرفة ، العدد 276 ، الطبعة الثانية، الكويت، ديسمبر 2001 . ص 26.

² عبد الكريم بكار ،العولمة ، طبيعتها، ووسائلها، تحدياتها، التعامل معها . الطبعة الأولى ، دار الاعلام للنشر والتوزيع، عمان 2000 – ص:9

³ - Mohamed Douaas “Africa faces challenges of globalization”, finance and development New York, USA, December 2001 v38 i4 p: 04

⁴ - Brunot Benoît ، la mondialisation en fiches –genèse – acteurs – enjeux, édition breal, Paris 2005 p : 144

البشرية، ومنقذا من التخلف و الانحطاط. وذهب آخرون إلى البحث في كيفية التعامل معها. ومرد هذه الحيرة يرجع إلى اختلاف فهم الخلفية الفكرية التي تقوم عليها العولمة، وإلى البنية الاجتماعية والاقتصادية التي يتأثر بها¹. ورغم ذلك يقف الملايين من الناس لا يفقهون ما يدعو إليه أنصار العولمة ومؤيدوها، ولا يدركون ما يقوله غيرهم من الرافضين لها. ونظرا للسرعة التي هي عليها الظاهرة، أصبح الناس يتقربون ما تفرزه الظاهرة، مجتمع الرفاهية في جميع أنحاء العالم، الذي بشرت به الليبرالية الجديدة، بعد سعي زعماء الدول الكبرى إلى فرض هذا النموذج باعتبارهم الراحون في ملعب العولمة، ووعدهم للخاسرين بالتفكير في إعادة إدماجهم في العولمة²، أو مجتمع الفقراء مشكلا أغلبية سكان المعمورة تحكمه فئة قليلة لها من السيطرة والإخضاع ما يجعلها تتربع على القيادة. وهذه المسألة هي التي سيكشف عنها هذا البحث انطلاقا من رؤيتنا الخاصة.

ونحن هنا لا نرى إمكانية فهم ظاهرة العولمة بمعزل عن فهم جميع التحولات الفكرية والتقنية في التاريخ الحديث والمعاصر. إن أي قراءة متعمقة لمضمون الظاهرة أو رسم لتوجهاتها لا بد أن لا يغفل التطور الاقتصادي الذي ساهم في إبراز الظاهرة على ما هي عليه الآن. ولا يلغي مساهمة التطورات العلمية والتقنية في بلورة هذه الظاهرة، ولا يبعد الإيديولوجية التي فرضت النموذج العالمي وأرادت إن تمكن له بمختلف الوسائل المتاحة. كما أن أي دراسة للعولمة تتطلب أو تقتضي التعرض لنشأتها ومكوناتها وحركتها وأبعادها المتجلية على كافة الأصعدة. والكشف عن أسسها يقتضي معرفة المرتكزات الفكرية التي تقوم عليها والآليات التي تستخدمها في حركتها. وللعولمة تاريخ محكوم بتحولات عميقة عرفت الرأسمالية في تطورها بما في ذلك الخطابات الفلسفية والنقدية التي ظهرت في فترات متباعدة.

لقد وضع **أوغست كونت**³ أوراق فلسفة النموذج الوضعي في المعرفة من خلال الفصل بين الشعوب البدائية التي تعيش المرحلة الميتافيزيقية والشعوب العقلانية، التي يفسر فيها العقل الأشياء تفسيرا وضعيا⁴

¹ معظم الذين يشجبون العولمة ويعارضونها ينتمون إلى الدول الفقيرة والنامية.

² - Philippe Martin « Mondialisation et territoires », conférence au centre George Pompidou Paris, le 20-02-2006 .

³ - أوغست كونت: 1798-1857 ينسب إليه مذهب قانون الحالات الثلاث، ويقول إن العقل مر بحالات ثلاث لاهوتية و ميتافيزيقية وواقعية . وتعتبر الحالات الثلاثة التي جاءت بها فلسفة كونت مرتبطة مع بعضها وكل حالة تقود إلى الأخرى وآخر هذه الحالات هي الحالة الوضعية.

⁴ Dominique Le court, la philosophie des sciences 1er édition, presses universitaires de France, Paris 2001 P : 18

ودافع **لفي بريل**¹ عن **العولمة القسرية** من خلال كتابه: "**العقلية البدائية**" والقائل "إن هناك طبيعة إنسانية فردية واجتماعية هي واحدة في كل زمان ومكان"². وعلى الرغم من أن **فلسفة الأنوار** دافعت عن كونية الإنسان إلا أن **هيجل**³ وضع التاريخ بيد **البرجوازية** التي تنهيه بفضل دور الدولة التي بمقتضاها يتحقق الانتصار النهائي في التاريخ⁴.

وسار الغرب وفق **الشعار الدارويني**⁵. القائل : إن البقاء للأقوى، كما برزت على السطح فلسفة **نيتشه**⁶ "إرادة القوة" لتبرر سيطرة الأقوياء على الضعفاء.

أما عجلة الاقتصاد فقد حركتها مدارس الفكر الرأسمالي بدءاً **بالمدرسة التجارية** التي وجهت الحياة الاقتصادية نحو التجارة ويمثل فكرها كتاب **الأمير لميكافلي**⁷، ثم **المدرسة الطبيعية** التي قامت على فكرة القانون الطبيعي والمذهب الفردي ومن روادها **جون لوك**⁸ و**دافيد هيوم**⁹، و**فولتير**¹⁰، و**جان جاك روسو**¹¹. ثم **المدرسة الكلاسيكية** ممثلة في **آدم سميث**¹²، **دافيد ريكاردو**¹³، **جون**

¹ - ليفي بريل: 1897-1939م من أنصار المذهب الاجتماعي.

² - يوسف كرم "تاريخ الفلسفة الحديثة"، دار القلم بيروت، لبنان، ص: 435

³ - هيجل : فيلسوف الماني 1770م-1831م تأثر بأعمال سبينوزا، كانط، روسو ، والثورة الفرنسية.

⁴ - يوسف كرم "تاريخ الفلسفة الحديثة" ص: 282

⁵ - نسبة إلى داروين 1709-1772م عالم طبيعي وضع نظرية في تطور الأحياء من أهم كتبه اصل الأنواع ، تسلسل الإنسان والانتخاب الطبيعي .أخذ على ان نظريته مادية الحادية.

⁶ - نيتشه : فيلسوف ألماني، عالم نفس، ولد في 15 أكتوبر 1844 ، عاش حياته ناقدا حادا للمبادئ الاخلاقية والحداثة.

من اهم آثاره :

- أصل المأساة "1872م". وهو دراسة للثقافة اليونانية من خلال القصص والروايات أو "الدراما".
- هكذا تكلم زرا دشت "1883م". وهذا الكتاب هو أهم مؤلفاته، ألف في صيغة أدبية ، ووضع فيه خلاصة افكاره الفلسفية المتمثلة في نقد الدين والقيم والأخلاق، ومحاربة فكرة الوطنية والقومية والأمة وكل شيء موروث، والدعوة إلى الصراع ضد الدين والقيم، والعمل على تحقيق الإنسان المجاوز للحد من خلال التطور الذاتي، وقد جعل بطل هذا المؤلف ينطق بكل ما يريد نيتشه، فكان نيتشه يلقي بأرائه الفلسفية من خلال "زرا دشت" هذا.
- فيما وراء الخير والشر "1886م". وفيه يقرر أن القوة والجبروت هو الخير، وأن الضعف والتواضع شر.
- في أصل الأخلاق "1887م". تكلم فيه نيتشه عن الفضائل والقيم، وقرر أنها تزييف للواقع.
- إرادة القوة "1901م" نشر بعد هلاك نيتشه.

⁷ - نيكولا ميكافيلي : فيلسوف ايطالي (1469-1527) يعرف بأنه المؤسس للتنظير السياسي الواقعي، من أشهر كتبه كتاب الأمير الذي جمع فيه أهم التعليمات التي يستفيد منها الحكام والأمراء

⁸ - جون لوك (1632 - 1704) (John Locke) هو فيلسوف تجريبي و مفكر سياسي إنجليزي

⁹ -دافيد هيوم فيلسوف اسكتلندي (1611 - 1776)

¹⁰ - فولتير(1694-1778) هو اديب وفيلسوف فرنسي اسمه الحقيقي :فرانسوا- ماري ارويه

¹¹ -جان جاك روسو(1712-1788) فيلسوف ومحلل سياسي سويسري اثرت فلسفته السياسية في الثورة الفرنسية

¹² آدم سميث باحث ومفكر اقتصادي له نظرية اقتصادية تحمل اسمه في المجال الاقتصادي ، ولد باسكتلندا من اهم مؤلفاته " بحث في طبيعة ثروة الامم وأسبابها" و كانت أفكاره محطة بالغة الأهمية في نشوء مذهب الليبرالية الاقتصادية.

¹³ دافيد ريكاردو (1772-1823) David ricardo قام بشرح قوانين توزيع الدخل في الاقتصاد الرأسمالي، وله النظرية المعروفة باسم قانون تناقص .

استوارت مل¹. ثم المدرسة **الكنزية** التي بدأت على يد العالم الإنجليزي **جون ماينرد كينز²**، ثم المدرسة **النقدية** التي تزعمها **ميلتون فريدمان³** الذي انتقد كينز في بعض عناصر نظريته. مع عدم إغفال المدرسة **الاشتراكية** التي جاءت بمبادئ ومقومات خاصة تختلف تماماً عما جاء به الفكر الرأسمالي ويعتبر رائدها **كارل ماركس** من أكبر الاقتصاديين الذين كان لهم أكبر الأثر في الفكر الاقتصادي. أما الظاهرة الاستعمارية فهي فقد تماشت مع فلسفة **هيجل** التي تميز بين السيد الغربي العقلاني الحر على الآخر الشرقي الغارق في الوهم والتعصب وتبرر هيمنة الأول على الثاني. وخلاصة الفكر الذي تبنته العولمة تبلورت إديولوجيا مع **صامويل هنتجتون** بتكريسه لفكرة نهاية التاريخ وانتصار الحضارة الغربية. و **فرانسيس فوكوياما** الذي انتهى إلى إن البشرية قد وقع اختيارها على النظام الرأسمالي مسلماً وحيداً في سبيل التقدم والرفق بعد ما انتصرت الديمقراطية الغربية، وانتصر الغرب معها⁴. إن الخوض في المسائل الفلسفية يقتضي البدء بتحديد المصطلح وضبطه، لأن ذلك يسهل درء الغموض ورفع اللبس، وهنا نستحضر مقولة **فولتير** "إذا أردت أن تتحدث معي حدد مصطلحك" ذلك أن عدم تحديد المصطلح يصعب الوصول إلى النتيجة، لأنها حمالة أوجه. كما أن محاولة تفكيك مفهوم العولمة من أجل مقارنته تتطلب من الباحث الإلمام باللغات الأجنبية والغوص في حقول معرفية متعددة كعلم اللغة، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة والفلسفة، والتاريخ، وعلم الإحصاء.

مفهوم العولمة:

قال أحد الأساتذة: "قد لا نكون مجازفين إذا ما اعتبرنا أن مفهوم العولمة مازال مفهوماً هشاً حتى في الحقل الاقتصادي الذي تشكل في

¹ - هو مؤسس المدرسة الكلاسيكية الانجليزية.

² جون ماينرد كينز (1883-1946) John Maynard Keynes ، اقتصادي انجليزي، مؤسس النظرية الكينزية من خلال كتابه "النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود"

³ - **ميلتون فريدمان** (1912-2006) Milton Friedman اقتصادي امريكي مشهور بتأييده لاقتصاد السوق حاز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1976.

⁴ **فرانسيس فوكوياما** نهاية التاريخ ترجمة حسين الشيخ ، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان، الطبعة الاولى 1993 ص:9

إطاره"¹ على الرغم من اتفاقنا مع صاحب القول فإن ذلك لا يمنعنا من تحديد مفهوم العولمة الذي يقتضي منا الوقوف على مفهومها لغة واصطلاحاً مع تمييز هذا المفهوم بين الدارسين العرب وغيرهم من الغربيين.

الاشتقاق اللغوي:

العولمة هي إحدى مشتقات الفعل "علم" "عالم" "يعالم" "عولمة" على وزن فوعلة .

ويقال فوعل الشيء، أي جعل له فاعلية وتأثيراً. والعولمة لغة هي من المصادر القياسية في اللغة العربية ، وبالتالي هي مصطلح سليم من النحت والتركيب. وهي هنا تنوب مناب الفعل فيكون معناها أداء الفعل الذي مادته الجذر اللغوي الذي هو العالم هنا وبذلك يكون معنى العولمة لغة جعل الشيء مادة العولمة عالمياً أو على مستوى العالم² وبهذا المعنى "إسباغ صفة العالمية على موضوع فعل العولمة" قدمت موسوعة الإدارة والأعمال تعريفها للعولمة على إنها "عملية زيادة الالتحام في الحضارة العالمية"³ وكلمة العولمة لها ما يشابهها من زاوية الصيغة الصرفية في اللغة العربية، كقول المحدثين قولبة، حوسبة ، عوربة ، غوربة.

والعولمة لغوياً هي تعميم الشيء إلى أبعد حد ممكن ، وتطبيقه على أوسع نطاق .

أو هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله⁴. ويقابل المصطلح عولمة كلمة "GLOBALIZATION" المشتقة من "GLOBAL" في الإنجليزية والمقصود هنا الكرة الأرضية أو الكوكب الذي تعيش البشرية على سطحه أما في اللغة الفرنسية فهي تقابل كلمة MONDIALISATION المشتقة من MONDE ولا يرى بعض الفرنسيين حرجاً من استخدام كلمة GLOBALISATION على اعتبار أن كلمة GLOBAL في اللغة الفرنسية لها معناها نفسه في الإنجليزية أي "الكرة"⁵.

ويحمل مصطلح العولمة دلالة على قسرية الفعل أي وجود فاعل يفعل ويتجلى ذلك في صيغة "SATION" التي يتضمنها المصطلح في اللغة الأجنبية .

¹ **كمال عبد اللطيف** "أسئلة العولمة ملاحظات حول تشكل مفهوم العولمة في الكتابات العربية"، مجلة الفكر السياسي ، فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العددان الرابع والخامس السنة الثانية شتاء 1998-1999

² - إسماعيل صبري عبد الله "الكوكبة:الرأسمالية في مرحلة ما بعد الإمبريالية" في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي، سلسلة كتب المستقبل العربي ، العدد:16 مركز دراسات الوحدة العربية ص: 44

³ "The International Encyclopedia of business & Management".1996.vol.1.p:1649

⁴ محمد عابد الجابري "العولمة والهوية الثقافية:عشر أطروحات" ، مجلة المستقبل العربي، العدد 228 فيفري 1998، ص:16

⁵ - عزت السيد احمد انهيار مزاعم العولمة قراءة في تواصل الحضارات وصراعاتها ، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب عام 2000.

والمعنى اللغوي لكلمة عولمة كما توضحه بعض القواميس والموسوعات المنتشرة في كبريات المؤسسات العلمية الأمريكية يمكننا إبرازه كما ورد:

يعني إن فعل العولمة هو جعل الشيء عالمي أو تطبيقه على مستوى كوني، ومن هنا جاءت فكرة القرية الكونية.

أما موسوعة World English dictionary والتي يشرف عليها الدكتور **أن سوخانوف** فورد فيها ما يلي: "إن العولمة هي العملية يتخذ فيها

الاقتصاد بعدا عالميا".¹ فمعنى العولمة من حيث الاشتقاق حسب المصادر الأوربية يدور حول جعل شيء ما على مستوى عالمي.²

ولتمييز مفهوم العولمة وتوضيحه نورد هنا الفرق اللغوي بينه وبين مصطلح قريب له كثيرا ما يخلط الناس بينه وبين مصطلح العولمة وهو مصطلح العالمية.³

كلمة "عالمية" - بصيغة النسبة - حديثة جدا في اللغة العربية، ولا وجود لأصل فعلي لها في اللغة العربية بل نُجِثت من المقالات والدراسات المتخصصة. وبالتالي يقل وجودها في القواميس والمعاجم العامة والمتخصصة والموسوعات العربية. وقد يرجع ذلك من جهة إلى حداثة الاستخدام الواسع للكلمة في مختلف اللغات. فالكلمة أوربية الأصل وقد شاع تداولها- في الغرب ومن ثم انتشرت في العالم- خلال القرون الثلاثة الأخيرة للميلاد. هذا ومن جهة ثانية يرجع الى ضعف القواميس والموسوعات، فأحيانا ترد كلمة "عالمية" بأحد مرادفاتها "شمولية" أو "كونية" أو "أممية" أو "عمومية" أو "كلية" أو "عام" ويرجع الأمر أيضا إلى إشكالية الترجمة للكلمات القريبة من "عالمية" من اللغات الأوربية، والتي تتفاوت وتباين في ترجمتها.

وتقتصر المعاجم والقواميس العربية على ترجمة تعريفية موجزة للفظ "عالمية" ولا توردها بالصيغة المتداولة. ففي "القاموس المحيط" ترد كلمة "العالم" بمعنى: "الخلق كله، بما حواه بطن الفلك".⁴ كما تعني أيضا عدة معان نذكر منها ما يلي:

-الخلق كله وهو المقصود من آية (الحمد لله رب العالمين)⁵
-كل صنف من أصناف الخلق كقولنا "عالم الحيوان" "عالم النبات" "عالم الإنسان".

¹ - ANNE H SOUKHANOV "Encarta - world English dictionary" – first edition St Martin's New York, -1999

² Jean du Bois Larousse, dictionnaire de la langue française (sous la direction), lexis, édition la rousse, 1994 p : 1178

³ في هذا السياق استفدت من التفرقة التي قام بها الباحث قاسم حجاج في بحثه "العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية- جمعية التراث القرارة الجزائر طبعة الاولى 2003 ص 65-70.

⁴ - محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي ، القاموس المحيط الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1995

⁵ -سورة الفاتحة الآية: 1 .

- كل مجموعة بلدان تجمعها رابطة كقولنا: "العالم العربي"، "العالم الإسلامي"، "بلدان العالم الثالث: الدول النامية".
 أما في **القرآن الكريم** لا نجد كلمة "عالم" بالمفرد ولكن بدلها نجد كلمة "مُلْك" و "ملكوت" و "خلق" و "ناس". ونجد فيه الكلمة المشتقة من "العالم" هي "العالمين" ونجدها غالبا مضافة لكلمة قبلها مثل "رب العالمين".
 وفي "لسان العرب" **لابن منظور** تعني كلمة "العالمون": أصناف الخلق، والعالم: الخلق كله، وقيل جمع العالم: العوالم.
 وكلمة "عالمية" ترادف أيضا كلمة "أمة" ففي قوله تعالى: "وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"¹، إِنَّ المقصود هنا بالأمّة أولئك الذين يُعَبَّر عنهم القرآن غالبا بالناس. إن محمدا هو آخر الأنبياء، ورسالته آخر الرسالات، وأمته آخر الأمم. إِنَّه مبعوث إلى الناس في كافة العالم.

ومما يؤيد هذا، أَنَّ الأستاذ طارق البشري²، يستخدم مفهومي "أممي" و "عصري" للدلالة على "عالمي" ان "العصر" يعني الدهر أو الزمن وأنه يُنسب إلى شخص مثل قولنا: "عصر ابن خلدون" أو إلى دولة مثل قولنا: "العصر العباسي" أو إلى ظواهر طبيعية مثل قولنا: "العصر الحجري" أو إلى ظواهر اجتماعية مثل قولنا: "عصر الإصلاح" و "عصر النهضة" أو ينسب إلى مرحلة من التاريخ مثل قولنا: "العصر الحديث"³.

ومن المرادفات لكلمة العالمية أيضا كلمة "الشامل" و "الشمولية"، على حد قول الجابري. فعندما نقول: «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»: فالحقوق المعنية هي "عالمية" بمعنى أنها حقوق للناس كافة، لا فرق بين ذكر أو أنثى ولا بين أبيض وأسود ولا بين فقير وغني، بل هي حقوق الإنسان بما هو إنسان بقطع النظر عن أي شيء آخر⁴.
 ومما سبق نخلص إلى أن كلمة "العالمية" في اللغة العربية أصلية، ولكنها لم تتطور اصطلاحيا كثيرا، بسبب حالة الانحطاط التي عرفتتها الشعوب العربية الإسلامية.

أما عن استخدام مفهوم العالمية (في اللغتين الفرنسية والإنجليزية) فقد اشتقت كلمة "Universel(elle)" **باللغة الفرنسية** و "Universal" باللغة الانجليزية من أصل كلمة "Univers" التي تعني العالم والكون.

¹ -سورة الانبياء الاية:92.

² -طارق البشري من مواليد 1933 بمصر باحث في التاريخ المصري والعربي و الإسلامي المعاصر.

³ - قاسم حجاج العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية، جمعية التراث، القرارة، الجزائر ط 1 2003 ص: 66

³⁴ - محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الاولى، نوفمبر 1994، ص

وتأخذ معنى "**الشمول**" (Totalité) في عبارة (الفكر الشمولي)⁵ وتأخذ معنى "**الكونية**" (Cosmique) مثل تسمية "**العالمية**" بالكونية كالقول الحرب الكونية، إذ أن الأرض وسكانها ودولها جزء من الكواكب

وتأخذ كلمة "**عالمي**" معنى "**الكوكبي** فـ" **الكوكبية**" من الكلمة الإنجليزية (Globalization) وذلك للتدليل على العولمة الجارية، وهي مشتقة من كلمة "Globe" أي الكوكب أو الكرة الأرضية .

وتفيد كلمة "**العالمية**" أيضا معنى «الانفتاح على العالم» من خلال عبارة: "**المواطنة العالمية**" أو "**الشخص العالمي**"² وهو مذهب فكري "**إنساني**" ساد أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وهو نسبة إلى الذي يعتقد أنه مواطن عالمي يرفض أن ينغلق في إطار ضيق من الانتماء إلى قومية أو أمة. ويعني الشخص الكوسموبوليتي، شخصا عابرا للقوميات. يقول الفيلسوف الإغريقي **ديوجيناز لايرتيوس**³ عندما سئل من أين جاء؟ أجاب: «أنا مواطن عالمي» " فالكوسموبوليتي: شخص يعتبر إحساسه بالتوحد موجهها أساسا نحو عالم اجتماعي، يخرج عن النطاق المحدود لمجتمعه المحلي.⁴ وقد استخدم المصطلح في بداية الأمر **روبرت ميرتون**⁵ لكي يقيم تفرقة بين الاتجاهات المحلية، والانفتاح على العالم.⁶

ويشتق من كلمة "**عالم**" أيضا كلمة (Universalisation) للدلالة على عملية الانتشار والتوسيع والتعميم والاشتراك عن طريق عملية النشر عبر العالم (Universaliser) مثل نشر ثقافة ما، أو نموذج فني ما، أو لغة ما نظرا لتفوقها على غيرها.

ويستخدم أيضا كلمة (Universalisme) للدلالة على مذهب سياسي فلسفي وإيديولوجي وديني وثقافي، كالقول بالعالمية الرأسمالية والعالمية الشيوعية. أو القول بعالمية الدين الإسلامي. كما تأخذ كلمة "**العالمية**" شكلا اشتقاقيا آخر وهو (

Universeaux) بمعنى الكليات الخمس في الفلسفة اليونانية وهي: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام. وقد سماها **أرسطو** بالمحمولات⁷ التي تُحمل على الموضوع بهدف تصنيف الأشخاص والأفكار.

⁵ L'esprit universel

² Cosmopolitain

³ (Diogènes Laertius)

⁴ قاسم حجاج، العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية . ص 69 .

⁵ (Robert, Morton)

⁶ نخبة من أساتذة علم الاجتماع جامعة الإسكندرية، " المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص: 93.

⁷ (Prédicats)-

المعنى الاصطلاحي للعولمة:

لابد إن نشير في البداية إلى أن هناك اختلافات كثيرة بشأن تعريف العولمة، تتشابه هذه الاختلافات مع حالة قصة العميان مع الفيل¹، ويمكن رد هذه الاختلافات إلى كونها ظاهرة متشعبة تتجلى في عدة مظاهر، و غير مكتملة، أي أنها تمثل مرحلة من مراحل التاريخ، تتطور فيها المفاهيم والآليات، و تسعى إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد².

كما إنها "أي العولمة" سريعة التطور، وهو ما يجعل التكهن بالمآل الذي ستبلغه صعبا للغاية. وهذا **الكسندر كينغ**³ يقول "إننا وسط مخاض طويل وشاق سيؤدي بشكل أو بآخر إلى ميلاد مجتمع معولم لا نستطيع إن نتكهن الآن بهيكلته"⁴ بالإضافة إلى تفاوت مستوى فهم الناس لها وتباين نظرتهم لها،⁵ وهذا التباين يتضح جليا بين المنتج والمستهلك. فالعولمة في منظور الغرب "منتج العولمة" ليست كنظرة غيرهم من المستضعفين "الطرف المتلقي للعولمة"، إذ يرى الطرف الأقوى أنها خير عام أما المتضررين من أثارها فيرون أن سلبياتها أكثر ضررا من نفعها.

كما يتضح هذا التباين بين دعاة العولمة، ومناصريها من جهة، اللذين يقدمونها على أنها نظام يحمل قيم العدل والخير والرفاهة. والرافضين لها اعتقادا منهم إنها لا تبشر بالخير ولا تخدم سوى مصالح القوى الكبرى من جهة أخرى .

ويقول المحامي "**كامل أبو صقر**" متحدثا عن تعدد رؤى الأفراد، واختلاف مستويات فهمهم للعولمة: "العالم قرية صغيرة بالنسبة لرجل الأعمال ، وشربة ماء لطفل في إفريقيا، وبيت لمتشرد وجرة دواء لمريض، ولوحة ذات جمال أخاذ لفنان، وقرية الكترونية لمدمن على الإنترنت ، فلكل واحد من الناس نظرة مستقلة مختلفة بالنسبة للعالم. ولكن بالنسبة للمضاربين في الأرض، والتجار والمستثمرين، ورجال

¹ هناك قصة مشهورة تحكي حالة مجموعة من العميان لمسوا جانبا من الفيل فاعتقد كل واحد منهم أنه الفيل بأكمله دون أن يعرف أن للفيل جوانب أخرى.

² - Malcolm Water Globalization. Routledge .London, 1995 p: 55.

³ - Alexander King

⁴ - الحبيب الجنحاني، " ظاهرة العولمة الواقع والأفاق " ، مجلة الفكر، المجلد 28، عدد أكتوبر 1999، ص 11.

⁵ - هذا الاختلاف طبيعي بين الأفراد خاصة من زاوية رصد المفهوم ، فالاقتصادي الذي يتابع التغيرات الحاصلة على مستوى الاقتصاد العالمي يحلل العولمة بخلاف الراصد لها من المنطلق السياسي وهذا الفهم قد لا نجده عند رجل الثقافة.

الأعمال، والمال فإن العالم هو سوق. والعولمة هي حرية التجارة الدولية، التي هي في تزايد"¹ وإذا كانت مفاهيم الباحثين للعولمة متباينة ، لدرجة إن بعضهم صنفها إلى مجموعات أي حسب البعد الذي تركز عليه²، مما أنتج لديهم عدة عولمات "اقتصادية وسياسية وثقافية واديولوجية واتصالية...الخ. فان بعض الدراسات تشير إلى:"أن علماء الاقتصاد هم أول من وضعوا المعاني الأولى للعولمة على الرغم من اختلافاتهم في دقة معناها"³ و نحن نورد أهمها، بغض النظر عن الإنحيازات الإيديولوجية، لأن ما يهمنا هو تحليل مضامين هذه التعاريف، والكشف عن مدلولاتها انطلاقاً من رؤية أصحابها لظاهرة العولمة وتحليلهم لها .

بداية نحاول التعرض لمفهومها حسب التصور الأوربي أو الغربي لها على أساس أن الغربيين قد تناولوا هذا الموضوع في هذا العصر أكثر من غيرهم.

مفهوم العولمة عند بعض الدارسين الأوربيين :

إن مصطلح العولمة قد بدأ تداوله من طرف الغربيين قبل أن ينتقل إلى الساحة العربية، حيث تشير كثير من الدراسات الى أن المصطلح استعمل لأول مرة عام 1968، من طرف الكاتب **مرشال ماكلوهان**⁴ في مؤلفه "الحرب والسلام في القرية العالمية"⁵ عندما تحدث عن تأثير التلفزيون في سير الحرب في الفيتنام، حيث أن أجهزة الإعلام الحديثة تجعل من الكون قرية واحدة.⁶ وبعد ذلك لم يستعمل حتى عام 1983 من طرف **تيدور لوفيت**⁷ في مقاله المعنون "عولمة الأسواق" ثم جاء بعده **زبيغنيو بريجنسكي** الذي أصبح فيما بعد مستشاراً للرئيس الأمريكي **"كارتر"** ووظف هذا المصطلح انطلاقاً من امتلاك أمريكا لـ 75% من مجموع الاتصالات العالمية على أنها تمتلك نموذجاً كونياً للحدث⁸. ثم توالى الكتابات في الموضوع خاصة بعد تبني ملتقى **دافوس**⁹ عام 1993 فكرة العولمة كمصطلح جديد في مختلف التعاملات الاقتصادية.

¹ - كامل أبو صقر ، العولمة التجارية والإدارية والقانونية ، رؤية إسلامية ، دار الوسام ، بيروت، ص48

² - باسم علي خريسان، العولمة والتحدي الثقافي، دار الفكر العربي الطبعة الأولى سنة 2001 ص:19 .

³ Vincent BANDRAND . Les éléments clés de la mondialisation - collection studyrama , 2002, Paris P :25.

⁴ Marchal McLuhan

⁵ war and peace in the global village

⁶ Bernard nadoulek « les enjeux de la mondialisation » journal vox journal du monde latin et de la francophonie . www.vox latina.com برنارد ندولك هو مستشار دولي في الاقتصاد العالمي

⁷ Théodor levitt

⁸ سعد العبيدي، " العولمة وتجلياتها النفسية، مجلة النبأ. العدد 52 كانون الاول 2001

ما مفهومها عند الدارسين الأوروبيين؟

يعرفها **رونالد روبرتسون** Ronald Robertson قائلا: " العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش"¹ ونلاحظ هنا البعد الوظيفي للعولمة حيث يركز على أمرين أساسيين أولهما انكماش العالم ويقصد به تقليص المسافات بين الأفراد في جميع أنحاء العالم و ثانيهما قضية الوعي بهذا الانكماش والإدراك الكامل بفكرة القرية الكونية لكن السؤال الذي يطرح هنا هو هل هذه القرية تنفي وجود الصراع المؤدي إلى التفكك والانقسام؟ الإجابة عن هذا السؤال مرتبطة بالأحداث القادمة والتغيرات التي تصاحب صيرورة العولمة.

ويعرفها الكاتب **الفرنسي دوفوس**: " بأنها تبادل شامل و إجمالي بين مختلف أطراف الكون، يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهي كظاهرة لا تخرج عن دائرة المتبادلات الاقتصادية داخل الأسواق العالمية². وهنا يتضح طغيان الجانب الاقتصادي في هذا التعريف.

ويمثل **الفين توفلر**³ الذي انفرد بمصطلح الموجة الثالثة رؤية أخرى في المجال فقد جعل من أهم سمات هذه الموجة المعرفة التي تعمل على توفير الوقت والمكان سواء في أماكن التخزين أو وسائل النقل و في سرعة التوزيع، و الاتصال بين المنتج و المستهلك⁴. وهذا التعريف يولي أهمية بالغة لقيمة المعرفة في زمن العولمة.

⁹ ملتقى يجتمع فيه رؤساء الشركات العالمية وخبراء المؤسسات المالية للباحث في مختلف الشئون الاقتصادية العالمية. لقاء يضم سنوياً، في البلدة السويسرية المسماة (دافوس): النخبة العالمية من القادة السياسيين، ومدراء الشركات (معيار المشاركة أن يكون المشارك مديراً عاماً أو نائب المدير العام لمؤسسة تتجاوز قدرتها المالية 620 مليون إورو)، والخبراء وغيرهم من شخصيات العولمة السياسية-الاقتصادية. وعليه ليست دافوس مكاناً لاتخاذ القرارات. وهي ليست مركز سلطة، بل بالأحرى مجال تأثير على الخطوط الأساسية للاقتصاد العالمي. تقدم دافوس الأفكار والتحليل والمفاهيم التي غالباً ما نجدها توجيهاً لمنظمات مثل صندوق النقد الدولي FMI ومنظمة التجارة العالمية OMC. أسس هذا المنتدى (مؤسسة لا تستهدف الربح) الألماني كلوس شواب Klaus Schwab في العام 1971؛ وهو دكتور في الهندسة الميكانيكية والاقتصاد ودرس في جنيف سياسة الأعمال. يشارك في مؤتمر دافوس في العادة أكثر من 2000 شخصاً.

¹ - Ronald Robertson, Globalisation Social Theory and Global Culture, London: Sage, 1992. P : 08

² Jean-Pierre Warnier La mondialisation de la culture, Editions la découverte (collection -Repères), Paris p :40-42

³ Alvin Toffler

⁴ - عبد الحكيم محمد بدران: عرض لكتاب : "بناء لحضارة جديدة"، تأليف الفين وهايدي توفلر، ترجمة سعد زهران، ضمن مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت -العدد 466-سبتمبر 1997م ص 194 .

ويثبت **هانس بيتر مارتن و هارالد شومان**، صاحباً كتاب **فخ العولمة** إن العولمة لا تخرج عن فعل التنميط الشامل فهي: "عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد في التعبير والأكل والملبس والعادات والتقاليد"¹.

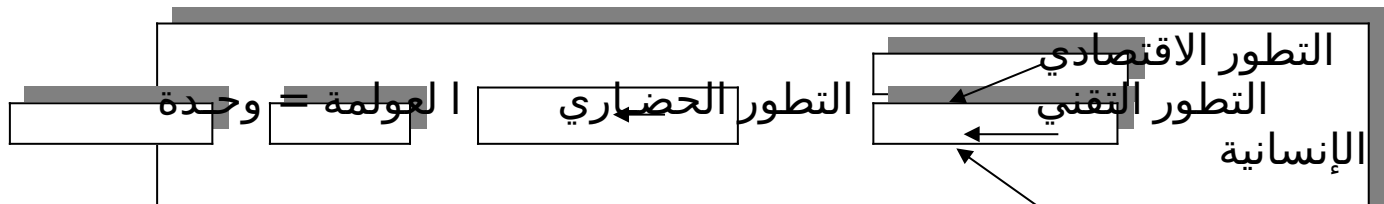
أما الفيلسوف الفرنسي **روجيه غارودي** فيركز على الجانب الأديولوجي فيقول: "إنها نظام يمكن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات الإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق"². وهذا تعريف يركز على البعد الأديولوجي وما تحمله العولمة من صور للهيمنة.

وإذا كان مصطلح العولمة قد بدأ عند الغرب فقد تحول إلى العرب كعاداته من المصطلحات الجديدة وقد تلقفته الدراسات العربية بالفحص والنقد.

مفهوم العولمة عند بعض الدارسين العرب :

نبدأ بتعريف **الفرد فرج** الذي يقول: هي "لفظ جديد لظاهرة قديمة، نشأت في دنيا أصبحت في حجم قرية الكترونية صغيرة ترابطت بالأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية وقنوات التلفزيون الدولي"³ وهو يبين الآليات العلمية والوسائل التقنية التي ساهمت في إيجاد هذا الانكماش.

في سياق ذلك فإن **برهان غليون** يعتبر العولمة نتيجة من نتائج التقدم العلمي ويقول في تعريفه لها: "هي الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معا من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحداً أو نازعاً نحو التوحيد"⁴ وهو بذلك يجعل العولمة في قمة هرم أضلعه الثلاثة هي المعلوماتية، التقنية، الاقتصاد. وبعبارة أخرى معتبرا إياها ثمرة من ثمرات التطور الحاصل على المستوى الاقتصادي والعلمي.



¹ - هانس بيتر مارتن و هارالد شومان " فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة **عبدان عباس علي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، سلسلة **عالم المعرفة** ، العدد 238 ، اكتوبر 1998" ص 55-58.

² - روجيه غارودي .العولمة المزعومة، الواقع ، الجذور، البدائل. ترجمة محمد السبيطلي، دار الشوكاني للنشر و التوزيع صنعاء 1998م، ص: 17

³ - الفرد فرج "العولمة في مرآة الثقافة العربية" الأهرام 15/10/1998 مصر

⁴ - برهان غليون، "العرب وتحديات العولمة الثقافية"، نقلا عن باسم علي خريسان، "العولمة والتحدي الثقافي" دار الفكر العربي، الطبعة الاولى، 2001، ص 21.

إن القراءة المتأنية لهذه المعادلة تجعلنا نطرح الأسئلة الآتية: من يوحد هذا المصير؟ وهل يدخل الأفراد في هذا المصير طواعية و تحت ضغط الهيمنة وشروطها أم إن قيم العدل والمساواة و الحرية التي ينشدها الجميع هي التي توحدهم؟.

والجواب هو أن الأطراف القوية هي التي تفرض موقفها على الأطراف الضعيفة وتبقى المعادلة قابلة لمختلف التفسيرات، ولعل التوضيحات القادمة تجيب عن الاسئلة.

إلى جانب كل التعريفات السابقة فإن هناك تعريفات أخرى تركز على المجالات التي تتجلى فيها الظاهرة كتعريف **محمد الحماد** للعولمة التي يصفها بأنها: "هي ظاهرة عامة يتدخل فيها بشكل أساسي الاقتصاد ثم السياسة و الثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الوطنية"¹.

وهناك تعريفات تضيف على العولمة بعد الهيمنة وتركز على الجانب الإيديولوجي منها:

1- تعريف **محمد عابد الجابري** الذي يقول "العولمة ليست مجرد آلية من آليات النظام الرأسمالي، بل هي أيضا و بالدرجة الأولى إيديولوجيات تعكس إرادة الهيمنة على العالم فالعولمة هي إذن ما بعد الاستعمار" وهي تستهدف ثلاثة كيانات، الدولة و الأمة والوطن. كما إنها تعمل علي اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها و ودولها و أوطانها² و أديانها.

إضافة إلى ذلك فهو يصفها بأنه: " نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن وبالتالي فإنه يعمل علي التفتيت والتشتت وإيقاظ أطر الانتماء إلى القبيلة والطائفة والجهة والتعصب بعد إن تضعف إرادة الدولة وهوية الوطن "³ ومعنى القفز هنا تهميش وإقصاء للأدوار و إحلال مؤسسات العولمة محل مؤسسات الدولة في ميادين الاقتصاد والمال وهو ما يفقدها السيادة على الأرض.

و هناك تعاريف يركز بعضها على مخاطرها، و جوانبها السلبية ولا ترى في العولمة ما يغري بل على العكس، معها يفقد الأفراد جميع القيم الأخلاقية والإنسانية وفي هذا المجال يقول **أبو راشد** في كتابه "العولمة إشكالية المصطلح ودلالاته في الأدبيات المعاصرة": العولمة تعني "

¹ - محمد الحماد، "العرب وقطار العولمة السريع"، مجلة المنتدى، العدد 156، 1998، الأردن ص: 16 .

² - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر:العولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، بيروت ص:148.

³ - " المرجع نفسه " ص:147.

التعبير عن انسحاق الإنسان أمام سطوة الآلة والتقدم العلمي وتمركز رأس المال، وانعدام القيم الإنسانية والأخلاقية، وسيادة منطق الربح والازدهار الفردي، البقاء للأقوى من خلال تجارة سوق المعلوماتية، والاستلاب الثقافي للشعوب والدول والقوميات"¹.

وهذا تعريف يصنف صاحبه من المتشائمين الذين يرون العولمة إيديولوجيا للإقصاء والتهميش فقط، وتتضح نظرته جليا عندما يصف العولمة في كتابه " العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية. جذور-خلفيات -تحديات". بأنها: "منظومة متكاملة من العلاقات النفعية المتبادلة، تقوم فلسفتها على الهيمنة والاختراق، وهي إمبريالية المنشأ والتوجه والأسلوب والوسيلة"². بالإضافة إلى ذلك نجد تعريفات أخرى تعبر عن نفس البعد وينطلق أصحابها من كون العولمة فرض نموذج معين على كل الناس، وفي كل مكان وهو ما يعني القضاء على الخصوصية، والتنوع والاختلاف. **فصادق جلال العظم** يعرفها بقوله: "هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ"³ وهذا يعني إن العولمة تريد إن تجعل العالم عالما واحدا، موجهها توجيهها واحدا في إطار حضارة واحدة.

ويصفها **وليد عودة** بقوله: "هي موجة جارفة من التحولات الاقتصادية والتقنية عبر العالم، لا تتقيد بحدود أو ضوابط ولا يمكن التحكم بها"⁴، وهذا الوصف مصدره هذا الانتشار السريع للظاهرة. ولاشك إن العولمة بهذه الصورة قد تخيف الكثيرين خاصة في ما يتعلق بالاقتصاد حيث تشير أغلب الدراسات إلى إن هناك توقعات خطيرة تنتجها العولمة كزيادة البطالة وانخفاض الأجور، وتدهور مستوي المعيشة، وتقلص الخدمات التي تقدمها الدولة، وتفاقم التفاوت في توزيع الثروة بين المواطنين .

ويقول **رئيس وزراء ماليزيا "مهاتير محمد"** مشيرا الى هذا التخوف: "إن العالم المعولم لن يكون أكثر عدلا ومساواة، وإنما سيخضع للدول القوية المهيمنة. وكما أدى انهيار الحرب الباردة إلى موت و تدمير كثير من الناس، فإن العولمة يمكن إن تفعل الشيء نفسه ربما أكثر من ذلك، في عالم معولم سيصبح بإمكان الدول الغنية

¹ - أبو راشد عبد الله "العولمة إشكالية المصطلح ودلالاته في الأدبيات المعاصرة"، مجلة المعلومات الدولية، السنة السادسة عدد 58 خريف 1998 ص 19-25.

² - أبو راشد عبد الله، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية: جذور-خلفيات -تحديات الطبعة الأولى، دار الحوار، اللاذقية سوريا ، 1999 ص: 10

³ - صادق جلال العظم "ما هي العولمة"، مجلة الطريق، بيروت العدد 4 تموز/ آب 1997 ص: 34

⁴ - وليدة عودة، "التطورات الاقتصادية العالمية واتجاهات العولمة"، مجلة أوراق اقتصادية، بيروت العدد 13 ايلول 1997 ص: 193.

المهيمنة فرض إرادتها على الباقيين الذين لن تكون حالهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل أولئك الأغنياء"¹.

ويصوب تعريف **مصطفى محمود** في نفس المصوب عندما يقول: "إنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته، وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي بحيث لا يبقى منه إلا خادم القوى الكبرى"².

في الإطار نفسه يرى **المفكر المصري حسن حنفي** إن "العولمة لصالح الآخر على حساب الأنا، أي الذات وقوة الآخر، في مقابل ضعف الأنا وتوحيد الآخر"³. نلاحظ هنا اتفاق مفهوم العولمة مع منطق الرأسمالية، وإن تباين تصور المدافعين عن الاقتصاد العالمي الجديد من الرافضين له. فالحديث عن العولمة في هذه التعاريف لا يخرج عن تصور ملامح اقتصاد عالمي، موسوم بالقوة والسرعة، يشمل جميع ربوع العالم.

من هنا يمكن القول إن الرأسمالية في تطورها، قد ساهمت في بلورة عولمة رأسمالية جديدة، تتفق مع الليبرالية الجديدة المعتمدة على المستوى العلمي والتكنولوجي، الذي بلغه المجتمع البشري اليوم. أما دعاة العولمة فيعرفونها على إنها توحيد عالمي، وإلغاء للحواجز بين الشعوب وتحقيق للاقترب بين الأفراد وإحداث للتوافق والتجانس، وربط الجميع بوعي عالمي يتأسس على موافق ذات طابع إنساني. يعرف **إسماعيل صبري** العولمة بأنها ذلك: "التداخل الواضح لأمر الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك، دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو دولة معينة"⁴.

وفي الاتجاه نفسه الذي يجعل من العولمة ظاهرة تستهدف جميع الأفراد تحت نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي واحد يعرفها **كمال عبد الغني المرسي** بقوله: "هي اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول"⁵.

¹ - من محاضرة ألقاها في كوالا لانبور في 24/07/1996 نقلا عن "الدين والعولمة" احمد بن عثمان التويجري ص:19 من مجلة الإسلام اليوم من عدد 16/17 السنة 17 2000م.

² - مصطفى محمود، مجلة الإسلام وطن العدد 138 ماي /جوان 1998 ص 12.

³ - حسن حنفي - محمد جلال العظم ما العولمة دار الفكر سوريا سلسلة حوارات لقرن جديد الطبعة الاولى 1999 ص 20.

⁴ - إسماعيل صبري "العولمة، هيمنة في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية"، دار جهاد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1999 ص 43.

⁵ - كمال عبد الغني المرسي، العلمانية والعولمة والأزهر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1999، ص 93.

إن هؤلاء لا تفزعهم العولمة، و لا تخيفهم مخاطرها. بل هي على العكس تفتح لهم آفاقا واسعة للاتصال، وتتيح لهم الفرص لإبراز المهارات والكفاءات، التي تؤهلهم للمشاركة الفعالة. وهي ليست ظاهرة طارئة في تاريخ البشرية، بل هي ظاهرة ديناميكية، تعبر عن ميل إنساني طبيعي. ونستنتج من التعاريف المذكورة إن هناك تباينا واضحا بينها، من حيث الشمولية والجزئية، ومن حيث المنطلق والهدف، وإن كانت أغلب الدراسات تركز على القوامة الاقتصادية لهذه الظاهرة، وهذا ما أعلنه **جوناثان فريدمان** عندما قال: " إن الذي يقود حركة العولمة هو قوانين وآليات رأس المال وليس الثورة العلمية والتكنولوجية " ¹ .

إن هذا الخطاب يكرسه أيضا رجال السياسة و الزعماء الكبار، عندما يرسمون للعالم وضعا يرغبون التوجه نحوه وفي هذا المجال قال **الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون"** في خطاب ألقاه بمناسبة ملتقى **دافوس** يوم 29 جانفي 2000 " اليوم ، وفي بداية قرن جديد العالم برمته يجد نفسه في مفترق طرق، وليس **أوروبا** ، **والولايات المتحدة**، والدول الأخرى في **آسيا** فقط. العولمة ثورة في الطريقة التي نعمل بها والطريقة التي نعيش بها، وربما الطريقة التي يرتبط كل واحد بالآخر عبر الحدود القومية، فقد انتزعت الأبواب، و أشادت شبكة اتصالات بين الدول والأفراد، وبين الاقتصاديات و الثقافات، علينا إن ندرك أولا إن العولمة جعلتنا جميعا أكثر حرية، وأكثر استقلالا " ² .

إن هذه النظرة التي تبدو تفاؤلية، ليست غريبة على رئيس حكم أكبر دولة قادت العالم ولا زالت نحو العولمة التي هي في نظره ظاهرة تفرز العلاقات بين الأفراد والأمم. وتساهم في تسارع عمليات الإنتاج باستخدام الآليات الحديثة، وتسهل انتقال رؤؤس الأموال والخدمات، بالشكل الذي يشجع المهارات و المبادرات.

خلاصة لجميع هذه التعريفات والمواقف يمكن الإشارة إلى مايلي:

- 1/ إن بعضها يغلب عليه طابع التشاؤم المشيع بالرفض كما يتجلى في تعريف **الجابري وأبي راشد وغارودي ومصطفى محمود**.
- 2/ إن آليات الرأسمالية هي التي تقود حركة العولمة.
- 3/ هناك تعاريف تؤرخ للعولمة كما في تعريف **الفرد فرج**.
- 4/ ارتباط العولمة بنتائج التقدم العلمي والتقني. كما في تعريف **برهان غليون** .

¹ - Jonathan Friedman 1995 Global system, Globalization and the Parameters of Modernity ,sage publications, p : 69.

² - « Remarks by the President at World economic Forum » BILL Clinton White House.

Secretary Davos Switzerland.29 /01/2000. canberra.usembassy.gov/hyper/2000/0131/

نقلا عن- نايف علي عبيد "القرية الكونية: واقع أم خيال". المستقبل العربي عدد:260 ، أكتوبر 2000 ص 150.

5/ اتصاف الظاهرة بخاصية الشمول كما يجليها تعريف محمد الحماد

وإسماعيل

صبري.

6/ طغيان النظرة الايديولوجية على تعريفات كثيرة منها تعريف

الجابري وابي

راشد.

7 / إن أغلب التعاريف تركز علي الجانب الاقتصادي على حساب

جوانب

أخرى. حيث تغدو الحركة الاقتصادية محور نشاط نظام العولمة التي لا تخرج عن تكثيف العلاقات الرأسمالية وهو ما يذهب إليه **سمير أمين** في مطلع كتابه: **إمبراطورية الفوضى**¹.

ويكشف المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة إن العولمة أو الكوكبة هي: "مذهب القائلين ان الرأسمالية هي ديانة الإنسانية وان العالم ينتقل حاليا ونهائيا من الشمولية والسلطوية إلى الديمقراطية و التعددية وتشمله ثورة معلوماتية تنشر في كل مكان، من شأنها إلغاء الحدود بين الدول ، بحيث يصبح من السهل انتقال الناس والمعلومات والسلع على نطاق العالم كله ... والعولمة بهذه المعاني تقابلها المحلية....وفي العولمة رسملة العالم وتتم السيطرة عليه في ظل هيمنة دول المركز وسيادة النظام العالمي الواحد"².

وفي هذا الاطار لابد ان نتحدث عن خصائصها بما يمكن أن يضيفي

عليها وضوحا تتجلى معه معالمها وعليه فإن أهم ما يميز هذه الظاهرة

في نظرنا ما يلي:

1. الانتشار المتسارع للتكنولوجيا.
2. اتساع شبكة الاتصال والمعلوماتية.
3. الاندماج المتسارع للاقتصاد العالمي.
4. كثرة التحالفات والمعاهدات.
5. كثرة التكتلات الاقتصادية، واندماج الشركات المتعددة الجنسيات واستخدامها لعمالة فنية عالية الحرفية ورخيصة الأجر.
6. فتح الحدود أمام السلع الخارجية و أمام رأس المال للاستثمار.
7. فتح الحدود أمام تيار التبادل و التهاور بما يخدم المصالح المختلفة.
8. ظهور قيم معرفية و أخلاقية جديدة.

¹ - سمير أمين: إمبراطورية الفوضى-ترجمة سناء ابو شقرا-دار الفرابي -بيروت-1991

² - عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة. مكتبة مدبولي . الطبعة الثالثة، سنة 2000، ص 569.

9. بروز فلسفة المنافسة في كل القطاعات.
10. تحول واضح في المفاهيم السياسية. وضعف مقوم النظام السياسي.
11. السعي نحو تحقيق مفهوم العالم الواحد والضغط في اتجاه توحيد النظم الاقتصادية على مستوى العالم.
- إن القراءة العميقة والشاملة لهذه التعاريف تجعلنا نميز مجموعة من المفاهيم للعولمة وحتى يتسنى لنا تصنيف هذه التعاريف ، وهي تختلف في محتواها حسب المنظور التخصصي، المعرفي، الفكري، لواقعها لابد من صياغتها داخل أطرها المعرفية ، ويمكن ضبطها كما يلي:

(1) المفهوم الفلسفي الفكري.

تعترف الفلسفة بوجود سمات مشتركة لكل الإنسانية مما يدل على وجود هدف مشترك. وتؤكد أن شكل مجموعة بشرية مثالية يمكن أن يتحدد بالرجوع إلى عالمية الطبيعة البشرية.

يقول **محمد الحماد** في وصفه للعولمة بقوله : "هي ظاهرة عامة يتدخل فيها بشكل أساسي الاقتصاد ثم السياسة و الثقافة والاجتماع والسلوك ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الوطنية"¹.

وفي الاتجاه نفسه الذي يجعل من العولمة ظاهرة تستهدف جميع الأفراد تحت نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي واحد وهو اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة"².

لتحليل محتوى المفهوم الفلسفي من خلال التعاريف السابقة لابد من «مراعاة "المقاصد" و"البواعث" أو "المفكر فيه" في عصر من العصور إننا محكومون في تصور (فكرة العولمة)، وشروطها وتطورها ومضمونها بما يُسميه الدكتور **محمد عابد الجابري**: "أسباب النزول" بتعبير القدماء.

¹ - محمد الحماد "العرب وقطار العولمة السريع"، مجلة المنتدى . العدد 156 سنة 1998 الأردن . ص 16 .

² - كمال عبد الغني المرسي، العلمانية والعولمة والأزهر ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 1999 ، ص 93.

كما أنه من خلال تحليل مضمون التعريفين تبين أن هناك تكاملاً بينها. فالأول يركز على البعد الفلسفي والنظرة الأيديولوجية الشاملة للعلومة،

بينما التعريف الثاني، يشير إلى فكرة عالمية المجتمع البشري، الذي تذوب فيه جميع الفواصل.

وفكرياً ركز المستفيدون من العولمة على ترويج الأيديولوجيات الفكرية الغربية، وفرضها في الواقع من خلال الضغوط السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية أيضاً؛ وذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، ومناهضة العنصرية، والديمقراطية، وحقوق الأقليات، وحرية الرأي. وإصدار الصكوك والاتفاقيات الدولية المصاغة بوجهة نظر غربية والضغط من أجل التوقيع عليها، مثل (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مكافحة التمييز ضد المرأة.. اتفاقية حقوق الطفل الخ). وهذه الاتفاقيات وإن كان فيها بعض الحق إلا أن فيها الباطل وسيأتي الحديث بالتفصيل عن هذا، ويكفي أنها مصاغة بوجهة نظر وحيدة.

ب- المفهوم الإيديولوجي: وهو المفهوم الذي يعكس بصورة غير مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وتغريبه أو أمرسته، مستغلة مظاهر وآليات التطور الحضاري الذي يشهده العصر: فالهيمنة العسكرية بواسطة الأحلاف العسكرية، ومنها حلف الأطلسي، والسياسية بواسطة الهيمنة على مجلس الأمن، والاقتصادية من خلال المنظمات الدولية الاقتصادية مثل منظمة التجارة العالمية، والاجتماعية من خلال مؤتمرات دولية وإقليمية، والفكرية من خلال القوانين والاتفاقيات الدولية في هذا المجال؛ مدعومة بقوة دفع ضخمة بواسطة إمبراطوريات إعلامية وشبكة معلومات دولية (إنترنت) يسيطر الغربيون على معظمها؛ ومن هنا اعتبر (جارودي) العولمة هي الاسم الجديد للاستعمار، أما **محمد عابد الجابري** فيعتبرها آلية من آليات النظام الرأسمالي تعكس إرادة الهيمنة على العالم فالعولمة هي إذن ما بعد الاستعمار وهي تستهدف ثلاثة كيانات كما قال، الدولة و الأمة والوطن. كما إنها تعمل علي اختراق مقدسات الأمم والشعوب في لغاتها و دولها و أوطانها و أديانها¹.

فالعولمة هي إذن عملية إنتاج نظام هيمنة شامل ، ركيزته الأساسية اقتصادية بطبيعتها لكن تجلياته في المجالات السياسية والأمنية والثقافية والإعلامية لا تقل خطورة وأهمية عن تجلياته الاقتصادية.

¹ - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، ص: 148 .

وعن بروز دور الولايات المتحدة الأمريكية في بلورة العولمة يقول
الدكتور عبد الرزاق قسوم: "إن العولمة مفهوم تمت صياغته في
المخابر والمصانع الأمريكية وما يتبعها"¹

ج-المفهوم الثقافي: إن العولمة ليست في اعتقادي مجرد تهديد
بالسيطرة على الدولة وقراراتها والتحكم بالاقتصاد من خلال التنافس
على الأسواق بل أن لها أهدافا تصل إلى أبعد من ذلك بكثير فهي تطال
الثقافات و الهويات القومية والوطنية وتهدد الخصوصيات، وترمي إلى
تعميم أنموذج من السلوك والقيم والمفاهيم. وإذا كانت العولمة
الاقتصادية بارزة في مظاهرها العامة فإن العولمة الثقافية ترحف ببطء
في الديار والمؤسسات².

د-المفهوم السياسي: في هذا السياق يتدخل البعد الجيوسياسي
géopolitique كمنهج تحليلي للسياسات الخارجية القائمة على قيم
تفسيرية وتكهنية قابلة للتغير والتبدل،³ ويصب تعريف **مصطفى
محمود** في نفس المصعب عندما يقول: "إنها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ
المواطن من وطنيته وقوميته، وانتمائه الديني والاجتماعي و السياسي
بحيث لا يبقى منه إلا خادم القوى الكبرى."⁴ وفي هذا السياق، يتم
تداول الحكومة العالمية، كمصطلح اخذ أهميته في التسعينات، من خلال
تحليل خطاب العولمة في أبعاده السياسية.⁵

ه-المفهوم الاقتصادي: وهو الذي يجعل العولمة تعتمد على
فكرة وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وحرية
الاقتصاد، ، وتحويل المجتمعات إلى مجتمعات منتجة هي مجتمعات
الدول الصناعية، ومجتمعات مستهلكة هي مجتمعات الدول الأخرى
العولمة في المفهوم الاقتصادي تعني أنها: "مرحلة من مراحل تطور
نظام الرأسمال العالمي وفيه تذوب الشؤون الاقتصادية للدولة القومية
في الإطار العالمي دون اعتبار للحدود السياسية للدول ، وفيها ينتقل

¹ عبد الرزاق قسوم ، "عالمية الإسلام والعولمة" مقال قدم إلى المؤتمر الدولي السادس عشر
للوحدة الإسلامية المنعقد في طهران في ربيع الأول 1424هـ - رسالة التقريب، العدد 38 ،
المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

² - Leonard le Blanc, "cultural globalization" p.08

³ - Guillaume Devin, sociologie de relation internationale, 1^{er} édition, la découverte Paris 2002,
P : 28

⁴ - مصطفى محمود، مجلة الإسلام ووطن العدد 138 ماي / جوان 1998 ص 12. نقلا عن
محسن عبد الحميد " العولمة من منظر _____وراس _____لامى"

www.islamonline.net/Arabic/contemporary/arts/2001

⁵ Françoise de Bernard. Dictionnaire critique de la mondialisation .édition de pré aux clercs,
Paris, 2002, P : 173

الإنتاج الرأسمالي من عالمية التبادل والتوزيع إلى عالمية الإنتاج وإعادة الإنتاج في ظل هيمنة الدول المتقدمة، والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية، وإنهاء أي تدخل للدولة في النشاط الاقتصادي وتبني كل ما هو في مصلحة رأس المال الذي يتجه نحو إنتاج المعلومات¹.

يتفق كثير من الدارسين على أن الوجه الاقتصادي هو الوجه الطاعني على العولمة وهو الأكثر تعبيراً على جوهرها لأن الحركة التي يشهدها الاقتصاد في رأس المال والعمالة وحركة السلع، في إطار التجارة العالمية هي الأبرز مقارنة بانتقال القيم والثقافات والتقاليد كما أن ازدياد عدد الشركات الأجنبية وتوالد فروعها في العالم وسعيها للسيطرة مع تقوم به من استثمارات وإنتاج للسلع وتسويقها بطريقة تتنافس فيها مختلف المؤسسات الأخرى.

ونفس السياق قال أحد الكتاب اللبنانيين: "العولمة هي وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريباً إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة الإنتاج والتوزيع والسوق والتجارة والتداول، إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها."²

و- المفهوم الإعلامي. في نهاية الستينات كتب **زيجينو بريجينسكي** أن هناك مجتمعاً عالمياً سيولد تحت تأثير الثورة التقنية،³ ويتفق معه **برهان غليون** عندما يعتبر العولمة نتيجة من نتائج التقدم العلمي ويقول في تعريفه لها: "هي الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معاً من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحداً أو نازعاً نحو التوحيد"⁴ معنى ذلك أن العولمة يحركها الإعلام القوي القادر على إحداث التراجع في السيادة الوطنية والثقافية للدولة، وإبراز ماهية الآخر على حساب هويات الشعوب. وقد عملت العولمة من خلال الإعلام، على التأثير في ذهنيات الأفراد، داخل أوطانهم، فجعلتهم يفتحون على المعلومات المتدفقة، عبر القنوات الإعلامية الأجنبية، وما تقدمه الانترنت من قيم عالمية، وأفكار جديدة. وقد عملت تقنيات الاتصال الحديثة التي تستخدم الأقمار الصناعية، على اقتناص المستهلكين لمادتها الإعلانية التجارية، قصد تصريف بضاعتها من

¹ - فتحي أبو الفضل، عز الدين حسنين، محمد القفاص " دور الدولة والمؤسسات في ظل العولمة " ص 29.

² مصطفى عبد الله الكفري، العولمة الاقتصادية وفرض هيمنة الاقتصاد الرأسمالي، مجلة الحوار المتمدن، العدد 1148 بتاريخ 2005-3-26

³ Armand Mattelart, *Diversité culturelle et mondialisation*, 1^{er} édition, la découverte, Paris 2005, P :65

⁴ - برهان غليون، "العرب وتحديات العولمة الثقافية"، نقلاً عن باسم علي خريسان "العولمة والتحدّي الثقافي"، ص 21

جهة، وصناعة صورة الإنسان المعولم، الذي ترتاح إليه العولمة وهي "صورة الإنسان المرن والحركي، صاحب الروح الجماعية، والمقدرة على التكيف"¹. وفي هذا التعريف الإيجابي في ظاهره، يكمن التهديد الفعلي للخصوصيات الثقافية للأفراد.

- لعل أبرز العناصر المشتركة بين المفاهيم كلها ما يلي:
- 1- نظام العولمة قائم على عدم الاكتراث بالبيئات المحلية.
 - 2- عدم الاكتراث بالخصوصيات الفكرية الثقافية للشعوب.
 - 3- اعتماد العولمة على آليات اقتصادية وترتكز على مؤسسات مالية لتحقيق أهدافها.
 - 4- الاعتماد الكلي على فلسفة الانتقال الكلي للأفكار والسلع والأشخاص.
 - 5- إقصاء دور الدول الوطنية الضعيفة في تشكيل نظام العالم .
 - 6- بروز دور الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية في التحكم في مسار الاقتصاد العالمي.
 - 7- الاعتماد على المعطيات التكنولوجية، والاستناد الى التطور العلمي، والتكنولوجي.
 - 8- تشابك المكونات الكبرى كالاقتصاد والسياسة والأعلام والثقافة في بلورة العولمة.
 - 9- بروز الأيدولوجيا التي تحرك العولمة.

خلاصة: نعتقد أن العولمة تمثل ظاهرة تاريخية متداخلة اشد التداخل، ما زالت قيد التكوين تؤسس لمفاهيم عالمية تؤدي إلى دمج العالم وتوحيده اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وذلك برفع الحواجز والقيود أمام المال والتجارة والاستثمار والتوظيف بالآليات تتحكم فيها القوى العظمى وتعتبر عن هيمنة الأقوياء وفرض نفوذهم على الأطراف الأخرى من أجل تحقيق مصالحهم المختلفة.

الفرق بين العولمة و العالمية:

وبعد إن سلطنا الضوء على هذه التعريفات نواصل إزالة الغموض الذي يرتبط بالعولمة من خلال تحليل معاني المصطلحات التي يختلط مفهومها بمصطلح العولمة.

ومن هذه الكلمات التي اختلط استعمالها مع العولمة نجد كلمة العالمية. تعني العالمية وهي أطروحة قديمة مرتبطة بحاجة البشر على الدوام إلى إطار يجمعها، " حاجة الإنسانية إلى إطار عالمي جامع يحتضن البشرية في نطاق إنساني أخلاقي و سياسي واحد".

¹ Françoise Barret-durocq . Quelle mondialisation ? Académie universelle des cultures, édition grasset, 2004 paris, P :249

ترجع أطروحة العالمية إلى عهد فلاسفة اليونان، فالرواقيون دعوا إلى دولة عالمية¹ حيث دعا زعيمهم " زينون"² إلى حاضرة عالمية، أو مدينة العالم و يتلخص مبدؤها في أن كل الناس مواطنون إخوة تجمعهم حياة واحدة ونظام واحد للأشياء في ظل قانون الطبيعة الذي يتماشى مع المبادئ الأساسية للعدل والعقل.

إنه القانون الذي يعلو على قوانين الدولة وتخضع له كل الدول، وعليه فقد انتقد تفرق الناس إلى مدن وشعوب، لكل منها قوانين خاصة³ ولذلك استلهمت الإمبراطورية الرومانية أفكار الرواقية، وطبقته لتعطي الشرعية لهيمنتها على الشعوب الخاضعة لها، ولقد عززت المسيحية هذه الفكرة لما بشرت الكنيسة برسالتها، التي تتأسس على قواعد السلام والمحبة بين الشعوب.

وأفلاطون⁴ دعا من جانبه إلى جمهورية مثالية يحكمها الفلاسفة ويحرسها الجنود ويقوم بخدمتها بقية الناس، وسار على دربه مجموعة من المفكرين الذين دعوا إلى تحقيق الحكومة العالمية مثل الشاعر الإيطالي **دانتي الغيري⁵** 1321 - 1265 « Dante Alighieri » الذي وصل إلى أن الجنس البشري كله يمكن أن يكون مجتمعاً واحداً تحت رئاسة حاكم واحد له السيطرة الكاملة على جميع الناس، و تتركز في يده السلطة فتصبح سلطة واحدة مثل سيطرة الله على الطبيعة، وارتأى أن الإمبراطورية الرومانية هي المحاولة الخامسة في التاريخ لإنشاء إمبراطورية عالمية، و أنها الوحيدة التي كتب لها النجاح و السيادة على العالم، و هو يعتقد بالإمبراطورية المثالية كدولة عالمية مثالية.⁶ و **كانط** في أواخر القرن الثامن عشر أصدر كتاباً بعنوان : مشروع من أجل السلام الدائم بين الأمم . كان يفكر آنذاك في كيفية تخليص الأمم الأوروبية من الحروب التي أنهكتها. وكان يجتهد في البحث عن حل سلمي لكي تنعم الشعوب الأوروبية بالسلام والأمان، ثم الرفاهية والازدهار. ولكن **كانط** لم يكتف بذلك في الواقع. فقد كان يفكر بحالة العالم اجمع. وهنا تكمن عظمتة واتساع أفقه. فقد مكنه حدسه الفلسفي أن يرى ما سيحدث في القرون القادمة. فقد راح يحلم

¹ يقسم علماء السياسة و فقهاء القانون الدستوري الدول عدّة تقسيمات، و حيلة هذه التقسيمات تكون قائمة طويلة بأسماء أشكال الدول و أنظمة الحكم. فطبقاً للمعيار الدستوري هناك دولة جمهورية و دولة ملكية مقيدة، و ثيوقراطية و استبدادية، و ملكية غير مقيدة، و رئاسية و برلمانية، و طبقاً للمعيار الاقتصادي، هناك حكومة إقطاعية، و رأسمالية، و اشتراكية، و طبقاً للمعيار الجغرافي، هناك حكومة قبلية و قطرية، و قومية، و الحكومة المتعددة القوميات، و حكومة عالمية، و طبقاً لمعيار السيادة، هناك دولة وحدوية، و إمبراطورية، و اتحادية

² - فيلسوف يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد.

³ - جان توشار، "تاريخ الفكر السياسي"، ترجمة على مقلد، بيروت 1983، ص 49.

⁴ - فيلسوف يوناني مشهور عاش بين (427 ق م - 347 ق م).

⁵ - شاعر كبيرولد في فلورنسا بإيطاليا من اعظم اعماله الكوميديا الالهية.

⁶ ابراهيم درويش "علم السياسة" القاهرة الطبعة ص: 90-92

بتشكيل دولة كونية، تشمل جميع شعوب الأرض! وكذلك فكر **جريمي بنتام**¹ من بعده وفي نفس السياق جاءت دعوة **كارل ماركس** الداعية إلى ذبول الدولة القومية وفي المقابل تدعو إلى قيام المجتمع الشيوعي.

وقد استعرض احد الباحثين مختلف هذه الدعوات التي نادت بالحكم العالمي عبر التاريخ ومما جاء عنه في استعراضه للدولة العالمية انه ذكر خمسة أنواع تتجلى فيها الدولة العالمية وهي²:

- 1- دولة عالمية على أساس استغلالي.
- 2- دولة عالمية على أساس مادي.
- 3- دولة عالمية على أساس عاطفي.
- 4- دولة عالمية على أساس عقلي.
- 5- دولة عالمية على أساس ديني.

وتعتبر العالمية القائمة على الأساس الاستغلالي أكثر انتشاراً، وتتضح صورها في النظم الإمبراطورية التي عرفها التاريخ منذ مطلعته وحتى العصور الوسطى، وهي تمثل النموذج الذي عمل على تسخير المشاعر الإنسانية لدى الشعوب الخاضعة لحكمها لإشباع أغراض السلطة الحاكمة، ومن أمثلة هذه الإمبراطوريات التي سجلها التاريخ نجد الإمبراطورية المصرية التي شيدها **تحتمس** «2000، ق.م»، و الإمبراطورية الآكادية التي أسسها **سرجون** في العراق حدود عام «2750 ق.م»، ثم يقوم من بعده **أشور بانيبال** بتأسيس الإمبراطورية الآشورية حدود عام «668 ق.م» ثم دعا **الاسكندر المقدوني** «334-356 ق.م» لتوحيد العالم تحت سلطة واحدة، وتعتبر الإمبراطورية الرومانية مثال تاريخي بارز في عالم الإمبراطوريات نظرا للدور الكبير الذي لعبته في تاريخ أوروبا خاصة و تاريخ العالم بوجه عام. ولعل المؤرخ البريطاني **ويلز** يشير إليها بقوله: ان «تاريخ أوروبا من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر يتكون على نطاق واسع جداً من الفشل في تحقيق الفكرة العظيمة بإقامة حكومة عالمية»³.

اما آخر الإمبراطوريات في تاريخ أوروبا فهي الإمبراطورية البريطانية⁴ ولم يحن الوقت لوصف الهيمنة الأمريكية التي تتخذ من أطروحة

¹ - فيلسوف بريطاني يعزى اليه مذهب المنفعة .

² www.nezem.org/arabic/dawla-aalamiyah/index الدولة الإسلامية ومفهوم الدولة العالمية

³ الدولة الإسلامية ومفهوم الدولة العالمية - www.nezem.org/arabic/dawla-aalamiyah/index

⁴ أكبر إمبراطورية في التاريخ لأنها كانت تسيطر على أكثر سكان العالم و تمتد عبر القارات الست.

العولمة في الثقافة و الاقتصاد و السياسة اليوم، بالطابع الإمبراطوري الذي عرفته الإمبراطوريات السابقة..

اما العالمية المادية فتتمثل صيغتها بالأطروحة الماركسية التي اعتبرت القومية و الوطنية أمورا من مخلفات الصراع الطبقي، و نادت بالحكم الاممي للطبقة العاملة، و وقد نقل **ماركس** عن أستاذه **هيجل** جدلية التاريخ بعد ما أفرغها من محتواها المثالي، واستبدلها بالمحتوي المادي أي جعل التاريخ يتحرك وفق المعيار المادي الذي يجسده العمال على ارض الواقع كما يتضح في الشعار الذي تضمنه البيان الشيوعي الأول ، و هو «**يا عمال العالم اتحدوا**»، و اعتقدت الماركسية أن البشرية ستشهد في نهاية المطاف ظهور الشيوعية الثانية التي ستسود العالم، و تجعله عالماً متوحداً. لكن الطموح لم يتحقق بل انهارت الاشتراكية، باعتبارها نظاما يفتقد قابلية التطبيق الواقعي. لان الأطروحة الماركسية لم تكن قائمة على أساس واقعي من الناحية الفلسفية، كما انها كانت فلسفة مادية، قائمة على إنكار الالهية من جهة، و إثبات الأصل المادي للكون و الحياة من جهة ثانية، و الفكرتان تؤديان إلى إنكار الوحدة البشرية، وعليه فلا تستطيع الفكرة المادية أن تكون إطارا جامعاً لمجتمع ينكر الالهية، وهو الانكار الذي يعني في مدلوله الاجتماعي و السياسي إنكار الإطار الواحد الذي يمكن أن تجتمع عنده البشرية، وعليه فالعالمية من هذه الزاوية مستحيلة . كما أن إثبات الأصل المادي للكون و الحياة يعني في مدلوله الاجتماعي و السياسي ربط الأفراد بالأرضية المادية القريبة منه في صورة منفصلة عن غيره خلافا لما تدعو له العولمة وهو ما يعني أن العربي يرتبط بالأرض العربية ، والامريكي يرتبط بالأرض الامريكية باعتباره المنشأ المادي له، و الفرنسي كذلك، و نفس الأمر بالنسبة إلى الآخرين .

أما العالمية القائمة على الأساس العاطفي فهي الصيغة التي تعبر عن طموحات المفكرين وساسة العالم الذين هالتهم الصراعات القومية، و مساويء الأنظمة الدكتاتورية ومخلفات الفتن والحروب التي حدثت في التاريخ، وأبرزها نتائج الحربين العالميتين الأولى و الثانية، فناهضوا القومية، فنادوا بإقامة حكم عالمي واحد تنطوي تحته كافة المجتمعات البشرية. غير أن هذه الدعوات كثيرا ما تصدم بالواقع الذي يخالف طموحاتهم ويحولها الى أحكام طوباوية .وفي نظرنا تحتاج الدولة إلى اساس اعمق وارسخ من العاطفة حتى تكون عالمية بالمعنى الحقيقي.

أما العالمية القائمة على الأساس العقلي فقد تجلت تاريخيا عندما نادى المدرسة الرواقية في **أثينا** في القرن الرابع قبل الميلاد، بالدولة العالمية،¹ تركز فكرتها على أساس الطبيعة المشتركة بين أفراد الجنس البشري، و أن هذه الطبيعة التي تعترف بالمساواة العالمية التي تحكمها فكرة «القانون الطبيعي» الذي نادى به المدرسة الرواقية كدستور للدولة العالمية بوصفه القانون الصالح لكل زمان و مكان، لأنه انما يصدر عن طبيعة الأشياء، وتستهدف تحقيق السعادة للفرد. ولكن فكرة القانون الطبيعي هذه قد تقاذفتها الغايات المختلفة عبر العصور، فبدأت فكرة **تأمل فلسفية**، ثم لم تلبث ان تحولت إلى **فكرة قانونية** مع الرومان، ثم صارت فكرة **دينية مسيحية** في الحضارة المسيحية. ورغم التنظير الفلسفي الذي انجب هذه الصيغة و تضافرت عليه جهود عدد كبير من الفلاسفة الرواقيين الذين اعتبروا فكرة القانون الطبيعي أساسا للمناداة بالدولة العالمية. غير ان فكرة القانون الطبيعي ليست محدّدة تحديداً كافياً ومضبوطة بالشكل الذي يجعلها ضامنة لتأسيس الدولة العالمية، لان الفكرة قابلة للتلون بألوان كثيرة، بمعنى أنها فكرة غير مضمونة، أي يمكن توظيف الفكرة لخدمة جماعة دون أخرى.

ان الأساس العقلي وان كان أعمق من الأساس العاطفي، غير أن هذا الأساس لا يكفي لحلّ المشكلة المستندة إلى الحقائق العقلية الثابتة و المشتركة بين أفراد البشرية، فإذا نادى هذه الدولة بالمساواة بين الجميع على أساس الطبيعة الواحدة فإنها لا تنادي بشعار عاطفي و إنما تنادي بحكم عقلي يذعن له جميع العقلاء.

بعد ان سلطنا الضوء على أنواع من الدعوات العالمية نصل الى الحديث عن عالمية الإسلام . إن فكرة العالمية تجلت بكل وضوح في الفكر الإسلامي فهناك آيات و أحاديث كثيرة تشير إلى ذلك ففي القرآن الكريم استخدمت بدل كلمات عالم كلمات أخرى مثل **ملك وملكوت وخلق وناس و بني ادم والعالمين** ومنها: قوله تعالى "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً"² و قوله " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا."³

¹ يكاد يجمع علماء السياسة و القانون، و مؤرخوا الفكر السياسي على ان المدرسة الرواقية هي أول مدرسة فكرية وضعية نادى بفكرة الدولة العالمية، و ذلك على يد مؤسسها زينون حدود عام 340 ق.م الذي كان يدرس في رواق «أستوا» بأثينا فجاءت التسمية بالرواقية من هذه الجهة.

² - سورة الاعراف، الآية 158

³ - سورة سبأ الآية 28

وهذا ما يثبت إن الدعوة الإسلامية كانت عامة لا تقصي أحداً، وبدون إكراه قال تعالى: " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"¹ فالدعوة إلى عقيدة الإسلام وشريعته وقيمه الأخلاقية تأسست على الجدل الحسن والكلمة الطيبة، و الحوار المقنع، وهذا ما يجعل الثقافة الإسلامية عالمية، ليس لأنها عامة فقط بل لأنها لا تلغي الثقافات الأخرى. إنها كما قال أحد الكتاب " تلك الثقافة التي تكون في عمقها إنسانية الطابع و الأبعاد، و تأخذ في اعتبارها إن ثمة تعدداً وتبايناً في الثقافات، ونسبية في المفاهيم. ومن ثم فهي تسعى إلى مد جسور التواصل والتفاهم مع الثقافات الأخرى، ولا تسعى إلى إن تكون نقيضاً لها أو إلغائها"² اعترافاً بواقع الخلاف الموجود على الأرض، والذي أقره القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن لیبلوکم فی ما آتاکم فاستبقوا الخیرات. إلى الله مرجعکم جميعاً فینبئکم بما کنتم فیہ تختلفون"³.

كما أن ما كتبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك و الحكام في ذلك الوقت يدل أيضاً على أن الرسالة الإسلامية هي رسالة عالمية، كما يتضح من نص الرسالة التالية: " من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله أني أدعوك بدعاء الله، أني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم وإن توليت فإن إثم المجوس عليك"⁴.

في هذا الخطاب نلمس معالم الدعوة التي تتضمن الاختيار، وهو ما يعني إن الإسلام لم يجبر البشرية على إتباع طريق واحد أو نظام واحد كما تفعل العولمة.

والعالمية هنا هي تفتح على ما هو كوني كما يقول **الجابري** ⁵ وليس احتواء العالم وهو ما تقتضيه العولمة فتاريخ الإسلام اعترف بواقع الأديان واللغات والقوميات، ولذلك عاش في المجتمع الإسلامي اليهودي والنصراني والمجوسي وسائر أهل الشرك بأمان، كما عقدت الدولة الإسلامية مع الأمم التي تعيش خارج العالم الإسلامي عدة مواثيق ومعاهدات في قضايا الحياة المختلفة، اعتماداً على الأساس الذي يربط العلاقات الدولية في الإسلام وهو قوله تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم

¹ - سورة البقرة الآية 256.

² - أسامة أبو رشيد، "الثقافة العالمية الأخرى"، مجلة قضايا دولية، العدد 340، تموز 1996 ص 29

³ - سورة المائدة، الآية 48

⁴ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الثالث بيروت، دار صادر ودار بيروت، 1965، ص 213.

⁵ - محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية . ص 17.

من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم"¹.

ويمكن توضيح الفرق بين العالمية الإسلامية و العولمة فنقول: إذا كانت العولمة تحمل خصوصية القدر، و فرض الهيمنة، و تصدير البضاعة الغربية باستخدام مختلف الوسائل العلمية، فهي تستخدم الاختراق الاقتصادي و أسلوب التبعية الاقتصادية، و العسكرية. فان العالمية الإسلامية المستوحاة من الدين الحنيف الذي يعتبر رحمة للعالمين فهي تستمد نشاطها من علو فهي لا تتحدد برأسمال و أرباح شركة ما وإنما ترتبط بالمصالح الكبرى للأمم. لذلك جاءت العالمية الإسلامية خالية من التفرقة و التمييز، غير مستخدمة الكره و لا العنف. وهي تجعل الناس سواسية، أكرهم عند الله أتقاهم و حتى من ناحية الباعث على نشأة العولمة المرتبط ببلوغ السوق مرحلة كونية، و صناعة ما يسمى بالمواطنة العالمية. أما دوافع الإسلام فهي استكمال الديانات السماوية السابقة، و تصحيح الشرائع و المعتقدات القديمة، و نشر كل القيم النبيلة مثل قيم السلام و الحرية و الإخاء و التعاون. و هذا البعد الحضاري و العمراني و الأخلاقي لا نجده في العولمة من حيث نظام الحياة و منطق التفكير. تحمل العولمة أسلوب الحياة المادية، المغترف من خصائص الثقافة الغربية، التي تغطي عليها المعايير و القيم المادية. و هي تعمل على اختراق الهويات و الثقافات، بفرض المحاكاة في السلوك و التصرف. على حين إن العالمية الإسلامية تختص بمنهج متوازن متكامل يجمع بين الجانبين المادي و الروحي، و يستخدم طريقة الحوار الحسن و النصح و الإرشاد. كما ان العولمة يسيطر عليها المنطق الاقتصادي و التجاري ولا تتحدث إلا بلغة السوق و الأموال والأرباح ولا تخرج العلاقات الاجتماعية عن معادلة "منتج - مستهلك"، بينما تركز العالمية الإسلامية على الاتصال الإنساني. و تعمل على إحياء الجانب الروحي و أحداث الانسجام الأخلاقي. ان العولمة كما قال احد الكتاب: "شعار حق يراد به باطل"²، بمعنى أن المنادين بالعولمة لا يريدون لمصلحة كل الناس بل يريدونها لمصلحة الأقوياء .

¹ - الحجرات الآية 13.

² مطانيوس حبيب، العولمة وتداعياتها الاقتصادية، لجان إحياء المجتمع المدني في سوريا
www.mowaten.org

بينما العالمية متساوقة مع رسالة الإسلام والمسيحية¹ فالمسيح يقول قريبك من ينصح معك الخير، والرسول محمد يقول: الإنسان أخ الإنسان أحب أم كره.

ومن دلائل عالمية الإسلام أن القرآن الكريم يصف الرسالة الإسلامية بأنها للعالمين ويذكر القرآن مرارًا أن كل رسول الله أرسل إلى قومه وحدهم، ما عدا **محمد** صلى الله عليه وسلم، **فنوح** أرسل إلى قومه فقط، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ²، و**إبراهيم** أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى: {وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ³، و**لوط** أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ⁴، و**هود** أرسل إلى قومه فقط، كما قال الله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا⁵، و**صالح** أرسل إلى قومه ثمود، كما قال الله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا⁶، و**شعيب** أرسل إلى أهل مدين، قال الله تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا⁷، و**عيسى** أرسل إلى بني إسرائيل، كما قال الله تعالى: {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ⁸، أما **محمد** فأرسل إلى جميع الناس، كما يقول الله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا⁹، وقوله تعالى: "إن هو إلا ذكر للعالمين"¹⁰

ومن مقومات العالمية حسب الأستاذ **احمد الريسوني**¹¹، أن الإسلام هو وارث الأديان فالقرآن جمع كل الكتب وصدقها بما احتوت، و ادمج ما فيها في رسالته، فصارت القيم العالمية والمعتقدات العالمية التي تصلح للبشرية، كالعدل والقسط والمساواة، فهذه القيم جميعها ورثها الإسلام¹² مثال على ذلك أجمعت كل الملل والنحل على الضرورات الخمس وهي حفظ الدين، والنفوس، والعقل، والمال، والنسل. فالمجتمع الإسلامي إذن مجتمع عالمي، بمعنى أنه مجتمع غير عنصري ولا قومي، ولا هو قائم على الحدود الجغرافية، فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان، دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة، بل دون

¹ مطانيوس حبيب، "العولمة وتداعياتها الاقتصادية"، لجان إحياء المجتمع المدني في سوريا
org www. mowaten

² - سورة نوح: 1.

³ - سورة العنكبوت: 16

⁴ - سورة الشعراء 160

⁵ - سورة هود: 50.

⁶ - سورة الأعراف: 73

⁷ - سورة الأعراف: 85

⁸ - سورة الصف: 6.

⁹ - سورة الأعراف: 158

¹⁰ سورة التكوين 27 أو سورة ص 68

¹¹ أستاذ بجامعة الرباط

¹² عبد الصمد ناصر "عالمية الإسلام" حصة تلفزيونية : الشريعة والحياة - ضيف الحلقة :احمد الريسوني- قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ 7 -8 - 2005.

النظر إلى دين أو عقيدة. وضرب الله للمسلمين أعظم مثل للتسامح في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (1). والله يسوي في الآية بين المؤمنين واليهود والنصارى من أهل الكتب السماوية. فأى تسامح أعظم من هذا التسامح مع هؤلاء إذا آمنوا بربهم وبالبعث وعملوا عملاً صالحاً لهم ولمجتمعهم، والله بذلك يلغي التعصب للديانات، ويريد من المسلمين التسامح مع من يخالفهم في الدين حتى لو كان من المشركين.

وأكثر من ذلك أن الله - سبحانه وتعالى - يطلب من المسلمين أن يتسامحوا مع من كان يؤذيهم من كفار مكة الجبايرة العتاة قائلًا في سورة الجاثية: {قُلْ} يا محمد {لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (2)، وهذه الآية نزلت في نفر من أصحاب الرسول الكريم أصابهم أذى شديد من كفار مكة الذين لا يرجون جزاء الله، فشكوا ذلك إلى رسول الله الكريم، فأمرهم الله أن يتجاوزوا عن ذلك ويغفروا لهم أذاهم، معتصمين بالصبر، كما قال الله في سورة آل عمران: {وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ}، أي: من اليهود والنصارى {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (3)، إذ الصبر حقاً مفتاح الفرج، ويمتدح الله المؤمنين ممن يقدمون الطعام - مع حبهم لله - إلى المساكين واليتامى وأيضاً للأسرى في سورة الإنسان قائلًا: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} (4)، وكان أسراهم حينئذ من المشركين، وكان كثير منهم يؤذي المسلمين قبل هجرتهم إلى المدينة، ومع ذلك أمر الرسول الكريم المسلمين أن يكرمهم، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الطعام، وهو تسامح عظيم ومعاملة كريمة قل نظيرهما ونادر وقوعهما، ويقول سبحانه للمسلمين: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (5)، والله لا ينهى عن حسن المعاملة للمشركين الذين لم يشتركوا في قتال المسلمين ولا دفعوهم إلى

¹ (?) - سورة البقرة: 62.

² (?) - سورة الجاثية: 14.

³ (?) - سورة آل عمران: 186.

⁴ (?) - سورة الإنسان: 8.

⁵ (?) - سورة الممتحنة: 8.

الخروج من مكة. وقد صار هذا البر لغير المسلمين سواء أكانوا من أهل الكتاب أو كانوا من المجوس وأمثالهم في آسيا وأفريقيا، والله - عز وجل - بذلك قد وضع للمسلمين قواعد مثلى في تسامحهم مع كل الديانات، ومع كل الأقوام ومع كل الأجناس والأعراق والألوان.

إن الإسلام ينفي كل نعة جنسية أو عنصرية، فيرد البشرية كلها إلى أصل واحد، ويقرر أن لا فضل فيها لجنس دون جنس، ولا ميزة لعنصر دون آخر، وأن اختلاف الألوان واللغات لا يدل على أفضلية، ولم يَرِدْ به إلا التعارف لا التناكر، ويؤكد ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (1)

ويمكن أن نخرج بخلاصة تفرق بين العولمة والعالمية في الجدول الموالي:

العولمة	العالمية
العولمة تيار يقرب بين الناس بفرضه نمطا واحدا بينهم باستخدام كل الوسائل المتاحة لفرضه للعولمة معارضون كثيرون	العالمية الإسلامية تقرب بين الناس في بناء حضارة إنسانية وتؤمن بالتعدد والتكامل لم تلق العالمية معارضة من احد
العولمة عاجزة عن اختصار الحضارات الانسانية وتقاليد وثقافتها في حضارة القوة المهيمنة وهي بذلك تخالف منطق التاريخ	العالمية قادرة على الانتشار أكثر فأكثر، لانها صيرورة طبيعية. فهي تلبي رغبات الناس دون إكراه ، أو قهر. فهي بذلك تتفق مع منطق التاريخ.
العولمة تجبر البشرية على إتباع نظام واحد	تحمّل العالمية معالم الاختيار
العولمة تحمّل خصوصية القدر الهيمنة و تصدير البضاعة الغربية باستخدام مختلف الوسائل العلمية.	تستمد العالمية نشاطها من علو فهي لا تتحدد برأسمال و أرباح شركة ما وإنما ترتبط بالمصالح الكبرى للأمة
تحمّل العولمة أسلوب الحياة المادية المغترف من معطيات تاريخية خصائص الثقافة الغربية التي تطفئ عليها القيم المادية. و هي تعمل على اختراق الهويات	على حين إن العالمية يستخدم طريقة الحوار الحسن و النصيح و الإرشاد

العولمة والنظام الدولي:

يرتبط مصطلح العولمة عند البعض بمصطلح آخر سبقه زمنا هو مصطلح النظام الدولي² وهذا المصطلح يعني النسق الدولي ويعكس تطلع الشعوب وتوق الإنسانية إلى تأسيس علاقات منتظمة بين الدول تقوم على الاعتمادية المتبادلة.³ غير إن وجه النظام الدولي الجديد كشف عن استمرارية فكرة المركزية الأوروبية، التي شكلت الولايات

¹ (?) - سورة الحجرات: 13.

² International Order

³ - إبراهيم أبراش، "حدود النظام وأزمة الشرعية في النظام الدولي الجديد"، المستقبل العربي، ص 16، مركز دراسات الوحدة العربية.

المتحدة البديل المباشر لها في المنتصف الثاني من القرن العشرين، نتيجة لحفاظها على طاقاتها وإمكانياتها ومواردها خاصة الاقتصادية، خلافا لأوروبا التي أنهكتها الحربان الكونيتان الأولى والثانية. إذا اعتبرنا أن النظام العالمي يعنى نسقا تتحدد من خلاله العلاقات بين شعوب الأرض فيمكن القول بأن مثل هذا النظام وجد منذ الأزمنة القديمة. أما إذا تحدثنا عن النظام العالمي الذي بلورته الأيديولوجية التي يعزى لها الفضل في رسم ملامح كلا القطبين وإظهارهما بصورة الخصمين اللدودين¹. ثم تغيرت الأمور، وتخلصت دولا كثيرة من الأيديولوجية الاشتراكية التي سيطرت سبعين عاما في عشرات الدول، وأخذت تتحول مرحليا وانتهجت اقتصاد السوق والتعددية الحزبية² إن مصطلح النظام العالمي الجديد ليس جديداً هو الآخر، بل له جذور وامتدادات سابقة، قد أثير أكثر من مرة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية مع ظهور دول جديدة متعددة، و بروز أوضاع جديدة، وقد تم استخدامه بين فترة وأخرى بمعاني مختلفة. فمع بداية الخمسينات دعت دول العالم الثالث لقيام (نظام عالمي جديد) لتسوية الوضع الدولي في تلك الفترة، كما سبق وطالبت بذلك حركة عدم الانحياز وغيرها من دول الجنوب، ومنذ السبعينات بقيام نظام اقتصادي عالمي جديد يحقق أكبر قدر من العدالة في توزيع الموارد والثروات بين دول الشمال المتقدم والجنوب المتخلف. بعد ذلك تصاعدت الدعوات إلى قيام نظام إعلامي عالمي جديد يحقق قدر من التوازن، بالحد من مظاهر احتكار دول الشمال لمصادر المعلومات وتقنيات الاتصال. وقد تزايد استخدام المفهوم بعد حركة الإصلاح التي تبناها الرئيس **ميخائيل غورباتشوف**³ رافعا شعار البريسترويكا أو إعادة البناء والجلاسنوست التي تعني المصارحة والمكاشفة⁴ والخلاصة أن المفهوم قد طرح في سياقات مختلفة، وفي فترات متباعدة. وقد أثير بشكل مكثف على خلفية التحولات العميقة التي شهدتها ويشهدها العالم منذ منتصف الثمانينات، و بروز الولايات المتحدة

¹ فأمريكا الرأسمالية اعتبرت الشيوعية أيديولوجية لا دينية واستبدادية ولا مكان فيها للفرد وحرية. وعلى الطرف الآخر نظر الاتحاد السوفيتي إلى أمريكا كدولة إمبريالية لا تعيش ألا على امتصاص خيرات الغير واستغلال الآخر أبشع استغلال. عمل كل قطب بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لفرض سيطرته على أكبر جزء من العالم

² تسابق قادة الدول التي كانت تستظل بالمظلة السوفيتية للدخول ضمن المنظومة الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية. وتسربت الى داخل هذه المجتمعات القيم والمعايير الغربية بسرعة هائلة أذهلت المفكرين حتي راح بعضهم يبشر ببداية عصر نهاية التاريخ. نظر هؤلاء الى ما حدث في أوروبا الشرقية على أنه دليل على صحة النظام الغربي، وسلامة الأيديولوجية الغربية.

³ في أعقاب وصوله إلى السلطة في الاتحاد السوفيتي السابق في آذار عام 1985

⁴ ميخائيل بنيامين داود " الاثنيات في ظل العولمة رؤى في الابعاد السياسية " www.ado-world.org/pub/athra-13

الأمريكية كقوة عظمى منفردة لكنه اقترن منذ التسعينات بمجموعة هذه التحولات والتطورات.¹

إلا أن شيوع استخدام النظام العالمي الجديد، قد جاء أثناء وفي أعقاب حرب الخليج الثانية، واثرتبني إدارة الرئيس الأمريكي السابق **جورج بوش** لهذا المفهوم، وقيام الدوائر السياسية والأكاديمية والإعلامية الأمريكية بالترويج والتبشير به، مضفية عليه مسحة وصيغة إنسانية وأخلاقية، وربطه بجملة من القيم والمبادئ العليا في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. ففي خطاب ألقاه الرئيس **بوش** في قاعدة "مونتغمري" الجوية في "الباما" في 13/4/1992 قد أكد على دور الولايات المتحدة وحدد معالم هذا النظام الذي تروج وتدعو له فقال: "إن النظام العالمي الجديد لا يعني تنازلاً عن سيادتنا الوطنية أو تخلياً عن مصالحنا. إنه ينم عن مسؤولية أملتها علينا نجاحاتنا، وهو يعبر عن وسائل جديدة للعمل مع الأمم الأخرى من أجل ردع العدوان وتحقيق الاستقرار والازدهار، وفوق كل شيء تحقيق السلام. إنه ينبع من التطلع إلى عالم يقوم على التزام مشترك بين الأمم.. بمجموعة المبادئ التي يجب أن تستند عليها علاقاتنا ومنها التسوية السلمية للمنازعات، والتضامن في وجه العدوان، والتعامل العادل مع كل الشعوب".²

أما عن العلاقة بين مفهومي العولمة والنظام العالمي الجديد فتحدد في نقطتين جوهريتين جديرتين بالإشارة وهما:

- إن كل من النظام العالمي الجديد والعولمة يعبر عن مرحلة تاريخية معينة من تطور العالم، ولكل منهما جذوره وامتداداته وخلفياته التي تعود إلى فترات سابقة.

تتشترك مجموعة من العوامل والتحولات الكبرى التي أحدثت وتحدث تغييراً في النظام العالمي، في تشكيل أرضية مشتركة لما يعرف بالنظام العالمي الجديد والعولمة، على الرغم من بروز ظاهرة العولمة كواقع قائم له مؤشرات ومظاهره التي يمكن رصدها وتحليلها، وعدم تبلور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.³

النشأة التاريخية للعولمة :

بداية لا بد إن نشير إلى إن مصطلح العولمة لم يولد في الساحة الفكرية العربية ولم يصل إلينا إلا بعد مضي قرابة عشر سنوات من الدرس والتمحيص في الغرب. لذلك لم يخرج تعاملنا مع هذا المصطلح عن التلقي وإعادة الفهم والتفسير. وحتى إن نشأ هذا المصطلح في جو

¹ حسنين توفيق إبراهيم، "العلاقة بين أطروحتي نظام عالمي جديد و عولمة"، منبر الحوار، العدد 37 - شتاء 1999م (بيروت) ص72.

² حسنين توفيق إبراهيم، "العلاقة بين أطروحتي نظام عالمي جديد و عولمة: ص72.

³ مخايل بنيامين داود "الاثنيات في ظل العولمة رؤى في الابعاد السياسية" - www.ado-world.org/pub/athra-13

معرفي وثقافي غربي ساعد على احتضان المفهوم الجديد فإن ذلك لا يعني مسaire ظهور المصطلح بالتجسيد الواقعي وهذا معناه إن ضروب العولمة سبقت ظهور المصطلح تاريخيا مثل قول الخليفة العباسي **هارون الرشيد** لغيمة سابحة في عنان السماء: "أمطري أينما شئت فخراجك عائد الي" ¹ وهو ما يعني إن العولمة بوصفها ظاهرة ليست حديثة النشأة وإنما المصطلح المعبر عنها هو الحديث. إذا اردنا ان نتحدث عن السياق الفكري العام لظهور المفهوم فنقول انه إذا كانت العولمة هي مصطلح التسعينات، ² على اعتبار انه في هذه العشرية الأخيرة عولج أكثر مما في السابق، فإن أول من أطلق مصطلح العولمة السوسولوجي **الكندي** "مارشال ماك لوهان" أستاذ الإعلاميات السوسولوجية في جامعة "تورنتو" عندما صاغ في نهاية الستينات مفهوم القرية الكونية ³ من خلال كتابه "الحرب والسلام في القرية الكونية"

إن الحديث عن الظاهرة من الزاوية التاريخية يجعلنا نؤكد بأنها ليست وليدة الساعة، ولا حتى نتيجة من نتائج انهيار القطب الاشتراكي- بل هي نتاج تراكمي لأحداث كبرى في التاريخ، و لمجموعة من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية و السياسية المصاحبة لتطور المجتمع البشري. هناك إجماع على أن مشروع العولمة، بدأ يتشكل نسيجه الاقتصادي و السياسي منذ القرن الخامس عشر ⁴. وهو ما يعني ان العولمة تاريخيا لها خمسة قرون أي بدأت مع الرأسمالية ⁵

وإذا سلمنا أن العولمة ولدت مع الرأسمالية كما يذهب كثير من الكتاب، ⁶ وصاحبت الاكتشافات الكبرى في التاريخ فإنها قد مرت بعدة مراحل و تطورت إلى أن بلغت الصورة التي هي عليها الآن. ويؤرخ لها الكاتب **ريجي بنيشي** فيقول بأنها قد مرت بثلاث موجات ⁷ هي :

الموجة الأولى : بدأت مع الرحلات البحرية خلال القرن الخامس عشر.

¹ - عزت السيد احمد، "انهيار مزاعم العولمة .قراءة في تواصل الحضارات وصراعاها"، منشورات اتحاد الكتاب العرب - سوريا www.awu-dam.org/book

² - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات " سلسلة عالم المعرفة العدد 276(ديسمبر 2001) ص 276.

³ - سيار الجميل "العرب والعولمة "تحرير أسامة الخولى بيروت مركز دراسات الوحدة العربية العدد 228 شباط 1998. ص 6.

⁴ الطيب ولد العروسي "العولمة ارث مخيف وافق مفتوح" جريدة الأسبوع الأدبي سوريا العدد 974 بتاريخ 17-9-2005

⁵ Jacques Fantanel, La globalisation en analyse, Géoéconomie et stratégie des acteurs, édition coté cours, Paris 2005, p : 86

⁶ Régis Bénichi -la mondialisation aussi a une histoire Revue L'histoire, N° 254 Mai, 2001, P : 68

⁷ « Ibid », P : 68.

الموجة الثانية: وتمتد من 1840 الى 1914 صاحبت الثورة الصناعية في بريطانيا وبعض الدول الغربية، وفي هذه الفترة تضاعف معدل التجارة الخارجية سبعة أضعاف ما كان عليه في السابق.

الموجة الثالثة: فهي الموجة المحلية مصاحبة لثورة المعلوماتية.

ومن الذين أرخوا للعولمة نجد **جاك جيليناس**¹ الذي يقول: "بدأت العولمة الأولى في المرحلة الماركانتيلية (1498-1763) مع حركة التجارة التي بدأها كبار التجار الأوروبيين عبر البحار للوصول إلى إفريقيا سنة 1488م بفضل **برتلوميو دياس**²، واكتشاف القارة الأمريكية مع **كريستوف كولومب**³ عام 1492م. وفتح الطريق نحو الهند بواسطة **فاسكو دي غاما**⁴ عام 1498م. وبعد ذلك أصبحت الإمبراطورية الأوربية عالمية"⁵.

ويذهب سمير أمين متحدثاً عن هذا التطور قائلاً: "إن هذه الحالة الجديدة هي بداية مرحلة تاريخية انطلقت خلال الأعوام 1979-1991م من خلال الإخفاق التام المزدوج لطموحات أنظمة (الشرق وبلدانه) المسماة بالاشتراكية، وأنظمة (الجنوب وبلدانه) المسماة بالاستقلالية الوطنية، مختتمة عهد الحياد الإيجابي الذي عاش ثلاثين عاماً، أي جيلاً كاملاً للفترة 1955-1985. ويتوالد اليوم عهد جديد هو عهد السوق الذي سيغدو محاولة جديدة لتوحيد العالم"⁶.
وقد ذكر الأستاذ "**جان شولت**"⁷ .. في كتابه "العولمة مقدمة نقدية" الصادر سنة 1997.

مجموعة الأحداث الهامة التي ساهمت في بلورة ظاهرة العولمة منها:
- عام 1866-ظهور أول خدمة للتلفراف عبر المحيطات .
- عام 1884-إدخال التنسيق على مستوى العالم للساعات وفقاً لتوقيت غرينيتش
- عام 1891-أول اتصال هاتفي بين لندن و باريس.
- عام 1929-أول انتقال للأموال عبر الحدود الدولية دون فرض للضرائب عليها في لوكسمبورغ.
- عام 1930-أول إذاعة بالراديو في **أمريكا**.

¹ Jacques .B .Gelinas

² Dias Bartolomeu

³ Christophe Colomb

⁴ Vasco du gama

⁵ Jacques B. Gelinas la globalisation du monde, laisser faire ou faire. Écosociété Canada- 2000 –P :22.

⁶ - المستقبل العربي العدد 256 ص 72.

⁷ - أستاذ العلاقات الدولية في جامعة ساكس.

- عام 1957-إطلاق أول قمر صناعي إلى الفضاء الخارجي.
- عام 1962-بدء الاتصالات الدولية بالأقمار الصناعية.
- عام 1969-صناعة أول طائرة فضائية واسعة الحجم من طراز 727
- عام 1971-إنشاء أول نظام إلكتروني لأسعار صرف الأوراق المالية
- عام 1972-أول مؤتمر دولي للتنمية البشرية.
- عام 1974-إزالة القيود على أسعار صرف العملات الأجنبية من طرف الحكومة الأمريكية.
- عام 1976-أول بث مباشر بالأقمار الصناعية على الأطباق المقامة على سطوح المنازل.

وقد أرخ الأستاذ " **رونالد روبرتسون** " لظاهرة العولمة حينما تكلم عن المراحل التي مرت بها الظاهرة وعددها بخمسة¹:

- 1- المرحلة الجنينية: بداية القرن الخامس عشر، تميزت بالتوسع الكنسي.
- 2- مرحلة النشوء: منتصف القرن الثامن عشر، انتعاش مفهوم العلاقات الدولية.
- 3- مرحلة الانطلاق: القرنان التاسع عشر والعشرون، ظهور الاتجاهات الكونية الكبرى. (التيارات الفكرية)
- 4- مرحلة الصراع من أجل الهيمنة: 1940/1970 بروز الأمم المتحدة وبداية الصراع من أجل الهيمنة.
- 5- مرحلة عدم اليقين: 1970/1990 الإدراك الكامل بعالمية العالم.

إن هذه المراحل تظهر الخلط بين مفهوم العالمية كتاريخ لفكرة التوسع والهيمنة ومفهوم العولمة كظاهرة معاصرة تبدو كمحصلة للمنجزات التاريخية المختلفة وهي بهذا ظاهرة برزت مع نهاية القرن العشرين².

يعتقد **حسن حنفي** في تاريخه للعولمة أنها تمثل أحد أشكال الهيمنة الغربية الجديدة، و يربطها بمظهرها الأساسي باعتبارها تمثل تكتلا اقتصاديا للقوى العظمى للاستثمار بثروات العالم ومواده الأولية، و أسواقه على حساب الشعوب الفقيرة وفي هذا الصدد يقول: " بدأ النهب الاستعماري للسكان من أفريقيا والثروات من **آسيا و أفريقيا** والعالم الجديد لتكوين الإقطاع الأوروبي في عصر الإصلاح الديني في القرن 15 ثم النهضة في القرن 16 ثم العقلانية في القرن 17 حيث

¹ - RONALD ROBERTSON - "GLOBALISATION" 1992- P 08 .

² - سيار الجميل، العولمة والمستقبل، ص 99.

تحول الاقطاع إلى ليبرالية تجارية ثم جاء عصر التنوير الأوربي في القرن 18 ثم الثورة الصناعية في القرن 19 حيث النهب الاستعماري الثاني في صورة الاستعمار القديم **لإفريقيا وآسيا** في القرن العشرين¹. وبعد عصر التحرر من الاستعمار في هذا القرن بدأت أشكال الاستعمار الجديد في الظهور باسم مناطق النفوذ والأحلاف العسكرية في عصر الاستقطاب، والشركات المتعددة الجنسيات، واقتصاد السوق ومجموعة الدول الصناعية الكبرى، والعالم قرية واحدة. إن كل هذه المظاهر لها عنوان واحد هو العولمة.

وهكذا تعبر العولمة عند حسن حنفي عن مركزية دفينية في الوعي الأوروبي تقوم على عنصرية عرقية وعلى الرغبة في الهيمنة و السيطرة².

وهناك دراسات أخرى قريبة من هذه ترى بأن العولمة بدأت بعد هزيمة الدولة الإسلامية في الأندلس وبروز إسبانيا والبرتغال ثم بروز هولندا وبريطانيا وحدوث التحول التجاري ثم جاءت العولمة في توجهها الأوروبي وما تمخض عنها من استعمار ثم تلتها العولمة التي تقودها القوة الأمريكية التي نعيشها الآن³.

وقد ذكر الأستاذ محمد القفاص أربع مراحل مرت بها العولمة في تطورها وهي كالآتي⁴:

المرحلة الأولى: بدأت منذ بداية الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية والتي تمثل الاشتراكية بقيادة **الاتحاد السوفيتي**، والكتلة الغربية والتي تمثل الرأسمالية بقيادة **الولايات المتحدة الأمريكية**، وفيها احتدم الصراع بين الكتلتين، هذا الصراع كان في الأساس صراعا إيديولوجيا ، وأخذت كل منهما في نشر وتعميق مفاهيم النظام الذي تؤمن به ومحاولة كسب تأييد المجتمع الدولي بإظهار عيوب الآخر، وفي هذه المرحلة كان هناك توازن في القوى السياسية العالمية.

المرحلة الثانية: بدأت منذ بداية التسعينات من القرن العشرين وفيها انهارت واحدة من اكبر قوتين كانتا تحكمان العالم وهي **الاتحاد السوفيتي** معقل الاشتراكية، وقد استخدم مصطلح العولمة عندما ذكره الرئيس **الأمريكي جورج بوش** الأب في خطاب له عام

¹ - حسن حنفي وصادق جلال العظم، ما العولمة . ص40.

² - حسن حنفي وصادق جلال العظم، ما العولمة . ص:42.

³ - طه حسيب، "العولمة وتأثيرها في المجتمع والدولة" - جريدة الاتحاد، العدد 9437 الاثنين 7/5/2001.

⁴ - فتحي أبو الفضل، عز الدين حسنين و محمد القفاص " دور الدولة والمؤسسات في ظل العولمة " ، ص 26/27.

1992م، وبدأت العولمة تنمو وتزداد وضوحاً، وعكف المفكرون بجميع أنحاء العالم على محاولة تعريفها وتحديد مظاهرها وآثارها والقوى الفاعلة فيها واستمرت القوى الغربية، وخصوصاً **الولايات المتحدة الأمريكية** في التنظير لها والإعداد للهيمنة على مقدرات الدول باستخدام كافة الطرق على جميع المستويات سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

المرحلة الثالثة: وبدأت منذ عام 1999م بفشل المؤتمر الوزاري الثالث لمنظمة التجارة العالمية في مدينة **سياتل** الأمريكية وقيام مظاهرات ضد العولمة في معظم بقاع الأرض والتي عبرت عن رد فعل شعوب العالم تجاه العولمة الشرسة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية.

المرحلة الرابعة: وبدأت منذ 11/09/2001 عندما تم توجيه سلسلة ضربات مدمرة لمركز التجارة العالمية في **نيويورك**، ومبنى **البنّاغون** في **واشنطن**، حيث تعتبر مثل هذه الهجمات أول ضربة عنيفة تتعرض لها **الولايات المتحدة الأمريكية** طوال تاريخها.

خلاصة : في اعتقادنا إن العولمة ظاهرة حديثة النشأة في مصطلحها ولكن ملامح مضمونها بدأ يتشكل قبل منتصف القرن الماضي أما العوامل التي ساهمت في بروز العولمة بالصورة التي هي عليها الآن فهي كثيرة منها:

1. تزايد دور وأهمية المنظمات الدولية المؤثرة في الاقتصاد مثل " صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، المنظمة العالمية للتجارة ".
2. اندماج أسواق المال مع بعضها.
3. تغيير مراكز القوى الاقتصادية العالمية.
4. تغيير هيكل الاقتصاد العالمي.
5. انهيار الاتحاد السوفيتي والأنظمة الاشتراكية في دول أوروبا الشرقية.
6. انتصار النظام الرأسمالي باستعادته الهيمنة والانتشارية المؤسسة على اقتصاد السوق.
7. ثورة المعلوماتية والانترنت.
8. تطور وسائل النقل والمواصلات.
9. انتصار الحريات الإعلامية على الإعلام الموجه.

مظاهر العولمة:

على صعيد الواقع لا يمكن التغافل عن التعامل مع العولمة، باعتبارها تعكس مرحلة تاريخية من مراحل تحول العالم، وحدث التغيرات فيه على جميع الأصعدة ، ولها اليوم ذلك الحضور القوي في معظم المجالات الحياتية والفكرية المعاصرة، فتغلغت بشكل واضح في الاقتصاد، والعلاقات الدولية، وفي السياسة، والاجتماع وفي كافة المجالات الأخرى، ولكن بدرجات متفاوتة. وأصبحت ظاهرة العولمة حقيقة ملموسة، وأثارها متجلية في كل المناحي تعيشها الشعوب في جميع أصقاع المعمورة، بعضها يعيشها طرفاً فاعلاً ومؤثراً، بل موجهاً وأمرأ، ويعيشها الآخر متلقياً، متفرجاً ومشدوهاً¹

لقد سبق أن قلنا أن العولمة لها اثارها ومعالمها البارزة ، وفي المبحث الموالي نتحدث عن مجموعة المظاهر التي جسدتها العولمة في واقع الناس فننتحدث عن أهم معالمها، وقيمها، وأثارها المختلفة في العصر الحديث والمعاصر، والتي تتجلى على عدة مستويات وهي:

1. المستوى الاقتصادي.

¹ الحبيب الجنحاني، "ظاهرة العولمة الواقع والآفاق"، ص: 9 - 10.

2. المستوى السياسي.
3. المستوى الثقافي.
4. المستوى الاتصالي.

تجليات العولمة في الجانب الاقتصادي المعاصر

يأتي البعد الاقتصادي أو العولمة الاقتصادية في مقدمة الأبعاد الأكثر وضوحاً واكتمالاً، وهي تشير إلى بروز عالم بلا حدود اقتصادية، فيه يجري النشاط الاقتصادي على الصعيد العالمي وانتقال حر لرأس المال والسلع والخدمات عبر شركات عابرة للجنسيات والقارات، لا تخضع نشاطاتها لسيطرة وتدخل الدول، وللرقابة الحدودية التقليدية إلا بالقدر القليل. تعرف العولمة الاقتصادية على أنها: "مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي العالمي، وفيه تذوب الشؤون الاقتصادية للدولة القومية في الإطار العالمي، دون اعتبار للحدود السياسية للدول، وفيها ينتقل الإنتاج الرأسمالي، من عالمية التبادل والتوزيع إلى عالمية الإنتاج وإعادة الإنتاج، في ظل هيمنة الدول المتقدمة والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية، وإنهاء أي تدخل للدولة في النشاط الاقتصادي، وتبني كل ما هو في مصلحة رأس المال الذي يتجه نحو إنتاج المعلومات".¹

من مظاهر العولمة على المستوى الاقتصادي بعد تفهقر الاشتراكية لحساب الرأسمالية، سيادة فلسفة التحرر الاقتصادي، وهي فلسفة تبعد تدخل الدولة في تسيير النشاط الاقتصادي باعتبارها وسيلة تنظيم، وتقييد في نفس الوقت، وتعطي في المقابل للسوق دوراً مهماً في إدارة الشؤون الاقتصادية، اعتقاداً أن القطاع الخاص أكثر كفاءة من القطاع العام في تحقيق النمو الاقتصادي للبلاد، وقد تخلت العديد من الحكومات عن جزء من ملكيتها وإدارتها للمال العام وحولته إلى القطاع الخاص² وهذا ما عرف بالخصخصة³ وقد بدأت هذه الموجة في إنجلترا في بداية الثمانينات، تحت زعامة **مارغريت تاتشر**، عندما قامت الحكومة ببيع شركات النقل والاتصالات والبتروك والخدمات

¹ - فتحي ابو الفضل، عز الدين حسنين، محمد القفاص، " دور الدولة والمؤسسات " . ص 29.

² - محمد نبيل جامع، اجتماعيات التنمية الاقتصادية لمواجهة العولمة وتعزيز الأمن القومي، دار

غريب للطباعة والنشر-القاهرة، سنة 2000 ص: 02

³ PRIVATISATION

للقطاع الخاص. وازدادت قوة هذه الموجة خلال التسعينات، حينما تخلت الدول على التخطيط المركزي.¹ كما تتجلى ملامح العولمة الاقتصادية في فرض نمط الاستهلاك، الذي شجعتة العولمة باستخدام الوسائل الإعلانية، أثناء مخاطبة الغرائز قبل العقول. ومن ملامح اقتصاد العولمة، زيادة معدلات التجارة العالمية، وتسارع عمليات تحريرها، وانضمام الدول مع بعضها، للعمل المشترك تحت لواء منظمة التجارة العالمية. كما يشهد العالم حركة اقتصادية كبيرة لرأس المال، والافراد، وانتقال التكنولوجيا بصورة سريعة جدا.

ومن سمات عصر العولمة انهيار النظام الاشتراكي، ومصاحبة اقتصاد السوق لخطاب رسمي يؤسس للرأسمالية كنظام اقتصادي واجتماعي، ويسعى لنشر أفكارها ومبادئها، كنظام عالمي يعمل على دمج دول العالم وتحويلها إلى قرية كونية. ويركز هذا النظام على الجوانب العقلانية والمتوافقة مع الطبيعة البشرية، ليجعل من النظام الرأسمالي هو الأفضل على جميع المستويات.

ومن سمات عصر العولمة أيضا، ازدياد عدد وقوة الشركات متعددة الجنسيات، واتساع نطاق نشاطها، مع توجهها نحو فلسفة الاندماج والتكتل، من أجل خلق كيانات اقتصادية أقوى، وهو ما يؤهلها للدخول إلى عالم المنافسة، من أجل ضمان ربح أوفر. حتى ولو صاحب ذلك ممارسات تخريبية، أو غير مسئولة مثل التعدي على البيئة، وتسويق المنتجات، التي انتهت صلاحيتها حتى قيل: "إن عالم الاستهلاك فرض علينا كقيمة وحيدة وافق وحيد"²، فضلا عن سياسة النهب التي تتبناها هذه الشركات. كما أشار إلى ذلك "**انتوني غيدنز**"³. في كتابه الشهير: "**عالم منفلت**" وهو يتحدث عن إعادة تشكيل حياتنا بوساطة العولمة⁴. ومن الممكن القول أن العولمة الاقتصادية هي محصلة لبروز التكتلات التجارية العالمية الكبرى والتغيرات العميقة في سوق العمل وأساليب الإنتاج وبرز القوى الاقتصادية والصناعية الجديدة والسريعة.⁵

1

¹ John. Dunning, "The advent of alliance capitalism –the New globalism and developing contries" U.N, 1997 - P : 15

² David le breton, « la mondialisation ennemie de l'être » libération du 09- 3- 2004

³ - أحد سوسيولوجي العلاقات الدولية في عالم اليوم ورئيس كلية لندن للعلوم الاقتصادية والسياسية.

⁴ - انظر مجلة العصر www.alasr.com

⁵ عبد الخالق عبد الله، العولمة: "جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها"، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، دولة الكويت، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، أكتوبر / ديسمبر 1999، ص 39 - 40

ومن مظاهر العولمة الاقتصادية أيضا، نجد زيادة التبادل التجاري الحر بين الدول و "حرية التبادل في عمومها أخذت من طرف رجال الاقتصاد أفضل اختيار باعتبارها قضية تتطلبها المنافسة"¹ وفتح أسواق جديدة وزيادة جودة السلع والخدمات، وانخفاض القيود المفروضة على التجارة الخارجية، واندماج المؤسسات الكبرى في مجال إنتاج السلع والخدمات و ظهور تكتلات اقتصادية كبرى مثل الاتحاد الأوروبي، والناfta بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والآسيان ASEAN بقيادة ماليزيا واندونيسيا، ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة التي تأسست في 30-9-1961،² وتضم منظمة OCDE ثلاثين عضوا وهم "ألمانيا، اليونان، النرويج، السويد، كندا، زيلاندا الجديدة، النمسا، إيرلندا، هولندا، سويسرا، الولايات المتحدة، سلوفاكيا، بلجيكا، اسلندا البرتغال، تركيا، اليابان، بولونيا، الدنمرك، ايطاليا، بريطانيا، كوريا، فنلندا، هنغاريا، اسبانيا، لكسمبورغ، فرنسا، المكسيك، استراليا، جمهورية الشيك."³

وقد عملت المؤسسات المالية الكبرى كصندوق النقد والبنك الدوليين، على تنسيق التدفقات المالية، وزيادة الترابط بين المؤسسات التمويلية، مساهمة بذلك في تعزيز فلسفة العولمة. وأي محاولة انعزالية من قبل دولة ما، قد تدخل نفسها في تخلف لا تحسب عواقبه وفي هذا المجال يقول احد الليبراليين: "إن العولمة ليست قدرا محتوما، فللدول حق القبول بها أو رفضها، وقد رفضتها دول عديدة مفضلة عزل اقتصادياتها عن الأسواق العالمية والمنافسة الدولية لكن انظروا كيف آلت حالة تلك الدول التي اختارت هذا النهج بصلابة، انظروا إلى برمانيا وإلى كوبا وإلى كوريا الشمالية وإلى إيران والعراق وليبيا واحتكموا إلى النتائج: تعميق التخلف الصناعي، ندرة في المواد لا تطاق، وانتشار للمجاعة على مستويات واسعة"⁴.

وفي رأينا ليس بالضرورة أن يكون تخلف هذه الدول محسوبا على رفض العولمة فهذه الأخيرة مرفوضة أيضا من أفراد ومنظمات تنتمي إلى الدول المتقدمة، فضلا على ان النص يحمل خطابا اديولوجيا، ومعلومات

¹ - Jean -Marc, SIROEN, la régionalisation de l'économie mondiale, la découverte, Paris, 2005, P : 57

² Luis Sabourin, organismes économiques internationaux édition la documentation française, Paris 1994, P : 420

³ Christian Han, l'union européenne, 12^{ème} édition, la découverte, paris 2004, P : 10

⁴ - De.Jonquières.C. « Des réformes qui ne sont pas alée asez loin » dossier ,la mondialisation est-elle inévitable ?, le monde diplomatique ,debat public, 7 mai 1997

غير صحيحة، فبعض الدول المذكورة ليست متخلفة لدرجة تخلف دول أخرى ، وبالمقابل ليس الانفتاح على الاسواق الخارجية عنوان للتقدم بالضرورة. يمكن تلخيص المظاهر الكبرى للعولمة الاقتصادية في النقاط الآتية:

1. التوجه نحو اقتصاد السوق، وخضوع الاقتصاد العالمي إلى آليات واحدة، قائمة على التنافسية والتوسع.
 2. عولمة النشاط المالي، واندماج الأسواق المالية، عن طريق إزالة القيود على تحركات رؤوس الأموال خاصة القصيرة الأجل والتي يطلق عليها "الأموال الساخنة"¹
 3. تعاظم دور التقنية وتأثيرها في إدارة الاقتصاد العالمي².
 4. تزايد دور المؤسسات المالية الدولية. في تصميم برامج الإصلاح الاقتصادي وسياسات التثبيت والتكيف الهيكلي³، في الدول النامية.
 5. بروز ظاهرة القرية العالمية بفضل تطور وسائل النقل والمواصلات.
 6. تدويل بعض المشكلات الاقتصادية مثل الفقر، والتنمية المستدامة، التلوث وحماية البيئة.
 7. سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات بعد تنامي دورها وتزايد أرباحها واتساع أسواقها وتعاظم نفوذها.
 8. الاتجاه نحو التكتل الاقتصادي الإقليمي بهدف الاستفادة من الفرص التي تتيحها العولمة الاقتصادية وتدعيم القدرة على مواجهة التحديات التي تفرضها، ومن أمثلة ذلك: تكتل الاتحاد الأوروبي، وتكتل دول النفط، وتكتل دول الآسيان، وتكتل دول الأوبك. وينظر البعض إلى هذه التكتلات الاقتصادية الإقليمية على أنها خطوة نحو العالمية المطلوبة للتجارة الحرة بين دول العالم.⁴
- لقد تفاجأ الغرب في بداية الألفية الثالثة أن العالم أصبح مجتمع الخمس أي أن 80% من العالم أصبحوا فقراء، ويخدمون 20% من سكان المعمورة الذين يعيشون في رخاء.⁵ فقد أثبتت كثير من الدراسات والإحصاءات أن 20% من دول العالم هي أكثر الدول ثراء،

¹ جاب الله عبد الفضيل بخيت، عبد الله بن سليمان الباحث "دول العالم الإسلامي والعولمة الاقتصادية"، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي، كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى ، مكة المكرمة محرم 1424 هـ ص: 10
² تعتبر الأدوات التقنية المفاتيح الأساسية، لبناء القوة الاقتصادية والتنافسية الدولية في الوقت الراهن وتوجهات المستقبل. ونتيجة لذلك تمارس القوى المالكة للتقنية الحديثة، سواء كانت دولاً، أم شركات متعددة الجنسية، دوراً متميزاً في توجيه العالم نحو العولمة والتحرر الاقتصادي. وهي التي ستحصل هذه على نصيب الأسد من مغامير العولمة.

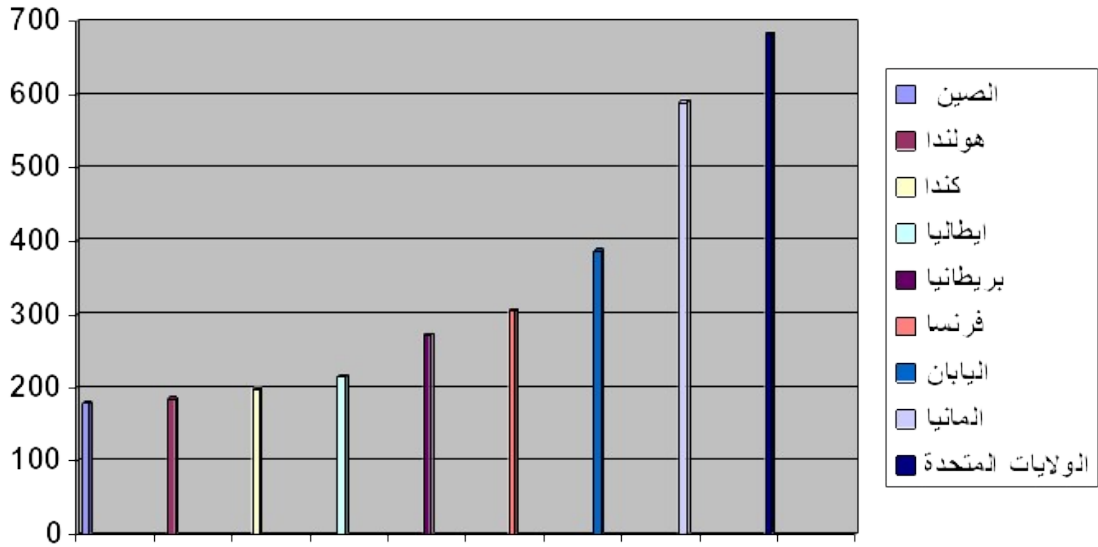
³ - المقصود بذلك التحول إلى اقتصاد السوق.

⁴ علي حبيش ، العولمة والبحث العلمي، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة، سنة 1997، ص: 5

⁵ -عبد العزيز سليمان اليوسفي ، "مستقبل ممارسة الهندسة في عصر العولمة"

<http://www.alyousefi.com/article>

وتستحوذ على 84.7 % من الناتج الإجمالي في العالم ، وعلى 84.2% من حجم التجارة الدولية ويمتلك سكانها 85.5% من مجموع مدخرات العالم ¹ ، وهكذا تختل المعادلة، وتكشف الأرقام عن خطورة الوضع خاصة عندما يتعلق الأمر بالفقر (ثلاثة بلايين يعيشون بأقل من دولارين في اليوم ، وبليونين منهم بأقل من دولار واحد في اليوم) ² . ويوضح الشكل الموالي أكبر المصدرين للسلع والخدمات في العالم لعام 1998، حيث أنهم يمثلون 58% من صادرات العالم.



. أكبر المصدرين للسلع والخدمات في العالم ، لعام 1998

إن أبرز التحولات الاقتصادية العميقة والجوهرية التي عرفتها العولمة الاقتصادية تتعلق بما يلي:

- (1) التوزيع الجغرافي غير المقيد للإنتاج (مختلف الثروات).
- (2) التبادلات التجارية (السلع، الخدمات، الأموال، والأعمال ...) من أي مكان وإلى أي مكان .

ونلاحظ أن هذه التبادلات التي تحدث على المستوى العالمي، تفوق بكثير حجم التبادلات داخل الدول نفسها. ومن هنا تأثرت اقتصاديات المؤسسات المحلية المعزولة، أو المتوقعة على نفسها، بهذه التغيرات الخارجية والعلمية. ومن هنا تعني العولمة الاقتصادية قيام اقتصاد عالمي واحد يهيمن على جميع أنواع النشاطات الاقتصادية ، ومعه تختفي الحدود الجغرافية.

إن تدفق التبادلات التجارية يعتبر المحرك للنمو الاقتصادي، إذ تكمن الخاصية الرئيسية للعولمة الاقتصادية أساسا في الزيادة السريعة

¹ - هانس بيرمارتن، هارالد شومان، "فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية"، ص: 11

² - Hawken . Paul, "globalization equals conformity and loss of diversity", whole earth. Spring 2002 issue 107 p :68

و المتزايدة للتجارة الدولية، خاصة منذ الحرب العالمية الثانية، إذ نلاحظ التزايد السريع لقيمة تبادل البضائع أكثر من قيمة الإنتاج و المداخل (إجمالي الناتج الداخلي الخام). و كمثال على ذلك، فإن حصة الخدمات (المواصلات، التأمينات، الاتصالات السلكية و اللاسلكية، السياحة و الخدمات المصرفية و حقوق التأليف...) من التجارة العالمية والتي أدرجت و لأول مرة خلال جولة أورغواي¹، تحقق الدول المتطورة منها أكثر من 3/4. التجارة العالمية بينما تتزايد واردات المواد الاستهلاكية العادية و القادمة من الدول المتخلفة بوتيرة معتدلة. و على العموم، فإن مساهمة الدول السائرة في طريق النمو تعرف تزايدا ملحوظا منذ بداية التسعينات في مجال التجارة العالمية، على الرغم من المعوقات التي لا تزال تواجهها ومنها معوقات تتعلق بالتعريف الجمركية، و غير الجمركية، و سياسات الحماية، و إجراءات مكافحة الإغراق².

إن هذه الظاهرة الحديثة العهد، ما زالت هامشية، و لكن يتوقع بعض الخبراء استمرارية و تواصل سريعين لها. و يمكن التماس هذا بشكل خاص في الدول الصاعدة و (الدول الآسيوية و أمريكا اللاتينية) التي تشهد نموا اقتصاديا سريعا خلال العشرية الأخيرة. و تميزت العولمة بتسريع التبادلات المالية و تطور الاستثمارات المباشرة في الخارج. و مما سهل من هذه المهمة، وجود الابتكارات التكنولوجية التي تؤدي إلى توزيع الإعلام و التحويلات الفورية للأموال. و نتيجة لكل ذلك عرفت نشاطات البورصة و البنوك الداخلية، و حركة رأس المال تحررا مطلقا. و هكذا فإن الاستثمارات المباشرة في الخارج، زادت سرعتها بثلاث مرات عن المبادلات التجارية خلال سنوات الثمانينات. و قد بلغ مجمل الزيادة السنوية للاستثمارات حوالي 870 مليار مقابل 290 مليار خلال العشرية السابقة. و بهذا تصبح أهمية و وزن قطاع الخدمات (المال / التوزيع) تعادل أو تساوي الاستثمارات الصناعية.

إن عالمية الاقتصاد تعكس تماما النمو، و الارتفاع الهائل في حجم التبادلات في جميع المواد الإنتاجية، و الخدمات، و الأموال، و الأفكار و تنقل الأفراد بين الأقطار، في حرية و لكن تحت رقابة صارمة من قبل المؤسسات الوصية على هذه الحركة (البنوك، الضرائب، الجمركة...). و يعتمد هذا الاقتصاد على إعطاء الفرص الكاملة للشركات العابرة للقارات أو المتعددة الجنسيات. و يعتمد على كامل الحرية في انتقال

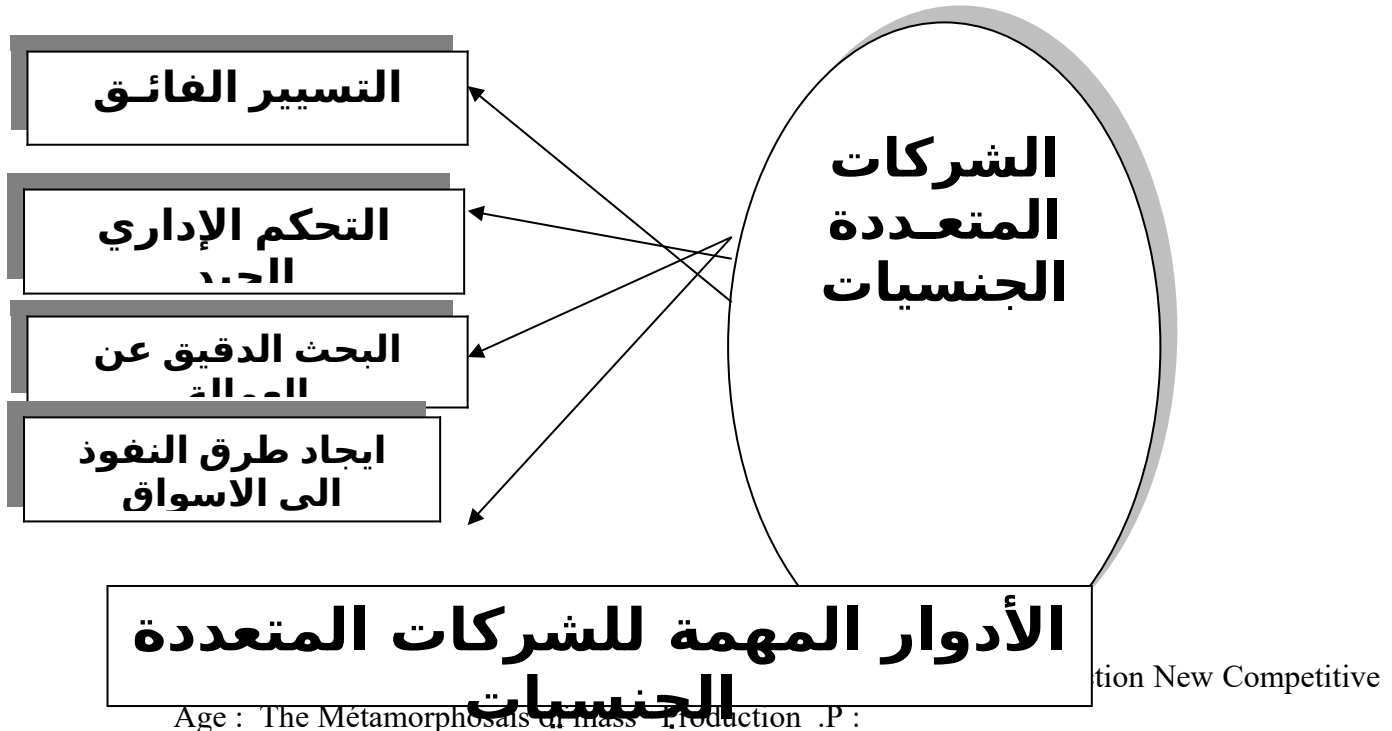
¹ - سمير صارم، "معركة سياتل حرب من أجل الهيمنة"، دار الفكر المعاصر، ط 2000، ص: 27
² - "المرجع نفسه"، ص: 55

الأموال، والسلع، والخدمات، والمعلومات. ولعل تبني هذه الشركات لفلسفة التوسع والانتشار، دفع بالمؤسسات العملاقة بإنشاء فروع لها داخل بلدان مختلفة بصورة أخطبوطية مصدرة بذلك نظام اقتصادي معين إلى هذه البلدان، وهو ما يعني نشر وتصدير نمط فريد للإنتاج إلى دول العالم وهذا النمط المهيمن هو الذي يسمى " نموذج الإنتاج المكثف"¹.

لقد كانت الشركات المتعددة الجنسيات وراء تفعيل وتشجيع الحركة الاقتصادية المؤدية الى تحقيق أرباح و منافع هائلة.

وتمحورت مبادلات الشركات العظمى المتعددة الجنسيات حول أربعة قطاعات أساسية (البترو، السيارات، التكنولوجيا العالية والبنوك) جلها من الدول المصنعة المتقدمة، ولكن تعتمد هذه الأخيرة على خلق شبكة معتبرة من الفروع في الخارج، امتدادا لها، وتتضمن تلك الشركات العظمى أكبر حصص المبادلات العالمية، و تحقق 70% من الاستثمارات المباشرة في الخارج باعتبارها ممثلة للنشاط الأساسي لتوسعها.

و تقدم هذه الشركات قدرات فائقة في التسيير، و مهارة جيدة في مجال التحكم التكنولوجي، و إيجاد طرق النفوذ إلى الأسواق العالمية، و لكن يمكن أن تعتمد بالمقابل على الأسواق المحلية. لذا فهي (أي الشركات العظمى) تستفيد من وفرة اليد العاملة الرخيصة في سوق العمل.



كما تملك الشركات المتعددة الجنسيات القدرة التفاوضية التي تؤهلها ، لاكتساب وزن في كل تفاوض مع الدول سواء الشمالية منها أو الجنوبية.

و في هذا الإطار تستطيع هذه الشركات اكتساب الوسائل اللازمة للتأثير بشكل كبير في السياسات العمومية وبخاصة البيئة، وهذا ما يفسر المشاركة الفعالة للشركات الكبرى في اللقاءات و المفاوضات الدولية حول البيئة والتنمية، وكذا في المناقشات المتعلقة بمدونات حسن السلوك الإرادي و المهياة خصيصا لهذه الشركات.

ومن جهة أخرى فان العمليات الاقتصادية، لا تتم إلا في بيئة السوق الحر وهي البيئة التي تقتضي انسحاب الدولة إلى خارج الفضاء الاقتصادي، وتركها لقوى السوق حرية تشكيل أنماط المتبادلات الاقتصادية.

ولعل غلبة الطابع الاقتصادي عند الحديث عن العولمة مرده عائد في اعتقادنا إلى ما يلي :

1. بروز الاقتصاد كعامل مهم في التحولات الجارية التي يشهدها العالم .
2. تعتبر العولمة الاقتصادية شبه الكاملة والأكثر تجسيدا على الواقع، فيما يبدو خلافا للعولمة الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية .
3. وضوح تأثير الشركات الكبرى علي الاقتصاد العالمي.

كما أن الأسواق العالمية أصبحت خارج الدائرة التي تحكم فيها الدول بما في ذلك أكبرها، وأكثرها غنى كما يقول **مالكولم واترز** : "إذا كان الفهم الاقتصادي هو المهيمن فان ذلك لا يعني أن العولمة هي ظاهرة اقتصادية فقط، بل هي ظاهرة تاريخية تتدخل فيها مجالات أخرى (السياسية، الثقافية ، الاتصالية، الاجتماعية...)".¹

ومن أهداف العولمة الاقتصادية جعل أفراد العالم مجرد مستهلكين للمنتجات التي تروج عالميا، وهو ما يجعلها توصف بأنها ليبرالية.

ويقصد بالعولمة الليبرالية النظام الاقتصادي الذي تقود حركته الشركات الرأسمالية العملاقة، و مؤسسات الاستثمار المالي.والذي ساهمت بعض الأحداث التاريخية في تطور واستمرار هذا النظام مثل:

- انهيار الاتحاد السوفيتي
- اتحاد الألمانيتين سنة 1990 بسقوط جدار برلين.
- أما أهم السمات البارزة للاقتصاد الليبرالي فهي:

¹ - Malcolm Waters, "Globalisation" London: Routledge, 1995, p: 66

1. تدويل قوى الإنتاج.

2. هيمنة منطق الربح.

3. تسلط دكتاتورية السوق.

بخصوص قضية تدويل قوى الإنتاج . فان هذه الظاهرة بدأت مع العهود الأولى للرأسمالية . و خلال النصف الثاني من القرن 15 ، بدأ التداول النقدي، و إنتاج البضائع في الاتساع و ساهمت الاكتشافات التقنية في اتساع نطاق هذا الاقتصاد. وحتى كذلك الاستعمار فيما بعد كانت تأثيراته واضحة للعيان.

و سار الاقتصاد خلال القرون 16 و 17 و 18 علي وتيرة سريعة، و بصورة أسرع

خلال العقد الأخير من القرن 19 و بداية القرن العشرين. في هذه الفترة ظهرت المنافسة الحرة، و الاحتكار القوي، مما بشر بمرحلة الاستعمار. التي عرفت تسارعا ملحوظا في إقامة المشاريع الكبرى و الترويج الضخم للبضائع في مختلف أرجاء المعمورة.

اما خلال عقد التسعينات فقد تعاضمت حرية الرأسمال العالمين بشكل لم يسبق له مثيل، و امتد نفوذ دكتاتورية السوق إلى اغلب الدول، لتخضع إلى النظام الرأسمالي الجديد بما في ذلك دول ما كان يعرف بالمعسكر الشرقي. وحتى الصين لم تسلم من مخالف هذا النظام.

و إلى جانب هذه الحركة الاقتصادية، كرسّت جهود كبيرة من أجل إزالة العقبات السياسية، و الاجتماعية التي كانت تحول دون تنقل رأس المال بحرية مطلقة أو تقيد الاستثمار.

و من أهم ما ميز حركة الاستثمار في الاقتصاد الليبرالي، ارتفاع قيمة الاستثمارات المالية ذات الطابع المضاربي، مثال على ذلك ارتفاعت نسبة هذه الاستثمارات من إجمال الناتج الخام العالمي من 5% سنة 1988 الي 11% سنة 1998. و تتركز هذه القوة المالية بنسبة 84% بين مستثمرين ينتمون إلى القوى الإمبريالية الكبرى، و في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية التي تمثل بمفردها حوالي 50% من مجموع الاستثمارات المالية تليها، اليابان بحصة 14%.

من مظاهر العولمة الاقتصادية كما ذكرنا سابقا حدوث تكتلات اقتصادية مختلفة، مشكلة بذلك تحديات كبرى. وقد جاءت هذه التكتلات استجابة لتيار العولمة الجارف الذي استهدف تحرير التجارة، واعتماد آليات السوق، وتحكم رأس المال و ما يترتب عن ذلك من سياسات تثبيت الاقتصاد. ومن هذه التكتلات ما عرفته أوروبا بداية بإعلان 1950، الداعي إلى إقامة سوق للفحم والصلب، مروراً بإعلان روما عام 1957 لإقامة السوق الأوروبية المشتركة، التي تطورت إلى

ما يعرف بالاتحاد الأوروبي¹، بموجب معاهدة ماستريخت بهولندا عام 1993، والتي ضمت 15 دولة أوروبية إلى غاية 1 ماي 2004، وقد انضمت في ذلك اليوم رسميا دول أخرى الى هذه المجموعة مثل بولونيا وليتوانيا وليتوانيا واستونيا².

وقد استهدفت هذه المعاهدة تحقيق الوحدة الاقتصادية والسياسية و العسكرية لدول أوروبا³. ومن اهم بنود الاتفاقية :

1. اقامة اتحاد نقدي وتأسيس بنك مركزي واحد اصدر عملة أوروبية موحدة (اليورو)، أصبحت جارية المفعول ابتداء من عام 2002، ويعبر خروج العملة الاوروبية للوجود عن التكامل الاوربي الحقيقي ويعبر عن التعاون الاقتصادي والسياسي دون الرجوع الى الماضي الاسود⁴.

2. اقامة البرلمان الأوروبي .

3. منح المواطنة الأوروبية التي تسمح للمواطن الاوربي بالتحرك من دولة إلى أخرى دون جواز السفر، والاستفادة من المساعدة الدبلوماسية من أي سفارة أوروبية.

4. تبني سياسة تعليمية و صحية و ثقافية وبحثية مشتركة.

5. تحقيق وحدة اقتصادية تتمثل في ازالة جميع القيود المفروضة على تحركات السلع والخدمات ورؤوس الأموال و التكنولوجيا والعمالة بين دول الاتحاد الأوروبي .

أما في أمريكا فحدثت تكتلات أخرى كاتفاقية " **نافتا** " أو المنطقة الحرة لأمريكا الشمالية North American Free Trade Area وهي إتفاقية تخص أمور التجارة لأمريكا الشمالية تضم **الولايات المتحدة وكندا والمكسيك** ومن التكتلات الأخرى منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادي، و تم بمبادرة 18 دولة من مختلف الدول، منها **الولايات المتحدة واليابان والصين وماليزيا وكوريا و سنغافورة** وغيرها، ويهدف هذا التكتل لإنشاء منطقة التجارة الحرة . وهكذا يمكن اعتبار عصر العولمة عصر التحالفات والاندماجات، خاصة في ما يتعلق بالشركات التي تعرف اندماجا مستمرا، دون اعتبار لما يفرزه هذا الاندماج من تقليص لعدد هائل من العمال ومن أمثلة ذلك:

¹ European Union

² وهذه الدول السابقة هي فرنسا- ألمانيا-إيطاليا-إسبانيا- بلجيكا= هولندا -الدانمرك- لوكسمبورغ-اليونان- البرتغال- أيرلندا- النمسا-فنلندا=السويد.

³ - محمد نبيل جامع ، "اجتماعات التنمية الاقتصادية لمواجهة العولمة و تعزيز الامن القومي " ، دار غريب للطباعة و النشر ، ط 2000 ، ص: 07.

⁴ - Christian Han, « l'union européenne », P : 82

- وفي مجال النفط اندماج شركتي إكسون وموبيل مقلصا عدد العمال بنسبة 7 في المائة أي حذف (9000) منصب شغل¹.
- وفي مجال الاتصالات ، اندماج أي تي آند تي (AT&T) مع بريتش تليكوم واندماج جي تي إي (GTE) مع بل أتلاتك.
- وفي القطاع المصرفي، اندماج ستي كورب (Citicorp) مع مجموعة ترافلس² و بانك أوف أمريكا مع البنك الوطني الأمريكي³ وعلى المستوى السعودي اندماج البنك السعودي المتحد مع البنك السعودي الأمريكي واندماج شركتي سمارك و أرامكو **السعودية**

كما ان أهم خصائص الشركات متعددة الجنسية ، تعدد النشاطات التي تشتغل ضمنها دون الالتفات إلى الروابط الفنية بين المنتجات المختلفة، فنجد في سبيع شركات ميتسوبيشي متفاوتة المكانة ميتسوبيشي للسيارات ، ميتسوبيشي الكهرباء، بنك ميتسوبيشي، ميتسوبيشي للصناعات الثقيلة ، ميتسوبيشي للكيماويات ، ميتسوبيشي المصرفية⁴.

وسيشهد العالم مزيدا من اندماج الشركات والمؤسسات الكبرى الأمر الذي سينتج عنه إعادة الهيكلة وخفض تكاليف الإنتاج لتكون أكثر منافسة عالميا ، وهذا يعني الاستغناء عن عدد كبير من العاملين . وقد عملت العولمة الاقتصادية على التركيز على مجموعة من الآليات وهي مجموعة من المؤسسات التي عملت على تأكيد أهمية العولمة، من ذلك مثلا نجد الأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية التي استطاعت أن تهين الفكر الإنساني لتقبل مفهوم الحكومة العالمية كشكل من أشكال الفوقية التي تمارس فوق الحكومات والدول على حساب سيادتها الاقتصادية والسياسية والثقافية. وقد ساهمت في ذلك مختلف المجالس والوكالات التابعة للأمم المتحدة . وهناك مؤسسات كبرى تسعى إلى وضع البنيات الأساسية لهيكل العولمة عن طريق تأكيد وحدة العالم مع التركيز على البنية التحتية والأساسية لهذا العالم وهي:

- (1) منظمة التجارة العالمية " wto " .
- (2) صندوق البنك الدولي.

¹ - عبد اللطيف هسوف ، " دكتاتورية غريبة: في نقد فيفيان فوريستير للبرالية " الحوار المتمدن، العدد 1745 ، بتاريخ 25-11-2006 .

² (Travelers Group)

³ (National Bank)

⁴ عبد القادر عزوز ، " الشركات متعددة الجنسيات ودورها في الاقتصاد الدولي " يومية الجماهير تصدر بسوريا عدد 2006-3-8 <http://jamahir.alwehda.gov.sy>

(3) البنك الدولي.

(4) الشركات المتعددة الجنسيات.

وسياتي الحديث عن هذه الآليات باعتبارها تشكل الأدوات الكبرى لحركة العولمة الاقتصادية. والآن ماذا نستنتج فلسفيا من تناولنا للمظهر الاقتصادي للعولمة ؟

إن الإمبريالية في الحقيقة ليست هي ذلك اللفظ الذي يطلق على تلك العلاقة الخطيرة بين الدول المستعمرة والدول المستعمرة عسكريا فقط، وإنما يشتمل هذا اللفظ النظام الرأسمالي القائم عالميا، بما فيه من علاقات بين الدول والمنظومات والمؤسسات المالية والاقتصادية. ويمكن إيجاد علاقة بين النظام الاقتصادي العالمي، والاستعمار الجديد، اعتمادا على الأساليب الاقتصادية المتمثلة في إخضاع البلدان المتحررة من الاستعمار، والسيطرة عليها واستغلالها، وعرقلة مستوى التنمية فيها تحت إضفاء طابع الشرعية، عن طريق فرض أشكال مختلفة من الاتفاقيات والمعاهدات، ويعدد واضعو موسوعة الاقتصاد السياسي - السوفيتية - مجموعة من أشكال الاستعمار الجديد فيها :

(1) إقامة الحكومات والأنظمة السياسية التابعة لها.

(2) إشغال ودعم النشاط التخريبي ضد الحكومات.

(3) إثارة الصراعات المحلية والدولية من عرقية وقومية وطائفية حتى تتمكن من التدخل.

في الوقت المناسب وفرض قراراتها وإقامة القواعد العسكرية باسم الشرعية الدولية.¹

ومن أهم الأساليب المستخدمة من طرف النظام الاقتصادي العالمي ما يلي :

1. التوسع الاقتصادي والتغلغل عن طريق توظيف رؤوس الأموال.

2. تقديم القروض بشروط مجحفة واستغلالها كفخاخ اقتصادية.

3. إغراق الأسواق العالمية بمختلف الصادرات.

4. ربط النظم النقدية للبلدان النامية بشروط قاسية.

5. إحداث الاتحادات و الاندماجات الاقتصادية بين الشركات. (يأتي تفصيل هذه الأساليب في الفصل الأول من الباب الثاني).

وعليه يمكن القول أن النظام الاقتصادي العالمي هو الأساس

المادي للاستعمار الجديد .

إن التساؤل عن مظهر العولمة الاقتصادية إيجابا وسلبا، يدفعنا إلى الإحاطة بالامتيازات التي وفرتها العولمة والسلبيات التي أفرزتها. لا شك أن هناك امتيازات كثيرة للعولمة الاقتصادية كتتنوع مجالات الاستثمار و تحرير الأسواق و توحيدها، و تسهيل انتقال الخدمات و رؤوس الأموال و

¹ - سمير كرم ، "الشركات المتعددة الجنسية " ، بيروت ، معهد الانماء العربي، 1976

توفير السلع التجارية ، وقد تحدث رواد العولمة عن هذه الايجابيات من ذلك قال الأمين العام لمنظمة OCDE : "العولمة توفر العديد من الايجابيات فهي تساهم في رفع المستوى المعيشي للأفراد والمؤسسات ، وحرية التبادل تساهم في تخفيض الأسعار أمام المستهلك وتوفر له تنوع وتعدد المنتجات".¹

وفي المقابل هناك سلبيات أفرزتها الظاهرة ومنها:

1. النمو غير المتكافئ للثروة ، وازدياد التفاوت في توزيع الدخل .
2. زيادة احتمالات التعرض للأزمات الاقتصادية.
3. التناقض بين عولمة رأس المال و وطنية العمال. " خلافا لدعوة ماركس يا عمال العالم اتحدوا فان الرأسماليين هم الذين اتحدوا وبقي العمال أسرى حدودهم الوطنية
4. زيادة نسبة البطالة.
5. زيادة مستوى الفقر في العالم خاصة في دول العالم الثالث.
6. عدم استقرار العملات.

قد وصفت الكاتبة سعاد خيرى المعادلة التي أفرزتها العولمة الاقتصادية عندما تحدثت عن كل من النجاحات و الإخفاقات التي تميز المرحلة في قولها "فمن ناحية حققت البشرية مكاسب جبارة في التقدم العلمي التكنولوجي و ثورة المعلومات و الاتصالات و هي تؤسس لعولمة إنسانية متطورة ، تمكن من عولمة التمتع بكل الإنجازات الحضارية للبشرية وعولمة الرأسمال التي ترمي إلى استغلال كل تلك الإنجازات لمصلحتها و زيادة أرباحها و حرمان البشرية منها من خلال هيمنة الرأسمال على العالم و إقامة التكتلات الاقتصادية العملاقة و تزايد نشاط الشركات المتعددة الجنسية التي تبتلع حصة هائلة من دخل البلدان الفقيرة ، و تكتلات عسكرية جبارة مجهزة بترسانة عسكرية متطورة تستطيع إفناء العالم عدة مرات و سيطرة شاملة على صناعة الإعلام و وسائله ، و إلى الجريمة المنظمة و تجارة السلاح و المخدرات ، و الإيغال في استغلال شغيلة اليد و الفكر مما أدى إلى بطالة شاملة و تزايد حالات الفقر المدقع و انتشار الأمراض و تكاثر الحروب الإقليمية و المحلية و تفكك العلاقات بين الدول و أصبحت الكوارث التي تسببها عولمة الرأسمال عالمية شاملة".²

في هذه القراءة التي تحمل رؤية ماركسية تكشف الكاتبة عن تناقضات في بناء العولمة وقد توصلت إلى أن العولمة تحفر قبرها بيدها

¹ Kumiharu Shigehara , « mondialisation , technologie et emploi », le figaro 07 – 11 - 1997

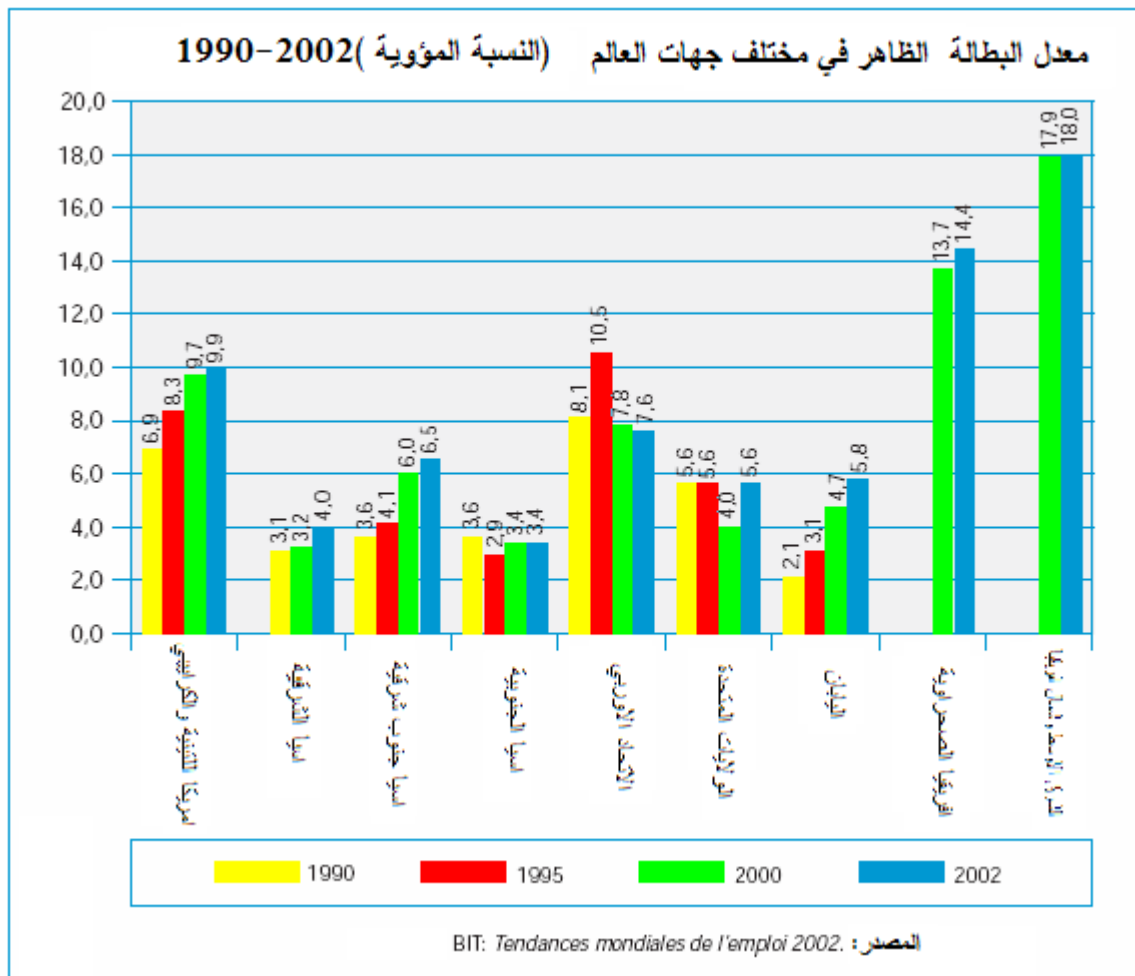
² - سعاد خيرى، العولمة وحدة وصراع النقيضين، عولمة الرأسمال والعولمة الإنسانية " سنة 1999 ، ص:10

وإن كانت قد ميزت بين جانبيين أساسيين في العولمة يتمثل الأول في الجانب الإنساني الواقع تحت طائلة الجميع ليستفيد من خيارات العولمة، خاصة في مجال الانفتاح الذي أصبح "عقيدة للعولمة"¹ وهو يفسح المجال أمام الدول الفقيرة لكي تدخل الأسواق وتحصل على التكنولوجيا و الأفكار التي تساعد على التنمية أما الثاني فيتمثل في الوجه الرأسمالي لها حيث تعمل الرأسمالية على استغلالها، أي إيجابيات العولمة لصالحها دون الشعوب الأخرى.

إن رؤية التي يطرحها أنصار العولمة المتمثلة في أنها ستحقق الرفاهية و العدالة و توزع المنافع على الأفراد، و الشعوب، بصورة متساوية تحمل في ثناياها مغالطة كبرى إذ ازدادت الهوة اتساعاً بين عالم الشمال والجنوب و بالضبط بين الذين يملكون والذين لا يملكون. هذه النتيجة يعززها التقرير السنوي عن حالة التنمية البشرية في العالم لعام 1999 الذي يصدره البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة. وقد أشار هذا التقرير² إلى أن الفارق في الدخل بين من يعيشون في أغنى الدول ومن يعيشون في أفقر البلدان كان واحداً إلى ثلاثة سنة 1820، وفي مطلع القرن العشرين اتسع الفارق ليصبح 1 إلى 11 سنة 1993، و 1 إلى 35 عام 1950، ثم بلغ 1 إلى 44 عام 1973، ليرتفع بصورة مذهلة ليبلغ 1 إلى 72 عام 1993 و 1 إلى 74 عام 1997 أما نسبة البطالة فقد عرفت نمواً واضحاً خاصة في الدول الفقيرة والشكل الموالي يوضح ذلك:

¹ - kiven watkins, "making globalization work for the poor", finance and development , march 2002 v39 I1, p :24

² - البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية لعام 1999



وتتضح تأثيرات العولمة في الدول الغنية، من خلال زيادة الإنتاج في التجارة والاستثمار، بينما في الدول الفقيرة زادت العولمة من أخطار عدم الاستقرار والتهميش.¹ ويذهب التقرير السابق إلى الكشف عن أرقام مرعبة للفجوة بين الأفراد الذين يملكون والذين لا يملكون، على سبيل المثال فإن: (225 فرداً من أغنى أثرياء العالم تقدر ثروتهم أكثر من تريليون دولار أي ما يعادل الدخل السنوي لـ: 2,5 مليار نسمة من فقراء العالم. وتشير نفس الإحصائيات (عام 1998) - إلى أن 1,3 مليار نسمة في العالم يتقاضون أقل من دولار واحد في اليوم. وهكذا تحصر التنمية عند الشركات المتعددة الجنسيات ولا يستفيد منها الفقراء.²

لقد أوجدت العولمة الرأسمالية عالماً ثالثاً في كل بلدان العالم، حتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الصناعية الكبرى، وأوجدت

¹ - Mahomed Deouas, «Africa faces challenges of globalisation», p:04

² - Sebastan Mallabuy, «the globophobes guru». the wachinton post nov12 2001, p:25

الرأسمالية تفاوتاً هائلاً في الثروة في أغلب المجتمعات. " ففي الولايات المتحدة الأمريكية يمتلك واحد بالمائة من سكانها حوالي 50 بالمائة من مجموع الثروة، بينما يمتلك 80% من السكان أقل من 8% بالمائة من تلك الثروة. وهذا النمط الاقتصادي السائد يتم تصديره عبر العولمة ¹. ومن غرائب أرقام العولمة الاقتصادية، تؤكد بعض الدراسات في هذا الشأن أن:

" 11 دولار هو المبلغ الذي تدفعه الدول النامية على صورة خدمة للديون مقابل كل دولار تحصل عليه على صورة مساعدات " ²
 " 30000 شخصا هو عدد الموظفين الاندونوسيين لمصنع نايك NIKE للأحذية الرياضية و الذين يقل إجمالي رواتبهم السنوية عما يتقاضاه نجم كرة السلة الأمريكي مايكل جوردان لقاء ظهوره في الإعلان على هذه الأحذية. " ³

إن هذا التفاوت المرعب لا شك انه يهدد البشرية ويزيد من سخط الضعفاء في الأرض وينمي العداء والعنف بين الأفراد ويقوض دعائم المجتمع السليم.

وهكذا يتعاظم دور الرأسمال العالمي، لخلق نظاما اقتصاديا، لا مكان فيه إلا للأقوياء، وتحول فيه المال من مقياس للتبادل ووسيلة للدفع ليصبح سلعة كأي سلعة أخرى. وتشير الدراسات أن 50% من الاقتصاد العالمي تمثله شركات والباقي من النسبة تمثله دول . وتشير بعض الإحصائيات ⁴ إلى أن التنمية الاقتصادية تتسارع في الدول الغنية أكثر من غيرها والأرقام التالية توضح النسبة المئوية بين عامي 2002 و2003.

الدول	2002	2003
الولايات المتحدة	2.4	3.5
المكسيك	1.3	4.5
البرازيل	2.0	2.7
بريطانيا	1.9	2.9
ألمانيا	0.9	2.5
اليابان	1.0-	1.1

¹ - عبد الحي زلوم، "نذر العولمة"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2000 ص: 05.

² - " المرجع نفسه " ص: 07.

³ - " المرجع نفسه " ص: 07 .

⁴ - Darly delano, "global economic growth makes came back", building design and constriction, June 2002, v43, I6, p :26.

الصين	7.1	8.6
كوريا الجنوبية	3.8	5.5
تايبان	1.8	4.9
تايلاند	2.4	4.2
هونغ كونغ	1.8	3.2

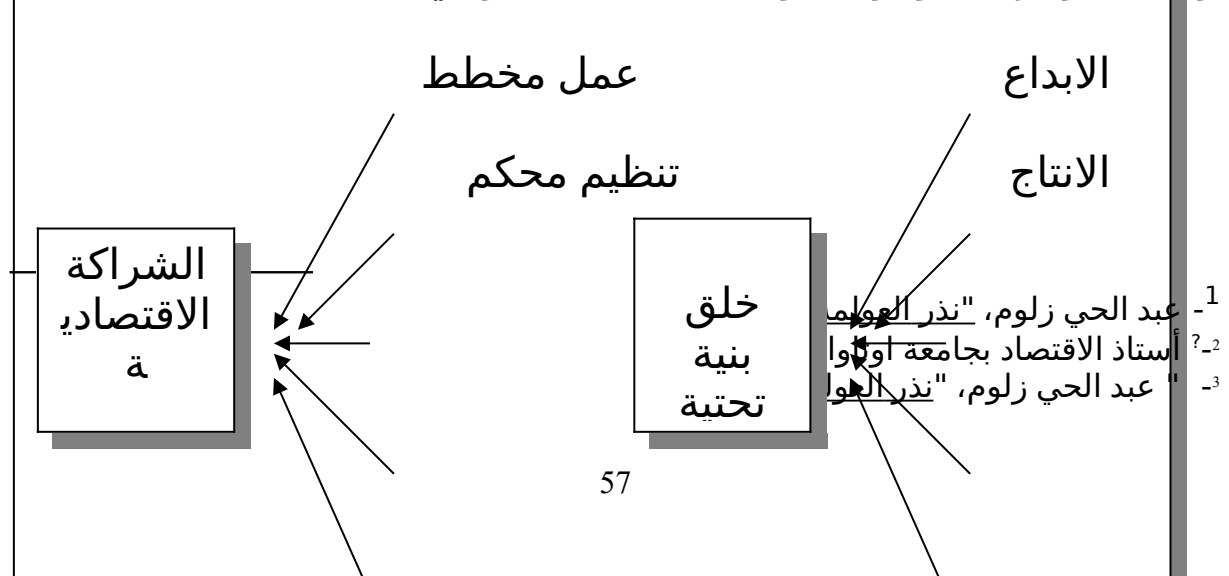
ان المشكلة في كل هذه الإحصائيات، أن هناك جهة واحدة هي التي تتحمل هذا الوجه المظلم من العولمة. بمعنى آخر أن الدول الضعيفة هي وحدها التي تتحمل مشقة هذا النظام وباستمرار، مادامت تعمل على خدمة الديون: "كان مجموع الديون طويلة الأجل على الدول النامية عام 1970 حوالي 62 مليار دولار وزادت سنة 1980 سبع مرات لتصل إلى 480 دولار ، ثم زادت 32 مرة لتصل سنة 1996 إلى 2000 مليار دولار .

ولأن الدول كانت تنوء من ثقل ديونها فقد مكن ذلك البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية من إجبار تلك الدول على إعادة تشكيل اقتصادها، وقبول الشروط التي تتوافق مع مصالح أصحاب المال العالمي " ¹ .

وأصبح الاقتصاد العالمي كما يقول البروفيسور "ميشيل سوفوروفسكي" ² في كتابه عولمة الفقر موجهة لعملية تحصيل الديون ³

إذا كانت هذه هي مظاهر العولمة الاقتصادية فالسؤال الذي يفرض نفسه هو كيف يتم التكيف مع هذا الاقتصاد العالمي ؟ وكيف يكون لنا فعل وتأثير داخل هذا التحول العظيم الذي تشهده البشرية ؟ أو كيف يمكن لنا أن نكون أطرافا مشاركة (شركاء) وليست تابعة و مقيدة بشروط مراكز الفعل و التأثير؟

ليس من الصعب أن نجد الجواب عن هذا السؤال باعتبار أن الجواب لا يتجاوز الإطار النظري . وعليه يمكن القول أن الاندماج في الاقتصاد العالمي أول ما يقتضيه هو المشاركة في الفعل الاقتصادي إبداعا وإنتاجا وتسويقا واستثمارا وتمويلا وتخطيطا وتنظيما وتسويقا وتوجيها ومتابعة ومراقبة وهو ما يوضحه الشكل الموالي ¹



تنسيق واضح

التسويق

متابعة مستمرة

التمويل

رقابة صارمة

الاستثمار

لا شك أن الفعل الإنتاجي تسبقه عملية إبداعية، على اعتبار أن وراء أي عمل فكرة يبدعها عقل يفكر، يأخذ بعين الاعتبار الطابع الدولي للاقتصاد. متصفا بالشمولية ومتجاوزا للأبعاد التقليدية. ففي عصر العولمة يمتد الإنتاج ليشمل "تصنيع الاتجاه و المعنى والمضمون الفكري والثقافي والاجتماعي والسياسي للفرد والجماعة على حد سواء، وإلى تخليق الوعي وتنمية الإدراك، وزيادة الفهم، والمعرفة لتحقيق الإحاطة الشمولية، واختيار المناهج وقياس ردود الأفعال ومتابعة التأثيرات والانعكاسات وحركة العمليات التنفيذية".¹

أما بالنسبة لتسويق المنتجات فلا بد أن تتخذ الطابع الدولي المشترك، مادام استهلاك منتج ما لا يرتبط بمكان إنتاجه لما لا والكوكا كولا رمز العولمة الغذائية حاضرة في 200 دولة². و لذلك يأتي الاهتمام بالبنية التحتية من طرق، وموانئ، ومطارات، ومختلف الخدمات الأخرى كالإشهار والإعلان، كأساس يساهم في تسهيل، وتيسير، نقل المنتجات المختلفة، وتوزيعها بصورة تتفق مع عصر العولمة .

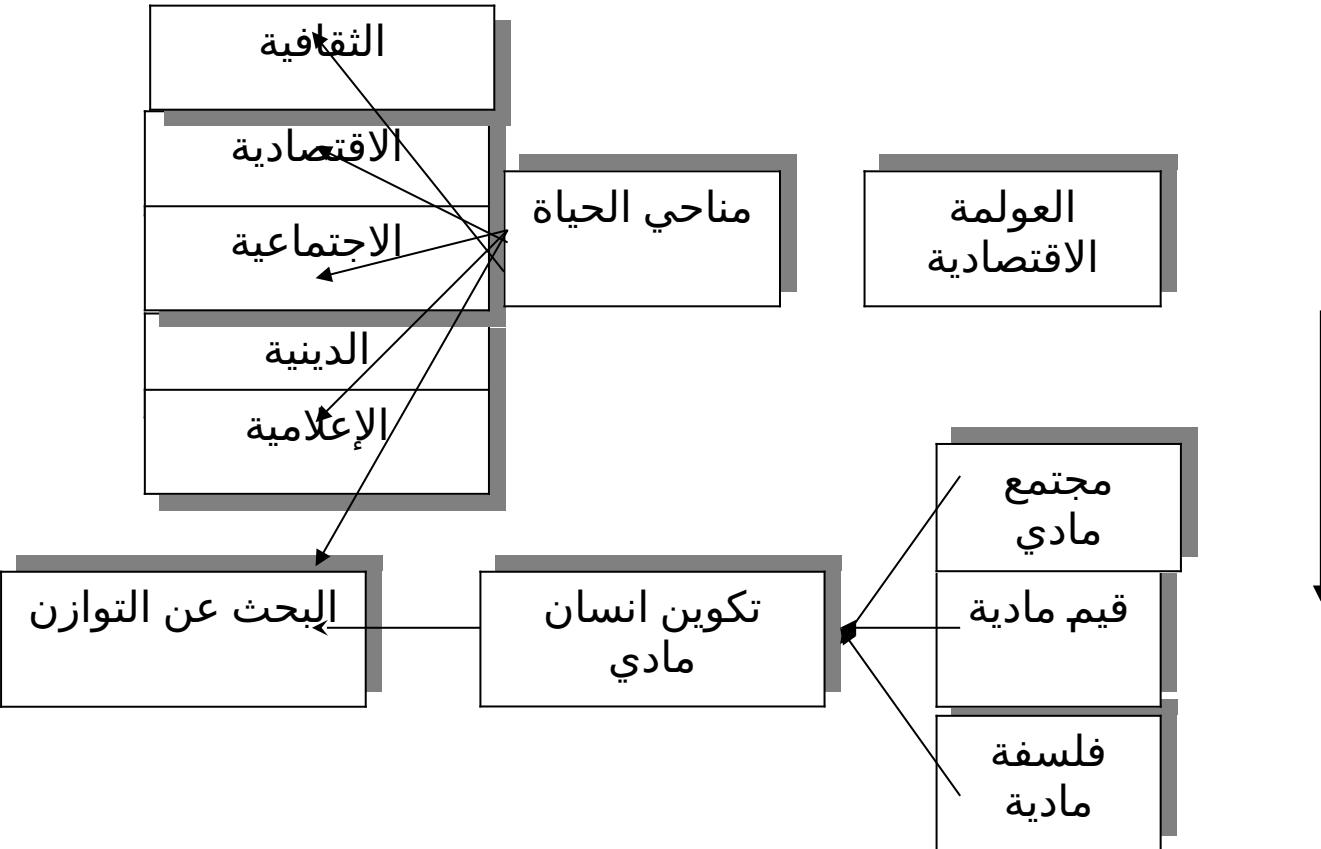
وإذا كان الاقتصاد يعتمد علي حركة رأس المال، فعين الشراكة أن يكون التمويل مشتركا، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمشاريع الضخمة التي تحتاج إلى مصادر مالية كثيرة ، ولا شك أن هذا التمويل المشترك سيؤدي إلى زيادة عائد رأس المال . ومن هنا يتضح لنا مدى أهمية انتشار البنوك ، والمصارف المالية التي تحقق أرباحا كثيرة من خلال خدماتها المختلفة.

و بقدر ما تحتاج المشروعات الضخمة إلى أموال ضخمة، بقدر ما تحتاج إلى كوادر بشرية، تحمل تخصصات مختلفة، وخبرات متنوعة، من جنسيات مختلفة المهم فيها هو ما تحمله من كفاءات عالية، وقدرات مهنية متطورة.

¹ - محسن احمد الخيزري "العولمة : مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة" ، مجموعة النيل العربية ، الطبعة الاولى سنة 2000، ص: 152

² - Sylvain Allmand « vers une alimentation mondialisée » , revue, Science Humaines , N° 153 octobre 2004, P : 18

ويعتبر استثمار الافراد في القطاعات المختلفة بابا من أبواب الدخول إلى الاقتصاد العالمي، باعتبارهم مشاركين ومستفيدين لا مستهلكين فقط، حتى لا تختص العولمة الانسان في حاجياته الاقتصادية فقط، و" تقتل فيه امال النهضة والتقدم"¹ ويوضح الشكل الموالي كيف يمكن ان تشكل العولمة الاقتصادية خلا في علاقة الإنسان في محيطه.



بعد كل هذا نستخلص أن الوجه الاقتصادي، يبرز على حساب الأوجه الأخرى، ومرد ذلك ان المؤسسات الاقتصادية و المالية المتحكمة في مسار التاريخ الاقتصادي الحديث، تستهدف جعل القيم المادية، الهدف والبوصلة في نفس الوقت. وهي بذلك تحاول تطويع العقل والوجدان الإنساني، للتعایش مع هذه المفاهيم المادية، التي تركزها هيمنة المؤسسات المالية لتغدو المؤسسات الثقافية والدينية والإعلامية، مجرد خادمة ومدعمة للتوجه الذي سطرته العولمة وهنا يتضح لنا ان خصائص المذهب المادي الذي يعززه الاقتصاد الرأسمالي هو عين ما تسعى اليه العولمة ومن هنا نفهم لماذا قال احد المشتغلين بموضوع

¹ - Philippe Pièrre, « mondialisation le rêve KO », libération du 9-3-2004.

العولمة "ان الحديث عن العولمة في الحقيقة لا ينفصل عن الحديث عن النظام الاقتصادي الرأسمالي"¹.

لقد دخل الاقتصاد العالمي في منتصف السبعينات مرحلة من النمو البطيء، فحسب معطيات البنك الدولي فقد قارب معدل النمو السنوي للإنتاج العالمي بالنسبة للشخص الواحد 4 في المائة ما بين 1960 و1973 ثم نزل الى % 2,4 من سنة 1973 إلى سنة 1980 وقد نجحت الدول الآسيوية وحدها في العالم في تلك الفترة من تسريع نموها². ويوضح الجدول الموالي التقسيم الجغرافي للدخل العالمي³ خلال ثلاث فترات زمنية متباعدة.

الجهة	1960	1980	2000
الولايات المتحدة الأمريكية	36,8	24,0	31,1
دول أخرى خارج اتفاقية ALENA	3,9	4,1	0,4
أمريكا الجنوبية	4,9	6,0	4,6
الاتحاد الأوروبي	22,5	29,4	24,8
بقية الدول الأوروبية	14,6	3,11	5,5
إفريقيا والشرق الأوسط	3,6	6,9	3,5
دول الخليج العربي	0,7	3,5	1,7
اليابان	3,1	9,2	15,0
آسيا البحرية	4,1	1,2	3,1
الصين الكبرى	4,5	2,3	4,9
بقية الدول الآسيوية وإفريقيا	5,0	3,8	3,4
العالم	100	100	100

يعتقد بعض الفرنسيين أن المؤسسات الاقتصادية هي التي تحدد مؤشرات الغنى والفقر، كما ان معدل النمو الاقتصادي عند المؤسسات الصغيرة يتطور بانضمامها إلى مؤسسات أكبر حجماً وأكثر إنتاجاً⁴

¹ Adda Jacques, la mondialisation de l'économie , tome, 1 genèse ,3ème édition, la découverte, Paris 1998, P : 03

² " Ibid" , P : 95

³ Gerard Lafay, « comprendre la mondialisation » , p : 35

⁴ **David Thesmar** , « Pourquoi les français se méfient du capitalisme financière ». conférence au centre George Pompidou , le 20-02-2006 .

صحيح أن العولمة مسئولة عن نمو التفاوت بين الناس، لان دول العالم المتطور دائما تبحث عن الكفاءات وأصحاب المهن الجديدة. ويبقى على دول العالم الثالث على الأعمال العادية ومادامت الدول المتأخرة لا تستقطب الاستثمار بكثرة فان الوظائف تتأثر تحت تأثير العولمة.¹ ويوضح الجدول الموالي مستوي الدخل PIB حسب المناطق بالمليار دولار²

الجهة	سنة 1990	سنة 2001
أمريكا الشمالية	6325	10760
الاتحاد الأوروبي	6879	7872
أوروبا الشرقية واسيا الوسطى	1240	995
آسيا الجنوبية واليابان	3052	6420
أمريكا اللاتينية والكرايبي	1135	1969
إفريقيا	710	1014
بقية الدول الغنية	1403	2094

في دراسة حديثة عن الاقتصاد العالمي قام بها ثلاثة باحثين³ كشفت عن أهم المعالم الاقتصادية للدول المتطورة خلال السنوات الأخيرة وتظهر الجداول الأربعة الموالية الأرقام المعبرة عن هذه المعالم⁴

نمو (PIB) بالنسبة المؤوية

الجهة	2002	2003	2004	2005
الولايات المتحدة	2,2	3,1	4,6	3,9
منطقة اليورو	0,9	0,4	1,7	2,3
بريطانيا	1,7	2,3	3,5	2,5
اليابان	0,3	2,7	3,4	1,9

النسبة المؤوية للتضخم المالي

الجهة	2002	2003	2004	2005
الولايات المتحدة	1,6	3,1	2,3	2,2

¹ Dominique Martin, Jean – Luc Metzger , Philippe Pierre « La mondialisation menace –t-elle- le travail », Sciences Humaines, N°150 Juin 2004 , P : 16

² Dossier et documents, Le monde N°334 septembre 2004

Cyrille lacu , Florance Pisani , Philipe Weber³

⁴ Cyrille lacu , Florance Pisani , Philipe Weber "l'économie mondiale" édition la découverte 2005 Paris. P :15

1,6	1,7	2,1	2,3	منطقة اليورو
1,8	1,6	1,4	1,3	بريطانيا
0,1-	0,4-	0,2-	0,9	اليابان

الميزان التجاري بالنسبة إلى BIP

2005	2004	2003	2002	الجهة
4,1-	4,2-	4,9-	4,6-	الولايات المتحدة
0,8	0,7	0,6	1,2	منطقة اليورو
2,1-	2,2-	2,4-	1,7	بريطانيا
3,2	3,1	3,2	2,8	اليابان

النسبة المؤوية للبطالة

2005	2004	2003	2002	الجهة
5,4	5,5	6,0	5,8	الولايات المتحدة
8,9	9,1	8,8	8,4	منطقة اليورو
4,9	4,9	5,0	5,2	بريطانيا
4,9	4,9	5,3	5,4	اليابان

نستنتج ان مستوى الدخل الخام في الجهات التي شملتها الدراسة متحسن جدا، اما النسبة المؤوية للتضخم المالي، فهي ضعيفة خلافا لارتفاعها في الدول الفقيرة، و نسب البطالة فهي قليلة ومستقرة اذا ما قورنت بنسبها في الدول النامية او الفقيرة، حيث نجدها عالية وتزايد بفعل تأثير العولمة.

بالإضافة الى الجهات الاربع التي تحدثت عنها الدراسة السابقة برزت الصين التي عرفت تطورا ملموسا في اقتصادها وهذا بعد سياسة الانفتاح التي انتهجتها منذ 1979 حيث عرفت تجارتها الخارجية مابين 1978- 2001 نمو كبيرا قدر ب 15 بالمائة وقد احتلت عام 2002 المرتبة السادسة في مجموعة الدول الأكثر تصدير عالميا¹

والخلاصة إن العولمة الاقتصادية، كما هي متجلية في مناحي الحياة المختلفة تسعى إلى تحقيق ارتفاع الرأسمالية كما تشتهي البرجوازية العالمية، وإضفاء البعد الإنساني على حركتها، والعمل على تطوير العلوم، والتقنيات ووسائل الإنتاج ومحاولة التحكم في المنظومة

¹ Franoise Lemoine, «L'économie chinoise », 3^{ème} édition, la découverte, Paris, 2003, P : 81

الاقتصادية والمالية والإعلامية . لكن الواقع يكشف لنا تورط الرأسمالية في عمليات المقامرة والسطو، وأعمال المافيا، والجريمة المنظمة، والتهرب من الضرائب والمراقبة، ونزوعها إلى التهور خاصة في مجال العولمة المالية والنقدية، حيث السيطرة على الأسواق، وتقييد القرارات السياسية هذا فضلا عن الصراعات والتناقضات الاجتماعية المتفاقمة. اذن صحيح انه ليس من السهل التكهّن بما يحمله لنا المستقبل نظرا لتعقد الظواهر الاجتماعية الاقتصادية السائدة. غير ان الخلل الواضح بين شعوب الشمال والجنوب، وظهور الأزمات بين الحين والآخر في المجتمع الغربي، والحرّوب والفتن في غيرها من المجتمعات، وتزايد الحركات المعارضة للعولمة، في أماكن عديدة يوحي بأن الرأسمالية ان لم تتمكن من إدارة شؤون هذا العالم بتناقضاته ومشاكله على الرغم من استنادها الى التقدم العلمي والتكنولوجي لا يمكنها الارتقاء بهذا الإنسان بل على العكس فهي تجره نحو الهاوية وفي هذا الصدد يقول "آينشتاين" : "كل تقدمنا التكنولوجي الذي نعتني به وهو جوهر حضارتنا ليس أكثر من بلطة في يد مجرم"¹.

تجليات العولمة في المجال السياسي المعاصر :

¹ - رزق الله هيلان "مقدمات اقتصادية لعصر ينتهي"، دار الحصاد، سوريا ، الطبعة الاولى، 1998 ص: 16

إن التحولات العديدة التي يشهدها العالم وضعت البشر على خط الشمولية والاندماج، وساهمت التكنولوجيا في التقريب بين الشعوب، وربطت الانترنت الأفراد بأقرانهم بصورة لم تعرفها القرون السابقة. إلا أن المنافسة والتسابق من أجل تحقيق المصالح تغير من موازين القوى، فتباعد بين الأطراف أحياناً. وهذه التحولات السريعة انتجت خلافاً في العلاقات الدولية خاصة مع ظهور مؤسسات ومنظمات عملاقة تؤثر بقراراتها على مجرى الأحداث، وبروز مواجهات أمم قوية ضد أخرى ضعيفة لم تعد العدة لهذه المتقلبات، وهو ما يعرض اقتصادها وأمنها واستقرارها لمختلف الأخطار. وهنا تتدخل دبلوماسية الدول للتكفل عن همومها. وبصورة أخرى تتدخل السياسة للفصل في الشؤون الخاصة والعامّة للدول والمجتمعات، لأن السياسة تكون حاضرة في توجيه الأمور نحو ما يخدم المصالح، فهي أي (السياسة) "لا توضع في سلة المهملات" كما قال الجنرال ديغول في إحدى التصريحات الصحفية¹. تعتبر العولمة السياسية، أكثر الأبعاد إثارةً للجدل، وهي ترتبط أساساً بتراجع أهمية ودور الدولة، وتخليها طوعياً أو اضطرارياً عن مظاهر سيادتها وانحسارها وتشهد تغييراً في وظيفتها ودورها وموقعها وتأثيرها، في مقابل بروز مجموعة من القوى - غير الدول - العالمية والإقليمية والمحلية وبروز مراكز جديدة للقرار السياسي على الصعيد العالمي تشارك بصورة مباشرة أو غير مباشرة في السياسة العالمية. في ظل هذه التحولات نحاول الكشف عن المظاهر السياسية للعولمة، كتطبيق المبادئ التي جاءت بها الليبرالية الجديدة: مثل الحرية، والديمقراطية، السيادة، احترام حقوق الإنسان، وتأثير تطور هذه المفاهيم في زمن العولمة على المؤسسات السياسية.

معنى العولمة السياسية :

يقول **إيفان لوارد** Luard Ivan² : " إن تقلص المسافات خلق رؤية سياسية جديدة تتجاوز الرؤية القومية، فالجميع يعلمون أنهم يعيشون على كوكب صغير، ما يزال ينكمش بصورة مستمرة، لم تعد مسؤولياتهم، ولا اهتماماتهم محددة، وفقاً لخطوط رسمت بشكل

¹ - Yves Sabbagh, le libéralisme contre la mondialisation, office d'édition, imprimerie, librairie (O.E.I.L) Paris, 1999, p :57

² - هو باحث في جامعة أكسفورد و دبلوماسي و سياسي محنك مهتم بالشؤون الدولية ويعتبر من انصار العولمة

عشوائى عبر العالم، فعلى كوكب صغير جدا لم يعد لهم من خيار، إلا أنهم مواطني العالم كله".¹

يعتقد أنصار العولمة ان الدولة القومية لم تعد قادرة على تلبية جميع حاجيات الشعوب، من عدالة اجتماعية، وازدهار اقتصادي، ومحافظة على البيئة، وحماية لحقوق الإنسان، كما ان المشاكل العامة التي تمس الأفراد في كل البلدان، مثل الإرهاب والمخدرات و المجاعة، ومشكلة اللاجئين حيث أصبحت لها هيئات و سلطات تتولى محاربتها. كما ان قضية الأمن القومي تجاوزت مقدرة الدولة القطرية، على حماية مواطنيها، لأن تطور التقنيات العسكرية، ساهمت في صناعة أسلحة الدمار الشامل، التي لها القدرة على تدمير أي بقعة من الأرض. و الأمر نفسه بالنسبة الي البيئة، حيث أصبحت من اهتمام أي مواطن على الأرض، ولا تخص جهة من الجهات فقط، ولا تستطيع أي دولة ان تعمل لوحدها، من أجل مواجهة المخاطر الناجمة عنها، فالمفاعلات النووية، و انتشار الإشعاعات في الجو لا توقفه الحدود بين الدول، ومن هنا كان لزاما على الجميع تحمل المسؤولية و اتخاذ القرار المناسب اتجاه هذه القضايا العالمية.

أما عن المشكلات الكبرى كالجريمة و المخدرات و الإرهاب والكوارث القومية، فقد أصبحت كلها مشاكل عويصة وجدت الحكومات نفسها غير قادرة بمفردها على التغلب عليها². ومن هنا تعالت الاصوات الداعية الي الحاجة الى حكومة عالمية، او التنسيق العالمي لمعالجة المشاكل المشتركة ، و"قد سهرت ورشات مجموعة الكبار المعروفة (G8) بالإضافة الى المنظمات الدولية على تحضيرها"³ إذا كانت السياسة في معناها اليوناني هي " تدبير المدينة " فانه يمكن تطبيق هذا اللفظ على الدولة. و نقول ان السياسة هي "تدبير شؤون الدولة" مع ما في الدولة من وظائف أوسع و مهام اعقد من تلك التي نجدها في المدينة. و التدبير هنا يقصد به مشاركة جميع الأفراد في اتخاذ القرارات الخاصة بجميع ما في الدولة من شؤون، مثل حماية حدود الوطن، و الدفاع عن الأرض، و المياه الإقليمية، و حماية جميع خيرات الأمة مثل الثروات الاقتصادية، و الاستقلال السياسي، و التراث الثقافي. و تدبير مشاريع التنمية و المحافظة على جميع المصالح الداخلية و الخارجية.

¹ Ivan Luard , "The globalization politics the changed focus of political action in the modern world", handmells, Basingstocke , Hamchire, Macmillan 1990

² - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقرير التنمية البشرية لعام 1999 ص : 11، 12

³ Jean marie CHEVALIER, Olivier Pastré, « où va l'économie mondiale ? » Scénarios et mesures d'urgence, édition, Odile Jakob, Paris 2002, P : 41

وإذا كانت العولمة تقتضي "رفع الحواجز و الحدود أمام الشركات و المؤسسات و الشبكات الدولية لتمارس سلطتها بوسائلها الخاصة"¹ فإن العولمة تقتضي أيضا الخصوصية حيث تنزع ملكية الأمة و تنقلها إلى الخواص في الداخل أو الخارج .
انطلاقا من رؤيتنا الفلسفية المحضة يمكننا أن نتساءل بعد كل هذا : ماذا بقي للدولة من دور؟ و هل يمكن الجزم بان العولمة تنهى مهام الدولة؟

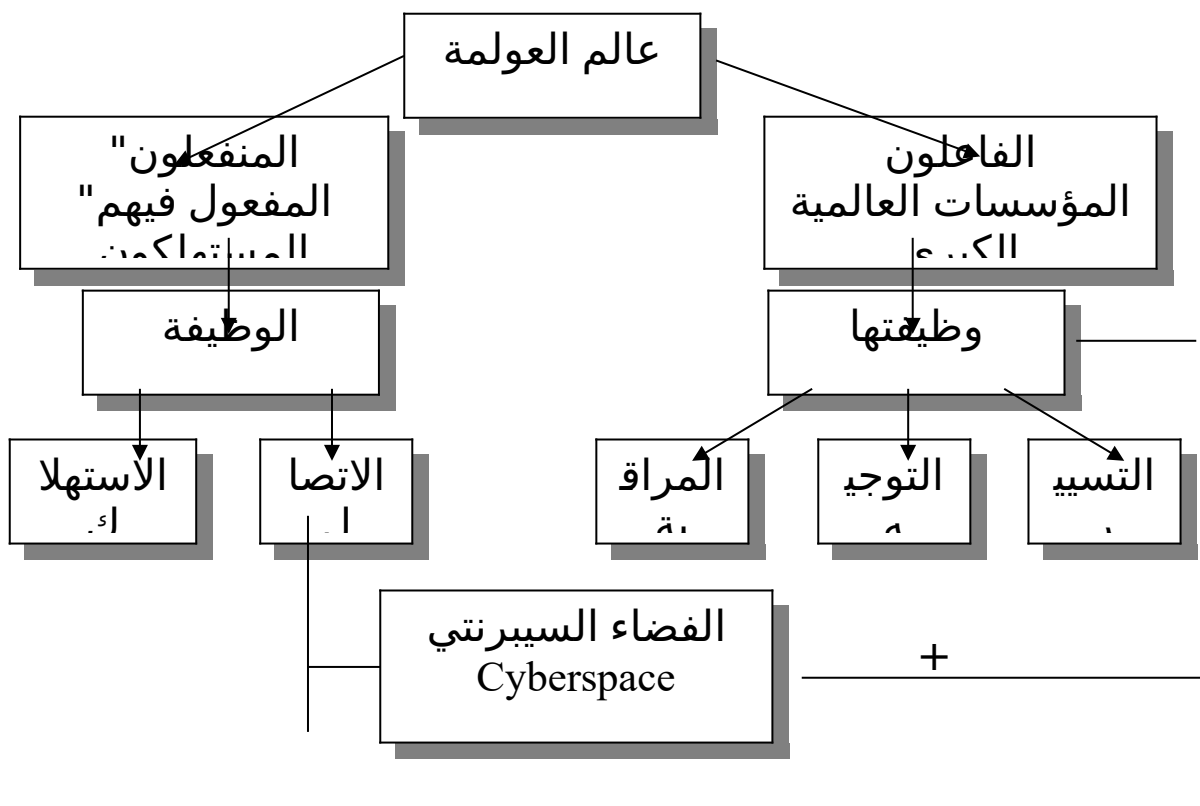
معروف أن الدولة هي أقوى تعبير في العصر الحديث عن حاجة الشعوب إلى التنظيم والأمن وتسيير مختلف الأنشطة الكبرى، غير أن بعض أدوار الدولة تقلصت كثيرا في زمن العولمة، حيث فقدت دور المراقبة و التوجيه في بعض الدول، بعدما تحولت إلى جهاز غير قادر. كما فقدت فعل الممارسة لسلطتها في مجال المال و الاقتصاد، بعد ما تسلمته منها الشركات المتعددة الجنسيات. حتى مجال الاتصال و الإعلام و الثقافة لم يعد من اختصاصاتها، فالعولمة لم تفسح للأفراد أو الأحزاب في بعض الدول حرية اختيار التوجه السياسي المرغوب فيه، و إنما تفرض طريقا واحدا و فكرا وحيدا هو الفكر الليبرالي المعبر عن فلسفة العولمة .

يرى **محمد عابد الجابري** في هذا الشأن أن العولمة تستهدف الدولة و الأمة و الوطن بعدما تفتت، و تقفز على أدوارهم. ويتضح ذلك من خلال شرحه لمصطلحي العولمة و. فإن كلمة العولمة مرتبطة بلفظ العالم و هي تعني: " نقل اختصاصات الدولة بجميع سلطاتها السياسية،الاقتصادية، الثقافية، الإعلامية الى مؤسسات عالمية"². وبعض هذه الاختصاصات قد انتزع من سلطة الدولة باسم الخصخصة التي تعني نزع ملكية الدولة و نقلها إلى الخواص، "داخليا أو خارجيا". ومن هنا فان كلا من العولمة و ربيبتها الخصخصة يستهدفان في نظر الجابري ثلاثة كيانات هي الدولة و الأمة و الوطن.
و تستبدل هذه الكيانات بركائز أخرى هي:

1. الشركات المتعددة الجنسيات و المؤسسات المالية الكبرى، مهمتها التسيير و التوجيه و المراقبة في كل مكان.
2. الأفراد في كل مكان فوق الأرض باعتبارهم مستهلكين لمنتجات العولمة. غير أن الافراد الذين هم غير مؤهلين ماديا على الاستهلاك فيجري عليهم قانون اصطفاء الأنواع.
3. الفضاء السبيرنيتي الذي لا تحده حدود جغرافية، و لا تحكمه ذاكرة التاريخ فهو وطن للجميع تصنفه شبكات الاتصال الإلكتروني كما يلي:

¹ - انظر محمد عابد الجابري ، "قضايا في الفكر المعاصر" ص: 151.

² - انظر محمد عابد الجابري ، "قضايا في الفكر المعاصر" ص: 151.



إن الاتجاه الذي يؤيد زوال الدولة بإضعاف مهامها، هو الاتجاه الذي يركز على الهيمنة الأمريكية والفرص السانحة لها في فرض سيطرتها على العالم، وفي هذا المجال يقول **"رويتكوف دفيد"**:
 "من المصلحة العامة للولايات المتحدة أن تشجع تطوير عالم يتم فيه تجاوز حدود الصدوع التي تفصل بين الأمم عبر المصالح المشتركة ومن المصلحة الاقتصادية والسياسية لأمريكا، أن العالم إذا كان يتحرك في اتجاه لغة مشتركة فإن هذه اللغة ستكون الانجليزية، وأن العالم إذا كان يتحرك في اتجاه معايير مشتركة في مجالات الاتصالات والأمان والنوعية فستكون هذه المعايير أمريكية، وأن العالم إذا

كان سيصبح مترابطا من خلال الإذاعة و التلفزيون و الموسيقى
فإن البرامج ستكون أمريكية وإذا كان يجري تطوير قيم مشتركة فإنها
ستكون فيما يرتاح له الأمريكيون"¹.
هذه الأمور ليست في رأيه مجرد طموح و إنما واقع متجسد فاللغة
الإنجليزية هي التي تربط العالم عبر شبكة الإنترنت و تكنولوجيا
المعلومات الأمريكية تسيطر على أنحاء العالم .
ولعل هذا ما يجعل بعض المهتمين يتخذ من الأمركة مرادفا
للعولمة، خاصة بعد أن أسست الحكومة الأمريكية شبكة اتصال تضم
جميع الشبكات وسمتها GNN²
أي الشبكة الكونية للشبكات.
وكإجابة على السؤال بكل وضوح فيما إذا كانت العولمة تنهي مهام
الدولة أم لا؟ فإننا نعتقد أن هذه المهام لا تنتهي وإنما الدور هو الذي
يتراجع.

إن دور الدولة في تسيير مختلف أنشطة الحياة اختلف تاريخيا من
مرحلة لأخرى تحت تأثير المدارس الاقتصادية التي عرفها الفكر
الاقتصادي، فالمدرسة التجارية التي ظهرت أفكارها في أوروبا منذ بداية
القرن الخامس عشر واستمرت حتى منتصف القرن الثامن عشر،
وطوال تلك الفترة عرفت تسيير النشاط التجاري من طرف الدولة³
التي أدارت الاقتصاد بالتركيز على التجارة، قصد تقويتها عن طريق
جمعها لأكبر كمية من المعادن الثمينة.
ويقول **جون دي سوليفان** في إحدى مقالاته: " بأن على المؤسسات
الحكومية والمنظمات الذاتية التنظيم ان تلعب أدورا أساسية في ضمان
عدالة القوانين وسرياتها على الجميع و ضمان تطبيقها وشفافية العملية.
على مجتمع الأعمال بدوره أيضا وذلك من خلال القضاء على الفساد
المدمر للنمو الاقتصادي ولجهود تخفيض مستوى الفقر"⁴.

ويضيف: "ان وضع العلاقات بين الدوائر الحكومية والمؤسسات
التجارية والمجتمع المدني ومؤسسات السوق في مسارها الصحيح أمر
حيوي. يجب ان تسعى برامج المساعدات الأجنبية التي تديرها الدول
المانحة والمؤسسات المالية الدولية إلى تحقيق أهداف ملموسة مثل:

¹ - دفيد روبيتكوف- في مديح الثقافة الأمريكية، ترجمة احمد خضر، مجلة الثقافة العالمية 85
عدد 1997 ص32

² (Global Network of Networks)

³ - فتحي ابو الفضل "التجارة الخارجية" ، القاهرة ، دار الحقوق للنشر، 1991، ص: 10.

⁴ جون دي. سوليفان "الديمقراطية ونظام الحكم والأسواق المفتوحة" ، مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة
الالكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية ، سبتمبر 2001 . <http://usinfo/state/gov/journals>

- تشجيع تطور القوانين والمؤسسات الضرورية لاقتصاديات مفتوحة موجهة إلى السوق بضمنها القوانين التي تُغطي حقوق الملكية، ومنع الاحتكارات
- زيادة مساهمة المواطنين في العملية الديمقراطية من خلال السماح لمجموعات الأعمال وفئات أخرى من المجتمع المدني بالمساهمة في عملية صنع القرار يوماً بيوم.
- إنشاء أنظمة مفتوحة لتزويد الآراء للحكومة بما في ذلك جلسات استماع حول قوانين، وهيئات لمراجعة التنظيمات، وهيئات استشارية من قبل المواطنين وأقنية اتصال أخرى بين المجتمع والدولة.
- دعم منظمات التطوع الخاصة وضمان حرية إنشاء الجمعيات.
- بناء الدعم والتفهم للحقوق، وللحريات، والواجبات الضرورية لإقامة نظام ديمقراطي يقوم على المبادرة الاقتصادية الخاصة.
- تعزيز ثقافة المبادرة الاقتصادية من خلال حوافز للابتكار والتوفير، والاستثمار، وإطلاق مؤسسات جديدة للأعمال.
- تسهيل أنظمة الالتزام بالقوانين لتمكين مشاريع الأعمال الكبرى والصغرى من الانضمام إلى الاتجاه العام القانوني أو الرسمي، والاقتصادي في المجتمع.
- توسيع إمكانيات الحصول على المعلومات التجارية والاقتصادية الضرورية لتمكين جميع فئات المجتمع المدني من اتخاذ القرارات القائمة على معلومات صحيحة.¹

أما **المدرسة الطبيعية** فقد تغير الأمر معها، فقد دعا روادها إلى عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وانحصر دورها في الدفاع والأمن الداخلي والخارجي. كانت الفكرة الرئيسية لدى الطبيعيين هي الاعتماد على فكرة القانون الطبيعي، مع التركيز على المذهب الفردي، الذي دعا إليه فلاسفة كبار: "**جون لوك**" و"**دافيد هيوم**" و"**فولتير**" و"**جون جاك روسو**".

أما **المدرسة الكلاسيكية** التي جاءت فيما بعد فقد شددت على عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، بل اعتبرت تدخلها مضر بالافراد، وحصر دورها في الدفاع وتحقيق الأمن وحراسة الوطن. وخلافاً لما سبق دعت الاشتراكية إلى التدخل الكامل في تسيير النشاط الاقتصادي، بتنظيم العمل وتحديد الأثمان، والتخطيط للاقتصاد، وتملك وسائل الإنتاج....

لقد كانت الدولة في عصر ما قبل الرأسمالية تتدخل في تنظيم الاقتصاد القومي، بتوحيد السوق، وإزالة العقبات أمام انتقال السلع من مكان

¹ جون دي. سوليفان "الديمقراطية ونظام الحكم والأسواق المفتوحة"، مجلة مواقف اقتصادية، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001. <http://usinfo/state/gov/journals>

لآخر، وربط شبكة الطرق مع بعضها تسهила لعملية انتقال البضائع، كما "كانت تتدخل حتى في عمليات الإنتاج من حيث تحديد مواصفاته"¹، بينما مع مجيء الثورة الصناعية تراجع هذا الدور لصالح أرباب العمل، و أصحاب المؤسسات تحت شعار "دعه يمر اتركه يعمل". وبذلك أسست الرأسمالية نشاطها الاقتصادي على الحرية، على كل المستويات الاقتصادية. على الرغم من وجود من يعارض أطروحة العولمة كعائق للدولة وها هو **ميشال غلوك** يقول : "...مع ذلك لا تعمل العولمة على خلق عالم موحد فهي ليست مرادفاً لتعبير عالم واحد بل هي تتجه أكثر فأكثر إلى خلق نظام متشابك لعوالم متصلة، أي مرتبطة فيما بينها."² ولكن ظل دور الدولة قائماً تتدخل من حين لآخر خاصة لما يتعلق الأمر بمصالح الطبقة المسيطرة ومن هنا يمكن القول أن وظيفة الدولة قد تحولت من الحفاظ على مصالح الشعب إلى الحفاظ على مصالح الطبقة المهيمنة وسار الأمر على هذه الحال إلى غاية وصولها إلى ما يعرف "**بالدولة الرخوة**"³ التي أرخت قبضتها شيئاً فشيئاً، وتنازلت عن تسيير وتنظيم النشاط الاقتصادي لصالح الشركات المتعددة الجنسيات. وتسعى الدول لبيع شركاتها ومشروعاتها إلى الشركات العالمية الكبرى. باسم الخصخصة كما يتضح الآن في كثير من الدول التي تحاول أن تكيف سياستها مع سياسة الأقوياء. فأمريكا تسيطر اقتصادياً وسياسياً وتفرض على الدول شروطاً ومقاييس أمريكية على الدول الأخرى لكي تتكيف مع سياستها،⁴ سواء رضيت أم لم ترضى. خلاصة الأمر أن الدولة قد غيرت من وظيفتها وأصبحت خاضعة لهيمنة الشركات المتعددة الجنسيات التي جعلت الكرة الأرضية كلها سوقاً اقتصادية واتخذت من الدول أداة من أدوات الإمبريالية. إننا نرى بان الحديث عن دور الدولة في ظل العولمة يمكن تناوله في صورتين :

- 1- إن دور الدولة الوطنية في ظل الأنظمة الليبرالية " المعولمة " لا يزال واضحاً ولا زالت أداة سياسية وعسكرية فالدولة هي المالكة للقوات المسلحة وهي التي تحمي مصالحها في كل مكان وهي - أي الدولة - وأن تركت مجال الإنتاج للأفراد والمؤسسات فإنها لا زالت تسيير الحياة الاقتصادية وواقعها في المجتمعات الأوربية فآلمانيا مثلاً مازالت تحكم أغلب الصناعات وتسيطر الدولة على

¹ - جلال أمين، "العولمة والدولة"، ص: 67.

² - ميشال غلوك، "أربعة أطروحات حول عولمة أمريكا"، مجلة الثقافة العالمية، 85 عدد 1997، ص: 56.

³ - اسم استخدمه **غنار هيردال** في أواخر الستينات للتعبير عن الدولة التي تغير من سياستها وتقوم بمهام اقتصادية لصالح المؤسسات المالية الكبرى.

⁴ George Soros , « guide critique de la mondialisation », traduit de l'anglais par Fortunato Israel, édition Plon, Paris, 2002, p : 173

أغلب القطاعات وفي الوقت نفسه تسيطر فرنسا على قطاعات كبرى كالنقل والصحة .

يقول **جون دي. سوليفان**¹ : "ليست هناك حقيقة تؤكد الاعتقاد بأن الأسواق الحرة سوف تظهر تلقائياً إذا توقفت الحكومة عن التدخل في مسار الاقتصاد² من هنا فإن الذين يروجون لشعار نهاية الدولة الوطنية، على أساس انقضاء دورها يغالون كثيراً .
(2)-الدولة الوطنية في البلدان النامية " **المعولمة** " بحكم خضوعها للقوى المهيمنة، فإن دور الدولة يضعف ويصبح الأمر أشبه ببلديات موزعة عبر العالم تحكمها دوائر قوية السلطة تفرض مواقفها على أفراد المجتمع. ولنا أن نتساءل الآن عن مكانة المواطن في عصر العولمة.

ترتبط كلمة مواطن بالوطن، وهذه الكلمة لا تعبر عن المعنى الذي تؤديه كلمتا "Citoyen" " الفرنسية أو "Citizen" " الإنجليزية اللتان تحيلان إلى المدينة، والفرق واضح فالوطن "أرض و حدود" بينما المدينة تضم جميع الأفراد الذين لهم الحق في تسير المدينة، وتدير شؤونها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فالعولمة إذا كانت لا تعترف بالوطن فإنها بدون شك لا تعترف بالمواطن ولا بحقوقه في الانتخاب أو المراقبة أو التنسيق أو أي تأثير فعلي في مجرى أمور الدولة. الحق الوحيد الذي تبقى له هو حق الاتصال، ومن ثم جاء استبدال الجابري للفظ " **سيتويان** " بـ " **نيتويان** " ³ "Netoyen" نسبة إلى نيت، من كلمة إنترنت حيث اتصال الأفراد مع غيرهم بواسطة شبكة المعلومات العالمية.

وإذا كان هذا هو رأي الفريق الذي تأثر بتيار العولمة الجارف فإن هناك فريقاً آخر يقف موقفاً مخالفاً، فمنهم من يرى بأن العولمة لا تؤثر كثيراً على سيادة الدول ومن المعارضين لأطروحة العولمة وتوحيد العالم نجد " **ميشال كلوغ** " الذي كتب قائلاً "مع ذلك لا تعمل العولمة على خلق عالم موحد فهي ليست مرادفاً لتعبير عالم واحد بل هي تتجه أكثر فأكثر إلى خلق نظام متشابك لعوالم متصلة أي مرتبطة فيما بينها " ⁴.

¹ جون دي. سوليفان، المدير التنفيذي، المركز الدولي للمؤسسات التجارية الخاصة
² جون دي. سوليفان "الديمقراطية ونظام الحكم والأسواق المفتوحة"، مجلة مواقف اقتصادية، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001. <http://usinfo/state/gov/journals>

³ - انظر محمد عابد الجابري، "قضايا في الفكر المعاصر"، ص: 148.
⁴ - انظر علي خليفة الكوري، " مفهوم الديمقراطية المعاصرة"، سلسلة كتب المستقبل العربي
19 المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ص: 11.

كما أن جميع التنبؤات التي قيلت بشأن زوال الدولة يزوال مهامها قد بين التاريخ فسادها، وقد سبق كارل ماركس أن تنبأ في القرن 19 بزوالها، لكن لم يحدث هذا الأمر.

يتحدث البعض عن عصر العولمة على أنه عصر الديمقراطية فما العلاقة بينهما؟

العولمة و الديمقراطية:

قبل التعرض إلى علاقة العولمة بالديمقراطية، لابد من الإشارة إلى الاختلافات البارزة بشأن مفهوم الديمقراطية، على الرغم من الاتفاق في كثير من الأحيان على أنها أي الديمقراطية هي الحل الوحيد لجميع المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.¹ فإن هناك اختلافاً واضحاً في فهم معنى الديمقراطية وفي كيفية تطبيقها وسواء انحصر هذا الاختلاف بين رؤية الدولة للمجتمع أو العكس، أو تجلّى هذا الاختلاف عند ممارسة الفعل الديمقراطي من طرف التيارات السياسية على تنوعها كما في البلدان العربية (التيار الإسلامي، التيار القومي، التيار الاجتماعي اليساري، التيار الليبرالي....) فإن بروز مظاهر هذا الاختلاف حول مفهوم الديمقراطية هو الاختلاف حول ماهيته² فهل هي عقيدة أم منهج؟ وهل هي عقيدة تنازع العقائد الأخرى، أم هي منهج يقتضيه التعايش السلمي بين الأفراد؟ وهل تفهم الديمقراطية على أنها ممارسة مطلقة غير مقيدة بالقانون أو القيم؟ أم تفهم على أنها ممارسة مقيدة بالشرائع التي يعتنقها الأفراد؟

في عصر العولمة يطرح سؤال آخر: هو هل العولمة و الديمقراطية هما وجهان من أوجه خدمة الليبرالية و تحقيق مصالحها الرأسمالية؟ إن الديمقراطية في نظرنا هي منهج تقتضيه ضرورات الحياة يعتمد على مبادئ و مؤسسات تحقق بها الدولة مصالح الشعب، وخاصة استقراره الاقتصادي والسياسي، وفي هذا الإطار يقول احد المهتمين: "لقد أظهر التاريخ المعاصر أن الدول التي تتمتع بأنظمة ديمقراطية مستندة إلى السوق، مجهزة تماماً للاستجابة لتحديات العولمة. وقد أثبتت ثلاثة مظاهر للديمقراطية بأنها حاسمة للتطور الاقتصادي والاجتماعي الطويل الأمد، وهي: 1- أن نظاما ديمقراطيا مستقرا هو أفضل ضامن للاستقرار السياسي الضروري للنمو الاقتصادي الطويل الأجل.

¹ - « peut-on exporter la démocratie ? », colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international -9- 03- 2006 CERI Paris

² Robert A Dahl, "Democracy and its critics", New haven, Yale university, press, 1989.p : 6.

2- إن الممارسات الديمقراطية كالشفافية والمحاسبة هي ضرورية لإقامة حكم فعال وسريع الاستجابة.

3 - ضرورة وجود مجموعات قانونية تنظيمية يدعمها حكم القانون لتمكين المؤسسات التجارية من الازدهار في اقتصاد السوق.¹

ان هناك مواقف تربط الديمقراطية بالنهج الذي تمارسه بعض الدول الكبرى اتجاه الشعوب الأخرى، وفي هذا الإطار تحدث **فوكوياما** عن نسبة نجاح الديمقراطية الأمريكية فقال: "إن معظم الدول التي تدخلت فيه أمريكا تحسن مستوى تطبيق الديمقراطية فيها"² ونحن نختلف معه في هذا الموقف إذ أننا نرى أن الدول التي تدخلت فيها أمريكا قد ساءت أوضاعها كثيرا كما هو الحال في العراق وأفغانستان والصومال.

لقد افرز التدخل الأجنبي في العراق صورة سلبية في نظر أكثرية سكان العالم بما في ذلك العالم الأوربي، و تقول إحصائيات عام 2006 ان هناك نسبة 70% تصف سياسة بوش بالسلبية وتذكر نفس الإحصائيات ان 5% من الأوربيين يرون في الحل العسكري وسيلة لفك لغز النووي الإيراني بينما يرى 95% انه لا بديل عن الحل الدبلوماسي.³

إن الديمقراطية كما نجد تعريفها في التراث الإغريقي " **تعني حكم الشعب** " و هو تعريف مثالي في نظرنا لأنه لم يتحقق في التاريخ، و لا يمكنه أن يتحقق في المستقبل لأنه حتى في الدول الأكثر تقدما في مجال الديمقراطية لم يتحقق حكم الشعب بصورة كلية، فلا يخل مجتمع من المعارضة لكن الحد الأدنى الذي اكتسبته الدول المسماة ديمقراطية هو حكم الكثرة⁴ الذي يسعى إلي الاقتراب من حكم الشعب، و هذا بفضل نشر الثقافة الديمقراطية، و اتساع دائرة المشاركة السياسية في صناعة القرار، و سعي المؤسسات من أجل تنمية المجتمع علي كل الأصعدة. ومن هنا يتباين التجسيد الحقيقي للديمقراطية فهي في أوروبا

¹ جون دي. سوليفان "الديمقراطية ونظام الحكم والأسواق المفتوحة"، مجلة مواقف اقتصادية، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001. <http://usinfo/state/gov/journals>

² Francis Fukuyama, (Pierre Rosanvallon - Jacques Rupnik- Basma Kodmani-) peut-on exporter la démocratie ? Colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international -9- 03- 2006, CERI, Paris.

³ Nicole gnesotto , (Christophe Bertram - Andrew Arato - Ghassan Salamé) Agir, entre solidarités et conflits. Colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international. 9- 03- 2006, CERI, Paris.

⁴ - بمعنى انه لا توجد دولة ما اتفق جميع أفرادها على نظام سياسي واحد (Polyarchy).

الغربية أكثر تطوراً من أوروبا الشرقية¹ لان الديمقراطية لا تعني الفوز بالانتخابات بطريقة حقيقية لا تزوير فيها فقط، بل تعني أيضاً بناء مؤسسات ديمقراطية داخل الدولة.²

من زاوية أخرى فإن الديمقراطية بوصفها ممارسة دستورية ليست مطلقة، بل لابد أن تقيد بدستور تتقبله كل القوى الفاعلة، و تحتكم اليه بشرط أن يراعي هذا الدستور المبادئ الديمقراطية، مثل مبدأ المساواة السياسية الذي أقره الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، و أقرته الأديان السماوية من قبل، و مبدأ المواطنة و مبدأ الحرية بجميع أبعادها و مبدأ تداول السلطة، و مبدأ ضمان الحقوق المتنوعة . بالإضافة إلى كل هذا فإننا نرى ان الديمقراطية التي تحاول العولمة تصديرها إلى كل الشعوب هي ديمقراطية تتفق ومصالح الدول القوية الصانعة لأحداث العالم.

والخلاصة أن الديمقراطية لها تعريفات حركية وليست ثابتة وأول صورة للديمقراطية هي الخروج من الدكتاتورية أما الصورة الثانية فهي بناء الديمقراطية³

العولمة وحقوق الانسان:

لم يرتبط الحديث عن حقوق الإنسان مع مفهوم آخر في أي زمن كالارتباط الذي حصل مع مفهوم العولمة. وقد يكون الترويج للعولمة وراء الادعاء أنها حامية لحقوق الإنسان. لقد دعمت العولمة هذه الحقوق بدرجة كبيرة و لعل الأسباب التي تكمن وراء ذلك هي:

1. التطور الحاصل على المستوى التكنولوجي حيث أدى انتقال المعلومات من شخص الى آخر عبر الإنترنت إلى انتقال أخبار الانتهاكات في كل مكان تقع فيه، مما جعل الناس أمام سمع و مرأى من بعضهم البعض، و لم تعد الأسوار الحديدية القديمة قادرة على إخفاء ما يقع للأفراد في دولهم، لان الثورة التي حدثت في عالم الاتصال قد كسرت هذه الأسوار.

¹ Francis Fukuyama, (Pierre Rosanvallon - Jacques Rupnik- Basma Kodmani-) peut-on exporter la démocratie ? Colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international -9- 03- 2006 CERI, Paris.

² Jacques Rupnik, (Pierre Rosanvallon - - Basma Kodmani- Francis Fukuyama) peut-on exporter la démocratie ? Colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international -9- 03- 2006, CERI, Paris.

³ Pierre Rosanvallon , (Francis Fukuyama - Jacques Rupnik- Basma Kodmani-) peut-on exporter la démocratie ? Colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international -9- 03- 2006, CERI, Paris.

2. كما أن حقوق الإنسان بلغت مستوى متقدم بفضل تشابك مجموعة من المنظمات و الجمعيات المدافعة عن حقوق الإنسان، و التي تعمل علي مواجهة الانتهاكات المحلية و مساندة الإنسان حيثما كان. غير أن الملاحظ علي هذه الجمعيات و المنظمات تدعم من قبل الشعوب التي تقدمت ديمقراطيا. في حين هناك حكومات ترفض دعم هذه المنظمات و قد تعمل على ملاحقة النشطين فيها.

3. كما أن المؤسسات الاقتصادية أصبحت اليوم تربط بين الجانب الاقتصادي و بين قيم الديمقراطية، و حقوق الإنسان، فالتعامل مع هذه المؤسسات كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي يقتضي الربط بين المساعدات التي تقدمها و بين سجل حقوق الإنسان، و التحول الديمقراطي في هذه البلدان النامية.

والآن نطرح الأسئلة الآتية:

كيف طرحت العولمة موضوع حماية حقوق الإنسان و ماهي أبعاد هذه الحماية؟ ولماذا وضع هذه الإعلان؟ وماهي أبعاد عالميته؟ وماهي الأحداث والأنساق التاريخية لهذا الإعلان؟ وهل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هو النموذج الأمثل الذي ينبغي على كل الشعوب أن تتبع مبادئه؟.

قبل التعليق على هذا الإعلان لا بد من نشر مواده الثلاثين¹ لنرى ما تنطوي عليه هذه المواد من معطيات. وبعدها نعلق بالتحليل والنقد.

المادة 1: يولد جميع الناس أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضا بروح الإخاء.

المادة 2: لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسيا وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر. فضلا عن ذلك لا يجوز التمييز علي أساس الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو الإقليم الذي ينتمي إليه الشخص، سواء أكان مستقلا موضوعا تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أم خاضعا لأي قيد آخر علي سيادته.

المادة 3: لكل فرد حق في الحياة والحرية وفي الأمان على شخصه.

المادة 4: لا يجوز استرقاق أحد أو استعباده، ويحظر الرق والاتجار بالرقيق بجميع صورهما.

المادة 5: لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة.

المادة 6: لكل إنسان، في كل مكان، الحق بأن يعترف له بالشخصية القانونية.

¹ إعلان حقوق الانسان العالمي أقرته الامم المتحدة في 10 ديسمبر 1948 .
www.un.org/arabic/aboutun/humanr.htm

المادة 7: الناس جميعا سواء أمام القانون، وهم يتساوون في حق التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حق التمتع بالحماية من أي تمييز ينتهك هذا الإعلان ومن أي تحريض على مثل هذا التمييز.

المادة 8: لكل شخص حق اللجوء إلى المحاكم الوطنية المختصة لإنصافه الفعلي من أية أعمال تنتهك الحقوق الأساسية التي يمنحها إياه الدستور أو القانون.

المادة 9: لا يجوز اعتقال أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفا.

المادة 10: لكل إنسان، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، الحق في أن تنظر في قضيته محكمة مستقلة ومحايدة، نظرا منصفا وعلنيا، للفصل في حقوقه والتزاماته وفي أية تهمة جزائية توجه إليه.

المادة 11:

1- كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئا إلى أن يثبت ارتكابه لها قانونا في محاكمة علنية تكون قد وفرت له فيها جميع الضمانات اللازمة للدفاع عن نفسه.

2- لا يدان أي شخص بجريمة بسبب أي عمل أو امتناع عن عمل لم يكن في حينه يشكل جرما بمقتضى القانون الوطني أو الدولي، كما لا توقع عليه أية عقوبة أشد من تلك التي كانت سارية في الوقت الذي ارتكب فيه الفعل الجرمي.

المادة 12: لا يجوز تعريض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو في شؤون أسرته أو مسكنه أو مراسلاته، ولا لحملات تمس شرفه وسمعته. ولكل شخص الحق في أن يحميه القانون من مثل ذلك التدخل أو تلك الحملات.

المادة 13:

1- لكل فرد حق في حرية التنقل وفي اختيار محل إقامته داخل حدود الدولة.

2- لكل فرد حق في مغادرة أي بلد، بما في ذلك بلده، وفي العودة إلى بلده.

المادة 14:

1- لكل فرد حق التماس ملجأ في بلدان أخرى والتمتع به خلاصا من الاضطهاد.

2- لا يمكن التذرع بهذا الحق إذا كانت هناك ملاحقة ناشئة بالفعل عن جريمة غير سياسية أو عن أعمال تناقض مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 15:

1- لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

2- لا يجوز، تعسفا، حرمان أي شخص من جنسيته ولا من حقه في تغيير جنسيته.

المادة 16:

1- للرجل والمرأة، متى أدركا سن البلوغ، حق الزواج وتأسيس أسرة، دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدين. وهما متساويان في الحقوق لدى الزواج وخلال قيام الزواج ولدى انحلاله.

2- لا يعقد الزواج إلا برضا الطرفين المزمع زواجهما رضاء كاملا لا إكراه فيه.

3- الأسرة هي الخلية الطبيعية والأساسية في المجتمع، ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة 17:

1- لكل فرد حق في التملك، بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.

2- لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا.

المادة 18:

لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حرته في تغيير دينه أو معتقده، وحرته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة، وأمام الملأ أو على حده.

المادة 19:

لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرته في اعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين، بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود.

المادة 20:

- 1- لكل شخص حق في حرية الاشتراك في الاجتماعات والجمعيات السلمية.
- 2- لا يجوز إرغام أحد على الانتماء إلى جمعية ما.

المادة 21:

- 1- لكل شخص حق المشاركة في إدارة الشؤون العامة لبلده، إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون في حرية.
- 2- لكل شخص، بالتساوي مع الآخرين، حق تقلد الوظائف العامة في بلده.
- 3- إرادة الشعب هي مناط سلطة الحكم، ويجب أن تتجلى هذه الإرادة من خلال انتخابات نزيهة تجري دوريا بالاقتراع العام وعلى قدم المساواة بين الناخبين وبالتصويت السري أو بإجراء مكافئ من حيث ضمان حرية التصويت.

المادة 22:

لكل شخص، بوصفه عضواً في المجتمع، حق في الضمان الاجتماعي، ومن حقه أن توفر له، من خلال المجهود القومي والتعاون الدولي، وبما يتفق مع هيكل كل دولة ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي لا غنى عنها لكرامته ولتنامي شخصيته في حرية.

المادة 23:

- 1- لكل شخص حق العمل، وفي حرية اختيار عمله، وفي شروط عمل عادلة ومرضية، وفي الحماية من البطالة.
- 2- لجميع الأفراد، دون أي تمييز، الحق في أجر متساو على العمل المتساوي.
- 3- لكل فرد يعمل حق في مكافأة عادلة ومرضية تكفل له ولأسرته عيشة لائقة بالكرامة البشرية، وتستكمل، عند الاقتضاء، بوسائل أخرى للحماية الاجتماعية.
- 4- لكل شخص حق إنشاء النقابات مع آخرين والانضمام إليها من أجل حماية مصالحه.

المادة 24: لكل شخص حق في الراحة وأوقات الفراغ، وخصوصاً في تحديد معقول لساعات العمل وفي إجازات دورية مأجورة.

المادة 25: لكل شخص حق في مستوى معيشة يكفى لضمان الصحة والرفاهة له ولأسرته، وخاصة على صعيد المأكل والملبس والسكن والعناية الطبية وصعيد الخدمات الاجتماعية الضرورية، وله الحق في ما يأمين به الغوائل في حالات البطالة أو المرض أو العجز أو الترميل أو الشيخوخة أو غير ذلك من الظروف الخارجة عن إرادته والتي تفقده أسباب عيشه.

للأمومة والطفولة حق في رعاية ومساعدة خاصتين. ولجميع الأطفال حق التمتع بذات الحماية الاجتماعية سواء ولدوا في إطار الزواج أو خارج هذا الإطار.

المادة 26:

- 1- لكل شخص حق في التعليم. ويجب أن يوفر التعليم مجاناً، على الأقل في مرحلتيه الابتدائية والأساسية. ويكون التعليم الابتدائي إلزامياً. ويكون التعليم الفني والمهني متاحاً للعموم. ويكون التعليم العالي متاحاً للجميع تبعاً لكفاءتهم.
- 2- يجب أن يستهدف التعليم التنمية الكاملة لشخصية الإنسان وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية. كما يجب أن يعزز التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية، وأن يؤيد الأنشطة التي تضطلع بها الأمم المتحدة لحفظ السلام.
- 3- للآباء، على سبيل الأولوية، حق اختيار نوع التعليم الذي يعطى لأولادهم.

المادة 27:

- 1- لكل شخص حق المشاركة الحرة في حياة المجتمع الثقافية، وفي الاستمتاع بالفنون، والإسهام في التقدم العلمي وفي الفوائد التي تنجم عنه.
- 2- لكل شخص حق في حماية المصالح المعنوية والمادية المترتبة على أي إنتاج علمي أو أدبي أو فني من صنعه.

المادة 28: لكل فرد حق التمتع بنظام اجتماعي ودولي يمكن أن تتحقق في ظلّه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحققاً تاماً.

المادة 29:

- 1- على كل فرد واجبات إزاء الجماعة، التي يعيش فيها والتي تساعد على نمو شخصيته النمو الحر الكامل.
2. لا يخضع أي فرد، في ممارسة حقوقه وحرياته، إلا للقيود التي يقرها القانون مستهدفاً منها، حصراً، ضمان الاعتراف الواجب بحقوق وحريات الآخرين واحترامها، والوفاء بالعدل من مقتضيات الفضيلة والنظام العام ورفاه الجميع في مجتمع ديمقراطي.
3. لا يجوز في أي حال أن تمارس هذه الحقوق على نحو يناقض مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 30: ليس في هذا الإعلان أي نص يجوز تأويله على نحو يفيد انطواءه على تخويل أية دولة أو جماعة، أو أي فرد، أي حق في القيام بأي نشاط أو بأي فعل يهدف إلى هدم أي من الحقوق والحريات المنصوص عليها فيه. هذه هي المواد الثلاثين لميثاق حقوق الإنسان تم الإعلان عنها من حيث المبدأ لعدة أسباب نذكر منها مايلي:

- اتصاف الأسرة البشرية بعناصر مشتركة ، وتساو في الحقوق، والكرامة المتأصلة هو ما يشكل أساس الحرية والعدل والسلام في العالم اجمع.
- ان الحروب التي دمرت البلاد والعباد تاريخياً تجاهلت حقوق الإنسان ولم تعر لها أي اهتمام.
- ضرورة أن تتمتع حقوق الإنسان بحماية النظام القانوني العام مع تنمية العلاقات الودية بين الأمم من اجل ضرورة تحسين مستويات الحياة لدى البشر.

-تركيز التعاون مع الأمم المتحدة على ضمان تعزيز احترام حقوق الإنسان ورعاية حرياته الأساسية.

غير أننا نتساءل هل هذا التوجه (تعزيز الديمقراطية و احترام حقوق الإنسان وضمان الحريات وحماية هذه الحقوق) و هو توجه افرزه النظام الدولي الجديد؟ هل يطبق علي جميع الأفراد و في كل مكان وفي كل الحالات أم أن هناك دولا قوية تعمل بمعايير مزدوجة في مواجهة قضايا حقوق الإنسان ؟

إن الحديث عن حقوق الإنسان يجعلنا نتصور عالما مثاليا تسود فيه القيم الأخلاقية من إخاء و تعاون و تحقيق مصالح الجميع بما يخدم الإنسان في حياته. و يصبح الفرد قريبا من أخيه يشعر بالامه و يدرك حقيقة ظروفه لكن السؤال الذي نطرحه على أنفسنا هو هل تحقق هذا العالم بهذه المواصفات على الواقع ؟ وقبل ذلك نتساءل عن الخلفية الحضارية لهذا التقارب ؟ وما هو الأساس المبتكر لهذه الحقوق؟ وما هي الظروف التي كانت سائدة عند صياغة هذه الحقوق؟ وما هي دوافع وأهداف وضع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ؟

قد يلاحظ على الإنسان أنه قد أصبح يتمتع بكثير من الحقوق المدنية و السياسية والاقتصادية. كالحق في الحياة ، و حق الانتخاب. و الحق في العمل ، و الحق في التعليم و العلاج. و الحق في الضمان الاجتماعي ... لكن استعراض المبادئ الحقوقية التي حوتها النصوص المتعلقة بهذه الحقوق،¹ واكتشاف الأسس العقائدية والاجتماعية المولدة لها. سواء تعلق الأمر بإعلان حقوق الإنسان العالمي الذي أقرته الأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1948، أو ذلك الذي أقرته الجمعية التأسيسية للثورة الفرنسية، في 26 أوت 1789، يفضي بنا إلى القول أنها لم تكن حدثا تاريخيا منفصلا عن طبيعة التحولات والأحداث التاريخية التي مرت بها الدول الغربية الحديثة، ولعل من بين هذه التحولات تغيير النظرة الأساسية لمفهوم الإنسان في الفكر الغربي كقضية إنسانية

¹ إن مفهوم حقوق الإنسان ليس مفهوما جامدا بل هو مفهوم حركي تاريخي يتطور مع تطور المجتمع وهو مفهوم كثيرا ما يرتدي غطاءا سياسيا أو ايدولوجيا وقد شهد هذا المفهوم تطورا على مستويين

الأول :المستوى المؤسساتي ويتمثل في توالي مواثيق حقوق الإنسان خاصة بعد الحرب العالمية الثانية من ذلك العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية وآخر متعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وإعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة بتاريخ 13 ديسمبر 1968 واتفاقية مناهضة العنصرية واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في 18 ديسمبر 1979 بالإضافة إلى اتفاقية متعلقة بحقوق الطفل .

الثاني :المستوى العملي والمقصود به الشروط التاريخية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يركز عليها التطور الفعلي لحقوق الإنسان . ويقسم احد أعضاء منظمة أطاك تاريخ هذا التطور بمرحلتين هما مرحلة الاستقرار والتوسع 1945-1975 ثم مرحلة الليبرالية وتمتد من 1975 إلى اليوم. انظر عبد اللطيف ، العولمة وحقوق الإنسان ، مجلة المناضل ، عدد 5 ، مارس 2005

عالمية متحررة من القيود الدينية والسياسية، وهذا ما يضيف على إعلان حقوق الإنسان المعاصر بعداً تحررياً يلامس عن قرب هموم وطموحات الإنسان المعاصر المثقل بمخلفات الحرب العالمية الثانية¹. وما أرسته السلطات الدينية في العصور الوسطى من تصورات ومفاهيم دينية.

من القضايا التي تفرض نفسها في هذا الإعلان الذي يؤكد فردية هذه الحقوق فكرة عالمية هذه الحقوق حيث أصبحت اليوم ذات صبغة عالمية تتجاوز المطالبة بها حدود الدول لتبلغ جميع أنحاء الكرة الأرضية².

هل هذه الحقوق طبيعية في كل المجتمعات والثقافات أم هي إفراز لتجارب مرتبطة بالمجتمعات الغربية؟ لا شك أن الاحتياجات الإنسانية تختلف من حضارة إلى أخرى، وليست كل الاحتياجات حقوقاً، ما لم تتوصل الجماعة المعنية إلى إجماع على أنها حقوق. أما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فإنه يحمل سمات وخصائص الحضارة الغربية، وإذا كان ذلك يناسب الغرب فليس معنى هذا أنه يناسب بقية شعوب العالم.

تعود جذور المعالجة الغربية لحقوق الإنسان إلى القرن السابع عشر³ وفي ذلك الوقت نشرت فيه أعمال **لوك**⁴ **رسالتين من الحكومة** "T he treatise of government" 1689.

يرى **لوك** حسب **جاك دونللي**: "أن الرجال يكونون طبيعياً في حالة "حرية كاملة" وفي حالة مساواة، وأن لكل شخص حقوق طبيعية في الحرية والمساواة، ولكن هذه الحالة الطبيعية ليست ترخيصاً. إن لحالة الطبيعة هذه قانون الطبيعة الذي يحكمها، والذي يلزم كل فرد، والمنطق الذي هو ذلك القانون يعلم كل البشرية ونظراً لكون الجميع متساوين ومستقلين، فلا ينبغي على أي فرد أن يؤذي فرداً آخر في حياته وصحته وحرية وممتلكاته"⁵.

أي أن كل الناس في الحالة الطبيعية لهم حق طبيعي في تنفيذ قانون الطبيعة. ونتيجة لذلك فإن لكل فرد الحق في حماية حقوقه الطبيعية من خلال المساعدة الذاتية الفردية والجماعية. ويضيف جاك دونللي: "ولكن الانحياز ورداءة الطبع، والعاطفة والانتقام، تقود إلى الانتهاكات في تنفيذ القانون الطبيعي وينجم عن هذه الانتهاكات، فوضى واضطراب يولدان رغبة في تكوين المجتمع المدني

¹ خلفت هذه الحرب دماراً وخراباً كبيرين وتسببت في تشريد عشرات الملايين من الأشخاص، وموت الآلاف من الأطفال، فضلاً عن الكبار.

² Daniël Lochak, les droits de l'homme 1^{er} édition, la découverte, Paris, 2005, P:46

³ - جاك دونللي، "حقوق الإنسان العالمية بين النظرية والتطبيق"، ترجمة مبارك علي عثمان، مكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998، ص: 114.

⁴ - جون لوك: فيلسوف إنجليزي 1632/1704.

⁵

والحكومة كعلاج للعقبات الناجمة عن حالة الطبيعة".¹ وهو ما يعني ان العقبات التي تحول دون تنفيذ القانون الطبيعي هي تلك الصفات السلبية الملازمة للإنسان في الحالة الطبيعية وهي الدافعة نحو التغيير بواسطة النظام الذي تقوم به مؤسسات المجتمع المدني.

ومن ذلك الحين لم تظهر معالم المطالبة القوية بحقوق الانسان الا بعد تطورات داخل العالم الرأسمالي الذي يمر بموجة ثالثة من رأسمالية الما بعد صناعية ، وما تسمى بـ " **التحررية المطلقة** ". وارتبط بروز دور المنظمات غير الحكومية التي قدمت حقوق الإنسان كشعار للنضال السياسي،² - خاصة في عالم ما بعد الحرب الباردة- بهذا التطور، واقصد به محاولة فرضه على بقية العالم الامر الذي ادى إلى معارضة شديدة له في مختلف أرجاء العالم.

حتى محاولات إقامة نظام اقتصادي كوني - رأسمالي غربي بالأساس - تواجه مقاومة شديدة . وما فشل الاجتماع الأخير لمنظمة التجارة العالمية في "**سياتل**" بعد تدخل مناهضي العولمة إلا نموذج قريب من ذلك.

ان النسق الغربي الحديث منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، كشف عن توجهات خاصة بالإنسان الغربي، واكبتها ممارسات سياسية واقتصادية وعسكرية، أحالت شعوب العالم بأسره إلى موجودات طبيعية مسخرة لحياة ونمو المدنية الغربية بغض النظر عن الوسيلة المنتهجة في تحقيق الهدف.

وفي كل مرة ، من مراحل تطورها التاريخي، تجد النظم الغربية ما يسوغ لها ما تقوم به هذه النظم من سياسيات ظالمة، خلال تاريخها المثقل بدماء الشعوب التي اجتاحتها فكراً ووجوداً وما الظاهرة الاستعمارية الا دليلاً واضحاً على ذلك .

لقد تمت عملية إستئصال وجود الحضارات الهندية في أمريكا، كما تم استبعاد الشعوب الأفريقية والآسيوية وإدخالها في زمن الرق القاري العام بشهادة كل الدارسين.

وتوالت الحركات الاستعمارية المدمر، حاملة خطاب نشر التقدم والنظام الجديد والعقلانية، واسترداد حقوق الانسان، مخلقة الآلاف من القتلى والمعاقين والمرضى.

أما حقوق الإنسان التي بلورتها فلسفة الثورة الفرنسية فقد تأثرت بفلاسفة التنوير (**روسو**، **مونتسكيو**، **فولتير** في فرنسا ، **كانط** في ألمانيا،...) وأسفرت هذه الفلسفة عن ظهور جيل جديد يؤمن بالإنسان ويمجده ويعتبره الحقيقة الأساسية بداية من المسيرة التي

¹ - جاك دونللي، "حقوق الإنسان العالمية بين النظرية والتطبيق"، ص 115.

² Daniël Lochak , « les droits de l'homme » , P:04

بدأها ديكارت باعتبار الإنسان أساساً للكينونة والوجود من خلال "أنا أفكر إذن أنا موجود" مروراً بأوغست كونت الذي فرق بين **الرجل البدائي والرجل العقلاني** ثم **بكانط** الذي جعل الإنسان ملاكاً للمعرفة ومبدؤها الوحيد وصولاً إلى **سارتر** أحد النماذج البارزة لطغيان مركزية الإنسان في مقابل الله.

إن الثورة الفرنسية التي قامت ضد السلطان المطلق للملوك قد أحلت المواطن الحديث محل الملك في التمتع بالسلطان المطلق مع فارق واضح وهو أن المواطن الحديث يستمد سلطته المطلقة من فرديته بينما كان الملك يستمدّها من نظرية التفويض الإلهي. إن الحرية التي تقول بها المادة الأولى من الإعلان هي حرية مطلقة والفرد في هذه الحالة سيد مطلق وهذا جوهر الفلسفة الليبرالية. وهذه هي سيادة العقل الفردي¹ التي نادى بها "**جون لوك**".

في اعتقادي أن أولى الخصائص التي تشكل ارضية الفكر الغربي الحديث، والتي تحضر على المستوى العالمي، وتستخدم اللغة الحقوقية في خطابها يراد منها حجب وتغطية الأبعاد العميقة لاختلال النظم الغربية، والمساهمة في إظهار التوازن والاستقامة على هذا النظام، لعل في ذلك ما يساعد على تسويق سياساته الاستعبادية الجديدة عبر تغليف مضامينها الفعلية بشعارات حقوق الإنسان المختلفة في القرن العشرين، هذه الشعارات أصبحت لغة تبريرية جديدة، يغسل النسق الغربي بواسطتها يديه، مما ارتكبه بحق البشرية من جرائم لا حصر لها، كانت الحرب العالمية الأولى والثانية، أدلة كافية، لتبيان ما فعله هذا النظام الغربي من جور وظلم. وما زال يستخدم هذه اللغة إلى الآن و في أماكن مختلفة.

ما نلاحظه أنه كلما تمكنت الأمم والمجتمعات المقهورة من كشف المضامين السلبية لتوجهات النظام الغربي الفكرية، بادر إلى إنتاج سلع فكرية جديدة، لتنهض بالدور الذي لعبته التوجهات الفكرية السابقة. لقد تحولت مصطلحات العقلانية والتحرر، التي غلف بها النظام الغربي، إستراتيجيته العامة وأطروحاته السياسية، إلى قوة تسلطية، يشتد حضورها، كلما تعمقت أبعاد المواجهة الشاملة بينه وبين من يضعهم على أنهم الآخر الواجب إخضاعه، لدرجة أصبح معها الاستعمار تحضيراً والتدخل العسكري مهمة لتحقيق الديمقراطية.

إن الأدوار التي تنهض بها التوجهات الفكرية للغرب تعمل على تصوير التسلط المعاصر على المستوى العالمي على أنه اللغة الإنسانية

¹ Souveraineté de la raison individuelle

العالمية، التي يجب ان تسود العالم وفي الوقت نفسه كي تغطي الجانب المظلم من الشخصية التاريخية للدولة الغربية. عليها تحجب ما اقترفته الشخصية الغربية بحق الآخرين من جرائم، وهناك مسألة جد مهمة وجديرة بالطرح وهي : إذا كانت شرعة حقوق الإنسان، تبرز مكانة الإنسان الحقوقية والمجردة، لتغيب دور النسيق الحاضر لهذا الإنسان فهل معنى ذلك، ان الإنسان الغربي كان غائباً عن المشروع الأوروبي طوال الحقبة التاريخية السابقة على إعلان ميثاق حقوق الإنسان؟ أم أننا في الواقع أمام تجربة تاريخية متكاملة، يعتبر إنسانها التاريخي النموذج الذي يلعب الدور نفسه لكن في فترات متباعدة وهنا نعتقد كما قال احدهم أن ميثاق حقوق الإنسان: " مصدر غواية وتضليل فهو من جهة يقدم نفسه، وكأنه تأسيس جديد لخيارات النسيق الغربي، باتجاه إحداث قطعة فرعية مع التجربة السابقة التي غيّبت دور الإنسان ومكانته الوجودية الأصيلة. وكأنه بذلك يفتح باباً جديداً للبشرية، يختلف اختلافاً جذرياً عما أرسته التجربة الاستعمارية السابقة من تشويهات عميقة، وبالتالي فإن على شعوب العالم وأممهم المقهورة أن تتخذ من هذه الشرعة غطاء لها في سعيها للانعتاق والتحرر من الواقع المرير الذي صنعه أصحاب الشرعة نفسها"¹.

في نفس السياق يمكن طرح سؤال مهم آخر هو: لماذا تأخر النسيق الغربي قروناً طويلة حتى ينجز شرعة حقوق الإنسان؟ ولماذا أحال هذه الشرعة إلى هدف إنساني عام يطرح على الآخرين التعاون معه لجعله موضع تطبيق وتنفيذ، وهل يعني هذا أن المجتمعات البشرية الأخرى غير الأوروبية لم تتعامل مع مسألة حقوق الإنسان؟ إن استحضار التجربة الإسلامية التاريخية، من معطيات ووقائع أكيدة تنبذ المنطق الغربي المعاصر، إذ ثبت وبشواهد لا تحصى، عما بلغته الأمة الإسلامية من وعي لمكانة الإنسان الوجودية وما يتفرع عنها من أنظمة تشريعية تصون هذا الوجود وترعاه في تحقيق غاياته الكبرى. وقد أكدت أغلب الديانات على عالمية الإنسان انطلاقاً من الأصل الواحد بالرغم من التفرق شعوباً وقبائل وأجناساً بألوان مختلفة وسمات متباينة وخصال متعددة، وترتب على تلك العالمية مميزات خاصة ميزت الإنسان عن غيره من المخلوقات، فصار له حق التملك ولم يعد لأحد الحق في الاعتداء على تلك الملكية، ما دامت تقوم بوظيفتها الاجتماعية في المجتمع، وأصبح للإنسان حق العمل والتمتع بنتائج عمله أو السعي من أجل ظروف معيشية أفضل وعائد أكثر.

¹ - انظر حسن الضيقة ، ملاحظات حول موضوعات حقوق الإنسان في الفكر المعاصر.
www.mafhoum.com/press4/130s27

وكفلت أغلب الديانات للإنسان حقوقاً أساسية، منها حرية العقيدة وحرية الفكر والتعبير والأمن في الأبدان والأعراض، وحرية اختيار الزوجة للزوج والزوج للزوجة، وتكوين الأسر، كما وقّرت الديانات للإنسان حقوقاً أخرى منها حق المساواة والرعاية في حالات العجز أو المرض، والمعاملة الكريمة، والتراحم، وحق براءة المتهم إلى أن تثبت إدانته، وغير ذلك من الحقوق، وتحتل العدالة مساحة واسعة من اهتمامات الأديان، إضافة إلى المساواة بين الجنسين، والتشاور بين الحكام والمحكومين، وحماية الأوطان من الفوضى.

إن نظرة إلى التاريخ تكشف أن المواطن الأوربي، ما أن يضع قدميه خارج حدود دولته، حتى يصبح قوة وحشية لا ضابط لها، ويحق لها أن تفعل ما تشاء لتروي بذلك كافة الصور الإحباطية التي تخترق بنيان شخصيتها داخل حدود دولتها¹. وما قامت به الجيوش الأوربية طوال الفترة التاريخية الممتدة بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر، من عمليات إبادة وإفناء لعشرات الملايين من الأنفس البشرية، وما اعتمدته من أساليب وطرق مواجهة، ينطوي على معان كثيرة كاشفة للدور الذي نهضت به الشعوب الأوربية في تلك المرحلة من التاريخ. إننا أمام معادلة تاريخية دقيقة، مكنت الغرب من الانتقال من موقع المهشم على المستوى العالمي، إلى موقع المهيمن والمسيطر بل المتحكم بأقدار العالم أجمع.

يذهب أحد المحللين للشخصية الغربية للقول: "إن هذا التكوين الفصامي للدولة القومية، لم يغيب دور الإنسان الأوربي، بل جعل من عنوان مصلحة الأمة، عنواناً قائداً وموجهاً له، وعلى هذا الأساس أطلق العنان له ليتخطى حدود الدولة - الأمة الناشئة ليعاد في مرحلة لاحقة توظيف كافة إنجازاته التاريخية بما يخدم نشوء ثوابت الدولة-الأمة فشرعة حقوق الإنسان الأوربي في تلك المرحلة، كانت تحضر في طي شرعة حقوق الأمة، وتدعم ركائزها المختلفة، نازعة بذلك حق الحياة والوجود عن شعوب العالم قاطبة."²

إن هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ أوروبا، والممتدة بين القرن السادس عشر والثامن عشر، رسمت المعادلات التكوينية الثابتة للنسق الغربي الحديث، القائم على مبدأ مركزة القوة في الداخل وتوحيد الشعب ضمن دائرة عقائدية وثقافية، تستهدف تفكيك عرى الحضارات

¹ - مما يدل على ذلك الانتهاكات التي حدثت في سجن ابو غريب، وهي عينة من العينات التي تناقلت صورها اغلب تلفزيونات العالم، والتي كشفت فعلاً عن الحقد الدفين الذي تختزنه الشخصية الأمريكية.

² - انظر حسن الضيقة، ملاحظات حول موضوعات حقوق الإنسان في الفكر المعاصر

www.mafhoum.com/press4/130s27

العالمية وتصفية وجودها البشري والثقافي وإلحاقها بمراكز القوة الناشئة، هذه المعادلة التكوينية، لم تؤد إلى تغييب الإنسان الأوربي، بل إلى اشتداد حضوره العدواني في الخارج، والمدجن في الداخل. وهذه النزعة لم تقتصر على دولة أوربية دون أخرى، بل شملت مختلف الدول الأوربية. ووجدت تعبيرها الأقوى في المسرح العالمي عبر سياسة التنافس على إيجاد حقل استعباد خارجي، خاص بكل دولة من الدول الأوربية. كما ننوه بأن هذه الحقوق كانت تستغل كورقة في الصراعات الأيديولوجية. فكانت الدول الرأسمالية تكشف عن انتهاكات حقوق الإنسان في الدول غير الرأسمالية و كانت هذه الأخيرة تعمل على إبراز انتهاكات الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في الدول الرأسمالية. إن هذه المرتكزات المعنوية والفلسفية للنسق الغربي الحديث تجد تعبيراً لها في كل مبنى من مباني أممها ودولها وطبقاتها وأفرادها. تلك هي باختصار شديد بعض أوجه المسارات المتحكمة بكافة ما أنتجه النسق الغربي الحديث من شرائع ومذاهب فكرية وسياسية مختلفة، ولا تعتبر شرعة حقوق الإنسان إلا إحدى تعبيراتها التاريخية، والتي لم تكن الأولى ولا الأخيرة من عمر النظام الغربي المعاصر.

إذاً، هنا خط تصاعدي - في تأكيد الأسس الاختلالية للنسق الغربي الحديث يؤكد يوماً بعد يوم هزال اللغة العقلانية والحقوقية الباردة التي يحاول عبرها هذا النسق أن يجد مسوغات لواقعه المنفلت من أي وازع عقائدي أو فلسفي أو أخلاقي.

في اعتقادي أنه منذ أن بشر **فرنسيس فوكوياما** في كتابه **"نهاية التاريخ"** بسيادة قيم الحضارة الغربية في الديمقراطية الغربية وحقوق الإنسان . بدأ يتكون الاتجاه الذي ينظر لحقوق الإنسان ورقة لخدمة مصلحة دون أخرى أو بالضبط مصلحة خاصة للدول المتطورة و المهيمنة في الصراع الدائر بين الشمال و الجنوب و يحاول أنصار الفكر الليبرالي نشر المفاهيم المرتبطة بحقوق الإنسان مما يخدم مصالحهم. فهاهي الولايات المتحدة الأمريكية تكيل بمكيالين في قضية **"حقوق الإنسان"**، و الدليل على ذلك الفرد العراقي أو الفلسطيني ليس له نفس الحقوق مع غيره عندما يتعلق الأمر بالأمريكي أو الإسرائيلي مثلاً.

مشكلة السيادة في ظل العولمة:

كلمة السيادة لغة لها أصل في اللاتينية الكلاسيكية "superus" وتعني الحق المطلق في ممارسة السلطة السياسية دستوريا وقضائياً.¹

¹ - www.fr.wikipedia.org/wiki

تعتبر السيادة من أهم المرتكزات التي تعتمد عليها الدولة القومية وإذا كانت هذه الدولة تواجه مجموعة من التحديات فإن أبرز هذه التحديات هي تلك التي تواجه السيادة فهل ستزول السيادة أمام تيار العولمة؟ أم سيتبدل مفهومها فقط؟
تمتاز السيادة بمجموعة من الخصائص منها:
الاستمرار: بمعنى السيادة تستمر ما استمرت الدولة.
الكلية: عدم تجزئة السيادة إلى عناصر بحيث لا توجد أكثر من سيادة واحدة في وقت واحد و في وطن واحد.
الشمولية: أي شمول السيادة على كل الإقليم بما فيه من أشخاص و ثروات .

يتعرض الآن مفهوم السيادة لكثير من صور الاختراق وهو ما يدل على اثر العولمة القوي.
أما عن الأطراف التي تخترق مفهوم السيادة فنجد الدول القوية بفرض سيطرتها من جهة و كذلك الشركات المتعددة الجنسيات التي أصبحت تؤثر على سياسة الدول، و اقتصادها من جهة أخرى. إن الشركات العالمية اخترقت أسوار الدولة و جعلتها شكلية فقط خاصة بعدما أصبح العالم كله مجالا لتسويق السلع التامة التصنيع و تسويق عناصر الإنتاج و كذا المعلومات و الأفكار و تخطيها للحواجز الجمركية أما بالاستثمار المباشر داخل البلد او عن طريق اتفاقيات أخرى، و يتجلى هذا التخطي في أمور متعددة منها:
1- التهرب مما فرضته الدولة من سياسات نقدية و مالية.
2- فرض بعض السياسات على الدولة تحت أسماء برامج التثبيت الاقتصادي أو الإصلاح الهيكلي و سياسات الخصخصة.
وعلى هذا الأساس نقول أن العولمة تهمش دور الدولة، مقابل صعود مؤسسات أخرى فاعلة تسعى إلى تحقيق ترابط بين أفراد العالم وأحداث الاندماج الدولي.

و هو ما ساعد على تقليص سيادة الدولة على مواطنيها و مشاركة مؤسسات و فعاليات دولية لها حق التصرف و التفاوض بشأن هؤلاء الأفراد. والتقليص المقصود هنا يعني ضعف الدور، لا إلغائه وهو ما قصده الكاتب الألماني كريستوف هان¹ **عندما قال:** "إن الدولة لا تضعف تماما عندما تتدخل الشركات متعددة الجنسيات باملاءاتها على الدول بل ستظل محتفظة بدورها الفعال خاصة فيما يتعلق بدور الحماية ضد الاعتداءات المتعددة التي يشعر فيها الفرد أنه ضحية"²

¹ - Christophe hein

² Christophe hein. « Quel avenir quand l'état flanche ? », Revue de courrier international du 04-11-2004

ومن علامات اختراق سيادة الدولة نجد التدخل الاقتصادي من خلال الشروط المرافقة للمساعدات الاقتصادية. وهناك تدخل معلوماتي تتدخل فيه المؤسسات القوية إعلاميا و تؤثر بأفكارها و تصوراتها و أفلامها علي المتلقي الأضعف. وهناك تدخل عسكري مباشر أو غير مباشر، وهو تدخل يحدث تحت مسميات عدة يخفي بها أطماعه ومصالحه، مثل مكافحة الإرهاب وحماية حقوق المواطنين مثل ما حدث في العراق. لقد استعانت الولايات المتحدة الأمريكية في فرض سيطرتها على العالم بفضل ترسانتها العسكرية الهائلة إذ تملك قرابة المليون ونصف المليون عسكري، وإنفاقها على الجيش الأمريكي هو الأعظم في العالم، ويزداد هذا النفاق بازدياد عدد الجبهات المفتوحة في وجهه، وتذهب بعض الدراسات إلى أن أمريكا مستعدة لان تخوض حربين إقليميتين في أن واحد¹ فهي تسيطر على جميع المسارب البحرية والجوية والفضائية وقد بلغ الإنفاق العسكري الأمريكي خلال عام 2003 : 45% من المجموع العالمي، ولقد وضعت الإدارة الأمريكية ميزانية الدفاع لعام 2004 بأربعة وخمسين مليار دولار بالرغم أنها تعتبرها ميزانية سلام.² وهي الآن تنفق أموال باهظة على تطوير المعدات العسكرية،³ وأجهزتها الدفاعية، وتقوي منظومتها أقمارها الصناعية التي تراقب بها كل أصقاع العالم وتتجسس بها على مواطني القرية العالمية. تعتبر القوة العسكرية الأمريكية أحد أسباب الهيمنة الأمريكية⁴ وما يؤهلها لسيادة العالم عسكريا أنها تمتلك أكثر من نصف صادرات العالم من الأسلحة⁵

وهناك تدخل سياسي حيث طرحت الجهات القوية قضية تصدير الديمقراطية وهو ما يعني العجز عن بناء النظام السياسي العالمي كما أن مقومات الديمقراطية غير قادرة على ذلك وشروط استقبال الديمقراطية غير متوفر في المجتمعات المتصارعة أو الدول التي تعيش في ظل الدكتاتورية، لذلك نحن نقول مع الأصوات التي ترى أن الحوار

¹ عبد الكريم بكار، العولمة طبعتها، وسائلها، تحدياتها، التعامل معها. ص: 23.
² الياس سابا، "العولمة والإمبراطورية الجديدة"، جريدة السفير لبنان الأربعاء 19 مارس 2003 www.assafir.com

³ ويتجلى ذلك في التقنيات التي تستخدمها في القتال كالحاسوب والفيديو والقنابل الذكية وأشعة الليزر والصواريخ المتسللة.

⁴ Maxime Lefebvre, « la politique étrangère américaine » 1^{er} édition, presses universitaires de France, Paris 2004, P : 81

⁵ « Ibid » P : 82

وحده كفيل ببناء مؤسسات الدولة وتحقيق الديمقراطية¹ ومن هنا يأتي دور المنظمات غير الحكومية كمنظمة "أو كسفام"² OXFAM وهي مثل منظمة "إطاك" هي منظمة غير حكومية تدعو إلى إيجاد منظمة تجارية عادلة وبحكم تواجدتها في أكثر من مائة دولة³ تدعو إلى تضامن الجميع ضد هيمنة الأقوياء على الضعفاء.

إذن فالإقرار بواقع اختراق السيادة لا يعني نهاية الدولة "إن الدولة في ظل العولمة باقية ولكنها تصارع من أجل بقائها، وسوف تواجه قيودا جديدة ينبغي عليها معالجتها"⁴

يقول الكاتب: **ر. رادا كريشنان** في هذا السياق: "اعتقد أن العولمة تأخذ شكل تفكيك للقوميات التابعة من قبل القوميات المتطورة فالعالمية والعولمة هما البيان الدارويني لبقاء الأصلح: الأمم القوية سوف تبقى بشكل طبيعي، لأن قدرها هو أن تبقى كأمم لا اسم لها ولا سمة في حين أن الأمم الضعيفة سوف تحذف حتما بسبب أدائها غير المرضي كدول قومية بعبارة أخرى إن الأمم القوية ستكون قد كسبت السلطة الأخلاقية- السياسية التي تفوضها لتفكيك سيادة الحقوق القومية العالم الثالثة تحديدا لأن الأمم الكاملة التطور قد تبحث في تحقيق هذا الشكل من السيادة."⁵

ليس المجال السياسي وحده الذي تتجلى فيه مفاهيم العولمة وقيمها بل هناك مجال آخر يكون لهذه القيم والمفاهيم دورها الواضح في تغيير بنية الواجهة الثقافية لشعب ما أو أمة ما وهو المجال الثقافي. إن استجلاء المظهر الثقافي للعولمة، يتضح من خلال عرض المشهد الثقافي العالمي في هذا العصر، من خلال تلك العلاقات القائمة التي أفرزتها التحولات التي صاحبت ظهور وتطور النظام العالمي الجديد. تحليلات العولمة في المجال الثقافي المعاصر:

لا مراء في أن الواجهة الثقافية تعتبر أخطر الواجهات المعرضة لرياح التغيير التي تفرضها العولمة. إذن فالعولمة ليست في اعتقادي

¹ Basma Kodmani, (Pierre Rosanvallon - Jacques Rupnik- Francis Fukuyama) peut-on exporter la démocratie ? Colloque éthique et relation international : choc des identités ,démocratie et ordre international -9- 03- 2006, CERI, Paris.

² خرجت إلى الوجود عام 1996

³ Les ONG nouvelle puissance mondiale – le figaro économique 02-12-2005

⁴ مأمون الجنان، "العولمة والأمركة"، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 964 بتاريخ 2005-7-2 www.awu-dam.org

⁵ - أليسون جاغار، ر. راداكريشنان، ليندا كينتز- تاني مارلو، "الدرجة صفر للتاريخ، أو نهاية العولمة"، ترجمة عدنان حسن الطبعة الأولى، 2004 دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية. ص: 57

مجرد تهديد بالسيطرة على الدولة وقراراتها والتحكم بالاقتصاد من خلال التنافس على الأسواق، بل أن لها أهدافا تصل إلى أبعد من ذلك بكثير، فهي تطال الثقافات والهويات القومية والوطنية وتهدد الخصوصية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك والقيم والمفاهيم. وإذا كانت العولمة الاقتصادية بارزة في مظاهرها العامة فإن العولمة الثقافية " تزحف ببطء في الديار والمؤسسات"¹.

معنى العولمة الثقافية:

قال جون توملينسون John TOMLINSON متحدثا عن العلاقة بين العولمة والثقافة: " إن العولمة ترتبط بقلب الثقافة الحديثة كما ترتبط الممارسة الثقافية بقلب العولمة"²، وهو يقصد هنا تلك العلاقة الوطيدة التي تربط بينهما.

توحي لفظة العولمة في مجال الثقافة بمعناها الانتروبولوجي، أن هناك خصائص ثقافية مشتركة، ذات طابع عالمي وهي خصائص متحررة من سيادة ثقافة بعينها، وتصلح للأخذ بها من طرف مجتمعات متباينة، ولكن في غالب الأمر ترتبط الثقافات بأنساق من القيم والمعايير المستوحاة من العادات الاجتماعية والدين السائد في كل مجتمع. ويفترض في الخصائص الثقافية التي تتناسب مع العولمة عدم تعرضها مع الانساق المحلية وفي هذا المجال يقول أحد الكتاب: "وغنى عن البيان أن مثل هذا التفاعل بين الثقافات العالمية ينبغي أن يؤدي في النهاية إلى تقارب عملي قوامه وضع مجموعة من الثوابت العالمية الثقافية التي ينبغي أن تعمل الثقافات جميعها على احترامها وتعميق جذورها . وتوليد مثل هذه الثوابت وقبولها أمر ممكن إذا هو تم عن طريق الحوار الحقيقي ، وحل محل فرض ثوابت ثقافة معينة أو بلد معين على العالم كله ، والإدعاء بأنها هي وحدها الثوابت العالمية"³ . وإذا عدنا للتاريخ قد نجد تأكيدا لفكرة الكاتب، حيث تأثرت الثقافات بغيرها سواء كان ذلك بحكم الجوار الجغرافي، أو الصدام العسكري، أو بمساهمة الرحلات السياحية، ووسائل الاتصال في استعارة بعض الجوانب الثقافية المتواجدة في جهة ما دون أخرى.

تجليات العولمة على القطاع الثقافي:

الفكر والفلسفة: لقد جند أرباب العولمة مفكريهم

لترسيخ معتقدات وهمية تسعى لتحطيم الروح الفكرية والفلسفية لدى

¹ - Leonard le Blanc, "cultural globalization" , p:08

² John TOMLINSON , globalization and culture ,Chicago university press, 1999, P:01

³ عبد الدائم عبد الله ، "العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات" ، مجلة المستقبل العربي، العدد 203 عام 1996.

مفكري العالم الثالث ومعهم نظرائهم من الدول النامية وبشروا بانتصار القيم والمبادئ الرأسمالية على حساب كل الأنظمة السائدة، وقد استغل الأمريكان تفوقهم المادي والعسكري والتقني، ليفرضوا نمطا فكريا يقوم على مبادئ المنفعة والحرية والفردية ويروجوا لثقافة غربية تمتدح الفكر الليبرالي. وتعمل على تأسيس عالم دون دولة، أو وطن أو أمة.¹ نحن هنا لا نرى مشكلة مع تمجيد الرأسمالية، بل المشكلة في اعتقادنا تتمثل في إلغاء غيرها من الأنظمة والقيم، التي لا تتفق مع كل ما جاءت به الرأسمالية.

التاريخ : في ظل المتغيرات السريعة التي أعادت النظر في المفاهيم القديمة، تتأثر الهوية التاريخية للشعوب بما تفرضه مقتضيات العولمة، التي تفرض تفسيرا جديدا للتاريخ يتناسب مع أطروحات العولمة². وبديهي ان يتأثر التاريخ العربي والإسلامي لرياح العولمة العاتية في الوقت الذي لم يصف المؤرخ العربي معركته مع التاريخ الاستعماري الذي مازال يتبجح بالدور الحضاري والتعميري للمحتل اعتمادا على الأكاذيب والتحريفات التي تضمنتها بعض الكتابات التاريخية، وإذا كان التاريخ الاستعماري قد عمل على تشويه الهوية الوطنية للشعوب بعد ما تمكن من اختراقها، هاهو التاريخ الكوني الذي تحمله العولمة يحاول تجاوز هذه الهويات و إلغاء خصوصياتها. واعتقد انه سينجح في مهامه مادام المثقف العربي لا يزال قابعا في الهامش، والمستهلك لمنتج الآخر فضلا عن صراعه مع ذاته لتحقيق هويته وبلورته

¹ ان هذه المسألة تناقض مع مقولات التاريخ العربي-الإسلامي، ففي جل حقب هذا التاريخ، نجد مؤسسة الدولة والخلافة تلعب دورا أساسيا. وقد تطرق الماوردي وابن خلدون والفارابي والطرطوشي وابن الأزرق وابن رضوان وغيرهم إلى مؤسسة الخلافة كواجب شرعي. فابن خلدون يذكر في مقدمته أنها "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها.. فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا".

² إملأ الوصايات على تدريس التاريخ العربي الإسلامي ومقرراته ومناهجه وبالتالي فإن "السيادة" في تدريس التاريخ ستتعرض بدورها لاختراق كبير، فتتدخل القوى المهيمنة وعملاؤها لفرض مقررات بعينها كالصناعة السياحية وإدارة الفنادق عوض تاريخ المعمار الإسلامي والآثار والفنون الإسلامية.

لنظراته للمستقبل. ويتحدث احد الباحثين عن التاريخ العربي في عصر العولمة فيقول:

"ان مصادر المعرفة في نظام العولمة تخضع لتحكم الشركات التجارية، وهذا يعني أن التاريخ العربي كجزء من نظام المعرفة يصبح بدوره مجرد سلعة ينطبق عليها من الأحكام والإجراءات ما ينطبق على سواها من السلع المادية فيخضع إنتاج التاريخ العربي بكتبه وندواته وأفلامه لقانون العرض والطلب، ويبقى حكرًا على القوى الأجنبية التي تمتلك المال والقدرة التقنية، وبالتالي لن يصبح بين أيدي أمينة تحافظ على حقيقته وموضوعيته، بل سيصبح لا محالة معرضًا للتشويه والتحريف والبعد عن الحقيقة كما يقع للسلع التي تقوم الشركات بالإعلان عنها، فتروج لها بالحق والباطل دون استهداف الحقيقة ما دام الربح يبرر الوسيلة، لذلك سيتعرض التاريخ العربي مع سيادة العولمة لتشويه وافتراءات لا تقل عن الافتراءات التي لصقت به منذ القرن 19 مع الدراسات الاستشرافية، وسيستقبله الغرب بهذه الصورة المزيفة لأن تأثير الإعلام وقوة وسرعة نفاذه لا يخفى على أحد."¹

الفنون: تركز ثقافة العولمة على ثقافة الصورة أكثر من ثقافة المكتوب وبما أن الصورة تكتسي سلطة رمزية قوية على صعيد الإدراك الثقافي العام، فإن النظام السمعي-البصري يصبح المصدر الأقوى لإنتاج القيم وتشكيل الوعي والوجدان، على اعتبار أن " الصورة هي اليوم المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد، نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم. إنها المادة الثقافية الأساس التي يجري تسويقها على أوسع نطاق جماهيري : وهي تلعب في إطار العولمة الثقافية الدور نفسه الذي لعبته الكلمة في سائر التواريخ الثقافية التي سلفت فلا تحتاج الصورة دائما الى المصاحبة اللغوية كي تنفذ إلى إدراك المتلقي"².

اللغة : لا يختلف اثنان في أن اللغة التي فرضت وجودها وانتشرت بسرعة فائقة هي اللغة الانجليزية، "فحوالي ثلث سكان العالم يستخدمون اللغة الانجليزية"³.

¹ إبراهيم القادري بوتشيش ، مستقبل كتابة التاريخ العربي في ظل العولمة الثقافية .

www.fikrwanakd.aljabiriabed.com

² - عبد الإله بلقزيز، "العولمة والهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة" مجلة المستقبل العربي، العدد 229، 1998، ص:19.

³ - بشار الشداد الحياوي ، لغة العولمة ، مجلة المدى . www.almadapaper.com

ويعود السبب في ذلك إلى قرون الاستعمار الانجليزي ، ودور الإعلام في الترويج لهذه اللغة، بالإضافة إلى استخدام هذه اللغة في مختلف المحافل الرسمية التابعة للمنظمات الدولية. وقد صاحب انتشار اللغة الانجليزية انتشار للثقافة والقيم الاستهلاكية الأمريكية على نطاق واسع خاصة الأغاني والموسيقى الأمريكية التي دفعت الشباب لتعلم اللغة الانجليزية وهي الأداة الموصلة للقيم الغربية مادامت اللغات الأخرى لم يستطع أصحابها منافسة هذه اللغة.

العادات والسلوك: تسعى العولمة أيضا إلى تسطيط

الوعي ، فهي ترسم "حدودا" أخرى غير مرئية تحددها الشبكات العالمية قصد الهيمنة على الأخلاق والنفوس والسلوك، فيتم بموجبه إخضاع النفوس والتشويش على نظام القيم وقولية السلوك، والهدف تكريس نوع معين من الاستهلاك المعرفي يشمل ما يطلق عليه المفكر المغربي محمد عابد الجابري "ثقافة الاختراق" ، وتستغل هنا وسائل الاتصال على مختلف أنواعها وخاصة التلفزيون في تعميم السلوكيات الغربية على غيرها، مثل ما يرى احد الكتاب الذي "يعتبر التلفزيون من أكثر الأجهزة الالكترونية تأثيرا في الثقافات والسلوكيات"¹

تحديات العولمة في المجال الثقافي

إذا كانت الثقافة هي فن "استثمار المعرفة"²، حيث يستوعب الفن كل القدرات الإبداعية والتخيلية لدى الأفراد والجماعات، وبالمقابل يستوعب الاستثمار كل الأساليب والتصرفات الموزونة المقننة التي تتعلق بالجانب الاستخدامي والتخطيطي. كما يقصد بالعولمة الثقافية أيضا حسب بعض الدوائر محاولة تعميم النمط الثقافي البارز على جميع صور الحياة الثقافية في كل المجتمعات. وقد ساهمت التكنولوجيا في بروز العولمة الثقافية وعملت على "تصدير القيم الثقافية خاصة الأمريكية إلى كل الجهات"³. وقد كثر الجدل حول أبعاد هذا التعميم بين من يرى فيه مجرد انفتاح على الثقافات الأخرى، والاستفادة من تجارب الغير في الفن والعلم والأدب والفلسفة...ومن يرى فيها التهميش والقضاء على الخصوصيات الثقافية التي تحدد هويات الشعوب.

إذن ما هي أهم التحديات الثقافية التي تواجه الدول و الشعوب في ظل العولمة ؟

¹ Clayton BROWN ، "globalization and America since 1945" scholarly resource , Wilmington, U.S.A ,2003 p:51

² - حواس محمود، "التكنولوجيا والعولمة الثقافية" ، المنارة، بيروت، الطبعة الأولى، 2003. ص: 20.

³ - Stanly Hoffman ، "clash of globalizations", p :104

هناك عدة تحديات في نظرنا تواجه الدول و الشعوب في ظل العولمة و أبرزها

1. تحدي العولمة للسيادة الثقافية للدولة القطرية:

لكل دولة من الدول سيادة ثقافية تتمثل في مجموعة الجوانب المكونة لثقافة أفراد تلك الدولة (لغتهم ، و دينهم ، و عاداتهم و تقاليدهم ، و كل ما يعبر عن الهوية الثقافية) لذلك فالدولة ترفض أي اختراق لسيادتها الثقافية، و تجهز جميع مؤسساتها الثقافية لمواجهة أي هجوم خارجي يمس خصوصياتها الثقافية. قال أحد الكتاب: "إن الأمة العاجزة عن المحافظة على جوهر كينونتها، وروحها الحضاري والدفاع عن خصوصياتها...أي القابلة للذوبان في أي محلول حضاري غريب عنها ليست جديرة بالبقاء، ولن تجد من يأسف عنها"¹ فأفلام السينما و الأغاني و العادات و الأزياء و الأنماط التي تقدمها القنوات التلفزيونية لا شك أنها تؤثر على الأفراد، لذلك لا بد أن تكون خادمة للأفراد في قيمهم ومعتقداتهم و محافظة على هويتهم، و السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يمكن لهذه الشعوب أن تصمد أمام الغزو المتواصل من الأفكار و القيم و الشعارات و الصور الأجنبية المخالفة لجميع عناصر الثقافة المحلية في زمن ثورة الاتصالات ؟ خاصة إذا علمنا كما يقول **كلايتون براون** Clayton BROWN " ان التكنولوجيا أصبحت تسوق العولمة "² نقول أن ما تقدمه وسائل الإعلام الأجنبية من معطيات ثقافية متمثلة في: مادة إعلامية، أشرطة، قيم ، صور، بيانات، شعارات ، نشاطات مختلفة ، أحداث) يقود الأفراد إلى عالم غير عالمهم (ترسم فيه الآمال و الإمكانات والأحلام) و هنا يستفز الأفراد في مرجعياتهم و مرتكزاتهم الثقافية، بإخراج أزمات الهوية التي أصبحت اليوم من أكثر المسائل التي تواجه الشعوب.

بالمقابل فقد استفادت كثير من الشعوب من الثمار الإيجابية لثورة الاتصالات، حيث تسنى للمجموعات اللاتنية المحافظة على جوانب مهمة من خصوصياتها الثقافية، وفي هذا المجال يقول أحد الباحثين: " إذ أن العمال الأتراك في ألمانيا شاهدوا عام 1988 الألعاب الأولمبية لحظة وقوعها في سيول . من خلال إذاعتها بالأقمار الصناعية ، كما ان سائقا باكستانيا لتاكسي في شيكاغو يسمع الشرائط والأناشيد الدينية المسجلة في باكستان و إيران. وهكذا نشهد صورا متحركة تتقابل مع مشاهدين لا ينتمون إلى إقليم محدد و ثابت و بعبارة أخرى ينقل الناس هوياتهم معهم خلال هجرتهم و لا يفقدون الصلة تماما بها من خلال

¹ - عزت السيد احمد، "انهيار مزاعم العولمة ، قراءة في تواصل الحضارات و صراعاها".

² Clayton BROWN , "globalization and America since 1945 scholarly resource", Wilmington, U.S.A, 2003 p:43

تفاعلهم مع الإعلام و وسائل الاتصال".¹ وإذا كان هذا النص يعبر عن جانب من الحقيقة فإنه لا يعبر عن الحقيقة كلها فإذا صح أن بعضاً من الناس ينقلون معهم خصوصياتهم الثقافية ويحافظون عليها فإن آخرين وهم الأكثرية من يذوبون في المجتمع الجديد وتنحل ثقافتهم لصالح مجتمع الثقافة الأجنبية .

2- تحدي النمط الثقافي الأحادي (في مواجهة التنوع الثقافي).

من الأسئلة التي نطرحها كثيراً لما يتعلق الأمر بالتحديات التي تواجه سيادة العولمة هي إلى أي مدى يمكن أن تحافظ ثقافة ما على الخصوصيات التي تميزها دون أن تتأثر سلباً بالثقافات الأخرى؟ للجواب على هذا السؤال لا بد من الإشارة إلى أن الثقافة الحية هي: "الثقافة التي تتفاعل مع المحيط الثقافي تفاعلاً إيجابياً أي تجعل لنفسها مكاناً ضمن الثقافات العالمية، بحيث تعطي و تأخذ، تنتج و لا تنغلق على ذاتها لأن الثقافة التي تأخذ و لا تعطي ستظل الثقافة الأضعف، الثقافة المتلقية التي يسهل السيطرة عليها".² و العولمة هي المجال الذي يمكن إحداث التفاعل الثقافي الحقيقي فيه لأنها تسمح

برفع الحواجز بين الشعوب، و ربط الأفراد مع غيرهم، من خلال شبكة الاتصال المنتشرة عبر العالم، و من ذلك نجد دور الإنترنت التي تعمل على تقريب المادة الثقافية سواء كانت فيلماً أم شريطاً أم إعلاناً أم صورة أم أغنية أم أي نشاط آخر يتجلى في الصورة التي يتلقاها الأفراد.

التنوع الثقافي ضرورة طبيعية :

يعتبر التنوع الثقافي سنة من سنن الكون لأن الحياة أساسها التنوع و التعدد، حيث ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: "و من آياته خلق السماوات و الأرض و اختلاف السنتكم و ألوانكم"³ و اختلاف الألسن يعني تعدد القوميات و اختلاف الألوان يعني تعدد الأجناس البشرية و هذا ينجر عنه اختلافات أخرى في أنماط المعيشة، إذ يقول الله عز و جل أيضاً: "لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجاً ، و لو

¹ - السيد ياسين، "صياغة الهوية وعولمة الخيال في القرن الحادي والعشرين" مجلة المنتدى، الأردن، المجلد 12، العدد 147 ديسمبر 1997، ص: 20.

² - د. ليلي شرف، "التحديات التي تواجه الإعلام العربي في المرحلة القادمة" مجلة الرسالة، دمشق، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، العدد الخامس، أكتوبر 1997، ص: 9.

³ - الروم 22.

شاء الله لجعلكم أمة واحدة و لكن ليلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات⁴. إن تعدد الشرائع و الأديان الوارد في هذه الآية يؤدي إلى التعدد الحضاري على أساس أن الحضارة تنشأ بفعل الفكرة الدينية و إذا تعددت الحضارات فإن الثقافات تتعدد وتتوسع من هنا نخلص إلى القول: " إنه إذا كان التنوع الثقافي سنة الله في خلقه فإن الذي يحاول فرض ثقافة واحدة على الآخرين بالقوة يتصادم مع سنة الله في الكون و يهدد هذا الوجود.

هناك رؤية صائبة تعزز هذا التنوع و ترى فيه أهمية كبرى حيث يغنى التراث

الإنساني بفضل مساهمة جميع الأجناس في صناعة التراث العالمي. و الإسلام كدين سماوي يتضمن اعترافا باختلاف الناس و يحترمهم في لغاتهم و عاداتهم وأديانهم كما قال تعالى: **" لا إكراه في الدين"**¹. لأن الله هو الذي خلق هذا الاختلاف و التمايز و لكن دعاهم إلى التعارف والتعاون على ما فيه خير الإنسان و الالتقاء في دائرة " العالمين " من خلال احترام كل الهويات الثقافية.

الانفتاح الثقافي ضرورة حضارية:

إن التنوع الثقافي باعتباره التراث المشترك للإنسانية ضروري للتجمع البشري ضرورة التنوع البيولوجي للكائنات البشرية ، لأنه أفضل ضمان للسلام، ومعه تتجدد القناعة الرافضة لمقولة حتمية النزاع بين الحضارات، لذلك لابد من صيانة هذا التنوع والدفاع عنه كما تجليه رسالة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

قال **المهدي المنجرة** عن أطروحته الحرب الحضارية² مخالفا لفكرة **هانتغتون** القائلة بصدام الحضارات "يعتبر **هانتغتون** أن البذرة الوراثية موجودة في الحضارات وفي نظري ليس ثمة ثقافة تولد أصلا عدوانية أو لتصارع حضارة أخرى"³ وهذا النص وإن كان يتضمن رفضا للصراع الحضاري كما بينه **هانتغتون** فإن **المنجرة** يقول بفكرة الحرب الحضارية التي أعلنتها القوى الغربية على مخالفيهم في حضارتهم.

كيف يمكن المحافظة على التنوع الثقافي؟

تعتبر التعددية الثقافية ثروة كبيرة في يد الشعوب يجب المحافظة عليها ، و قد أشارت منظمة اليونسكو إلى ضرورة المحافظة عليها حيث نصت المادة الأولى من الإعلان الصادر عنها في 3/11/1966 على أن

⁴ - المائدة 48 .

¹ - البقرة 256

² استخدم هذا المصطلح من طرفه يوم 15-2-1991 في حوار له مع **المجلة الألمانية دير شبيغلر**، وهو ما يعني أنه **سبق هانتغتون** في الحديث عن الموضوع رغم اختلاف أطروحتهما.

³ - المهدي المنجرة، **"اللاهنة في عهد الميغا امبريالية"**، الطبعة الأولى، 2004، مطبعة النجاح المغرب، ص: 27، 28

لكل ثقافة كرامة و قيمة يجب احترامهما، و من حق كل شعب و من واجبه أن ينمي ثقافته.¹ و نظرا لخطورة اختلال التوازنات الثقافية عندما تضعف اللغات و الثقافات أو تمارس عليها الهيمنة المذبذبة لها، فإن مختلف المنظمات الثقافية حذرت من اختفاء ثقافة من الثقافات العريقة. وهذا بطرس غالي أمين عام للمنظمة الفرنكفونية يقول متحدثا عن أهمية التعددية الثقافية : "هدفنا الدفاع عن التعددية الثقافية ، التعددية اللغوية، فلو سيطرت لغة واحدة على المجتمع الدولي فإن ذلك سيؤدي إلى إضعاف اللغات الأخرى ، وهذا خطأ كبير و خطير. فاللغات هي في رأي بمثابة التراث الإنساني، و ثراء المجتمع الدولي قائم على تلك التعددية و كما أن هناك منظمات دولية أنشئت للدفاع عن البيئة و عن بعض النباتات و بعض الحيوانات ، يجب أيضا الدفاع عن الحضارات و عن الثقافة و عن التعددية الحضارية".² فعلا فإن التنوع اللغوي مصدر ثمين من مصادر قوة الإنسانية لذلك ينبغي المحافظة عليه.

لكن التحدي الحقيقي الذي يواجه الشعوب في سيادتها الثقافية، هو أن بعض الثقافات القوية، استطاعت التأثير في متلقيها (الثقافة الاستعمارية) و بالمقابل اندثار بعض الثقافات الضعيفة و الجامدة (التي لا تقدم إنتاجا)، و هذا ما يشكل خطرا على التنوع الثقافي، وفي هذا المجال يقول أحد الكتاب " إن الإنتاج الثقافي و احتكار الرموز والقيم هما أبرز ما يطبع النظام العالمي الراهن على مستوى إنتاج و توزيع الثقافة. ولقد انتقل النظام الرأسمالي في هذه المرحلة من طور تعميم القيم الاقتصادية والعلاقات الإنتاجية الرأسمالية ومن طور الأنظمة الاقتصادية الليبرالية إلى طور تعميم القيم الثقافية للمجتمع الغربي، بوصفه (أي التعميم) آلية من آليات إعادة إنتاج هيمنة النظام الرأسمالي على الصعيد العالمي.³ ولقد استفاد النظام الرأسمالي جيدا من الثورة الإعلامية المعاصرة ، ووظفها أمثل توظيف في سبيل تحقيق ذلك التعميم أو " العولمة " للقيم الثقافية الغربية. فالمؤسسات الإعلامية الضاربة تكفلت بتحطيم الحدود القومية والحواجز و السياسات الثقافية الحمائية ، لكي تكتسح المجال العالمي بالصوت والصورة و توحد الرموز

¹ - باسم علي خريسان، " العولمة والتحدى الثقافي"، ص: 140

² - بطرس غالي، "هدف الفرنكفونية الدفاع عن التعددية الثقافية"، مجلة السياسة الدولية، العدد 133 ، سنة 1998، ص: 154 .

³ - باسم علي خريسان ، "العولمة والتحدى الثقافي"، ص: 142

والأذواق و المعايير والقيم".¹ ويشهد واقع اليوم على طابع الاستلاب للنظام العالمي الجديد .

الانفتاح الثقافي يعني التفاعل على أساس الاحترام، والمحافظة على التنوع الثقافي في كل زمان ومكان. ويعني استغلال جميع الفرص التي تتيحها العولمة من أجل تجديد الثقافات بجعلها حية، ومעطاءة تبرز الخصوصيات بشكل تفاعلي، لا يلغي الآخر في ثقافته. ولعل التطورات التقنية الحاصلة على مستوى الاتصال و المعلومات ، تساعد على تقارب الثقافات مع بعضها، وهو ما يعمق الوعي الحضاري عند كل الشعوب ويجعلها أكثر قربا من بعضها . لكن من سلبيات هذا الانفتاح الثقافي أن يتحول إلى هيمنة ثقافة على أخرى بإلغائها، أو إذابة خصوصياتها، ومن هنا اعتبرت مشكلة الهوية من أعقد المشاكل في العصر الحديث،² وهذا ما ينطبق على محاولة الولايات المتحدة الأمريكية استغلال تفوقها في مختلف مجالات الحياة، وجعل العولمة وسيلة للقضاء على التنوع الثقافي، بفضل التصميم الكبير للنموذج المعادي للتعديدية الثقافية، والملغي للتمايز والشخصية المستقلة، والذي يحول الإنسان إلى مجرد مستهلك مستلم ومشاهد متلق يتم ترويضه على النمط الواحد.

وفي هذا السياق يقول عبد الاله بلقزيز: " ما يؤخذ على العولمة تنميطها للأخلاق وقضاؤها على الثقافات لصالح تكوين حضارة مادية تركز هيمنة وسيطرة الأطراف القوية وهو ما يستثير رد فعل قوي من جانب الهويات الوطنية".³

سيطرة الثقافة الأمريكية على سائر الثقافات:

لقد عملت الإنترنت و القنوات الفضائية على تغيير أوضاع العالم فأصبح الناس يعيشون في قرية صغيرة و تحول هذا الكوكب إلى مسرح مفتوح على كل الجهات. يمكن لأي واحد أن يتصل بالآخر بالصورة والصوت، غير أن أهم ميزه فيه هي غلبة دور البطل في هذا المسرح، و البطل هنا يقوى دوره على حساب ضعف الأدوار الأخرى. وقال احد الكتاب مبرزاً الدور الأمريكي البارز في العولمة الجديدة: " ليس ما

¹ - عبد الاله بلقزيز " الثقافة العربية امام تحدي البقاء " مجلة شؤون عربية العدد 79 ، عام 1994.

²Ghassan Salamé , (Christophe Bertram , Nicole gnesotto , Andrew Arato) Agir, entre solidarités et conflits. Colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international. 9- 03- 2006 CERI, Paris.

³ - عبد الاله بلقزيز، "الثقافة العربية امام تحدي البقاء"، مجلة شؤون عربية العدد 79 ، سنة 1994، ص: 86.

يفترضه الجميع خطأً على الدوام. ثمة في الحقيقة ثقافة كوكبية ناشئة، وهي بالفعل أمريكية إلى حد كبير من حيث الأصل والمحتوى¹. ليس غريباً على السياسات والتوجهات المعاصرة للأقوياء أن تعمل على نشر القيم التي تساعد على تحقيق جميع أهدافها. لا سيما بعد أن أصبح العالم محكوماً بسياسة قطب وحيد كسب الحرب الباردة وهزم الاديولوجيات المناوئة له وتفوق في مختلف المجالات الصناعية و التقنية والمعلوماتية، وهي عناصر لها أهميتها الواضحة، كما أشار إلى ذلك احد الكتاب في حديثه عن مميزات العولمة الثقافية: "إن أهم ما يميز العولمة الثقافية المعاصرة قوة الوسائل التقنية المستخدمة في الإنتاج والبت والتوزيع الخاص بالمنتجات الثقافية"²

فالثقافة الأمريكية هي ثقافة قوية وتعمل على إقصاء الثقافات الأخرى المحلية الآيلة نحو الدونية والتلاشي، وهذه السيطرة هي التي يعبر عنها بأمركة العالم، والتي تجلت بكل صراحة على أفواه بعض المسؤولين الأمريكيين وهذا الرئيس الأمريكي جورج بوش يقول: "أن القرن القادم سوف يشهد انتشار القيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي"³ إن أمريكا تعمل على فرض التبعية الثقافية من خلال غزو الثقافات الأخرى، وتخريب قيم الآخرين بعد التشكيك فيها باستقطاب الأجيال الصاعدة عن طريق دغدغة المشاعر، والتحكم في الميول والأذواق، مستغلة في كل هذا تفوقها العلمي والتقني وسيطرتها العسكرية والسياسية. ويلعب التلفزيون دور مهم في تبليغ الثقافة وفي الحالة التي تعترف بوجود ثقافة قوية فان الخطر كله يكمن في العيش داخل ما يعرف بالامبريالية الثقافية.⁴ وفي هذا المجال تتحدث الكاتبة الأمريكية عن هيمنة الثقافة الأمريكية فتقول: "إن أمركة الثقافة العالمية تكشف عن الأذواق الثقافية للعالم."⁵ وبذلك لا تفرق بين ما يرغب في مشاهدته الجمهور الأمريكي، وبين ما ترغب في مشاهدته الجماهير الأخرى في العالم.

¹ - بيتر إل. برغر و سامويل، بي، هنتفتون، "عولمات كثيرة، التنوع الثقافي في العالم المعاصر"، ترجمة فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004. الطبعة الاولى، ص: 15.

² Jaques brasseul, un monde meilleur ? pour une nouvelle approche de la mondialisation , édition Armand colin, Paris 2005 ,p : 239

³ علي عقلة عرسان ، "العولمة والثقافة "، مجلة الفكر السياسي، العدد الخامس، السنة الثانية، شتاء 1999، سوريا

⁴ - Tristan Mattelart, « la mondialisation des medias contre la censure –tiers monde et audiovisuel sans frontières », édition de Bœck université -Bruxelles -1^{er} édition 2002 P :29

⁵ - Ithiel de sola pool, "the changing flow of television" – journal of communication ,vol 27 N° :02 ,1977 p :145

من أبسط الأدلة على اجتياح الثقافة الأمريكية حسب تقرير لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ان أمريكا تصدر 1,2 مليون ساعة من البرامج التلفزيونية . و في دراسة أخرى لليونيسكو تجاوز بث الإنتاج الأمريكي في تلفزيونات العالم ثلاثة أرباع ذلك البث أي بنسبة 85 % و تتوزع نسبة الجزء الباقي بين الإنتاج المحلي و بين الإنتاج غير الأمريكي و 88% من معطيات الإنترنت تبث باللغة الإنجليزية مقابل 9% بالألمانية و 2% بالفرنسية و 1% تتوزع على اللغات الأخرى ، كما تذكر بعض الإحصائيات أن 80% من إيرادات دور السينما هي من الإعلام الأمريكية و 60% منها ما يعرض في فرنسا. هكذا تنتشر الصورة الأمريكية في العالم بشكل كبير و لا يعقل أن الصور الأمريكية بريئة بل العكس هي تحتل جوهر الثقافة الأمريكية و بالتالي فهي تكرس قوة النظام الأمريكي الذي يتجلى في النواحي العسكرية و الاقتصادية و السياسية و لعل ما يقف وراء انتشار هذه الثقافة بهذا الشكل هو خصوصية المجتمع الأمريكي و خصوصيته الثقافية. -فهو (المجتمع الأمريكي) منفتح كثيرا، قابل للعطاء و التغيير و التجديد وقادر على الإبداع في كل حين.

الثقافة في أمريكا متنوعة بتنوع الأجناس و متعددة بتعدد المجتمعات خارج أمريكا هذا ما يساعدها على الانتشار خارج أمريكا. التراث الأمريكي مرن و مازال يتشكل إلى الآن.

و السؤال الذي نطرحه الآن: ماهي مخاطر سيطرة الثقافة الأمريكية؟ إن سيطرة ثقافة ما على ثقافات أخرى هو خطر استراتيجي يهدد الاستقلال الاقتصادي و السياسي و الهوية الثقافية.

إن ما يدل على هذه الخطورة هو مناهضة فرنسا لما نسميه بالأمركة ... و لذلك فهي تحصن نفسها بمجموعة من الإجراءات حيث فرضت على التلفزيون تخصيص 60% من برامجه للإنتاج الأوروبي خوفا من طغيان الإنتاج الأمريكي على الفرنسيين

كما حجت المساعدات المالية على التظاهرات الثقافية الفرنسية التي لا تجعل اللغة الفرنسية لغة أعمالها¹.

وفي هذا الجانب لا نغفل أن نسجل أن سيادة ثقافة ما على أخرى لا تكون حسب التفوق القيمي والأخلاقي و الإنساني على غيرها و إنما يرتبط بقابلية الثقافات الضعيفة على الدّوبان وكذلك التبعية والاندماج الذاتيين في الثقافة المسيطرة وفق شعار ابن خلدون: "المغلوب مولع بتقليد الغالب"². هذا بالإضافة إلى مقدرتها على الإبداع وفق الإستراتيجية التي تمكنها من الاستمرارية والمشاركة وليس الانغلاق

¹ - فهد العرابي الحارثي ، "العولمة عصر سيطرة الثقافة الأمريكية على سائر الثقافات" ، مجلة عالم الاقتصاد، العدد 86.

² ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون دار القلم، بيروت، الطبعة السابعة 1989 ص:147

على الذات و إعادة إنتاج ثقافة ماضية رافضة ومحتجة على الثقافة الغربية .

وهنا يمكن الإجابة على أولئك الذين يربطون الهوية بالماضي فقط فهم يخافون من العولة التي تعمل على تنميط القيم والأفكار وتوحيد المنتجات الثقافية، غير أن مفهوم الهوية أوسع واشمل من الارتباط بالماضي وبما تم انجازه .والحقيقة أن الهوية ترتبط أيضا بالمستقبل، وبطموح الأمة وأمالها في بناء مستقبلها من خلال استثمار مكتسبات الماضي. وقد عبر احدهم عن هذه الفكرة في قوله: " إن التحولات الكونية قد ألفت بنا في آتون آلة حضارية جهنمية لا نملك أن نقف قبالها عند حدود النظر إلى عجائب تركيبها، وطرائق عملها، وفعلها، مأخوذين بالدهشة والاستغراب أو الذعر فحسب إن كل شيء يوجب إن كانت الحياة تعني لنا شيئا، وإن كان البقاء أمرا يشغل بالنا، ويقلق راحتنا، أن نضرب أنظارنا إلى ما يحدث ، وإن نبدع الآليات الفاعلة التي تهين لنا استجابات مطابقة تعين على الحياة، وعلى استمرار الوجود في شروط آمنة لنا نحن وللآتين من بعدنا ممن يمتون لنا بروابط خاصة في تلك التي نتكلم عليها ، ونحيل إليها في كل مرة نريد أن نعرف بأنفسنا وخصوصياتنا الشخصية أو التاريخية أو الحضارية أو الإنسانية قبالة الآخرين والاعيار"¹

نستخلص مما سبق أن العولمة لا تهدد الهوية إلا بالنسبة لرؤية تربط الهوية بالماضي وتعتبرها معطى جاهزا أو مكتملا بينما الهوية كما ترتبط أيضا بالمستقبل كذلك أي بطموح الأمة وأمالها في البناء والتشييد وصناعة مستقبل يربط الماضي بالحاضر وبعبارة أخرى يستنير من الماضي ويستثمر ما هو متاح عالميا وهكذا يكون التحدي أمام الثقافات الضعيفة تحديا مزدوجا أي صراعا ضد السيطرة والهيمنة الخارجية من جهة وصراعا ضد العجز والقصور من جهة أخرى. خلاصة الأمر يمكن القول أن المعارك الثقافية التي تخوضها المجتمعات، دفاعا عن تراثها، و تقاليدها، ولغتها، ودينها، أعمق تجربة تحريرية تحاول بها تجاوز الرواسب الماضية من جهة ، وآليات الاستلاب الفكري، و الهيمنة الإيديولوجية من جهة أخرى. كما أن البعد الثقافي هو معيار أولى لتحديد طبيعة مجتمع ما. وترتكز عليه أية محاولة للتحرر أو التغيير الاجتماعي أو التنمية المستقلة، ولذلك يجتهد المجتمع المثقف لمواجهة الخطاب الثقافي الهيمني، وإذا غاب هذا الخطاب الثقافي النقدي، في مجتمع ما فإنه يكرس الاستلاب واللافاعلية ، وهذا ما يسهل لنظام العولمة تطبيق فعل الاندماج الثقافي المطلق للغرب.

¹ فهمي جدعان ، "الطريق الى المستقبل"، بيروت ، 1996 ، ص: 7.

إن تدمير الثقافات المستضعفة يسهل للعلومة إحلال ثقافات أخرى تروج لمختلف البضائع المراد تسويقها ، وتعلن عن القيم الجديدة التي تخدم الرأسمالية.

العلومة اللغوية:

يقصد بالعلومة اللغوية الانتشار العالمي للغة ما وهيمنتها على غيرها من اللغات . إن اللغة باعتبارها وسيلة اتصال البشر بعضهم ببعض أصبحت أهميتها في عصر العولمة أكثر مما كانت عليه،¹ فهي من أهم الأركان التي تتأسس عليها الثقافات. والاعتزاز باللغة ليس وليدا لاعتزاز بذات اللغة، وإنما اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة، ومن هنا كانت الدعوة لاعتبار اللغة مقوما أساسيا من مقومات الأمة كما هي عند الألمان.² والواقع أننا نجد الأمم التي تحافظ على وحدة لغتها هي أكثر استقرارا من غيرها، وانطلاقا مما سبق ندرك خطورة هيمنة لغة أجنبية على لغة أصلية خاصة إذا كانت اللغة الوافدة أقوى وتعتبر عن ثقافة الغالب ففي هذه الحالة فإنها تدمر ثقافة المغلوب على المدى البعيد. كما أن اللغات غير الانجليزية في بعض الدول الأوربية، تبحث عن المكانة التي تليق بمقامها ، لقد عملت فرنسا على تجنيد الدول الفرانكفونية، وتجهزت مع كندا للعب الدور الرئيس في موضوع تقوية التعددية بمساهمة الجمعيات والمنظمات المختلفة³

وقد نشرت صحيفة لوموند الفرنسية في شهر مارس من عام 2006 مقالا يبرز فيه صاحبه "إن هيمنة اللغة الوحيدة هي تهديدا للفرنسيين".⁴ ودعا الكاتب إلى ضرورة النضال ضد هذا التهديد. "ويتوسع هذا التهديد لرفض الرؤية الثقافية الأحادية والعمل على التنسيق بين مختلف الثقافات الأوربية باعتبار تشاركتها في ارث ثقافي تاريخي" في إطار مفهوم أوربا الموحدة تسعى المجموعة الأوربية إلى بلورة ثقافة أوربية واحدة تعمق الانتماء الثقافي والإرث التاريخي الذي يدعم مساعي الاندماج الثقافي⁵. ومن مظاهر عولمة اللغة الانجليزية أنها أصبحت لغة الانترنت، كما يوضحها الجدول الموالي:

¹ لان الهوية الحضارية للمجتمعات تشكلها اللغة ومادامت الهويات مهددة بالخطر فإن الحضور اللغوي أساسي في عصر العولمة
² يعتز الألمان بلغتهم ويعتزون بها ويعتبرون النجاح في أي امتحان مشروط بالنجاح في مادة اللغة الألمانية.

³ Armand Mattelart, « Bataille à l'UNESCO sur la diversité culturelle », le monde diplomatique du 1-10-2005

⁴ Claude Hagège, « contre la menace de la langue unique » le monde du 03-03-2006

⁵ - انظر محمد علي حوات، "العرب والعلومة شجون الحاضر وغموض المستقبل"، مكتبة مدبولي، القاهرة. الطبعة الأولى، 2002، ص: 179.

اللغات الأكثر استعمالا في الانترنت حسب آخر الإحصائيات مارس 2006

اللغة	مستعملي الانترنت بهذه اللغة	النسبة المؤوية لكل المستعملين للإنترنت	سكان العالم الناطقين بهذه اللغة	تطور النسبة من 2000-2005
الانجليزية	312,757,646	30.6 %	1,125,664,397	128.0 %
الصينية	132,301,513	13.0 %	1,340,767,863	309.6 %
اليابانية	86,300,000	8.5 %	128,389,000	83.3 %
الاسبانية	80,593,698	7.9 %	429,293,261	229.2 %
الجرمانية	56,853,104	5.6 %	95,982,043	106.0 %
الفرنسية	40,974,004	4.0 %	381,193,149	235.9 %
الكورية	33,900,000	3.3 %	73,945,860	78.0 %
البرتغالية	32,372,000	3.2 %	230,846,275	327.3 %
الاطالية	28,870,000	2.8 %	59,115,261	118.7 %
الروسية	23,700,000	2.3 %	143,682,757	664.5 %
اللغات العشرة	828,621,965	81.0 %	4,008,879,867	156.0 %
بقية اللغات العالمية	194,241,342	19.0 %	2,490,817,193	421.6 %
المجموع العالمي	1,022,863,307	100.0 %	6,499,697,060	183.4 %

المصدر [/www.nielsen-netrating.com](http://www.nielsen-netrating.com)

كما أصبحت الانجليزية اللغة الثانية في اغلب بلدان العالم وقد بلغ عدد المتحدثين بها عام 2000م قرابة بليون شخص ، ومن مظاهرها أيضا انحسار نطاق بعض اللغات المحلية وقد أفادت بعض الدراسات لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة أن نصف اللغات المحلية في العالم هي في طريقها إلى الزوال مما يهدد الثقافات والبيئة في آن واحد.

إحصائيات الاستعمال اللغوي في الانترنت إحصائيات 2005 .
المصدر¹

اللغة	مستعملي	نسبة الاستعمال	عدد الناطقين بها
-------	---------	----------------	------------------

1

[Global Internet Statistics \(by Language\)](#) ²

بالملين بالتقريب	مقارنة بالنطق	الانترنت بالملين	
567	40,2%	228	الانجليزية
5633	59,8%	339	غير الانجليزية
1,218	33.9%	192,3	اللغات الأوربية غير الانجليزية
6.6		1.9	الكاتلانية
12		2.2	التشيكية
23.6	2.1%	11.8	الألمانية
6		2.1	الفنلندية
77	3.9%	22.0	الفرنسية
100	6.8%	38.6	الجرمانية
12		1.6	اليونانية
14.5		1.3	الهنگارية
62	3.6%	20.2	الايطالية
44		6.7	البولونية
176	2.6%	14.9	البرتغالية
26		0.8	الرومانية
167	2.0%	11.5	الروسية
5.4		3.2	الدنمركية
3.		0.2	الاسلندية
5		2.5	النرويجية
9		6.2	السويدية
19.7	2.1%	12.0	اللغات السكندنافية
5.6		0.7	السلوفاكية
2		0.6	السلوفينية
350	7.2%	40.8	الاسبانية
67.4		3.9	التركية
47		0.8	الاکرانية
1,218	33.9%	192.3	اللغات الآسيوية
300	0.8%	4.4	العربية
874	9.8%	55.5	الصينية
5.2		1.9	العبرية
125	9.2%	52.1	اليابانية
78	4.4%	25.2	الكورية
229		4.8	المالايوية
46		2.3	التاوية
	26.1%	146.2	مجموع اللغات الآسيوية
6,200		560	مجوع العالمي

مجال آخر من المجالات المهمة التي لا يمكن الحديث عن العولمة دون التطرق إليه انه مجال الاتصال والإعلام باعتباره الحصان الوديع الذي استخدمته العولمة للوصول إلى أهدافها المختلفة.

مظاهر العولمة على مجال الاتصال:

يقول **كارل بوبر Karl Popper** متحدثاً عن مكانة الاتصال وقيّمته في حياة الناس: "إن القدرة على الاتصال هي في أساس تكوين الإنسان"¹. وهذا يعني أن الإنسان لا يمكنه الاستغناء عن الاتصال مهما كان نوعه، ويعتبر الإعلام وسيلة اتصال بين الشعوب، ومحتواه هو المعلومات بمستوياتها وأشكالها المختلفة، العلمية والتكنولوجية والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها.² واليوم يعتبر الاتصال القوة المحركة الأساسية لظاهرة العولمة، والتي جعلها تشكل واقعاً قائماً على الأرض. ومع تطور الثورة التقنية الجديدة والتي بدأت تكتسح العالم منذ ما يزيد على العشر سنوات الأخيرة من القرن المنصرم. فقد يسرت ربط أجزاء العالم، باستخدام تقنية المعلومات مستندة لشبكة الاتصالات العالمية الهائلة القدرة، وتجعل من العالم أكثر اندماجاً وانكماشاً وأكثر ترابطاً وتداخلاً.

وتعرف المعلومة بأنها: "معرفة مسجلة في إطار مكتوب أو مسموع أو سمعي-بصري على وثيقة ما"³، وتتصف المعلومات في عالمنا المعاصر بعدم التوازن الأساسي الذي يعكس عدم التوازن العام في المجالات السياسية والاقتصادية على الصعيد العالمي.⁴ وهو ما يعني أن المعلومات باعتبارها مواد ذات قيمة مالية خاضعة للاستثمار من طرف المؤسسات القوية أكثر من غيرها.

لقد أثبتت بعض الدراسات الدور الخطير الذي تقوم به وسائل الاتصال الحديثة في تنسيق الأخبار، بما يوافق مصالح الأقوياء ويقول أحد الباحثين في مجال الإعلام العربي: "إن وسائل العولمة ومنها قنوات البث الأجنبية تتجاهل قضايا وأخبار بلدان العالم الثالث، وتبرز تحيزها في نقل الأخبار من هذا العالم إلى العالم المتقدم وبالعكس بل وتعتمد إلى تشويه بعض المعلومات والصور وقلب الحقائق بما يتماشى وإيديولوجية العولمة"⁵.

ويضيف قائلاً: "إن ظاهرة العولمة مزاياها وانعكاساتها لا تحرر الشعوب من الظلم، ولكنها عممت دائرة الاستبداد لتمتد إلى دول العالم الأخرى،

¹ - جوزيف س. ناي- جون د. دونا هيو الحكم في عالم يتجه نحو العولمة - ترجمة شريف الطرح مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى- 2002. ص 197.

² - أحمد بدر، الإعلام الدولي، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية، دار قباء، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1998- ص: 93.

³ Yves –François le coadic , « la science de l'information » 3^{ème} édition , presses universitaire de France, Paris, 2004 P : 06

⁴ - عدم التوازن هذا يؤدي إلى احتكار المعلومات من جانب الدول القوية.

⁵ - عبد المالك رومان الدناني ، الإعلام العربي وتحديات العولمة، "دراسة في النموذج البث الفضائي، بغداد، العراق، 2004، " . ص: 283

ولا تلغي الفقر ولكنها زادت الأغنياء غنى والفقراء فقرا، ولا تتيح المعرفة لجميع البشر، ولكنها عمدت إلى احتكار المعلومات ، لأنها ارتبطت ارتباطا وثيقا بالهيمنة السياسية والتوسع الاقتصادي وبالتطور التكنولوجي.¹

على هذا الاساس يرتبط تاريخ تسجيل المعلومات بالتطور الحضاري للإنسان، لذلك قيل "إن تاريخ المعلومات والمكتبات هو تاريخ سجل الإنسان الفكري"².

يعود تاريخ علم المعلومات la science de l'information إلى عام 1968 م³

ويذهب الدكتور **حمزة عبد اللطيف** في تأريخه للإعلام إلى أن هذا الأخير قد عرف ثلاث ثورات.⁴

الثورة الأولى: بدأت مع ظهور المطبعة على يد **غوتنبرغ** عام 1436م واستمرت إلى غاية منتصف القرن السابع عشر حيث برزت فكرة جمع الأخبار وطبعها في نشرات إخبارية.

الثورة الثانية: تزامنت مع ظهور وكالات الأنباء في أربعينات القرن الثامن عشر.⁵

الثورة الثالثة: تزامنت مع ظهور وسائل الإعلام الحديثة كالسينما والراديو والتلفزيون.

إن أبرز مظهر للعولمة في مجال الاتصالات هو الثورة الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات التي قربت المسافات، واختصرت الأزمنة وجعلت العالم قرية واحدة، واعتماد النظام الرأسمالي على المعلومات حتى سميت هذه المرحلة بالرأسمالية المعلوماتية⁶. وسماها آخرون بالرأسمالية المعلوماتية لتزواج المال مع المعلومات . ويعتبر مجال الاتصال من المجالات التي ولد فيها ما يعرف باقتصاد المعلومات، وهو العلم الذي يتخذ من شبكات المعلومات والاتصالات اللاسلكية أدوات

¹ - عبد المالك رومان الدناني ، الإعلام العربي وتحديات العولمة، "دراسة في النموذج البث الفضائي، بغداد، العراق، 2004 ص: 281

² - أحمد بدر، "المدخل الى المعلومات و المكتبات"، دار المريخ، الرياض 1985. ص 18.

³ Yves –François le coadic , « la science de l'information » 3^{ème} édition ,presses universitaire de France, Paris, 2004 P : 117

⁴ عبد اللطيف حمزة، "الإعلام له تاريخه ومذاهبه"، دار الفكر العربي، دون ذكر مكان الطبع ولا السنة ، ص:12

⁵ يعتبر الكاتب وكالة **اسوسيتد برس** Associated Press من أوائل وكالات الأنباء التي خرجت إلى الوجود سنة 1848م أما أول صحيفة مطبوعة فقد ظهرت في بلجيكا على يد **ابراهيم فيرهوتن** عبد اللطيف حمزة، "الإعلام له تاريخه ومذاهبه"، دار الفكر العربي، دون ذكر مكان الطبع ولا السنة ، ص:13

⁶ فتحي ابو الفطل ، عز الدين حسنين، ومحمد القفاص، "دور الدولة والمؤسسات في ظل العولمة"، ص:36

لتقدمه، و له القدرة الكافية على تجاوز عائق المكان من خلال الشركات متعددة الجنسيات، و تكامل الاقتصاديات الإقليمية. و هكذا أصبحت للمعلومات أهمية كبرى في تنمية أي اقتصاد خاصة بعد تخزينها في ما يعرف ببنك المعلومات، ويقصد بها آلة معالجة المعلومات حيث يتغذى جهاز الحاسوب بالمعلومات قصد معالجتها وبرمجتها كمعطيات معلوماتية وهي بالفرنسية DONNES وبالانجليزية DATA¹ إذ ساعد التطور التكنولوجي في أرباح الشركات متعددة الجنسية مما يحقق لها القدرة الكبيرة من المرونة الإنتاجية، و الدعم القوي لإرساء مكانتها، و من هنا وجدت بكثرة " مدن المعلومات"².

وقد لعبت مختلف وسائل الاتصال كالتلفزيون (خاصة أثناء وقت الفراغ) دورا مهما في نقل المعلومات³ وبسرعة فائقة ويشترك الهاتف الثابت والنقال والإنترنت في هذا الدور، وبهم جميعا تحققت عولمة المعلومات⁴.

لقد بات الإعلام أحد أهم الأسلحة العسكرية الفتاكة، التي تستخدمها القوى المسيطرة والمؤسسات الكبرى، لما يناط بالسلطة الرابعة من مهام تصب نتائجها غالبا في دوائر الاستخبارات، ومن ثم في مراكز صنع القرار، حيث تفرض السلطة الإعلامية موقفها بما يوافق المصالح ويعززها. ومن الأمثلة على ذلك تمكن الإعلام الأمريكي ومن خلفه الإعلام الغربي وفي ذيله بعض من مؤسسات الإعلام العربي من التهيئة لاحتلال العراق ونهبه، بعد أن تمكنت القوى الكبرى في العالم الذي يدعي الحرية والديمقراطية من استئجار منابع الضخ الإعلامي في المنطقة وخارجها وتوظيفها في إظهار العراق كدولة خارجة عن القانون الدولي وراعية للإرهاب .

و من الانقلابات الكبيرة التي حدثت على الصعيد الإعلامي، حيث غيرت وسيلة التواصل الإنساني وأعطت للرسالة الإعلامية دفعا جيدا، وفتحت أفقا واسعة للاتصال بين الأفراد والمؤسسات هو ظهور شبكة الإنترنت في الوقت الذي أتاح البث الفضائي الإذاعي والتلفزيوني فرصا جديدة للتواصل الإعلامي.

¹ -Lucien SFEZ , « dictionnaire critique de la communication » -tome 2 ,presse universitaires de France Paris, 1^{er} édition, 1993, P :1460

² يقصد بمدينة المعلومات بالمدينة الحضرية التي تتركز فيها شبكات المعلومات والاتصالات اللاسلكية بصورة كبيرة. في الدول الصناعية الكبرى

³Jean Cluzel, « la television » , 1^{er} édition , Flammarion paris 1996 ,P :07

⁴ - Leonard le Blanc, "cultiral globalization" , p 08.

و تعمل شبكة الإنترنت على تقديم الخدمات المعلوماتية إلى الجماهير الواسعة من العالم بدون رقابة من الدولة التي يعيش فيها الأفراد، كما تمكنهم من الوصول إلى أي مكان من العالم دون إذن من الدولة و دون تذكرة سفر. وبواسطة هذه الشبكة المعلوماتية تنتقل المعلومات بالصوت والصورة وبصيغة مكتوبة وفي ثوان قليلة، من أقصى الأرض إلى أي مكان آخر من العالم، خاصة بعد توسيع طرقها وإنشاء ما يسمى الطريق السريع للمعلومات، وبالفرنسية l'autoroute de l'information وهي بدورها مترجمة عن كلمة information superhighway الانجليزية وهي كلمة بدأ استعمالها عام 1992 مع نائب الرئيس الأمريكي **أل غور**، وقصد بها الشبكة المعلوماتية التي تدار بواسطة الإنترنت،¹ وسمحت لأهل الأرض بالتعارف فيما بينهم بالإضافة إلى التعلم والاحتكاك بمختلف الثقافات، والاستفادة حتى من المكتبات العالمية بل حتى بيع وشراء مختلف الحاجات الضرورية. و يقتضي العمل بالإنترنت ، أربعة أشياء:

1. جهاز كمبيوتر.
 2. جهاز مودم للاتصالات.
 3. خط هاتفي.
 4. اشتراك في الشبكة سلكيا او لا سلكيا.
- وقد عرفت الإنترنت إقبالا كبيرا من الجماهير ومن المتوقع أن يصل عدد المشتركين في الشبكة إلى حوالي مليار في عام 2050.²

نشأة الانترنت:

ولنتساءل كيف ظهرت الأنترنت الى الوجود قبل الخوض في مختلف جوانبها.

تعود فكرة إنشاء الإنترنت إلى عام 1969 عند ما خشيت وزارة الدفاع الأمريكية أن يؤدي الهجوم بالأسلحة النووية على **الولايات المتحدة الأمريكية** في حالة نشوب حرب إلى انقطاع قنوات الاتصال بين المراكز الرئيسية للمعلومات في وزارة الدفاع الأمريكية فتم توصيل أجهزة الكمبيوتر فيما بينها وسمي هذا النظام في البداية باسم **"أربانت"**³ و ثم ربط هذه الشبكة مع بعض مراكز الأبحاث العلمية والجامعية وقبل سنة 1980 كانت الأنترنت قاصرة على الجيش والجامعات تم خرجت بعد 1980 للضوء بعد أن انقسم مشروع البحث في **أمريكا** إلى قسمين: الأول استخدم في الأبحاث المدنية والقسم

¹ - sylvan Allemand , Jean claude , Ruano borbalon , « la mondialisation, économie et société » édition la cavalier bleu, Paris, mai 2005, P :120

² - Robert. O. Kebane. And Joseph S.NYE.JR, "Power and Interdependence in the information age" . p : 82.

³ - ممدوح تمار، " الأنترنت اقتصاد القرن الواحد والعشرين " ، مجلة عالم الاقتصاد، العدد: 79.

الثاني احتفظ به للاستخدامات العسكرية وفي سنة 1986 ربطت مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية الباحثين فيما بينهم في كافة أنحاء البلاد،¹ بواسطة شبكة واحدة.

إذا اعتبرنا أن الانترنت هي شبكة تبادل المعلومات العالمية السريعة، في جميع مجالات الحياة العلمية و الطبية و الثقافية و الاجتماعية و الإعلامية، بصفة عامة و المجالات الاقتصادية و التجارية و المالية و السياسية بصفة خاصة، فإن ما تتيحه شبكة في نشر البرامج العلمية على جميع المستويات يمكن الإشارة إليه في النقاط التالية:

1- يسمح البريد الإلكتروني للمشارك إرسال و استقبال، و تبادل الخطابات، و الوثائق إلى الأفراد و الهيئات الرسمية في مئات الدول.

2- توفر الشبكة مساحات كبيرة للإشهار بالسلع المادية و الفكرية.

3- توفر للأكاديميين و الباحثين معلومات مهمة و مصادر أكاديمية وفيرة.

4- توفر الشبكة وسائل تسلية و ألعاب تناسب كل الأعمار.

5- تسهل الانترنت لأي مواطن مطالعة الصحف، و المجالات المتواجدة في أنحاء العالم.

6- تتيح فرصة للمرضى حيث تمكنهم من استشارة أي طبيب في العالم و عرض كامل التقارير المخبرية على المتخصصين و هو ما يوفر عناء السفر و تكاليف النقل.

7- تمكن شبكة الإنترنت الأفراد من فتح قنوات للحوار المشترك مع الغير في جميع أنحاء العالم حيث تقام ندوات تطرح من خلالها موضوعات للمناقشة و التحليل.

8- تمكن المشتركين من التسوق في جميع أسواق العالم مع إمكانية الشراء و البيع من خلال الشبكة و كذلك إجراء مختلف الصفقات التجارية.

و تقول بعض الإحصائيات أن الدخل الإجمالي للصفحات التجارية على الشبكة قد وصل عام 1998 إلى 24 مليار دولار و عام 1999 إلى 38 مليار دولار و عام 2000 إلى 63 مليار دولار .

9- توفر شبكة الإنترنت للمسافرين حجز تذاكرهم الخاصة بالطيران و الفنادق.

10- و تستغل الإنترنت من طرف المؤسسات العلمية و التعليمية لخدمة نشاطها العلمي عن طريق تخزين المحاضرات و المواد

¹ - عبد المجيد صويلح و احمد راشدي ، "تاريخ الانترنت حدوده ونقاط ضعفه" جريدة اليوم، الجزائر تاريخ 17 أكتوبر 2001

العلمية التي يتم تدريسها للطلاب في مواقع تتيح للطلبة في إنزال هذه المحاضرات و قراءتها.

و بنفس العملية يمكن للطلاب إرسال المادة المطلوبة منه إلى الأستاذ الجامعي عن طريق كتابتها في الجهاز و حفظها ثم إرسالها إليه. غير أن الدراسات التي نشرت حول استعمال الانترنت، تكشف عن الاستعمال الكثيف لها من طرف الأمريكيين أكثر من غيرهم كما يشير إلى ذلك الجدول الموالي من خلال احدث الإحصائيات. هذ الإحصائيات حديثة جدا أصدرتها المؤسسة المختصة بإحصائيات الانترنت المسماة (نيالسون) Nielsen في 31 مارس 2006 أما إحصائيات عدد السكان فتركز على معطيات www.world-gazetteer.com

الدول العشرة الأكثر استعمالا للانترنت في العالم

الترتيب	الدولة	مستعملي الانترنت	عدد السكان	النسبة	النسبة العالمية
1	الولايات المتحدة	205,326,680	299,093,237	% 68.6	% 20.1
2	الصين	111,000,000	1,306,724,067	% 8.5	% 10.9
3	اليابان	86,300,000	128,389,000	% 67.2	% 8.4
4	الهند	50,600,000	1,112,225,812	% 4.5	% 5.0
5	المانيا	48,721,997	82,515,988	% 59.0	% 4.8
6	بريطانيا	37,800,000	60,139,274	% 62.9	% 3.7
7	كوريا الجنوبية	33,900,000	50,633,265	% 67.0	% 3.3
8	إيطاليا	28,870,000	59,115,261	% 48.8	% 2.8
9	فرنسا	26,214,173	61,004,840	% 43.0	% 2.6

10	البرازيل	25,900,000	184,284,898	% 14.1	% 2.5
11	روسيا	23,700,000	143,682,757	% 16.5	% 2.3
12	كندا	21,900,000	32,251,238	% 67.9	% 2.2
13	اندونيسيا	18,000,000	221,900,701	% 8.1	% 1.8
14	اسبانيا	17,142,198	44,351,186	% 38.7	% 1.7
15	المكسيك	16,995,400	105,149,952	% 16.2	% 1.7
16	استراليا	14,189,557	20,750,052	% 68.4	% 1.4
17	تايبوان	13,800,000	22,896,488	% 60.3	% 1.4
18	هولندا	10,806,328	16,386,216	% 65.9	% 1.1
19	بولونيا	10,600,000	38,115,814	% 27.8	% 1.0
20	تركيا	10,220,000	74,709,412	% 13.7	% 1.0
المجموع		811,986,333	4,064,319,458	8,7%	20,6%
المجموع العالمي		1,022,863,307	6,499,697,060	15,7%	100%

المصدر: www.internetworldstates.com

ويأتي الصينيون في المرتبة الثانية من حيث عدد المستعملين نظرا لكثرة تعدادها السكاني وتفوقها التقني و يفكر الصينيون الآن بابتكار صور جديدة لشبكة جديدة للانترنت.¹ وفي المقابل تضعف هذه النسبة عند الأفارقة كما يتضح في الجدول الموالي.

مستعملي الانترنت في أفريقيا مقارنة مع مستعمليها في بقية

العالم

¹ Bernard Benhamou, « enjeux politiques et technologiques de la mondialisation », conférence au centre George Pompidou, le 22-5-2006.

الجهة	عدد السكان إحصائيات 2006	نسبة السكان بالنسبة للعالم	مستعملي الانترنت آخر الإحصائيات	نسبة الاستعمال لعدد سكان افريقيا	النسبة المؤوية العالمية للاستعما ل	تطور نسبة الاستعما ل (2000-2005)
افريقيا	915,210,928	14.1 %	23,649,000	2.6 %	2.3 %	423.9 %
بقية العالم	5,584,486,132	85.9 %	999,214,307	17.9 %	97.7 %	180.3 %
المجموع العالمي	6,499,697,060	100.0 %	1,022,863,307	15.7 %	100.0 %	183.4 %

أن التسهيلات التي قدمتها الوسائل الإعلامية من تلفزيون و راديو و هاتف و إنترنت قد أحدثت ثورة المعلومات فما هي معالم هذه الثورة ؟

ثورة المعلومات :

لا شك أننا نعيش فترة حاسمة صاغت الثورة التقنية العارمة التي أحدثت وستحدث تغيرات هامة و بمعدلات متسارعة لم يشهدها المجتمع الإنساني من قبل.

حتى قيل إن التكنولوجيا تقود العولمة¹ وهي مقولة تعبر عن دور التكنولوجيا الحديثة في جر في قطار العولمة بصورة سريعة . إن الثورة التقنية الراهنة لم تنشأ في فراغ، ونفس الأمر يتعلق بالثورة الصناعية التي لم تحصل فجأة، بل كانت نتيجة مسار طويل يمتد من أواخر القرون الوسطى إلى غاية تجلياته في انجلترا، من خلال التحسينات التي أدخلت على أساليب الإنتاج الزراعي والحرفي، فكذا الأمر بالنسبة إلى الثورة التقنية الراهنة فقد جاءت تتويجا لمختلف الانجازات التي حققها الإنسان من قبل في مجالي العلم والإنتاج . تبحث تكنولوجيا الاتصال عن أفضل الوسائل التي تعمل على تسهيل وصول المعلومات وتبادلها وجعلها في متناول طالبيها، وفائدة ذلك هي " تيسير الحصول على المعلومات من أجل إشباع رغبة المتلقي والبحث عن معارف جديدة." ²

¹ Clayton Brown, "Globalization and America since 1945" edition Scholarly resources , Wilmington ,1984 P:34

² - أبو بكر محمد الهرش، تكنولوجيا المعلومات والمستقبل، المجلة العربية للتوثيق والمعلومات. عدد 1 تونس، أبريل/ ماي 1997. ص 218.

واعتمدت ثورة الاتصالات على العقل البشري، والالكترونيات الدقيقة، والحاسوب وتوليد المعلومات وتنظيمها، واختزانها واستردادها، توصيلها بسرعة فائقة¹.

يقصد بالتقنية "وسيلة تطبيق الاكتشافات أو الأساليب العلمية أو المعرفة المنظمة لإنتاج أدوات معنية،² ونفهم من هذا أن ثورة الاتصالات اعتمدت على أساسين بارزين هما المعطيات العلمية من جهة، والوسائل التقنية التي تساهم في إنتاج هذه المعطيات. يمكن حصر التوجهات الكبرى لثقافة الاتصالات كما حصرها الباحث نبيل علي كما يلي:

- تتجه من الصوتي إلى الرقمي.
- تتجه نحو الرخيص و المتاح دوما.
- تتجه من الإلكتروني إلى الفوتون أو من أسلاك النحاس ذات السعة المحدودة لنقل البيانات إلى الألياف الضوئية ذات السعة الفائقة لنقل البيانات.
- من السلبي أحادي الاتجاه إلى الإيجابي ثنائي الاتجاه.
- من الثابت إلى النقال.
- من شفرة الإنجليزية إلى الشفرة المتعددة اللغات.

يقول **بيل جيتس** مؤسس شركة "**ميكروسوفت**"³ مشيراً إلى المسار الذي ستبلغه ثورة الاتصالات من تحسن و تسهيلات: " أن الثورة في مجال الاتصالات قد بدأت لتوها، وسوف تستغرق تطوراتها عدة قرون قادمة ستدفعها إلى الإمام -التطبيقات الجديدة التي ستلبي غالباً حاجات غير متنبأ بها حالياً، و خلال السنوات القليلة القادمة . وهناك قرارات كبرى سيتعين على الحكومات و الشركات و الأفراد اتخاذها و سيكون لهذه القرارات أثرها في المسار الذي يسلكه - الطريق السريع للمعلومات و في مدى الفائدة التي سيجنيها متخذو تلك القرارات، و أنه لجوهري للغاية أن تشارك مجموعة واسعة من الناس وليس مجرد التكنولوجيا أو أن يتفق أن يكونوا موجودين داخل صناعة الكمبيوتر في النقاش المتعلق بالكيفية التي يتم بها تشكيل تلك التكنولوجيا فإذا ما أمكن تحقيق ذلك فإن الطريق السريع للمعلومات سيخدم الأهداف

¹ - محمد منير سعد الدين " الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والإسلامي " العروس لطباعة والنشر، بيروت 1998، ص: 234.

² - أنظر نبيل علي ، " ثورة المعلومات ، الجوانب الثقافية " التكنولوجيا " في كتاب العرب و العولمة " مركز دراسات الوحدة العربية " ص 180

³ - تعتبر من اكبر الشركات في صناعة برامج الإعلام الآلي

التي يرغب المستخدمون في تحقيقها وعندها سيكسب قبولاً واسعاً و يصبح واقعاً معيشياً"¹.

أما عن تاريخ ثورة المعلومات فيورد "الكاتب المصري" الأستاذ **نبيل علي**، الأطوار التي مرت بها ثقافة المعلومات منذ سنة 1948 إلى الآن ويحصرها في أربعة أجيال وهي:

1- الجيل الأول. 1948:

استخدم فيها الصمام الإلكتروني كوحدة البناء الرئيسية لتطوير حاسبات ضخمة يقدر وزنها بالأطنان و تشغل المساحات الكبيرة و تستهلك طاقة كهربائية كبيرة.

2- الجيل الثاني. 1958:

حل فيه الترانزيستور محل الصمام الإلكتروني ليصبح الكمبيوتر أصغر وأكفأ وأسرع و يقل إلى حد كبير معدل استهلاكه للطاقة الكهربائية.

3- الجيل الثالث 1964:

جاء نتيجة استخدام شرائح الدارات المتكاملة حيث حلت شريحة سلكون واحدة مقام العديد من وحدات الترانزيستور، والعناصر الإلكترونية الدقيقة الأخرى من المقاومات و المكثفات و التي اندمجت بصورة مكثفة و متكاملة داخل البنية البلورية للشريحة المذكورة.

4- الجيل الرابع 1972:

لا يختلف هذا جيل عن سابقة إلا في كثافة العناصر الإلكترونية التي أمكن دمجها في رقيقة السليكون و التي بلغت عام 1974 خمسة آلاف وحدة أولية².

و بعد هذه المراحل جاء الطور الخامس حيث سعى مصمموه إلى إيجاد حاسب ذكي قادر علي التحليل و التركيب و على الاستنتاج المنطقي و حل المسائل بسرعة و برهنة النظريات و فهم النصوص و هكذا توالى المشاريع الضخمة في هذا الإطار محققة إنجازات عظيمة في وقت قصير.

ونتساءل الآن كيف أثرت التكنولوجيا في حياة الإنسان وحركية المجتمع ؟

إن تحديد تعريف واضح لمفهوم التكنولوجيا هو من الأمور الصعبة باعتبار أن تعريف التكنولوجيا أحياناً يحمل في ثناياه مواقف سياسية و اقتصادية.

¹ - بيل جيتس "المعلوماتية بعد الإنترنت . طريق المستقبل" ، ترجمة عبد السلام رضوان عالم المعرفة "مجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت مارس 1998 ص: 9.

² - نظر نبيل علي، "ثورة المعلومات" ، مرجع سابق ص 105.

و لعل أكبر تعريف يبدو أنه متخلص من أبعاده الأيديولوجية في اعتقادنا هو أنها التطبيق العلمي للاكتشافات و الاختراعات العلمية المختلفة التي يتم التوصل إليها من خلال البحث العلمي.

و يعرفها (أي التكنولوجيا) الباحث الهندي **ايتمان رايم** مفرقا بينها وبين العلم في قوله: "التكنولوجيا معرفة الوسيلة و العلم معرفة العلة فالعلم ينتج المعرفة أما التكنولوجيا فتساعد علي إنتاج الثورة"¹.
و يمكن القول أيضا أن التكنولوجيا هي مجموعة المخرجات و الألياف التي يوظفها الإنسان لأداء عمل ما يشبع به حاجاته المادية.

و تعتبر التكنولوجيا عاملا مهما في تطوير الحركة الاقتصادية و العلمية، كما تساهم في تنمية الحركة الاجتماعية و من هنا يأتي الاهتمام بها من طرف الدول. و باعتبار استخدامهما يحقق النمو و الازدهار. وقد أثرت التكنولوجيات الحديثة علي البنية الاقتصادية فقد سهلت خدمات النت NET الاتصال بين جميع الأطراف، و سهلت تحويل المعلومات بين البائع والمستهلك بل وتسريعها وتحديثها كما في البنوك والأسواق والمؤسسات المالية ولكنها في الوقت نفسه قضت على بعض النشاطات التقليدية²

ففي مجال الاتصال تسند الدول الكبرى إلى الدور الكبير الذي تقدمه الأقمار الصناعية في إرسال المعلومات والصور من وإلى كل مكان، ويكشف الجدول الموالي عن قائمة الأقمار الصناعية التي أطلقت منذ 1957 إلى غاية 1999.

الأقمار	روسي	الولايات المتحدة	أوروبا	اليابان	الصين	الهند	دول أخرى	المجموع
الناجحة	3191	1774	225	61	77	12	3	5343
الفاشلة	186	158	29	8	9	4	3	397
المجموع	3377	1932	254	69	86	16	6	5740
النسبة المؤوية	59%	34%	4,4%	1,2%	1,5%	0,3%	0,2%	/

بين 4 أكتوبر عام 1957 و 31 ديسمبر عام 1999 أطلقت في الفضاء 5343 قمرا صناعيا بنجاح بينما فشل 397 في تحقيق الهدف من مجموع 5740 قمر صناعي مع الإشارة إلي تفوق روسيا في هذا

¹ - محمد آدم، التكنولوجيا و الاقتصاد في خدمة الإنسان و التنمية، مجلة النبا العدد 44 نيسان 2000.

² Laurent Batsch , le capitalisme financier 1^{er} édition , la découverte Paris 2002 ,P :102

المجال خلال تلك الفترة ، واليوم برزت دول أخرى في هذا المجال مثل الولايات المتحدة الأمريكية، الصين، والدول الأوروبية.

ففي المجال الثقافي عملت التكنولوجيا على تنمية الأعمال الفنية والإبداعية بتوفير الوسائل المختلفة المدعمة للعمل الثقافي و هذا يعني ارتباط الثقافة بالتكنولوجيا " إن الثورة الإعلامية والتكنولوجية والتي نحن نعيش عصرها تنطلق من ثنائية صناعة التكنولوجيا كأدوات وكشكل صناعي من جانب و من جانب آخر الإنتاج الثنائي والمعرفي الغزير القائم على البحث والتحليل و التفسير لعناصر القضايا والمشكلات الاجتماعية والسياسية والثقافية،¹ وهكذا تغير التكنولوجيا الوجه الثقافي للمجتمعات، وتجعلها أكثر حيوية.

كما نسجل تعاون الدول فيما بينها لتبني عمليات التمويل الخاصة بالمشاريع التكنولوجية من تلك الأمثلة اشتراك **المملكة المتحدة و فرنسا** في إنتاج طائرة "**الكونكورد**". كما ظهرت علي الساحة منظمات دولية تهتم بتطوير التكنولوجيات المختلفة و منها :

- منظمة الأغذية و الزراعة .. تأسست عام 1945، تهتم بتشجيع البحث في مجال الزراعة.
- الوكالة الدولية للطاقة الذرية .. تأسست عام 1954 تهتم بتشجيع الأبحاث في المجالات النووية المتعلقة بالطاقة الذرية و الاهتمامات النووية.
- المنظمة الدولية للمياه .. تأسست عام 1889.
- الإتحاد الدولي للاتصالات .. تأسس عام 1865.
- المنظمة الدولية للطيران المدني .
- المنظمة العالمية للأرصاد الجوية.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة.... تأسست عام 1914.

ومن فضل التكنولوجيا على الاقتصاد ممارسة التجارة الالكترونية حيث مكنت بعض المؤسسات من إحداث البيع والشراء دون الحاجة لمصاريف التأمين والنقل والشحن ووفرت الوقت الكافي لدفع واستلام الأموال في ثوان معدودة .

تقوم التجارة الإلكترونية على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت حيث تقوم المؤسسات و الشركات بجميع النشاطات الاقتصادية من خلال مواقعها على الإنترنت، " فالتجارة الإلكترونية تجارة في أسواق بلا حدود

¹ - نسمة أحمد البطريق، "الإعلام والمجتمع في عصر العولمة"، دراسة في المدخل الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004، ص: 14.

جغرافية أو زمنية " ¹ وهي تجارة كثر استخدامها بفضل عنصرين هامين هما:

- 1/ الإنترنت باعتبارها وسيلة الإعلان والعرض والبيع والشراء.
 - 2/ بطاقات الدفع باعتبارها الوسيلة المستخدمة في الدفع.
- وهكذا أصبح الناس يعيشون في فضاء جديد يعرف بالفضاء المعلوماتي عرف السكرتير العام لليونيسكو " **فريدريك مايور** " الفضاء المعلوماتي Cyber space بقوله: "بيئة إنسانية وتكنولوجية جديدة للتعبير والمعلومات والتبادل. وهو يتكون أساسا من الأشخاص الذين ينتمون لكل الأقطار، والثقافات واللغات والأعمار والمهن الذين يعرضون أو يطلبون المعلومات من ناحية، وشبكة عالمية من الحاسبات المرتبطة فيما بينها عن طريق البنية التحتية الاتصالية، والتي تسمح بتداول المعلومات ونقلها بطريقة رقمية Digital " ². ويضيف قائلا واصفا مجتمع المعلومات بقوله: " ليس هناك شك في أن مجتمع المعلومات العالمي البارز قد بدأت تتضح معالمه الرئيسية وقسماته البارزة، بعد أن أصبح حقيقة واقعة، وخصوصا في المجتمعات المتقدمة، في هذه المجتمعات أصبحت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الجديدة هي التي تهيمن على الفضاء المعلوماتي والمعرفي، في مجالات البحث و التدريب والتجارة والأعمال والترفيه " ³.

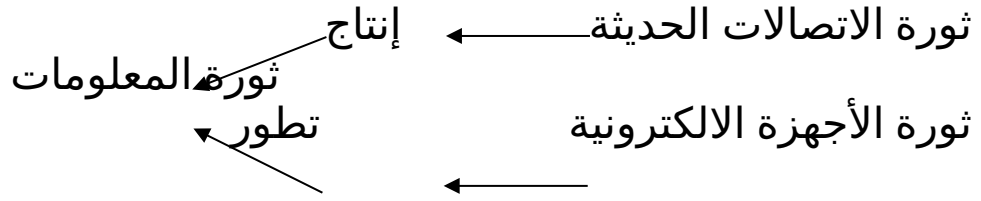
ويتحدث المهتمون بعالم الاتصال علي ثلاث ثورات حدثت في مجال التطور التكنولوجي وهي:

1. ثورة المعلومات وتمثل ذلك الكم المعرفي الضخم المتوفر في أشكال لغات و معارف متنوعة و المستفاد منه بواسطة تكنولوجيا المعلومات.
2. ثورة الاتصالات الحديثة المتمثلة في وسائل الاتصال السلكية و اللاسلكية مرورا بالتليفون و النصوص المتلفزة، و الآن يعتمد الاتصال على الأقمار الصناعية والألياف البصرية.
3. ثورة الأجهزة الالكترونية Micro ordinateurs التي توغلت في جميع النشاطات و ارتبطت بوسائل الاتصالات الأخرى مثل الانترنت.

¹ - فتحي أبو الفضل ، دور الدولة والمؤسسات في ظل العولمة " ، ص: 232.

² - انظر السيد ياسين "المعلوماتية وحضارة العولمة رؤية نقدية عربية" ، جانفي 2001. دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر، ص: 18.

³ - المرجع نفسه ص 25.



و تعرف تكنولوجيا الاتصال على أنها "مجموع التقنيات أو الأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون، أو المحتوى الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي أو الجمعي أو الواسطي و التي يتم من خلالها جمع المعلومات، و البيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة أو المسموعة المرئية أو المطبوعة أو الرقمية "من خلال الحاسبات الالكترونية" ثم عملية نشر هذه المواد الاتصالية أو الرسائل أو المضامين مسموعة أو مسموعة مرئية، أو مطبوعة أو رقمية و نقلها من مكان إلى مكان و تبادلها . و قد تكون تلك التقنيات يدوية أو آلية أو الكترونية أو كهربائية حسب رحلة التطور التاريخي لوسائل الاتصال و المجالات التي يشملها التطور"¹.

دور تكنولوجيا الاتصال

تعمل تكنولوجيا الاتصال على :

1. خلق مجتمعات المعلومات² : هي المجتمعات المتطورة تكنولوجيا تسير لها من المجتمعات الزراعية أو الصناعية، و تؤثر تكنولوجيا الاتصال على المجتمع من خلال بث و توزيع المعلومات المنتجة في أشكال مختلفة و استهلاكها من طرف مستخدميها من الأفراد.
 2. تنمية الاقتصاد عن طريق نشر الإشهار و تشجيع الاستثمار في القطاعات الهامة مثل السياحة و الثقافية.
 3. أحداث ظاهرة التخطي المعلوماتي للحدود الجغرافية و هنا يظهر على الساحة ما يعرف بالسيطرة الثقافية أو الاقتصادية أو الإعلامية و هي جميعها أبواب للعولمة بالإضافة إلى هذا فإن تكنولوجيا الاتصال قد أحدثت تغييرات كبرى في الحياة.
- و غيرت النظرة إلى الإنسان و زادت من أهمية اعتماده على ذاته و حولت الاقتصاد من وضعية الاقتصاد المنغلق على نفسه إلى الاقتصاد العالمي و قضيت على المفاهيم السياسية الكلاسيكية حيث التحول من الديمقراطية النيابية إلى ديمقراطيات المشاركة.

¹ - محي محمد، مسعد " ظاهرة العولمة ، الأوهام و الحقائق "، ص : 26

² Society Information

أما عن السمات الأساسية لتكنولوجيا المعلومات فيبرزها الدكتور **محي محمد مسعد** في كتابه " ظاهرة العولمة و الأوهام و الحقائق " في ثمان سمات أساسية و هي¹:

- التفاعلية Interactivity.
- اللاجماهيرية Demassification.
- اللاتزامنية Asynchronization.
- قابلية التحرك أو الحركية Mobility.
- قابلية التحويل Convertibility.
- قابلية التوصيل Connectivity.
- الشيوع و الانتشار Ubiquity.
- التدويل أو الكونية Globalisation.

غير أن المعلوماتية هذه ليست كلها ايجابية فهناك بعض الجوانب السلبية التي تصاحبها.

من هذه السلبيات نذكر ما يلي:
أن أخطر تحديات الثورة المعلوماتية قد أنجبت من الناحية الاقتصادية جشعا كبيرا و رفعت شعار الربح السهل و السريع، من أمثلة ذلك " تجارة السلاح و المخدرات ".

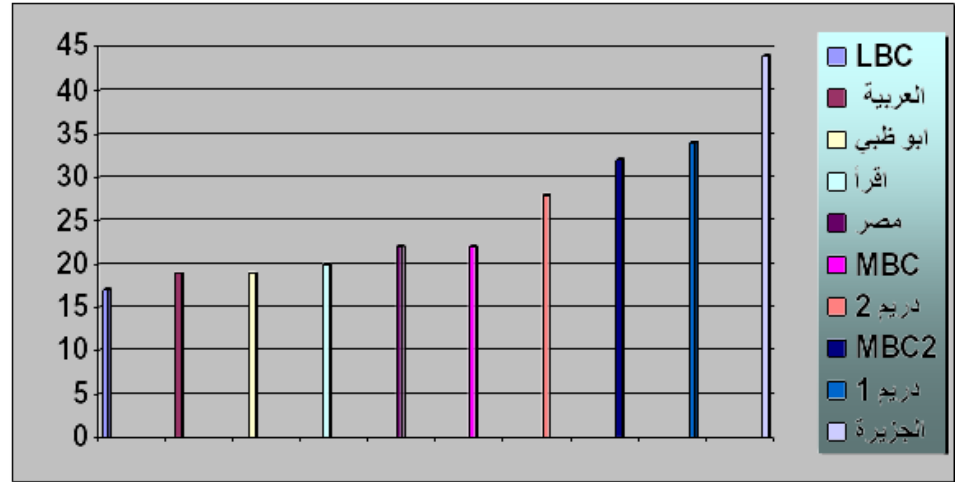
- البعد المادي الذي يظهر على النهضة الحديثة.
- اهتمت المعلوماتية على تأسيس بناء حضاري زائف قائم على المظاهر و القشور
- بتركيزها على السلب و النهب و مفرطة في جوهر الإنسان " الروح و العقل والأخلاق ".
- من المفروض أن تساهم المعلوماتية في تنمية معارف الفرد و تطوير أفكاره من أجل تحسين حياته لكن الملاحظ أن المعلوماتية تحولت إلى وسيلة تجارية تباع من خلالها أدوات اللهو و الرفاهية و الفساد أحيانا، و تحولت الكرة الأرضية إلى سوق للمتعة و اللذة.
- المعلوماتية تنمي ثقافة العداء بفضل إنتاجها للعنف التلفزيوني و السينمائي.
- المعلوماتية وسيلة لتبين الدكتاتورية العالمية.
- المعلوماتية تقضي على أشكال التنوع و التعدد و معها تضيع الهويات و القيم الدينية و المفاهيم الأخلاقية الخاصة بكل أمة.
- بفضل الثورة المعلوماتية أصبحت المعرفة استثمارا تجاريا.
- تشكل المعلوماتية بفضل تدفعهما الواسع إطارا من الأفكار و الأخلاقيات و القيم نجد مصالح الأقليات المستفيدة من نتائج الاقتصاد العالمي.

¹ محمد محي مسعد ، "ظاهرة العولمة الأوهام والحقائق" . ص: 34

- تكريس مبدأ الإنسانية و قيم النفعية و الاتجاه الغرائز المجرد من أبعاده الإنسانية و هذه المعايير تزيل المضامين الأخلاقية و الروحية.
- وفرة المعلومات بكثرة تؤدي إلى أضعاف ملكة النقد و التمحيص.

أدت العولمة إلى حصول انقسامات داخل المجتمعات، خاصة بين القادرين على استخدام التكنولوجيات الحديثة، ووسائل الاتصال، والتعامل مع المعلومات بسهولة و بين العاجزين عن ذلك بسبب حالات الفقر، أو الافتقار إلى المعارف والمهارات اللازمة في التعامل مع معطيات التقنية الحديثة وهذا ما يؤدي إلى حصول فجوة في حجم التعامل مع المتغيرات النوعية.

أما عن الإعلام المرئي في الدول العربية فإننا نجد حسب آخر الدراسات التي أجريت في بعض الدول العربية وهي مصر والسعودية و الكويت وتونس والإمارات العربية وقد كشفت الإحصائيات عن تصدر قناة الجزيرة للقنوات العربية الأخرى و سنوضح ذلك من خلال الجدول الموالي:



المصدر

transnational broadcasting studies journal, nilsat :curent challenges and future trends by husin amin :
TBS senior editor in TBS spring summer 2004

الخلاصة : نستنتج من كل ما سبق ان العولمة تتجلى في مختلف المستويات من خلال التغيرات التي احدثتها على البشر افرادا وجماعات بعضهم - وهم الاقلية- يمثلون الطرف المنتج لها ويمثل الجانب الاخر

"مشكلا من الاغلبية" الطرف المنفعل والمستهلك لها وأصبحت ظاهرة العولمة حقيقة ملموسة، وأثارها متجلية في كل المناحي.

المنطلقات المرجعية للعولمة من المنظور الفلسفي :

المصادر الفكرية للعولمة الاقتصادية:

العولمة كظاهرة تاريخية لم تظهر فجأة بل نتجت عن تبلور افكار فلسفية سابقة ولكنها تتحدث بلغة جديدة تتفق مع التغيرات التي حدثت في هذا العصر، وتستند إلى منهج معين تخاطب به الناس، وتستخدم وسائل معينة لكي تحقق أهدافها، كل هذه العناصر تشكل المصادر الفلسفية لخطاب العولمة وهو ما نحاول الإجابة عنه من خلال الاسئلة التالية : ما المصادر الفكرية التي يركز عليها خطاب العولمة؟ وما هي التوجهات الفلسفية التي ساهمت في بلورة هذه الظاهرة؟ وما هي المدارس الفلسفية التي تأثرت بها العولمة في مراحل تطورها؟

ويمكن تلخيص الاجابة في ثلاثة عناصر هي :الرأسمالية¹ ، الليبرالية، الحداثة والمدارس التي نتجت عنها. تغترف العولمة في توجهها نحو الشمولية افكارا هي عين التي نادت بها بعض المذاهب الفلسفية الكبرى.

الرأسمالية :تقوم العولمة في جذورها على عناصر الفلسفة الرأسمالية، يظهر ذلك في رغبتها في امتلاك القوة وبسط النفوذ والسيطرة. واكتسابها لأفكار المذهب الحر، ومبادئ مختلفة تصب في تيار التوجه نحو تعزيز الملكية الفردية والدعوة إلى الحرية.

وإذا كانت الرأسمالية لا تعير القوانين الأخلاقية اهتماما، إلا ما يحقق لها المنفعة ولاسيما الاقتصادية، منها على وجه الخصوص، فإن العولمة ذهبت الى ابعد من ذلك عندما غدت لغة الارباح هي السائدة في قاموس الشركات متعددة الجنسيات.

¹ - من أشهر روادها فرانسوا كيزني (1694-1778) ولد في فرساي بفرنسا ، نشر في سنة (1756م) مقالين عن الفلاحين وعن الجنوب، ثم أصدر في سنة (1758م) الجدول الاقتصادي وشبه فيه تداول المال داخل الجماعة بالدورة الدموية، قال عنه احد الاقتصاديين (ميرابو) حينذاك عن هذا الجدول بأنه: "يوجد في العالم ثلاثة اختراعات عظيمة هي الكتابة والنقود والجدول الاقتصادي".

- جون لوك: (1632-1704) صاغ النظرية الطبيعية الحرة حيث يقول عن الملكية الفردية: "وهذه الملكية حق من حقوق الطبيعة وغريزة تنشأ مع نشأة الإنسان، فليس لأحد أن يعارض هذه الغريزة".

- ادم سميث: (1723-1790) وهو أشهر الكلاسيكيين على الإطلاق، ولد في اسكوتلندا. وفي سنة (1776م) أصدر كتابه الشهير (بحث في طبيعة وأسباب ثورة الامم) .

- دافيد ريكاردو: (1772-1823) قام بشرح قوانين توزيع الدخل في الاقتصاد الرأسمالي، ويقال عنه إنه كان ذا اتجاه فلسفي ممتزج بالدوافع الأخلاقية لقوله: "إن أي عمل يعتبر منافياً للأخلاق ما لم يصدر عن شعور بالمحبة للآخرين".

روبرت مالتوس: (1766-183) اقتصادي إنجليزي كلاسيكي متشائم صاحب النظرية المشهورة عن السكان إذ يعتبر أن عدد السكان يزيد وفق متوالية هندسية بينما يزيد الإنتاج الزراعي وفق متوالية حسابية كما سيؤدي حتماً إلى نقص الغذاء والسكن.

جون استوارث مل: (1806-1873) يعدُّ حلقة اتصال بين المذهب الفردي ، والمذهب الاشتراكي فقد نشر سنة (1836م) كتابه المهم مبادئ الاقتصاد السياسي.

كينز: (1883-1946) صاحب النظرية التي عرفت باسمه والتي تدور حول البطالة والتشغيل والتي تجاوزت غيرها من النظريات إذ يرجع إليه الفضل في القوة العاملة في المجتمع الرأسمالي بصورة كاملة من أهم كتبه (النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود ، الذي نشره سنة 1936م.

دافيد هيوم: (1711-1776م) صاحب نظرية النفعية التي وضعها بشكل متكامل والتي تقول بأن "الملكية الخاصة تقليداتبعه الناس وينبغي عليهم أن يتبعوه لأن في ذلك منفعتهم".

ان خاصية المنافسة في بنية الرأسمالية، جعلت الحياة ميدان سباق مسعور إذ يتنافس الجميع في سبيل إحراز الغلبة، وتتحول الحياة عندها إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى إفلاس المصانع والشركات بين عشية وضحاها، وهذا الامر زادت حدته في زمن العولمة .

اما عن الأيدي العاملة التي جعلتها الرأسمالية سلعة خاضعة لمفهومي العرض والطلب، مما يجعل العامل معرضاً في كل لحظة لأن يُستبدل به غيره، ممن يرضى بأجر اقل، وعمل أكثر وخدمة أفضل، فقد ساعدت على اتساع دائرة البطالة.

الليبرالية : الليبرالية مذهب رأسمالي، ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي، و يعتبر الفرد هو المحور الرئيسي لفكرة الليبرالية، اذ الحرية لا ترتبط إلا بالفرد. جوهر الليبرالية التي عرفت في النصف الثاني من القرن العشرين¹ مرتبط بالتركيز على الفرد، مع التحرر من كل سلطان خارجي، والليبرالية ما دامت في جوهرها مذهباً اقتصادياً وسياسياً ونظراً للعناصر المشتركة بين الليبرالية والعولمة، فيمكن اعتبار الفكر الليبرالي الجديد، هو النظام الجوهري الذي تستند اليه العولمة². كما يمكننا أن نفهم أن الليبرالية تتضمن معنيين سلبي و ايجابي، و اقصد بالمعنى السلبي غياب كل صور الإكراه، و هو الذي قصده **توماس هوبز** الذي قال عن الحرية "هي غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء"³. أما المعنى الايجابي للحرية فيتضمن فرض قانون العقل و فعالتيته ، و هذا يعني أن غياب العوائق الخارجية غير كاف لوجود الحرية ، فان كان الفرد عبدا لشهواته التي تنفلت عن تحكم العقل فيكون اذ ذاك ليس حراً. و تبلورت الأفكار الليبرالية على يد كثير من المفكرين و الفلاسفة ، ففي جانب السياسي يعتبر **جون لوك** 1632-1704 من أكبر المساهمين في بلورته ، و اقتصادياً كان **لأدم سميث** أكبر الإسهام في ذلك ، كما ساهمت فلسفة **جان جاك روسو** 1712-1778 و كذلك **جون استوارت ميل** 1806-1873 في بلورة الفكر الليبرالي. لا شك ان العولمة تأثرت بروافد فكرية اخرى صاحبت بروزها على الساحة،

¹ Philippe Raymand, et Stéphane Rials, (sous la direction) « Dictionnaire de philosophie » ,1^{ER} édition Quadriga 2003 Paris 393

² مصطفى عبد الله الكفري، "العولمة الاقتصادية وفرض هيمنة الاقتصاد الرأسمالي"، مجلة الحوار المتمدن، العدد 1148 بتاريخ 2005-3-26

³ - عبد العزيز كامل، "دعاة الليبرالية عقول محتلة ام ولاءات مختلة"، مجلة صيد الفوائد <http://saaid.net/mktarat/almani/49.htm>

والتي تشكل خريطة الفكر الثقافي، ومن أهم المدارس الفكرية التي تأثر بها خطاب العولمة الراهن أيضا نجد أيضا:

الحدثة: باعتبارها "اتجاه أو نزعة تنتهي إلى قطيعة شاملة مع التراث، أو هي ذلك التيار الفكري الذي عمل على تخلص أوروبا من فكر العصور الوسطى، وربط الفكر الأوروبي بواقعه بعد تقنين ظواهره باستخدام الأدوات المعرفية الجديدة للكشف عن الحقائق. إذن تعني الحدثة فيما تعنيه من مفاهيم أنها: قطيعة "معرفية" مع الماضي يرى **ماكس فيبر** أن "الحدثة هي فصم الائتلاف والوحدة بين السماء والأرض مما يخلي العالم من وهمه ويلغي سحره" وكلاهما مشتق من معنى العلمانية، ويرى **بودلير** أنها: "حضور الأبدى في اللحظة العابرة وما هو مؤقت"، أما **شوبنهاور** فيرى أنها تعني: "الأنانية والتخلي عن الطابع الاجتماعي، لا لتخلق نظاماً جديداً مستحيلاً، بل طلباً للإخلاد إلى الحياة والرغبة، إذ يجب تدمير الأنا ووهم الوعي، كما ينبغي الاحتراس من وهم النظام الاجتماعي الذي يحمي الشهوات الأنانية فقط".¹

ومن هذه الآراء المتباينة نستشف نوعاً من القطيعة المستمرة مع الماضي ومع التاريخ، والتمرد على القيم والأخلاق والأعراف، اجتماعية كانت أم نظاماً وضعية، والتركيز على الشهوات، وعلى معالم الفطرة البشرية، والسعي في مادية بحتة لا يحدها حد، بل الإيغال في الغريزية بدلاً عن النشاط المعرفي بصورة مطلقة.

لقد نسب فكر ديكارت جميع الدعائم التي قام عليها فكر القرون الوسطى²، ليقوم محله صرحاً فلسفياً متكاملًا مبنيًا أساساً على مطابقة العقل مع الواقع، فكما يتطابق هذا العقل مع الأشياء، كذلك تطابق الأشياء معه³. كما جعلت الحدثة من الإنسان - أسمى كائنات هذه الأرض محورا للفلسفة، وربطت مسؤوليته بمصيره، وأنه صانع تاريخه. ويأتي تنوير **كانط** ليبحث الإنسان على تحمل هذه المسؤولية وذلك بتحرير العقل من جميع العوائق، فلا شرط لإعمال العقل سوى الحرية. وقد لخص **بيتر برجر** الحدثة في نقاط خمس، هي الفكر القائم على المعرفة المجردة، الفردية، الليبرالية، التوجه المستقبلي، العلمانية⁴ وهنا نفرق بالطبع بين القطيعة المعرفية والانقطاع التاريخي، فالحدثة تمثل قطيعة معرفية مع الماضي دون أن يعني ذلك انقطاعاً في المسار

¹ - نبيل علي، "الثقافة العربية وعصر المعلومات". رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي " ص 167 :

² كان قوس قزح قبل عصر ديكارت يعد من قبيل المعجزات الإلهية التي لا تفسير لها.
³ لقد ورثت الحدثة عن فلسفة الإغريق احتفاءها الزائد بالعقل والعقلانية، ونزعتها إلى رؤية الإنسان وعالمه في صورته كلية

⁴ - نبيل علي، "الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي"، ص: 169

التاريخي، بمعنى أنه "لا يمكننا التوصل إلى لحظة تاريخية نعتبرها كحد السكين نهبط بها لنفرك تاريخياً بين الحادثة وما قبلها، وما بعدها". كل هذه التراكمات أدت إلى تحطيم التصورات الكلية التي تشكل رؤية الغرب للكون، والتي كانت تحمل في طياتها كثيراً من الخرافات، وحين اكتشف العقل الغربي حجم الأخطاء في تصورات الكلية، حدثت صدمة ضخمة عصفت بما يحمله هذا الفكر من الحقائق. إذن فالحادثة لم تأت من فراغ، بل جاءت وفق سياق تاريخي متتابع وخاص بالتطور التلقائي الذي مر به التاريخ الغربي، عبر الاكتشافات والآراء النظرية الفكرية والفلسفية والعلمية مرتبطة بفلسفة التنوير، وهي ليست لحظة انقلاب من حال إلى حال، ومع ظهور تكنولوجيا المعلومات وتوفيرها أدوات جديدة للتعامل مع ظواهر الواقع، وطغت الوسائل على الغايات، كما خلص إلى ذلك **ماكس فيبر**¹ وفشل فكر الحادثة في احتواء تعقد تلك الظواهر، كان لابد من مخرج: إما "حادثة جديدة" تمد في عمر سابقتها، وإما "ما بعد حادثة" تقتلع تلك الحادثة من جذورها.

ما بعد الحادثة :

ان فلسفة الرفض التي امن بها **غاستون باشلار**، قد تجسدت فترات كثيرة ومع اغلب الموجات الفكرية التي عرفها التاريخ، فكما رفض **سقراط** غوغائية الفكر السفسطائي، الذي كان سائداً في أثينا القديمة، ورفض **باشلار** بإحداث القطيعة الابستمولوجية مع مراحل كونت الثلاث، ورفض **ديكارت** فكر العصور الوسطى ليفتح بتنويره الباب على مصراعيه أمام حادثة الغرب، ها هم مفكرون ما بعد الحادثة، يصممون على نسف جميع الأسس التي قام عليها فكر التنوير وحدثه. و تحدث الاستاذ نبيل علي عن معالم هذا الفكر قائلاً: "إن ما بعد الحادثة ترفض النظرة الميكانيكية للعالم وترفض المفاهيم السائدة عن الحرية والديمقراطية، و الموضوعية والهوية وما شابه، وترفض الصروح الفلسفية التي أقامها **ديكارت**، و **كانط**، و **ماركس**، و **هيجل**، و **كركيجارد**، و **سبينوزا** وغيرهم، كما ترفض مثالية **أفلاطون**، بل ومنطق **أرسطو**، ولا تقر بموضوعية ما قام على هذا المنطق من علوم وأفكار. يقوم فكر ما بعد الحادثة على مفهوم الاختلاف والتباين لا الائتلاف والتطابق². و خلص **ميشيل فوكو**، أن التطور الاجتماعي الجديد يتطلب مراجعة شاملة لعلاقة المعرفة بالقوى الاجتماعية

¹ - المرجع نفسه " ص: 169 .

² يرى أن تناقضات المجتمع الإنساني باقية ما بقي المجتمع، فهي تستعص على الحسم، وكما يستحيل الوفاق بين طبقات المجتمع، كذلك الأمر ما بين ثقافات العالم المختلفة

المختلفة، فمصدر القوة لم يعد الموارد المادية، بل الموارد الرمزية من إعلام وتربية و قيم و أفكار.
وكان لابد أن تثير ما بعد الحداثة موجة عارمة من النقد، فهناك من لا يرى فيها جديداً، وهناك من يراها، مثل **بيتر برجر**، مجرد رد فعل مؤقت ولكن أخطر نقادها قاطبة، وأكثرهم تأثيراً، هو **يورجين هيرماس** ممثلاً للحداثة الجديدة كما تطرحها مدرسة فرانكفورت، ويمثل السجال الفكري بين **هيرماس** و **فرانسوا ليوتار**، رائد تنظير ما بعد الحداثة، واحداً من أبرز ملامح المشهد الثقافي العالمي.

حداثة مدرسة فرانكفورت: إن فكر مدرسة فرانكفورت هو مزيج من الفكر الاجتماعي لدى **ماكس فيبر**، وفكر **كارل ماركس** ممثلاً في نموذج القائم على طور الإنتاج، والذي يرى الثقافة ناتجا فرعيا، أو بنية فوقية، لهذا الطور. إن حداثة مدرسة فرانكفورت- كما يمثلها فكر **هيرماس**- تريد أن تخرج الحداثة الغربية من أزمتها الراهنة؛ وذلك بتخليص النموذج الماركسي من محوريته الاقتصادية، أخذاً في الاعتبار تغيرات عصر المعلومات، خاصة فيما يتعلق بنظم الإعلام الجماهيري. لذا، فحداثة مدرسة فرانكفورت لا ترى الثقافة مجرد ناتج فرعي، بل صناعة قائمة بذاتها، مؤسسة اجتماعية ذات درجة من الاستقلالية تتفاعل مع غيرها في إطار منظومة المجتمع كما في نموذج **ماكس فيبر**¹. إن **هيرماس** يريد بهذا أن يطيل من عمر الحداثة، بل ربما يرمي إلى ما هو أبعد من ذلك. ففي رأيه، أن الحداثة لا ترتبط بمرحلة تاريخية معينة، ولكنها تتجدد دوماً كلما تجددت العلاقات بالقديم، والوعي بخصائص ما هو قادم. بقول آخر: إن الحداثة لدى **هيرماس** هي الوعي بالمرحلة التاريخية التي تقيم علاقة مع الماضي وهي- أي الحداثة- لا نهاية لها، ولا تعلن عن نمط نهائي، فهي في تطور مستمر منفتح على المجهول ولا ينكر **هيرماس** وجود تناقضات وسلبيات في موقف الحداثة الغربية الراهنة، ولكنه يرى- في الوقت ذاته- صعوبة أن يتجاهل المرء ما أدت إليه هذه الحداثة من إنجازات في العلوم والنظم والأخلاق والقانون، والحريات².

وتبرز **حداثة هيرماس** في جوهر الحل الذي يتصوره لأزمة الحداثة الراهنة؛ فهو يؤمن بأن حل أزمة الحداثة هو مزيد من الحداثة، ويقصد بذلك مزيداً من الأحكام إلى العقل، وتحقيق درجة أعلى من شفافية التواصل، سواء داخل المجتمع الواحد، أو بينه وبين المجتمعات الأخرى. وقناعة **هيرماس** أن تكنولوجيا المعلومات قادرة على أن تخلق مجالا

¹ -نبيل علي، "الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي"، ص:

جديدا لرأي العام، يمكن أن تتوافر فيه هذه الدرجة في الشفافية الاتصالية، وذلك بفضل سرعة سريان المعلومات، وشفافيتها التي تكسب المجتمع الحديث القدرة على تصويب أخطائه ذاتيا، والتكيف ديناميكيا مع المتغيرات الاجتماعية. وهنا يقترب فكر **كارل بوبر** من **فكر هببرماس** في هذا الشأن، حيث يعتقد **بوبر** أن الحضارة الغربية، على الرغم من رصيد أخطائها هي الأكثر تحررا، وهي الأفضل من غيرها، لكونها الأكثر قدرة على تصويب نفسها بنفسها¹

فلسفة العولمة ومنهجيتها:

هنا نحاول الوقوف على العناصر الفلسفية التي تستخدمها العولمة في خطابها والتبريرات الفلسفية لمبادئها والقيم الأخلاقية التي تروج لها. من اهم المفاهيم التي ارتكزت عليها العولمة ما يلي:

الحرية: يركز خطاب العولمة على الحرية² باعتبارها تعبيراً عن حالة التحرر من مختلف القيود، التي تكبل الطاقات الابداعية والإنتاجية للإنسان، سواء كانت قيودا مادية أو قيودا معنوية، والتخلص من الضغوط المفروضة على شخص ما لتنفيذ غرض ما، أو التخلص من الإكراه والفرص بداية من حرية الرأي³ الى حرية الممارسة السياسية.

تستند فكرة الحرية على قاعدة الإيمان المطلق بالإنسان، وقد كانت للفيلسوف **جون لوك** أثر كبير في تطور نظرية الحرية عندما قال: "ان الشعب هو مصدر السلطات ويفسر هذا القول بان الشعب يمكنه ان يسحب السلطة متى شعر بان الحكومة لا تعمل لصالحه" ثم جاء **جون ميلتون** ليقول: ان الحقيقة لا تضمن لنفسها البقاء إلا إذا أتيحت لها

¹ - كارل بوبر ترجمة احمد مستجير، بحثا عن عالم أفضل، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1999 ص: 252

² - أن الحرية جزء من الفطرة البشرية فهناك أنفة طبيعية عند الإنسان لعدم الخضوع والرضوخ وإصرار على امتلاك زمام القرار، لكن هذا النزوع نحو الحرية قد يفقد عند كثير من البشر نتيجة ظروف متعددة من حالات قمع واضطهاد وظلم متواصل، أو حالة النشوء في العبودية، أو حالة وجود معتقدات وأفكار مقيدة قد تكون فلسفية أو غيبية أو مجرد يأس وفقدان الأمل بالتغيير. ومن الفلاسفة الاوائل الذين نادوا بحرية التعبير والرأي مهما كان هذا الرأي غير أخلاقيا في - ³ حيث قال "إنذا كان كل (John Stuart Mill 1806 - 1873) نظر البعض نجد جون استوارث مل البشر يمتلكون رأيا واحدا وكان هناك شخص واحد فقط يملك رأيا مخالفا فان إسكات هذا الشخص الوحيد لا يختلف عن قيام هذا الشخص الوحيد بإسكات كل بني البشر إذا توفرت له القوة"

الفرصة لان تتقابل وجها لوجه مع غيرها من الحقائق في طرح كامل وبحرية تامة.¹

أما **جون استوارث مل** فقال: "إن من حق الفرد الناضج في المجتمع إن يفكر ويتصرف كما يشاء مادام لا يؤذي أحدا، ومادام هذا التفكير والتصرف يؤدي إلى منفعة الآخرين."²

الكونية : كما يقوم منظور العولمة على تصغير العالم في صورة القرية الكونية ، وهو ما يعني نفي الدولة، وتأسيس عالم بدون دولة أو وطن أو أمة، فالعالم الذي تجري وراءه هو عالم المؤسسات والشبكات العالمية. أما الوطن أو الأمة فهو الفضاء المعلوماتي والمواقع التي تضعها شبكات الاتصال.

الايولوجيا :

تستخدم العولمة خطابا ايولوجيا يعبر عن هيمنة القوى الكبرى على بقية العالم، متخذة من شعار البقاء للأقوى منهجا للتعبير عن سياسة هذا التفوق. وتأتي سيطرة الولايات المتحدة الامريكية اقتصاديا وسياسيا وعسكريا لتصب في هذا السياق اعتمادا على الدور الذي تقوم به اكاديميا من خلال مفكرين وكتاب امثال فرنسيس فوكوياما ، وميلتون فريدمان، وإعلاميا من خلال دور الاعلام الكبرى (صحافة، تلفزيون وسينما) بالإضافة الى دور الانترنت في الترويج للإنتاج الأمريكي عبر مختلف الصفحات الاعلامية.

العقلانية

تستخدم العولمة لغة فلسفية، موظفة خطابا عقلانيا، على اساس ان الحركة العقلانية منحى فلسفي يؤكد على أن اكتشاف الحقيقة يكون أفضل باستخدام العقل و التحليل الواقعي و ليس بالإيمان و التعاليم الدينية، وتشيد العولمة بعصر التنوير³ على انه عصر العقل. ومن كبار الفلاسفة الذين عرفهم عصر التنوير وهاجموا الفكر الكنسي الذي سيطر في اوربا نجد فولتير، روسو، هيوم.

¹ صابر فلهوط ، محمد البخاري ، "العولمة والتبادل الإعلامي الدولي" ، منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى 1999 دمشق، ص: 34

² صابر فلهوط ، محمد البخاري ، "العولمة والتبادل الإعلامي الدولي" ، ص: 34

³ - عصر التنوير (Age of Enlightenment) مصطلحا يشير إلى نشوء حركة ثقافية تاريخية دعيت بالتنوير والتي قامت بالدفاع عن الجانب العقلاني في القرن الثامن عشر في اوربا مبادئها كوسائل لتأسيس النظام الذي تتأسس عليه الاخلاق والمعرفة بدلا من الدين . رواد هذه الحركة كانوا يعتبرون ان مهمتهم قيادة العالم إلى التطور والتحديث وترك التقاليد الدينية والثقافية القديمة والأفكار اللاعقلانية ضمن فترة زمنية سموها بعصور الانحطاط.

المنفعة: تسعى العولمة الى تحقيق اهداف تعود ايجابياتها على البعض دون الاخرين مما يعني ان العولمة لا تتحرك إلا في الاطار النفعي ومن اهم ما يسجل على النشاط الانساني في زمن العولمة ما يلي:

الأنانية: وهي صفة تدفع الفرد او مجموعة من الافراد أفراداً للتحكم بالأسواق تحقيقاً لمصالحهم الذاتية دون تقدير لحاجة المجتمع أو احترام للمصلحة العامة.

الاحتكار: إذ يقوم الرأسمالي بعملية احتكار البضائع وتخزينها في المخازن الكبرى وانتظار فقدانها من السوق للنزول بها قصد بيعها بسعر مضاعف يبتز فيه المستهلكين الضعفاء.

والعولمة الاقتصادية التي ، تقودها شركات عدة تقوم على الاستبعاد، فهي تحول دون حصول الافراد والشعوب على الحدود الدنيا من الوفرة ودون التمتع بالخير العام. وهي تقوم على الاستخدام القهري للطبيعة ونهب الموارد الطبيعية دون أي اعتبار لاختلال البيئة و التلوث على مستوى الطبيعة والمناخ

وتعكس الارقام هذه الظاهرة المتنامية من البحث عن الربح على حساب أي قيمة اخرى، "فهناك 20 في المائة من دول العالم هي الاكثر ثراء، وتستحوذ على 84.7 في المائة من الناتج الاجمالي العالمي، ويمتلك سكانها 85.5 في المائة من مجموع المدخرات للعالم. وفي الواقع فان هذه الاحصائيات ايضا دليل على فشل مساعدات التنمية التي كانت تبشر بالإنصاف والعدالة".¹

الوجودية :

يغلب على طبع العولمة البعد الوجودي² اذ نجدها تعلي من قيمة الانسان، وتؤكد على انه صاحب تفكير وحرية و ارادة لا يحتاج معها الى موجه. و تميل العولمة بهذه النزعة دوما نحو اعطاء الإنسان قيمة مركزية و التأكيد على أهمية منجزاته. و ترفع العولمة شعارات مثل " الحياة الافضل " والمستقبل الأفضل للإنسان. لكن ما سنجده فلن يكون

¹ - طلال عتريسي "العولمة والأخلاق أي رهان مستقبلي؟" www.islamset.com/arabic

² - الوجودية نزعة فلسفية يؤمن اصحابها ايماناً مطلقاً بالوجود الإنساني ويتخذونه منطلقاً لكل فكرة. يعتقدون بأن الإنسان أقدم شيء في الوجود وما قبله كان عدماً وأن وجود الإنسان سابق لماهيته.

جاءت ردة فعل على تسلط رجال الدين وتحكمهم في الإنسان بشكل متعسف باسم التعاليم الدينية.

تأثرت بالفلسفة السقراطية الذي وضعت قاعدة "اعرف نفسك بنفسك".
من اهم افلاسفة الوجوديين: جون بول سارتر، سورين كيركوغارد، جبريال مرسيل، كارل جاسبارس، بليز باسكال.

المقصود به الانسان في كل زمان ومكان. بل هو انسان محدد في امكنة محددة فقط، بينما ستقضي الامراض والأوبئة على الانسان في اماكن اخرى كثيرة. وسيبقى كثير من البشر يعانون من الفقر، والامية، ومن الافتقار الى العيش الكريم.

الفصل بين السياسة والأخلاق

تنظر العولمة إلى الإنسان على أنه كائن مادي وتتعامل معه بعيداً عن ميوله الروحية والأخلاقية، داعية إلى الفصل بين الاقتصاد وبين الأخلاق.¹ ويعتبر **مكيافيللي** بلا شك مؤسس مدرسة التنظير السياسي الواقعي حينما فصل بين السياسة والأخلاق، كما اعتبر **مكيافيللي** أن هدف السياسة هو المحافظة على قوة الدولة والعمل توسيع نفوذها، وهذا لا يتم بوجود وازع ديني أو أخلاقي، **حيث الغاية تُبرر الوسيلة**. ولهذا كان **مكيافيللي** معجبا بالحكام الذين توسع سلطانهم بغض النظر عن القيم الاخلاقية السائدة في المجتمع.

العلمانية :

تأتي كلمة "علمانية" من الكلمة الإنجليزية "Secularism" (سيكولاريزم) وتعني إقصاء المعتقدات الدينية عن أمور الحياة.² وتُفسّر العلمانية من الناحية **الفلسفية** أن الحياة تستمر بشكل أفضل ومن الممكن الاستمتاع بها بإيجابية عندما نستثني الدين والمعتقدات الإلهية منها. اذن تدعو العلمانية الى الفصل بين الدين والسياسة³ وتقتضي إمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول او الرفض فهي اذن دعوة الى التحرر من القيود الدينية على المعرفة، وافتراض الكون مستقلاً تفسره قواه وأنماط انتظامه الخاصة، والحركة غير المنقطعة للطبيعة والمجتمع. وقد استخدم مصطلح "Secular" (سيكولار) لأول مرة عام **1648**م-الذي أنهى أتون الحروب الدينية المندلعة في **أوروبا**- وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة (أي الدولة العلمانية) مشيراً إلى "علمنة" ممتلكات **الكنيسة** بمعنى نقلها إلى سلطات غير دينية أي لسلطة الدولة المدنية. ان جوهر العلمانية هو فصل الدين عن السياسة وحصر دور رجال الدين بتعليم أتباعهم شعائر العبادات وما يتصل بأمور الآخرة، وهذا ممكن

¹ - فقد تعتمد الشركات احيانا إلى حرق البضائع الفائضة، أو تقذفها في البحر خوفاً من أن تتدنى الأسعار لكثرة العرض، وبينما هي تقدم على هذا الأمر تكون كثير من الشعوب في حالة شكوى من المجاعات التي تجتاحها.

² - <http://ar.wikipedia.org/wiki>

³ عزيز العظمة: العلمانية تحت المجهر ص 156

بالنسبة للمسيحية ، أما بالنسبة للدين الاسلامي فلا يصح ذلك . ولا يمكن ان تجد في الاسلام نصا صريحا يفصل بن ما لقيصر وما لله، الاسلام للدين والدنيا كما يقول فقهاؤه ، وفيه حديث عن الأمور الدنيوية يوازي الحديث عن الأمور الدينية¹ ويرى احد الكتاب² ان العلمانية تشتمل على :

- العلمانية الشخصية : التي تؤكد قيمة كل انسان بدون الرجوع الى معتقده الديني
- والعلمانية السياسية : التي تؤيد استقلالية الممارسة السياسية عن الانتماء الديني
- والعلمانية الوظيفية : التي تؤكد استقلالية الوظيفة الحكومية عن الانتماء الطائفي
- والعلمانية المجتمعية : وهي في المعنى الحصري استقلالية المجتمع المدني بأفراده وتجمعاته عن الطوائف
- والعلمانية المؤسسية : وهي استقلالية المؤسسات التربوية والصحية والاجتماعية عن الطوائف ومجلسها وسلطاتها
- والعلمانية القانونية : أي استقلالية قوانين البلاد عن الشرائع الدينية
- والعلمانية القيمية : أي استقلالية القيم الإنسانية كالعدالة والمساواة والديمقراطية والحرية عن المصادر الدينية واللا دينية

تميز بعض الكتابات بين نوعين من العلمانية: الجزئية والشاملة.

العلمانية الجزئية

هي رؤية جزئية للواقع لا تتعامل مع الأبعاد الكلية والمعرفية، ومن ثم لا تتسم بالشمول. وتذهب هذه الرؤية إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة، وربما الاقتصاد وهو ما يُعبّر عنه بعبارة "فصل الدين عن الدولة"، ومثل هذه الرؤية الجزئية تلزم الصمت حيال المجالات الأخرى من الحياة، ولا تنكر وجود مطلقات أو كليات أخلاقية أو وجود غيبات وما وراءيات، ويمكن تسميتها "العلمانية الأخلاقية" أو "العلمانية الإنسانية".

اما العلمانية الشاملة

وهي رؤية شاملة للواقع تحاول بكل صرامة تحييد علاقة الدين والقيم المطلقة والغيبات في كل مجالات الحياة. ويتفرع عن هذه الرؤية نظريات تركز على البعد المادي للكون وأن المعرفة المادية المصدر الوحيد للأخلاق وأن الإنسان يغلب عليه الطابع المادي لا الروحي، ويطلق عليها أيضاً "العلمانية الطبيعية المادية" (نسبة للطبيعة والمادة).

ويعتبر الفرق ما بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة هو الفرق بين مراحل تاريخية لنفس الرؤية، حيث اتسمت العلمانية بمحدوديتها وانحصارها في المجالين الاقتصادي والسياسي حين كانت هناك بقايا قيم

¹ - كامل عباس " اللبرالية والعلمانية" 1-11-2006، صفحات سورية. <http://www.alsafahat.net/index.php>

² مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي <http://www.sc.rezgar.com>

مسيحية إنسانية، ومع التغلغل الشديد للدولة ومؤسساتها في الحياة اليومية للفرد انفردت الدولة العلمانية بتشكيل رؤية شاملة لحياة الإنسان بعيدة عن الغيبيات .

لقد استندت العولمة على التصور العلماني للحياة واتضح هذا الأمر من خلال سيطرة الفكر النفعي على جوانب الحياة بصورة عامة، فلقد كانت الزيادة المطردة من الإنتاج هي الهدف النهائي من الوجود في الكون، و لذلك ظهرت الدولة القومية العلمانية في الداخل و الاستعمار الأوروبي في الخارج لضمان تحقيق هذه الزيادة الإنتاجية. واستندت هذه المرحلة إلى رؤية فلسفية تؤمن بشكل مطلق بالمادية وتتبنى العلم والتكنولوجيا المنفصلين عن القيمة، وانعكس ذلك على توليد نظريات أخلاقية ومادية تدعو بشكل ما لتنميط الحياة، وهذا هو الامر الذي تبنته العولمة. ووفي زمن العولمة أصبحت حركة السوق (الخالية من القيم) تهدد سيادة الدولة القومية، واستبدل الاستعمار العسكري بأشكال أخرى من الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي، واتجه السلوك العام نحو الاستهلاكية الشرهة.

مرّت العلمانية الشاملة بثلاث مراحل أساسية:

اتسمت هذه المرحلة بسيطرة الفكر النفعي في هذه المرحلة أصبح الاستهلاك هو الهدف النهائي من الوجود ومحركه اللذة الخاصة، واتسعت معدلات العولمة لتتضمّن مؤسسات الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية الدولية وتتحول القضايا العالمية من الاستعمار والتحرّر إلى قضايا البيئة والإيدز وثورة المعلومات، وتضعف المؤسسات الاجتماعية الوسيطة مثل الأسرة، كل ذلك مستنداً على خلفية من غياب الثوابت المعايير الحاكمة لأخلاقيات المجتمع .

ورغم انبثاق مصطلح العلمانية من رحم التجربة الغربية، إلا أنه انتقل إلى القاموس العربي الإسلامي، مثيراً بذلك جدلاً حول دلالاته وأبعاده. والواقع أن الجدل حول مصطلح العلمانية في ترجمته العربية يعد إفرازاً طبيعياً لاختلاف الفكر والممارسة العربية الإسلامية عن البيئة التي انتجت هذا المفهوم، لكن ذلك لم يمنع المفكرين العرب من تقديم إسهاماتهم بشأن تعريف العلمانية¹

¹ - تختلف إسهامات المفكرين العرب بشأن تعريف مصطلح العلمانية، فعلى سبيل المثال: يرفض محمد عابد الجابري تعريف مصطلح العلمانية باعتباره فقط فصل الكنيسة عن الدولة، لعدم تكييفه مع الواقع العربي الإسلامي، ويرى استبداله بأفكار أخرى مثل "حفظ حقوق الأفراد والجماعات"، و"العقلانية" و"الممارسة السياسية الرشيدة".

في حين الباحث المصري وحيد عبد المجيد أن العلمانية (في الغرب) ليست منهج عمل وإنما مجرد موقف جزئي يتعلق بالمجالات غير المرتبطة بالشؤون الدينية. ويميز بين "العلمانية اللادينية" -التي تنفي الدين لصالح سلطان العقل- وبين "العلمانية" التي نحت منحى وسيطاً، حيث فصلت بين مؤسسات الكنيسة ومؤسسات الدولة مع الحفاظ على حرية الكنائس

ومما سبق نستخلص انه اذا كانت العولمة تقوم بهدم الحدود والفواصل، وتوسيع فرص التجانس والتوحد بين شعوب العالم، وتهدف إلى إزالة الفوارق بين الأفراد والمجتمعات، وتشمل مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية والثقافية، وكانت العلمانية تستهدف ابعاد القيم الدينية والأخلاقية عن حياة هؤلاء الافراد، فان التدقيق الموضوعي المحايد لمضمون مفهومي العلمانية والعولمة يوضحان مدى الارتباط القوي والمتكامل بينهما، وبين تمييع الهوية الدينية وفقدانها؛ حيث يؤدي ذلك إلى تهيئة المجتمع لدخول العلمانية والترحيب بالعولمة ونموها؛ لأنه مع إسقاط الهوية الدينية عن المجتمع بواسطة العولمة يتيح المجال لالتقاء الفكرتين معا وتكون أحدهما مقدمة للآخرى ومعبرة لطريق للوصول لمجتمع حر علماني لا ديني وهذا وجه التقائهما.

القيم الجديدة للعولمة :

لقد روجت العولمة لقيم أخلاقية جديدة تختلف عن القيم الأخلاقية التي تشترك فيها الإنسانية، وأعطت بهذه القيم المبررات الفلسفية لسيادة مبادئها، فما هي هذه القيم؟
ان أساس الاخلاق كما يقول علماء الاخلاق هو العدل. وجوهر العدل هو الكف عن المظالم. فإذا اخذ الانسان حقه كاملاً " وأعطى الغير حقه موفوراً سمي عند الاخلاقيين عادلاً " ومنصفاً". ومن صفات الحاكم العادل اعطاء كل ذي حق حقه، ومن صفات العدل ألا يرضى الانسان لنفسه بشيء إلا ورضي للناس بمثله. اين تتجلى هذه الاسس الاخلاقية الدينية والإنسانية التي اكدت عليها الخبرة البشرية منذ اقدم العصور في قاموس المؤسسات الدولية الاقتصادية والسياسية التي تقود العالم في اطار ما يسمى بالعولمة
في مجال الاقتصاد:

يختزل الاقتصاد الى ما هو "مادي" ولكن هذا الاختزال غير صحيح. "اذ لا الربحية ولا الاستهلاك غايات في حد ذاتها كما ان دعمها ليس الهدف النهائي لآلية العرض والطلب ويخدم الاقتصاد كل انواع القيم في حياة الانسان" وهدفه النهائي هو تطوير الانسانية المتكامل. وإذا ما لم يستهدف الاقتصاد هذا التطوير، فانه يدمر نفسه على الاجل الطويل.

والمؤسسات الدينية في ممارسة أنشطتها.
اما فؤاد زكريا فيصف العلمانية بأنها الدعوة إلى الفصل بين الدين و السياسة، ملتزماً الصمت إزاء مجالات الحياة الأخرى (الاقتصاد والأدب). وفي ذات الوقت يرفض سيطرة الفكر المادي النفعي، ويضع مقابل المادية "القيم الإنسانية والمعنوية"، حيث يعتبر أن هناك محركات أخرى للإنسان غير الرؤية المادية.
ويرى حسن حنفي أن العلمانية هي "فصل الكنيسة عن الدولة" كنتاج للتجربة التاريخية الغربية. ويعتبرها رؤية كاملة للكون تغطي كل مجالات الحياة وتزود الإنسان بمنظومة قيمية ومرجعية شاملة، مما يعطيها قابلية للتطبيق على مستوى العالم.

ان سوءات الاقتصاد هنا ليست في طبيعة الاقتصاد ذاته ولا ترتبط بالنمو الذي يحتاجه الانسان في تطوير حياته وتحسين نوعيتها. ولكن عندما يؤدي هذه النمو في ظل العولمة، الى هيمنة الشركات الكبرى على المقدرات المالية العالمية، والى افقار لمعظم سكان هذا الكوكب فإنها تصبح لا اخلاقية وعندما تدفع بالمزيد من البشر الى الشارع، حيث لا عمل ولا مأوى، ولا طعام فإنها تكون ايضا لا اخلاقية. "فهذا التقديس لانتشار العلاقات السلعية، الذي يشكل ماهية نظامنا الاقتصادي، أي البحث الدائم عن الربح.. لا يتوافق مع القواعد الاجتماعية، فجنبي المال من اجل المال.. يخالف الخير العام¹.

في مجال السياسة:

يواجه "المجتمع الدولي" مشكلة التلازم المفترض بين الاخلاق والسياسة الذي دعت اليه فلسفة **روسو وكانط**. ان النموذج الذي يقدمه المجتمع العالمي سواء من خلال مؤسساته الدولية او شركاته الكبرى، او دوله المهيمنة الى شعوب العالم الأخرى، ليعلمها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كيف تنتكر لمبادئ حقوق الانسان، وكيف تنقلب على عهودها، وكيف تحتمي خلف قوتها، وكيف تغض البصر عن الظلم هنا وتدعي الدفاع عنه هناك.. وهكذا الى السلوكيات السياسية التي يلخصها شعار "الكيل بمكيالين" التي تتدّمر منها دول عربية وإسلامية كثيرة عندما تريد توصيف السياسة الأمريكية في الشرق الاوسط. ولن اضرب الامثلة عن فقدان هذه الاخلاقيات في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، فالوقائع اكثر من ان تحصى حول الانحراف الاخلاقي للأمم المتحدة وللولايات المتحدة، ولمعظم العالم الغربي حول هذه القضية في تبرير الجرائم الاسرائيلية، وفي غرض النظر عما يقوم به الجيش الاسرائيلي وفي تحميل الطرف الفلسطيني دائما" مسؤولية ما يجري من تعطيل التفاوض.

وهناك مثال اخر اعطت من خلاله الادارة الامريكية شرعة اخلاقية وقانونية لشنها الحرب على افغانستان بحجة البحث عن المشتبه به الرئيسي في عمليات 11 سبتمبر أننا لا نعلم أي شرعة اخلاقية او قانونية تجيز اعلان الحرب وقتل ألوف المدنيين للقضاء على "مشتبه به". اما ملف حقوق الانسان الذي ترفعه الولايات المتحدة ضد من شاءت فهو يثير السخرية فقد استعملته ضد روسيا على اساس "الافراط الروسي في استخدام القوة" في الشيشان، وانتهاك حقوق الانسان واستهداف مواقع مدنية. وبحجة ان غياب الحل السياسي والانتهاكات الواسعة لحقوق الانسان تخلق جوا يساعد على الارهاب ما يدعو الى السخرية هنا ان الولايات المتحدة لا تطبق هذا المفهوم نفسه على اسرائيل التي ترفض التفاوض، وتقتل المدنيين وتشرّد آلاف السكان،

¹ - طلال عتريسي "العولمة والأخلاق أي رهان مستقبلي؟" www.islamset.com/arabic.

كما انها لا ترى ما فعلته في افغانستان انتهاكا لحقوق الانسان بعدما قتلت نحو خمسة الف مدني ودمرت بيوت الناس فوق رؤوسهم والأمثلة على هذا الانحراف الاخلاقي في المعايير السياسية كثيرة جدا. في مجال الثقافة:

ان المفاهيم والقيم التي تبثها الثقافة ليست مباشرة في معظم الاحيان، وإنما تحصل بالتراكم البطيء والهادئ بحيث يشعر الانسان بمرور الوقت ان مفاهيمه قد تبدلت وان القيم التي يحملها تجاه قضايا كثيرة قد تغيرت. لقد ساهمت ثورة الاتصالات التي جعلت للتجارة بعدها العالمي هي التي حملت القيم الجديدة والعادات والأفكار، وهي التي ساهمت في تغيير عادات الناس وأذواقهم واتجاهاتهم. ان التدهور الاخلاقي يبرز جليا في المجال الثقافي على مستوى السلوك والقيم، ويحتل "الثنائي" (الجنس والعنف) مساحة ثابتة في كل وسائل الاتصال القديمة والحديثة بأشكالها المختلفة، وحرّ الكثير من الخبراء من اخطارها، وتضاعفت الشكوى من اثارها في انحاء العالم كافة، بما فيها دول الشمال نفسه. فإذا تأملنا المخاطر الناجمة عن الترويج للجنس وللعنف بعيدا عن كل الضوابط الاخلاقية وحتى المنطقية ادركنا حجم المخاوف التي تحيط بعالمنا الانساني كله، من جراء هذا التهميش الذي تتعرض له القيم الاخلاقية .

4 - في المجال الاجتماعي:

اصبحت ظاهرة الفساد منذ العقد الماضي من اهم الظواهر الخطيرة على المجتمعات. وبغض النظر عن السبب الرئيس وراء شيوع الظاهرة الذي يرجعه البعض الى ضعف الوازع الاخلاقي العام، ويرعه آخرون الى تراجع شرعية الدولة كتجسيد للمصلحة العامة بعد ما فقدت سيطرتها الكلية في زمن العولمة، وذوبان القيم الجماعية التي ينشدها الافراد في البحث عن الفائدة والمصالح الانانية والخاصة التي فلسفة الشركات متعددة الجنسيات. وقد بيّنت بعض الدراسات¹ ان المجتمعات الحديثة تشهد تراجعاً "اخلاقياً" هو الذي يشجع على الفساد واتساع مجالاته. وابرز مظاهر هذا التدهور ومخاطره هي تضخم ظاهرة الفردية بأشكالها كافة، والتداعيات التي نجمت عنها من الانكفاء على الحياة الخاصة والابتعاد عن الآخر، وعدم الاهتمام بالتضامن الاجتماعي والاستغراق في الذاتية، وما يبنى على هذه الفردية من افكار او فلسفات تقوم على نفي أي حق للمجتمع في التدخل في شؤون الفرد وفي حياته الخاصة، والمفارقة هنا تكمن في ان العولمة وحدت العالم من جهة فجعلته كما يتردد قرية كونية، أي مكانا صغيرا من دون حواجز بسبب الدور الذي لعبته وسائل الاتصال في التعرف الى العالم وشعوبه عن كثب. بينما دفعت هذه العولمة من جهة ثانية حياة الناس، الى العزلة والانطواء

¹ طلال عتريسي "العولمة والأخلاق أي رهان مستقبلي؟" www.islamset.com/arabic

بسبب تضخم الفردية التي اشرنا اليها. والمفارقة الثانية في هذا الاطار، ان العولمة ما كان بمقدورها ان تعمل إلا لأنها ورثت سلسلة من الانماط السلوكية والأخلاقية من المراحل التي سبقتها:

كما انتشرت مواقع القمار على الانترنت التي يتوقع ان تصل ايراداتها في الاعوام القليلة المقبلة الى نحو ستة مليارات دولار.. وفي اوروبا كان عام 2000 عاما " اسود بكل معنى الكلمة، فتجارة المخدرات والسجائر، والأدوية التي غالبا ما يكون تاريخ صلاحيتها قد انتهى منذ اشهر، وقطع الغيار غير الاصلية والألبسة التي تم تزوير ماركاتها، والسيارات المسروقة، خصوصا الفخمة منها، وترويج عمل شبكات الدعارة، اضافة الى التهريب المنظم لليد العاملة عبر الحدود.. كما تدر تجارة الاسلحة غير المشروعة والتهريب بأنواعه كافة مبالغ ضخمة سنويا.. ويقدر صندوق النقد الدولي حجم تبييض الرساميل بين 2 و5% من اجمالي ناتج الدول القومي العالمي، أي ما يوازي قدرات اقتصاد بلد كإسبانيا او فرنسا مثلا.. ويرauh دخل معتمدي تهريب اليد العاملة من الدول الفقيرة الى الاتحاد الاوروبي وبحسب تقارير الانتربول بين 3 و4 مليارات دولار¹.. ولا تقل تجارة الدعارة اهمية في اقتصاد الجريمة منذ انهيار جدار برلين في بداية العقد الماضي.

نتساءل في خلاصة هذا الفصل فنقول هل يمكن في ظل هذه الارقام التي جناها اصحابها من فساد عابر للقارات ان يعيدوا إنتاج القيم على هذه القاعدة الوحيدة التي اعتمدها اصحاب هذه الاموال؟ اذا كان الامر كذلك، فعلى جميع من يعمل في أي قطاع كان ان يجعل الحصول على المال، والمال فقط نصب عينيه. أي ان على القضاة، على سبيل المثال، أن يبيعوا قرارات المحاكم في المزاد العلني، وان على المدرسين ان يعطوا العلامات الجيدة لمن يدفع اكثر من اولياء التلاميذ.

¹ طلال عتريسي "العولمة والأخلاق أي رهان مستقبلي؟" www.islamset.com/arabic .

ليست العولمة الاقتصادية ظاهرة عفوية في التاريخ، بل هي مرتبطة مع مجموعة من الاسس الهامة، التي تشكل في رأينا القواعد الضرورية التي بنيت عليها هذه الظاهرة عبر تطورها، ولعل أبرز هذه الاسس ما يلي:

الأساس الاقتصادي:

في هذا المجال نتناول تاريخ الفكر الاقتصادي من حيث هو تاريخ لأفكار ساهمت في ظهور النظام الاقتصادي¹ الجديد وفي إرساء فلسفة العولمة .

إذا كان الفكر الاقتصادي الحديث لا ينفصل عن المعالم التي رسمت تاريخيا، في اتجاه بناء فلسفة اقتصادية، فلاشك أن التفكير

¹ لابد من التفرقة بين مفهوم النظام الاقتصادي، ومفهوم التنظيم الاقتصادي، فالأول هو مجموعة العلاقات والمؤسسات التي تميز الحياة الاقتصادية، لمجتمع معين في الزمان والمكان أما الثاني أي التنظيم الاقتصادي فهو وسيلة يستخدمها النظام الاقتصادي لتنظيم النشاط الاقتصادي، والفعاليات الاقتصادية.

للتمثيل على ذلك: التنظيم الاقتصادي الحر هو وسيلة النظام الاقتصادي الرأسمالي. والتنظيم الاقتصادي الموجه هو وسيلة النظام الاقتصادي الاشتراكي.

الاقتصادي قد تطور تاريخيا تبعا لتطور الفكر الانساني. فقد كان للإغريق و الرومان بعض الإسهامات في بحث المسائل الاقتصادية و إن لم ترق إلى مستوى علم مستقل للاقتصاد،¹ لأن المفكرين الإغريق آنذاك كانوا يهتمون ربما بالمسائل الفلسفية و الاجتماعية و الأخلاقية، و يدرجون المسائل الاقتصادية ضمن هذا الكل. لقد كانت الحياة الاقتصادية و السياسية لدى اليونان مرتبطة تماما بوجود المدينة، باعتبارها وحدة سياسية و اقتصادية، تقوم بالمهام التي تقوم بها الدولة في عصرنا. و المدينة هي: "التنظيم السياسي و الاجتماعي الموحد لأرض محدودة، يمكن أن تضم مدينة واحدة أو عدة مدن كما تضم رقعة الريف الذي يرتبط بها."²

لقد ظلت الزراعة مهنة اليونان الأولى في مدنها خلال عدة قرون، إلى أن ظهرت الصناعات الحرفية فيما بعد. ورغم ذلك بقيت الزراعة هي "المهنة الوحيدة المناسبة للمواطن اليوناني."³ وهذا يدل على أهميتها في حياة اليونانيين، خاصة في عصر سقراط، الذي يروى عنه أنه قال بشأن أهمية الزراعة: "سوف تملكني الدهشة والاستغراب إذا علمت أن رجلا ذا أحاسيس حرة قد وجد لونا من ألوان النشاط أكثر جاذبية من الزراعة."⁴

فأفلاطون⁵ (428-348 ق، م) في تصوره للمدينة المثالية، نادى بضرورة تقسيم العمل بين قوى الإنتاج في مدينته، واعتبر تطبيق هذا المبدأ مهم جدا داخل المجتمع، لما له من فعالية في رفع مستوى الإنتاج، كما أرجع نشأة المدينة إلى العامل الاقتصادي، بدليل أن الفرد لا يشبع جميع حاجاته إلا بانضمامه إلى مجتمع المدينة،⁶ الذي ينقسم إلى

1 - لفظة الاقتصاد مأخوذ من اللفظ اليوناني المشتق من لفظين إغريقيين هما إدارة المنزل.

2 - جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية، ترجمة ناجي الدراوشة، وزارة الثقافة، دمشق، الجزء الأول، 1984، ص: 19.

3 يوسف جميل نعيصة، "تاريخ الفكر السياسي"، جامعة دمشق، مطبعة رياض، دمشق 1982، ص: 75.

4 مصطفى العبد الله الكفري، الفكر الاقتصادي في اليونان القديم "مجلة الحوار المتمدن"، العدد 1020، بتاريخ 10-11-2004

5 - فيلسوف يوناني من كبار الفلاسفة ولد في أثينا، نشأ في أسرة عريقة في المجد، وتعلم على أستاذه سقراط، أنشأ الأكاديمية التي اعتبرت أول جامعة علمية في أوروبا شملت الدراسة فيها جميع فروع العلم من فلسفة و رياضيات وفلك وفيزياء.

6 - أن عملية الإنتاج تقتضي التعاون بين أفراد الجماعة، وتقسيم العمل الذي يمكن الجميع من تحقيق ذواتهم عن طريق العلاقات الاقتصادية التي تنشأ فيما بينهم.

طبقات ثلاث على أساس اختلاف المواهب الطبيعية لكل فرد وهذه الطبقات هي:

1. طبقة الحكام الذين يتولون إدارة الحكم في المدينة، يضم مجموعة من الأرستقراطيين الذين يحتقرون العمل اليدوي.

2. طبقة المحاربين، التي تضم النبلاء ورجال الجيش ومجموعة من الحرفيين، وصغار الملاك، و مهمتها تتمثل في الدفاع عن المدينة.

3. طبقة العمال و الفلاحين، التي تضم جميع قوى الإنتاج، وتشكل في أغلب الحالات من العبيد، و مهمتها إشباع الحاجات المادية لجميع أفراد المدينة.

يأتي هذا التباين الطبقي ليثبت التفاوت الطبيعي للأفراد، حسب سيادة إحدى الملكات على الأخرى،¹ وتتفق كفاءات الافراد مع الوظائف المتباينة للمدينة، وهي ثلاث: الادارة والدفاع والإنتاج².

وهو ما يجعلنا نقول أن النظرة الاقتصادية، التي ولدت في أحضان "الفلسفة الأفلاطونية" كانت في خدمة السياسة.

أما **أرسطو** (384 - 322 ق.م) الذي يتميز عن **أفلاطون**³ بقدره فائقة علي التغلغل في تحليل الظواهر الاقتصادية⁴ فقد تعرض إلى أهم الجوانب الاقتصادية كنشأة المدينة، و نظام الملكية و نظام الرق و تناول موضوع القيمة و التبادل الخاص بالسلع و الخدمات و ما يتصل بهما من المقايضة، وكيفية إشباع الحاجات وطرق الحصول على الأموال، من زراعة وتربية المواشي والصيد واستخراج المعادن وجميعها طرق

¹ - عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة الجزء الأول، ص: 183.

² - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص: 100.

³ - يختلف أرسطو مع أفلاطون في عدة نقاط، فهو يرى أن الجمهورية الأفلاطونية غير قابلة للتطبيق، وأنها خالية من السعادة الإنسانية، كما خالفه في فكرة مشايعة النساء، والأملك بالنسبة لطبقة الحكام والجنود، كما خالفه في قضية طبقات المجتمع التي رتبها أفلاطون وان كان أرسطو يقول بفكرة الاسترقاق.

كما أن السعادة حسب أرسطو تكمن في ممارسة الفضيلة، وليس في فرض نظام سياسي دقيق، ومحدد على نحو ما فعل أفلاطون.

لقد جعل أفلاطون الأخلاق علما أساسيا، وعد السياسة فرعاً من فروعها، أما أرسطو فقد عكس الأمر ونظر إلى السياسة على أنها علم من العلوم، أما الأخلاق والاقتصاد فعدهما فرعين من فروع السياسة، التي تهدف إلى إسعاد البشرية.

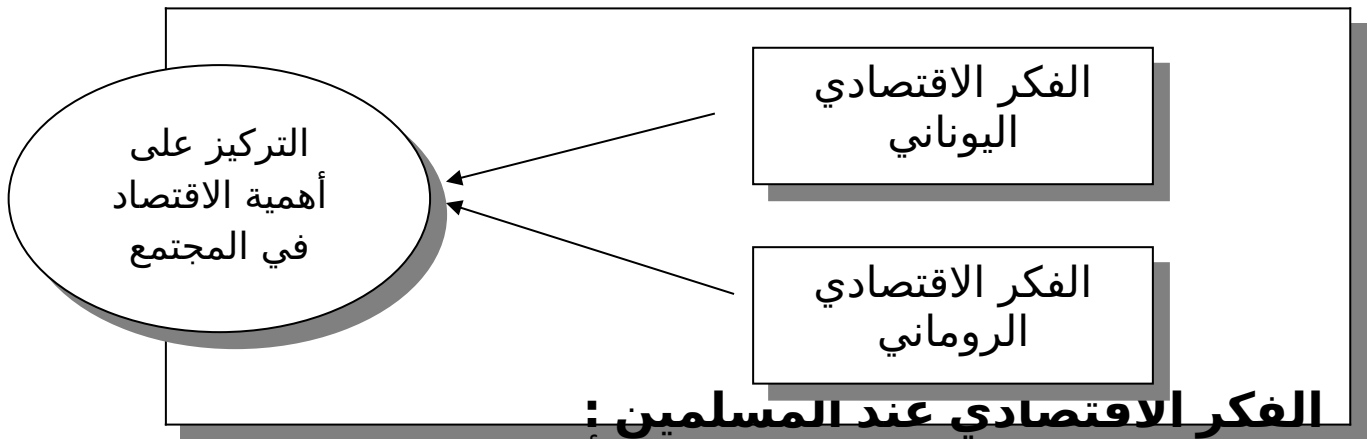
كان أفلاطون مؤمناً بحكم الأقلية التي تتصف بسمو مداركها وملكيتهما للثورة، إما أرسطو فقد حدد أن أفضل انواع الدول هي التي يشترك أفرادها اشتراكاً فعلياً في إدارة شؤون بلادهم عندما يكون ذلك بمقدورهم .

للاطلاع أكثر على الاختلافات بين أرسطو وأستاذه أفلاطون يمكن الرجوع إلى كتاب: يوسف جميل نعيمة - تاريخ الفكر السياسي - جامعة دمشق - 1982 ص: 114-116

⁴ - محمد دويدار، مبادئ الاقتصاد السياسي، ص 48..

طبيعية لاكتساب الأموال¹. وهكذا يكون **أرسطو** قد تغلغل إلى تحليل الظواهر الاقتصادية، و كانت مواقفه مرتبطة مع مصالح طبقات المجتمع الإغريقي آنذاك.² نستنتج ان أرسطو استطاع بفضل تحليله لبعض المشكلات والظواهر الاقتصادية ان يضع بذور "نظرية اقتصادية". أما الفكر الاقتصادي عند الرومان فظهرت بعض ملامحه مع **شيشرون و سنكا**، وهما من الحكماء الذين تحدثوا عن النشاط الاقتصادي، وما يرتبط به من استخدام للأرض حيث الاهتمام بالزراعة، نظرا لأهميتها في الحياة الاقتصادية، وإذ حق القول أن الرومان لم يكن لهم إسهام واضح في الفكر الاقتصادي، فإن لهم في المجال القانوني بعض الأفكار الهامة حول " المذهب الفردي " ، إذ أوحى القانون الروماني بمبدأين قانونيين يتعلقان بالمذهب الفردي وهما على وجه التحديد:

1. حق كل فرد في أن يعقد ما يشاء من العقود مع الغير .
 2. حق كل فرد في الملكية المطلقة للأموال.
- للإشارة فإن النظام الرأسمالي الذي لاحت بوادره فيما بعد قام على أساس فكرة المذهب الفردي، وهو مذهب يركز على الفرد في الحياة الاقتصادية. وهكذا يكون الرومان قد أثروا الفكر الاقتصادي اللاحق من خلال تنظيماتهم القانونية.



في البداية لا بد من الإشارة الى الخطأ الكبير الذي يقع فيه بعض الدارسين للفكر الاقتصادي، والذين يحدثون القفزة بين التفكير اليوناني والتفكير الاوربي، متجاهلين الجهود العلمية والأخلاقية في القرون الوسطى، بدعوى ان القرون الوسطى، هي عصور جهل وظلام، وهي في رأينا نظرة عنصرية متحيزة، لا تعترف بالروح العلمية، التي تطورت

¹ - أرسطو " السياسة" الجزء الأول- الكتاب الأول- الفصل الثامن ص 50 55. عن د/محمد دويدار مبادئ الاقتصاد السياسي تاريخ علم الاقتصاد السياسي دار الجامعة الجديدة للنشر الإسكندرية 1999. ص 48.

² - حسين عمر، تطور الفكر الاقتصادي. ص:35.

في احضان الحضارة الاسلامية، باستثناء بعض الاعترافات كتلك التي يصف فيها **جورج سارتون**، المسلمين من زمن ازدهار الدولة الإسلامية، خلال الفترة من منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر، ويقول عنهم -اي العلماء المسلمين-: "هم عباقرة الشرق في القرون الوسطى، قدموا للحضارة الإنسانية مآثر عظيمة، بل أشاد المسلمون دولاً لهم في أطراف الجزيرة العربية على شواطئ بحر العرب وفي بلاد الرافدين وبلاد الشام وفي شمال افريقيا، ثم وصلت إلى الاندلس، وحتى حدود فرنسا في اوروبا، وأقاموا هناك حضارات ما تزال موضوعاً هاماً في كتب التاريخ، والكتب المعاصرة.¹ ومن هنا فلا بد ان نشيد نحن بتلك الانجازات المهمة في التاريخ، ونعطي لها حقها الذي أنكره الآخرون .

ففي الفكر الاسلامي كانت **ابن خلدون** وقفات هامة في التنظير لعناصر الحياة الاقتصادية متحدثاً عن الرزق والكسب،² ومبيناً أن الحياة الاقتصادية لا تتم إلا بالعمل، ولا تزدهر إلا بالتجمع والتعاون تحت ظل نظام ساهر على الاستقرار والحقوق.³ وقد خاض **ابن خلدون** في كثير من الجوانب المتعلقة بالمعاش وأوجه تحصيله، وفي الصنائع وفضلها، وبعد العرب أوقربهم عنها، وارتباط فقدان الأعمال بانتقاص العمران وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "أن الصنائع إنما تستجد إذا احتيج إليها وكثر طالبها وإذا ضعفت أحوال المصر وأخذ في الهرم بانتقاص عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري من أحوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابع الترف"⁴ وهناك شخصية أخرى أثرت في تاريخ الفكر الاقتصادي ووضعت بعض الافكار الاقتصادية وتتمثل في: **تقي الدين المقرئزي**⁵ (1365-1441)

احتل المقرئزي مركزاً عالياً بين المؤرخين المصريين في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ومن أهم كتبه في التاريخ "السلوك لمعرفة دول الملوك" و"اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفاء" وهذه الكتب تؤرخ لمصر خلال فترة الدولة الفاطمية وما قبلها.

¹ - رياض حمودة، "الفكر الاقتصادي .. نظرة عامة" مجلة النبأ، العدد 41 ، جانفي 2000.
² الرزق هو الذي يكسبه صاحبه بعرق جبينه، وينتفع به في حياته وينفع الناس، أما الكسب فهو المال الذي يحصل عليه صاحبه، ولا ينتفع به، ومنه المال الذي يحصل عليه بطرق الغصب والربا والحرام.

³ إدريس خضير، "التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية"، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص:115.

⁴ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص:403.

⁵ -هو أبو العباس بن علي بن عبد القادر المقرئزي علم من أعلام التاريخ والاقتصاد ، ولد في القاهرة، تولى المقرئزي عدة مهام في الدولة كالحسبة والخطبة والإحاطة ثم عمل مع الملك الظاهر برفوق.

أما في المجال الاقتصادي، فله كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة"، ويتحدث فيه عن تاريخ المجاعات¹ في مصر ويحلل أسبابها، ودواعيها. وله كتاب آخر في المجال الاقتصادي عنوانه "شدوذ العقود في ذكر النقود" وفيه يتحدث عن المشكلات الاقتصادية المتعلقة بالظواهر النقدية.²

أما إذا القينا نظرة عامة عن الاقتصاد الإسلامي، لوجدناه يقوم على الأركان الاقتصادية الثلاثة المعروفة في النظام الرأسمالي: المصلحة الشخصية، والمنافسة والحرية، ولكن يضيف إليها العامل الأخلاقي الذي أنكرته الرأسمالية ومن هنا كانت مشاكل الاقتصاد الرأسمال الغربي، ناجمة في أحد وجوهها الرئيسية، من استبعاد العنصر الأخلاقي عن المعاملات الاقتصادية، فالإقتصاد الإسلامي يثبت هذا العامل في كل التعاملات الاقتصادية.

كما يتصف الاقتصاد الإسلامي بميزات خاصة وهي:
- كون الاقتصاد الإسلامي، يحارب تكديس الثروة وجمعها في يد فئة قليلة، ويحث على انفاقها في سبيل المصلحة العامة، استناداً إلى قول الله عز وجل في القرآن الكريم «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»³. وقد نص على الغاية من ذلك الدستور القرآني، فقال تعالى في سورة الحشر: «كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم»⁴

محافظة منه على التوازن الاقتصادي في المجتمع اذن فالإقتصاد الإسلامي، مؤسس على رعاية المصلحة العامة، وقائم على محاربة طغيان رأس المال الكبير من غير غلو ولا تطرف.
تحريمه الربا، فقد شن حرباً لا هوادة فيها على كافة المعاملات والقروض الربوية، وفي ذلك يقول الله عز وجل إشارة إلى الدستور الاقتصادي في الإسلام: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرّوا ما بقى من الربا أن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله»⁵
والغرض من ذلك إخضاع المعاملات الاقتصادية بكافة وجوها، إلى قاعدة ثابتة عادلة. وبهذا فهو يحل المشكلة الكبرى القائمة بين الاقتصاديين الشيوعى والرأسمالى، وهى مشكلة فضل القيمة⁶ التي يعتبر الاقتصاد الشيوعى السرقة الكبرى، التي يسرقها أصحاب رؤوس الاموال في المصانع من عمالهم، لأنها الفرق الحاصل بين

¹ - المقصود بالمجاعات الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مصر في تلك الفترة.

² مصطفى عبد الله الكفري، "تقي الدين المقرئ في علم من اعلم التاريخ والاقتصاد"، مجلة الحوار المتمدن، العدد 911، بتاريخ 31-7-2004م

³ - سورة التوبة، الآية: 34

⁴ - سورة الحشر الآية: 07

⁵ - البقرة: 278، 279

⁶ محمود اللبابيدي، "الاقتصاد الإسلامي مقامه بين الاقتصاديين الرأسمالي والشيوعي"، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب. www.taghrib.org/arabic

تكاليف القطعة المصنوعة بما فيها أجور العمال، و بين قيمتها في السوق، تلك القيمة التي يربحها أصحاب المصانع، مع أن للعمال الذين أنتجوها حق المقاسمة فيها اما عن مبادئه فيقوم الهيكل العام للاقتصاد الإسلامي على ثلاثة مبادئ رئيسة، تميزه عن سائر المذاهب الاقتصادية الأخرى، وهذه المبادئ الأساسية الثلاثة هي مبدأ الملكية المزدوجة ومبدأ الحرية الاقتصادية ضمن نطاق الشرع و العقل ومبدأ العدالة الاجتماعية..

(1) مبدأ الملكية الجماعية:

إن المذهب الإسلامي لا يتفق مع الشكل الرأسمالي للملكية، بأن الملكية الاجتماعية مبدأ عاماً، ولكن يُقر مبدأ الملكية المزدوجة، فهو يؤمن بالملكية الخاصة للأفراد و الملكية العامة للجماعة في حدود ضيقة ويخصص لكل منها حقلاً خاصاً تعمل فيه.

(2) مبدأ الحرية الاقتصادية:

سمح النظام الاقتصادي الإسلامي للأفراد بحرية ممارسة النشاط الاقتصادي، بحدود من القيم المعنوية الخلقية التي جاء بها الإسلام ويأتي التحديد الإسلامي لحرية الافراد في النشاط الاقتصادي من مصدرين أساسيين¹:

أ - **التحديد الذاتي:** الذي ينبع من اعماق النفس، ويستمد قوته من المحتوى الخلقي والفكري للشخصية الإسلامية ويتكون هذا التحديد الذاتي طبيعياً في ظل التربية الخاصة التي ينشئ الإسلام عليها الفرد في المجتمع الإسلامي حيث يتحكم الإسلام في كل مرافق هذا المجتمع.. ويتم هنا توجيه الافراد توجيهاً مهذباً وصالحاً، دون ان يشعر الافراد بسلب شيء من حريتهم.

ب - **التحديد الموضوعي:** الذي يتمثل في القوة الخارجية التي تحدد السلوك الاجتماعي وتضبطه. وهو التحديد الذي يفرض على الفرد في المجتمع الإسلامي بقوة الشرع ويقوم التحديد الموضوعي لحرية ممارسة النشاط الاقتصادي في الإسلام على المبدأ القائل: (انه لا حدود للشخص فيما نصت عليه الشريعة المقدسة، من ألوان النشاط التي تتعارض مع المثل والغايات التي يؤمن الإسلام بضرورتها فقد منعت الشريعة بعض.. النشاطات كالربا والاحتكار لأنها تعارض المثل والقيم التي يتبناها الإسلام).

(3) مبدأ العدالة الاجتماعية:

تقدم العدالة الاجتماعية من وجهة نظر النظام الاقتصادي الإسلامي على مبدئين عامين، الأول مبدأ التكافل العام، والثاني مبدأ التوازن

¹ رياض حمودة، "الفكر الاقتصادي.. نظرة عامة" مجلة النبأ، العدد 41، جانفي 2000

الاجتماعي، في التكافل الاجتماعي والتوازن في توزيع الثروة في المجتمع يتم تحقيق العدالة الاجتماعية - ان هذه الاركان الاساسية في الاقتصاد الإسلامي التي تتمثل في ملكية وسائل انتاج ذات اشكال متنوعة، يتحدد التوزيع خلالها - ثم حرية في النشاط الاقتصادي محدودة بالقيم الإسلامية والعدالة الاجتماعية التي تكفل للمجتمع سعادته وقوامها التكافل الاجتماعي والتوازن.

وللمذهب الاقتصادي في الإسلام صفتان اساسيتان هما الواقعية والأخلاقية¹:

فأما الواقعية فالالاقتصاد واقعي في غايته لأنه يستهدف في انظمته وقوانينه الغايات التي تنسجم مع واقع الإنسانية بطبيعتها وخصائصها العامة... ويقيم مخططة الاقتصادي دائماً على اساس النظرة الواقعية للإنسان، ويتوخى الغايات الواقعية التي تتفق مع تلك النظرة - الأخلاقية حين نجد ان الإسلام لا يهتم بالجانب الموضوعي فقط وهو تحقيق الغايات، وإنما يهتم أيضاً بالجانب الأخلاقي. ولهذا فالإسلام يمتاز بين الأديان الكبرى، بأنه ليس نظاماً دينياً فحسب، وإنما هو نظام للحياة أيضاً.

ان النظرة الاسلامية للمشكلات الاقتصادية نظرة تغترف مقوماتها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وترفض سيادة النظرة المادية الصرفة للأمور، وإخضاع أمور الحياة لتفسيرات هذه النظرة.

وفي هذا الاطار يقول **الدكتور محمد اليماني**: "إذا كان علم الاقتصاد يزخر بكم هائل من النظريات والتحليلات، والأطر الفلسفية المبنية على التصور المادي للأحداث، والعلاقات السببية للأحداث والنتائج، فقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية على وجود عوامل غير ملموسة تؤثر في كثير من المتغيرات الاقتصادية، فهناك من المعاصي ما يكون سبباً لمحق البركة من الرزق ونزعها، وإن كان كثيراً فلا يشعر الفرد بكثرته وإن شعر فلا يستطيع التمتع به، وهناك ما هو سبب لمنع المطر من السماء وانتشار القحط والجفاف. وفي المقابل، فهناك من الطاعات ما يكون سبباً في إكثار الرزق ومباركته ونماء المال وزيادته، وسبباً في الإحساس والشعور بالرضا والسعادة أو بتعظيم المنفعة في عـرف الاقتصاديين. وهناك من المعاصي والمخالفات الاقتصادية على وجه الخصوص، ما يكون سبباً في حدوث الكوارث، التي لا تقتصر على ممارستها بل ربما تعم المجتمع بأكمله، مثل شيوع المعاملات الربوية، وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل أموال اليتامى، والاختلاس من المال

¹ رياض حمودة، "الفكر الاقتصادي .. نظرة عامة" مجلة النبأ، العدد 41، جانفي 2000.

- العام، أو الخاص ومنع الزكاة واحتكار أقوات الناس والغش والإخلال بالموازين وغيرها.¹
- ونسنتخلص من كل ما سبق أن أهم الخصائص المميزة للاقتصاد الإسلامي هي كما يلي:
- المال بمختلف أنواعه ملك لله، والإنسان مستخلف فيه.
 - ان انفاق المال لا بد ان يكون في منفعة الفرد والجماعة.
 - يوفق الاقتصاد الإسلامي بين المادة والروح، من خلال ارتباط الاقتصاد بالأخلاق.
 - التوازن في رعاية المصلحة الاقتصادية للفرد والجماعة.
 - الاعتدال والتوسط في الانفاق والنهي عن الاسراف والتبذير.

النظام الاقتصادي كما عرفته أوروبا:

إن أوروبا قبل أن تعرف النظام الرأسمالي الحديث شهد مجتمعها نظاما اقتصاديا إقطاعيا،² فما هي أبرز الملامح المميزة له؟ يرتبط النظام الإقطاعي بالعصور الوسطى في أوروبا،³ وقد بدأت تاريخيا بسقوط الإمبراطورية الرومانية في أيدي القبائل الجرمانية⁴ و انتهت هذه الفترة بسقوط القسطنطينية في أيدي الأتراك . إن الوحدة الإقطاعية⁵ هي الوحدة الاجتماعية و الاقتصادية للنظام الاقتصادي، الذي كان سائدا في العصور الوسطى، والإقطاعية هي: "مزرعة محصنة تحتوي الأرض المزروعة وأرض الرعي المشتركة، وأرض الغابات المشتركة وهي مكونة في أغلب الأحيان من قرية أو أكثر، في حالات قليلة يتوسط الإقطاعية قصر الشريف الذي يملك الأرض ملكية مقيدة، ويقوم في أكواخ القرية الصغيرة من يقومون بالنشاط الإنتاجي وهم العبيد."⁶

¹- محمد اليماني، "اساليب غير تقليدية لحل مشاكل اقتصادية تقليدية"، صحيفة الجزيرة، المملكة العربية السعودية، الأربعاء 23 من رمضان 1426هـ العدد 12081

² - في الواقع لم يبدأ الإقطاع ولم ينته في كل بلدان أوروبا في نفس الوقت.

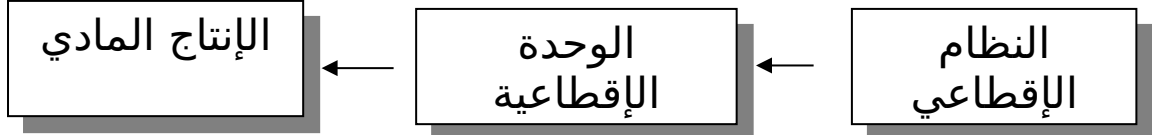
³ - العصور الوسطى هي الفترة الزمنية الممتدة من القرن الخامس للميلاد إلى القرن الخامس عشر للميلاد.

⁴ - الدكتور حسين عمر، تطور الفكر الاقتصادي، ص 50.

⁵ - هي تلك الضيقة التي تقوم على الإنتاج الطبيعي وهي وحدة مستقلة وقائمة بذاتها منفصلة عن سائر الإقطاعيات الأخرى.

⁶ - كانت كل إقطاعية تشكل وحدة اقتصادية قائمة بذاتها ومنفصلة عن غيرها ولكن مع تطور الأحداث تاريخيا (هجرة رقيق الأرض من الريف إلى المدن، إشعال الحروب الصليبية، إنفتاح المدن على بعضها...) لم يحتفظ الاقتصاد الإقطاعي بهذه الخاصية التي لزمته في المرحلة

- و من أهم ميزاته:
- استغلال الإقطاعي لرقيق الأرض أبشع استغلال.
 - هجرة الرقيق إلى المدن.
 - قيام الاقتصاد على الزراعة ثم الحرفة.
 - تحول الاقتصاد من الانغلاق إلى الانفتاح¹.
 - هيمنة الكنيسة على النشاط الاقتصادي.



ولقد قدم المدرسيون² الذين كانوا يدرسون الفلسفة والقانون في أوروبا³، ومن أبرزهم **توما الاكويني** الأفكار التي تدل على احتكار الكنيسة للفكر الاقتصادي، وأبرزوا المبادئ الاقتصادية التي ركزت عليها التعاليم المسيحية مثل المساواة بين الأفراد ومشروعية التقسيم الطبقي للمجتمع وتمجيد العمل باعتباره أساس النشاط الاقتصادي. غير أن المعالم الأولى للفكر الاقتصادي بدأت ملامحها مع من عرفوا في تاريخ الأنظمة الاقتصادية بالتجارين. ويختص علم الاقتصاد حسب رأيهم بدراسة الأمور الآتية⁴:

- 1- كميات ونوعيات السلع والخدمات التي تنتج.
 - 2- طرق إنتاج السلع.
 - 3- توزيع السلع بين أعضاء المجتمع.
 - 4- تكامل الموارد الاقتصادية في بلد من البلدان.
 - 5- نمو أو ثبات طاقة الاقتصاد :
- و يعتقد بعض المفكرين الغربيين أن الفكر الاقتصادي الحديث بدأ في أوروبا بفكر مدرستي "**التجارين**" و "**الطبيين**" و ينتهي

الإقطاعية الأولى.

¹ - يسمى هذا العصر بعصر الرأسمالية التجارية (اعتمدت على التجارة كمصدر للثروة) تميزا له عن عصر الرأسمالية الصناعية (اعتمدت على الصناعة كمصدر للثروة) التي ظهرت بواورها مع انتشار ما يعرف بالفكر الكلاسيكي.

- ² - منهم كولبير Colbert والذي كان وزيرا لملك فرنسا (1615/1673).
وتوماس من Thomas Mun في إنجلترا 1641-1576.
جان بودان Jean Boudin في فرنسا 1596-1520.
فون هنريك Von Hernick في ألمانيا 1713-1638.

³ - محمد دويدار، مبادئ الاقتصاد السياسي، تاريخ علم الاقتصاد السياسي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية 1999. ص
⁴ - كامل بكري، أحمد مندور، علم الاقتصاد، الدار الجامعية، بيروت، 1989، ص: 8-12.

بالفكر الكينزي مروراً بالفكر الكلاسيكي¹ . ويعبر عن المرحلة التجارية بالمصطلح المعروف "الماركانتيلية"² وهي كلمة ايطالية الاصل تعني السوق³ ، هي تيار فكري ظهر ما بين القرن السادس عشر والثامن عشر.⁴

كما اختلف المؤرخون بشأن فترة "الاقتصاد الكلاسيكي". فهو بدأ في نظر **ماركس** مع **وليام بني** ووصل القمة في عصر **آدم سميث** وانتهى مع **دافيد ريكاردو**، أما المؤرخون اللاحقون فوضعوا بدايته في يد **آدم سميث** ونهايته مع **جون استوارت مل**⁵.

ومذهب التجاريين مذهب اقتصادي يصطلح على تسميته بالرأسمالية التجارية⁶ ويمثل مرحلة انتقالية في تطور الاقتصاد الرأسمالي ساهم في صياغتها بعض المتخصصين، ورجال الأعمال و السياسيين⁷. وقد استمر مدة ثلاثة قرون كاملة من منتصف القرن 15 حتى منتصف القرن 18، ولم يتكون هذا المذهب دفعة واحدة على الرغم من الأفكار المشتركة بين جميع مفكري عصر التجاريين ولم تكن أفكارهم الاقتصادية تحليلاً اقتصادياً بالمعنى العلمي، بل قام هذا المذهب على بعض المبادئ العامة منها :

- الاقتصاد للقوة (يجب على الدولة أن تكون قوية حتى تقاوم كل أشكال الإقطاع).

- ثروة الأمة رهن بكمية النقود المعدنية (الذهب والفضة).

- ثبات حجم الثروة الكلية في العالم.

- الارتباط الوثيق بين كمية النقود ومستوى الأسعار.

هكذا نجد أن التجاريين نظروا إلى الذهب والفضة باعتبارهما الثروة الحقيقية للدولة، وأساس قوتها. لذلك فهدف أي دولة هو

¹ - محمود خالد المسافر، العولمة الاقتصادية هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب بيت الحكمة، بغداد ، الطبعة الاولى 2002 ، ص: 19

² - Alain Beiton, Christine Dollo, Antone Cazorla, Anne –Mary Dray, « dictionnaire des sciences économique », édition Armand colin Paris 2001 p :289

³ (marchand)

⁴ Ibid p :289.

⁵ - جورج نهايز ، النظرية الاقتصادية الإسهامات الكلاسيكية 1820-1980، ترجمة= صقر أحمد صقر. المكتبة الأكاديمية ، الطبعة الأولى، القاهرة، 1997، ص:30.

⁶ - لقد اختلفت الاراء حول تاريخ بدء ظهور فكر المدرسين فبعضهم من الاقتصاديين مثل جوزيف شومبينز يرجعه إلى القرن التاسع الميلادي بينما يرجعه أندري لالاند الى القرن العاشر غير أن برتراند راسل يرجعه الى القرن الحادي عشر . أنظر محمد ليب شقير، "تاريخ الفكر الاقتصادي" القاهرة، 1956، ص:42

⁷ - يشكل رجال الكنيسة معظم هيئة التدريس الذين يدرسون التعاليم الدينية والفلسفة الإغريقية والقانون الروماني.

الحصول على أكبر قدر من هذين المعدنين، مع العلم أن السياسة الاقتصادية في ذلك العصر قد اختلفت من دولة إلى أخرى حيث اعتمدت **إسبانيا** على السياسة المعدنية في القرن 16م و اعتمدت **فرنسا** على السياسة الصناعية في القرن 17م اعتمدت **إنجلترا** على السياسة التجارية في القرن 18م.

و على كل حال فقد كان التجاريون يعترفون بالملكية الفردية، و يجعلونها محورا للنشاط الاقتصادي، وفي الوقت نفسه يعترفون للدولة في حق التدخل بالتنظيم- ولتبيان تأثير فكر التجاريين في بلورة الإطار العام للرأسمالية نعرض على السياسة الرأسمالية في كل من **فرنسا** و**إنجلترا**، وهي السياسة التي تعبر حسب بعض الدراسات المتخصصة عن بروز الاقتصاد الذي يعمل مباشرة على الصعيد الدولي¹.
في **فرنسا** اهتم **كولبير** (1619-1673) الوزير الفرنسي للملك **لويس الرابع عشر** بتنفيذ السياسة الصناعية الهادفة إلى تحصيل أكبر قدر من المعادن النفيسة و لتحقيق هذا الهدف كان عليه العمل على ترجيح كفة الصادرات عن الواردات و هو ما ينتج فائض في الميزان التجاري².

و لعل **كولبير** فضل التصدير الصناعي على تصدير المنتجات الزراعية على أساس أن المنتجات الصناعية لها قيمة سوقية أكبر من قيمة المنتجات الزراعية. بالإضافة إلى أن الصناعة لا تخضع لمخاطر الظروف الطبيعية كما تخضع لها المنتجات الزراعية لذلك عول **كولبير** على الصناعة كمورد مهم في تحصيل المعادن النفيسة من خارج **فرنسا** و دعمت هذه السياسة ببعض الأساليب الهادفة إلى زيادة القدرة التصديرية³ من ذلك:

1. تدعيم الصناعة الوطنية بالمعونات المالية.
 2. قيام الدولة بإنشاء الصناعات الهادفة إلى تحسين المنتجات الصناعية.
 3. إصدار القوانين و اللوائح الهادفة إلى فرض الرقابة على المنشآت الصناعية ضمانا للجودة.
 4. تشجيع تأسيس الشركات الكبرى القادرة على تسويق المنتجات الصناعية خارج الأسواق الفرنسية.
- أما في **إنجلترا** فقد تبلورت السياسة التجارية على شكلها الرأسمالي حيث اهتمت بالنقل البحري اهتماما كبيرا ساعدها على زيادة

¹ Serge cordellier, le dictionnaire historique et géopolitique du 20ème siècle . 2ème édition, la découverte, paris 2002, P : 461

² - يعتبره البعض المخطط أول للسياسة الفرنسية، واستطاع تنفيذ فترة ولايته للوزارة.

³ - وهي تشكل الثروة وتحقيق فائض في الميزن التجاري.

أرصدتها من الذهب والفضة فعززت أسطولها التجاري الضخم الذي يحمل العروض التجارية من و إلى **إنجلترا** في مقابل حصولها على أرصدة من الذهب كضمن لها شأنها في ذلك شأن تصدير السلع المختلفة. ولأن **الماركنتالية** قامت على واقع الحكم على ثروة البلد من خلال مخزونه من الذهب والفضة ، فإن البلد الذي لا يملك مناجم لهذه المعادن عليه أن يعتمد على التجارة الخارجية ليصبح غنيا بهما، وهذا الذي انتهجته **إنجلترا**. قال **فريدريك باستيا**¹ متحدثا عن أهمية التجارة وما تحققه من أرباح "إذا لم تتمكن البضائع من تجاوز الحدود فإن الجيوش تتمكن من ذلك"²

وفي نفس الاطار اضاف **دافيد هيوم** : "ان التجارة الخارجية هي منشط الحركة الاقتصادية"³ كما عملت على تأسيس الشركات الخاصة التي تعمل على تصدير واستيراد

منتجات التجارة الخارجية بل و وضعت لها من الأنظمة و القوانين ما يساعدها على تحقيق الأرباح الكبيرة.⁴ و من تلك القوانين نجد (قانون الملاحة) الذي أصدره **كروم ويل** سنة 1651 الذي ينص⁵ على ما يلي:

- أن تكون السفن العاملة في مجال التجارة بين إنجلترا و مستعمراتها مملوكة بأسرها لمواطنين إنجليز.
 - أن يكون ثلاثة أرباع طاقم هذه السفن من فنيين و إداريين و عمال بحريين من الرعايا الإنجليز.
 - أن يتم نقل السلع الواردة من الدول الأخرى إلى **إنجلترا** على سفن إنجليزية أو على سفن مملوكة للدول المنتجة لتلك السلع.
- ذكرنا فيما سبق أن الرأسمالية التجارية أو الماركنتالية قد اعتمدت على قوة الدولة في تحصيل الثروة المعدنية من الذهب و الفضة من جهة و في القضاء على الإقطاع و سيطرة الكنيسة من جهة أخرى . غير أن التأكيد على قوة الدولة وأن لم يصل إلى حد إفناء شخصية الفرد في الدولة فإن الدولة هنا تشكلها العائلات الملكية التي سخرت العمال لصالحها ، بل وصل الأمر إلى انعدام الروح الإنسانية في التعامل مع الأفراد خاصة صغار السن الذين أرهقوا بالأعمال التي تفوق طاقتهم البشرية، ولا غرابة في هذا الأمر لأن : "المبدأ الماركنتالي القائل بعدم إمكانية تحقيق الثروة إلا على حساب الآخرين لم يتوقف عند حدود

¹ - Frédéric BASTIAT

² Jacques Brosseul un monde meilleur – pour une nouvelle approche de la mondialisation, P :18

³ Alain LEON, Thierry SAUVIN, de l'économie internationale à l'économie global , P :15

⁴ - ساعدها هذا الفعل على انجاح سياستها التجارية آنذاك.

⁵ - حسين عمر، "تطور الفكر الاقتصادي" الكتاب الأول. ص:166

العلاقة بين بلد وآخر، بل امتد إلى العلاقة بين المواطنين أنفسهم. فلم يكن بإمكان العائلات الحاكمة سياسيا واقتصاديا تحقيق الثروة إلا على حساب أفراد الشعب وذلك باستغلالهم ماديا وجسديا¹.

ومن هنا يعترف التجاريون بالملكية الفردية و يجعلونها أساسا للنشاط الاقتصادي، بحصرها في الأفراد الحكام. كما جعل التجاريون (**الاقتصاد في خدمة السياسة**) شعارا لهم مع محاولة إبعاد الأبحاث الاقتصادية عن الطابع الديني والأخلاقي الذي كان انعكاسا للهيمنة الفكرية للكنيسة على المجتمع. وأجمعت بعض الدراسات ان المرحلة الماركنتيلية تميزت بالخصائص التالية²:

1- فتح أسواق بلدان الجنوب أمام تدفق رأس المال والسلع والخدمات.

2- إعطاء الدور الأكبر للاقتصاد وقوانينه.

3- أن تنسحب الدولة الوطنية من كل شيء إلا فيما يخدم تطبيق النقطتين السابقتين.

4- سيطرة الشركات الكبرى على مقدرات والتجارة والصناعة والزراعة.

5- تنظيم العمل الدولي لصالح الرأسمالي مقابل العاطل ولصالح المركز مقابل الأطراف.

و على الرغم من ذلك لم يفلح التجاريون في إرساء علم الاقتصاد كعلم مستقبلي وذلك لسببين أساسيين هما:

1- ربط الاقتصاد بالسياسة.

2- جعل القوة هدف الاقتصاد.

وهكذا يمكن القول أن أسس التفكير الاقتصادي في أوروبا في العصور الوسطى لا تحوي أسسا علمية ولكنها بمثابة تطبيق مذهبي للمبادئ الأخلاقية التي فرضتها الكنيسة وقيدت بها النشاط الاقتصادي الذي اتصف بالركود. وقد انتقدت المدرسة التجارية من قبل **دافيد هيوم** (1711-1776) و **آدم سميث** (1723-1790) بشأن تعظيم الفائض في الميزان التجاري الذي يؤدي إلى ارتفاع مستويات الأسعار وهو ما يضعف القدرة التصديرية للدولة. وقد أنتهى المرحلة التجارية مع نهاية القرن الثامن عشر، ليبدأ النظام الاقتصادي الحر.

¹ - جورج اسبر، "في الأنظمة الاقتصادية"، جريدة النهار الأسترالية، 7/12/1989

www.narwanour.com/soledu/14

² - محمود خالد المسافر، "العولمة الاقتصادية هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب" بيت الحكمة، بغداد، الطبعة الاولى 2002، ص: 22

المبحث الثاني : الرأسمالية قاعدة اقتصادية للعلمية

يعرف مؤسسو النظام الاقتصادي الحر (وأغلبهم فرنسيون) بالطبيين، وسميت بمدرسة **الطبيين** نسبة إلى فكرة القانون الطبيعي التي تجلت تاريخيا في كتابات **أرسطو**، وتضمنها كتاب القانون الروماني، ثم تجلت واضحة في عصر **إسحاق نيوتن** 1642 - 1727م في **إنجلترا** و **لافوازييه** 1743 - 1794م اللذين حاولا استخلاص القوانين العلمية التي تحكم الظواهر الطبيعية.

أما في مجال الاقتصاد فقد حاول الطبيعيون (الفيزيوقراط)¹ بقيادة **فرانسوا كيناي**² 1694-1774م، **ميرابو**³ 1715-1779م، و **ديبون** **دي نيمور**⁴ 1739-1818م إبعاد إرادة الإنسان في التعامل مع الظواهر الاقتصادية، (إبعاد تدخل الحكومة في الشؤون الاقتصادية) وجعلها تقوم على مبادئها الطبيعية وهي:

1. **مبدأ الحرية الاقتصادية**: وتعبّر عنه العبارة المنسوبة للطبيين والتي لا يزال يرددونها الرأسماليون " **دعه يمر، اتركه يعمل** ".
2. **مبدأ المنفعة الشخصية**: ويقتضي أن الفرد داخل المجتمع يدرك تماما منفعته الشخصية في أي نشاط اقتصادي.
3. **مبدأ المنافسة**: ويقتضي أن الفرد وهو يسعى لتحقيق منفعته يدخل مع غيره في تنافس.

لقد ربط " الطبيعيون " بين هذه المبادئ التي تضطلع بها القوانين الطبيعية المنظمة للحياة الاقتصادية وبين سعي الأفراد لتحقيق مصالحهم الذاتية المتوافقة تلقائيا مع مصالح الجماعة اعتقادا منهم أن هذه الحالة المثلى يجب أن تسود المجتمع. ولعل السبب الذي كان وراء

¹ - ومعهم بدأت مرحلة الاقتصاد العلمي الذي ارتبط بالتطور المعاصر في العلوم الطبيعية و بالثورة الفكرية في الفلسفة الاجتماعية.

² - فرانسوا كيناي Francois quesnay طبيب مشهور اشتغل بالسياسة والاقتصاد، وكتب " الجدول الاقتصادي " عام 1757 واعتبر أهم مؤلف اقتصادي في عصره .

³ - يذكر عن ميرابو أنه كان من اتباع المدرسة التجاربيين ثم تحول مسابرا الطبيعيين بعد انتشار كتاب الجدول الاقتصادي.

⁴ - ديبون دي نيمور يعتبر أصغر أنصار المدرسة الطبيعية وقد نشر كتابا أسماه الفيزيوقراطية والتي تعني حكومة الطبيعة.

احتماء أنصار المدرسة الطبيعية بالقوانين الطبيعية هو تميز هذه الأخيرة بالخصائص التالية¹:

1. إنها مطلقة (لا يوجد فيها الاستثناء).
 2. إنها عالمية (إمكانية تطبيقها في جميع الظروف والأوضاع).
 3. إنها غير قابلة للتغيير (ليست عرضة للتبديل في أي زمان ومكان).
 4. إنها فوقية (إن الآخذ بها لن يضر بالناس).
- وهكذا يرجع الفضل الكبير في تأسيس "المذهب الفردي"² أو "المذهب الحر" إلى "الطبيين" والذي يعني ترك النشاط الاقتصادي حراً أمام الممارسة الفردية بعيداً عن تدخل الدولة إلا في مجالات معينة خلافاً لما نادى به الرأسمالية التجارية وهذا المذهب اعتمدت عليه المدرسة "الكلاسيكية" فيما بعد وظل سائداً في النظام الرأسمالي. ومن مزايا مدرسة "الطبيين" أنها أسهمت في جعل الاقتصاد السياسي علماً مستقلاً بين العلوم الاجتماعية حيث خلصه **فرانسوا كيناي** (مؤسس هذه المدرسة) من تبعيته للفلسفة والدين اللذين ارتبط بهما في عهد العصور الوسطى. وذلك بفضل "الجدول الاقتصادي" الذي يمثل أول محاولة لتصوير الاقتصاد الوطني في شكل مجموعة من المؤسسات التي تنشط في علاقة متبادلة ، ويتحرك عبرها رأس المال في دورة متكاملة . وعلى الرغم من هذه المزايا فإن هذه المدرسة لا تخلو من نقاط ضعف ومنها :
- فكرة إخضاع الاقتصاد السياسي للقوانين الطبيعية، وهي فكرة لم تأخذ بعين الاعتبار تغير وتطور الظواهر الاقتصادية، في حين أن القوانين الطبيعية ثابتة وغير متغيرة (القوانين التي تحكم الظواهر الاقتصادية في مجتمع إقطاعي غير القوانين التي تحكم الظواهر الاقتصادية في مجتمع صناعي).
- ولقد تطورت المعالم الكبرى لهذا النظام من قبل مفكرين كبار، حيث دافعوا عنها بكل قوة ، وهو ما جعله يتميز عن ما سبق بفضل الأعمال التي وضعت الأسس الحقيقية للنظام الرأسمالي. ويرتكز الإطار الفكري في هذا العصر على فكرتين بارزتين هما:
- انتشار فكرة القانون العلمي.
 - التركيز على أهمية الفرد.

¹ - حسين عمر، "تطور الفكر الاقتصادي" الكتاب الأول. ص: 181.

² - المذهب الذي يشكل الفرد وحدة النشاط الاقتصادي .

لقد وضع إسحاق نيوتن معالم القانون العلمي أمام المجتمع الأوروبي، الذي أصبح يدرك أن هناك قوانين طبيعية تخضع لها الظواهر الطبيعية، و عليه لابد من تسخير جميع القوى العقلية، من أجل الكشف عن هذه القوانين التي تسيطر على هذه الظواهر. أما عن الفرد فقد اعتبر الوحدة الاجتماعية التي ترتبط بها كل القيم و المبادئ، التي تسود المجتمع الإنساني. أما الطابع الإيديولوجي الذي بدأ يتكون في ذلك العصر في أوروبا، فهو الطابع العلماني الذي بدأ يتمرد على حكم الكنيسة، و يرفض قيمها. وبدأ المجتمع الحديث يرفض الدعوة الدينية للكنيسة ويحول إيمانه من الله وعالم الآخرة إلى الإيمان بنفسه، ويستقل عن أي وصاية خارجية، إيمانا بالذات ودورها في التخطيط لنفسها، وضبط القوانين الاجتماعية وفق المعايير الجديدة.

فلسفيا

اتجهت الفلسفة إلى تخليص هذا الفرد من هيمنة المبادئ المفروضة من جانب الكنيسة، أو من الأفكار السابقة التي أذابت الفرد في المجتمع.¹ وأكدت الفلسفة على أهمية الجانب الإنساني، والطبيعي في مواجهة الجانب الميتافيزيقي. وقد ظهرت النزعة الفردية بداية في مقولة ديكارت الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود" وشحن التفكير الفلسفي بتمجيد قيمة الإنسان في الإبداع و الابتكار ، وبأحققته في الاستقلال استقلالا تاما، وفي تحديد نهجه وسلوكه و مصيره . إن فلسفة ديكارت قد وضعت حدا للشك الذي أحيط بالإنسان ومعرفته وقد أكد ماهيته وحقيقة وجوده من خلال فعل التفكير. وبفضل حقيقة "أنا أفكر إذن أنا موجود" ترسخ لدى ديكارت من الثبات و اليقين ما لا يستطيع **اللاادريون** زعزعته وهو هذا الكوجيطو² الذي اعتبره مبدءا أوليا في فلسفته³، أي مبدءا صادقا وبديها في نظر صاحبه، وهو يتصف بالوضوح والتميز، ولا يمكن الشك فيه على الإطلاق.

¹ - من الفلاسفة الذين ساهموا بأفكارهم في ظهور الطابع العام للفكر الفلسفي في هذا العصر نذكر منهم :

جورج بركلي: 1753-1675م George Berkely.

مونتسكيو: 1755 - 1679م Monteesqieu.

دافيد هيوم: 1776- 1711م Davide Hume.

ايمانويل كانت: 1804- 1744م Imenwel Kant.

توماس هنري هكسلي: 1859 - 1725م Thomas Henrey Huxely.

جورج فلهلم فريدريك هيجل: 1731-1770م George Vilhelm Fridrich Hegel.

² - الكوجيتو :المبدأ الديكارتي الذي يؤسس الوجود على الفكر.

وهكذا يمكن القول أن ديكارت قد أحدث انقلابا في عالم الفكر عندما اعتبر التفكير ماهية الإنسان الحقيقية.

أما سياسيا :

هاجم **جون لوك** (1632-1704) فكرة الحق المطلق للملوك ليرجع للفرد حقه في رسم معالم السلطة السياسية ، ومخالفا **لهوبز** الذي صور الإنسان على أنه قوة غاشمة داخل حالة الطبيعة، التي يسود فيها قانون الأقوى، وقد استغرب أفكار **هوبز** التي تنفي أي مبادرة من قبل الأفراد للتعاون والاجتماع المتوازن معتبرا-أي **هوبز**- أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وأن الكل في حرب ضد الكل. لقد نادى لوك بفكرة العقد الاجتماعي التي تقتضي التنازل عن جزء من الحريات في سبيل قيام الدولة فلا يكون لأي منهم أكثر مما للآخر،¹ وهو ما يعني أنه لا سيادة للإنسان على آخر، وللأفراد كامل الحق في تنمية حرياتهم والدفاع عنها ، وعن كل ما يلزم عن ذلك من حقوق، كحق الملكية (باعتباره حقا طبيعيا يرتبط بالعمل وما يكسبه الفرد من خلال عمله) وحق الحرية الشخصية على أساس أنه لا سلطة لأحد على آخر .

ولما جاء **جان جاك روسو** (1712-1778) أثرى نظرية العقد الاجتماعي من جديد، ووضع لها بندا أساسيا، يتمثل في أن يعدل كل فرد عن أنانيته، ليصبح جميع الأفراد خاضعين للقانون ، والقانون لا يقر إلا المنفعة العامة .وهو يختلف مع لوك ليحول حق الشعب الذي كان يسيطر عليه الملوك و النبلاء، و الكهنوت إلى الأفراد لكي يمارسوا حقهم في الحرية.

أما أخلاقيا :

كانت المدرسة النفعية الانجليزية التي تزعمها **جريمي بنتام**² قد أبرزت دور الفرد في سير الحياة الإنسانية اعتمادا على أنه أعرف بمصلحته و منفعته الشخصية. ويقوم مذهب المنفعة عنده على أساس نفسي وثيق، وهو أن الإنسان بطبعه يسعى إلى تحصيل اللذة وتجنب

³ -مهدي فضل الله، فلسفة ديكارت ومنهجه نظرة تحليلية ونقدية ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثانية، 1986، ص:93

¹ - Bertrand Russel, “ History of Westen philosophy” ,4th edition .inp London, 1954 pp: 642

² - فيلسوف إنجليزي من دعاة مذهب المنفعة في الأخلاق والقانون ولد في 15/02/1748 في لندن تلقى علومه في وستمنستر ثم كامبردج ، أصبح محاميا ومهتما بالقانون، كما حاول إصلاح نظام الحكم في إنجلترا، من أهم الكتب التي نشرها :مقدمة إلى مبادئ الأخلاق والتشريع.

الألم يقول **بنيتام**: "أن الطبيعة وضعت بني الإنسان تحت سيطرة حاكمين ذوي سيادة هما: الألم واللذة وهما يحكما لنا في كل ما نفعل ، وكل ما نقول ، وفي كل ما نفكر فيه، وكل محاولة يمكن أن نبذلها من أجل التخلص من استعبادنا لهما لن تغلح إلا في إثبات هذه الحقيقة، وتوكيدها ، وربما زعم الإنسان ، بالقول رفض سلطانهما ، أما بالفعل وفي الواقع فإنه سيبقى خاضعا لهما دائما"¹.

أما اقتصاديا :

فقد شهد العصر الكلاسيكي تطورا ملحوظا في الحياة الاقتصادية في أوروبا إذ تحولت الرأسمالية التجارية إلى رأسمالية صناعية. وذلك بظهور الثورة الصناعية و ما عرفت من اختراعات، و حلول الآلات الصناعية محل الأدوات البسيطة، مما سهل الاستثمار الصناعي. و تحولت التجارة إلى خدمة الصناعة مثلما كانت في مرحلة الرأسمالية التجارية السابقة كما كانت الصناعة في خدمة التجارة.

و في هذه المرحلة أيضا بدأت المناداة بفكرة الحرية الاقتصادية للأفراد و المنافسة الحرة بين المشروعات . و حصر نشاط الدولة في حفظ الأمن: الداخلي و الخارجي.

وللإشارة فإن إنجلترا هي مهد الثورة الصناعية حيث شهدت تحولا كبيرا في النشاط الاقتصادي ليصبح النشاط الصناعي هو السائد مع تحول واضح في فنون الإنتاج التي نقلت الصناعة من صورتها اليدوية إلى صورتها الآلية، مستفيدة من الاكتشافات العلمية التي شهدتها العصر،² وفيه عرف الاقتصاد الفرنسي و الإنجليزي حيوية دافقة خاصة في الميدان الصناعي، و في هذا العصر بدأ التفكير بضرورة إبعاد الدولة عن النشاط الاقتصادي بصورة واضحة.

لقد تكون العالم الرأسمالي كما حددته الرأسمالية ابتداء من العام 1500م وخلال الفترة **الماركانتيلية** التي دامت ثلاثة قرون (1500-1800) تأسست قاعدة النظام الرأسمالي . وقد شهد القرن العشرون بالثورة ضد الرأسمالية فهاجمتها الاشتراكية من جهة جوهر علاقات النظام الرأسمالي، وحاربت الحركات التحررية

¹ - عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة ، الجزء الأول، ص: 364.

² - أهم مظاهر التقدم العلمي التي شهدتها المرحلة : انظر محمد دويدار مبادئ الاقتصاد السياسي ص 98 .

الآلة البخارية التي اكتشفها جيمس واط عام 1781م .
اكتشاف الضغط العالي بواسطة أفانس تريفيثيك Avans Trivithich .
-إختراع الترمومتر بواسطة فهرنهايت Fahrenheit .
- استخدام الفحم في الصناعات المعدنية.
- حل المعدن محل الخشب في صناعة الآلات.
- تصميم أول آلة نسج ميكانيكية.

الوطنية في اسيا وإفريقيا، من جهة ظاهرة الاستقطاب والاستعمار، وقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر (1880-1945) تكوين رأسمالية الاحتكارات،¹ تعبيرا عن ميلاد نظام امبريالي عالمي.

لتوضيح تأثير الفكر الاقتصادي في رسم القيم الجديدة التي جاءت بها العولمة نتناول فيما يلي فكر كل من مؤسسي **المدرسة الكلاسيكية** وهم **آدم سميث، توماس روبرت مالتس، و دافيد ريكاردو، جون استوارت ميل**، لنرى مساهمة كل واحد من هؤلاء وضع أسس الفكر الاقتصادي الحديث.

آدم سميث 1790-1723 : Adam Smith

ولد آدم سميث الذي يعتبر " ابو الاقتصاد السياسي " ² في قرية **كيركالدي** في اسكتلندا عام 1723م ، درس الأدب في جامعة **اكسفورد**، ثم أصبح أستاذا يدرس المنطق والأدب في جامعة **جلاسكو**، كما اهتم في محاضراته الأخيرة بالأخلاق، و دراسة التنظيمات السياسية التي كانت مؤسسة على مبدأ الضرورة، باعتباره حافزا مهما في زيادة الثروة والقوة، و أثناء رحلته إلى **فرنسا** و **سويسرا** بدا كتابة مؤلفه الشهير " بحث في طبيعة و أسباب ثروة الأمم " الذي استغرق في إعدادة اثني عشر عاما، ويعتبر هذا المؤلف الذي نشره عام 1776م أفضل أعماله.

اهتم سميث بمعالجة أهم المواضيع الاقتصادية كموضوع العمل ، باعتباره من أهم عناصر الإنتاج، كذلك نظرية القيمة، و نظرية التوزيع ، وقيمة النقود في تحريك التجارة الخارجية يقول آدم سميث عن النقود : " إن النقود أصبحت عند الشعوب المتحضرة الآلية العامة للتجارة، والسلع تباع وتشترى أو تتم المقايضة بين سلعة أو أخرى بواسطة النقود"³ غير ان من أهم انشغالاته موضوع الحرية الاقتصادية. ويتبلور التحليل الاقتصادي في فكر آدم سميث في كتابه " بحث في طبيعة و أسباب ثروة الأمم " إذ في هذا الكتاب نجده يركز على أهمية العمل باعتباره مصدرا لثروة الأمم و سببا لتطور المجتمعات (أن العمل السنوي لكل أمة هو الرصيد الذي يزودها أصلا بكل ضروريات الحياة، و وسائل الراحة في المعيشة)⁴.

علما أنه لا فرق في ذلك بين السلع المادية وغير المادية (الخدمات) حيث كل منهما يساهم في إشباع الحاجات الإنسانية.

¹ - سمير أمين، " مرحلة جديدة لرأسمالية أم دورة تجميل لرأسمالية مترهلة " منتدى العالم الثالث. www.forumtiermonde.net/arabic/article

² - حسين عمر، "تطور الفكر الاقتصادي" ، ص: 223.

³ Adam Smith , recherche sur la nature et la cause de la richesse des nations édition Gallimard , livre 1, chapitre 2 , p : 60

⁴ - - حسين عمر، "تطور الفكر الاقتصادي" ، ص: 227.

كما عالج **سميث** في كتابه فكرة تقسيم العمل بصورة أكثر تفصيلاً مما عالجها القدماء¹ والتي يتوقف عليها في نظره زيادة إنتاجية العمل. وما يدل على ذلك المثال الذي ذكره هو ثم كره بعض الاقتصاديين " : أن مصنع الدبابيس الذي يعمل فيه عشرة عمال لا ينتج أكثر من 200 دبوس يوميا أي بمعدل 20 دبوس للعامل يوميا، لو أن كل عامل منهم قام بعملية صنع الدبابيس كاملة من أول إلى آخر عملية جزئية من عمليات الصنع. أما في حالة تقسيم العمل بين عمال المصنع على أساس أن يقوم كل عامل بعملية جزئية معينة فحسب ، فإن هذا المصنع ينتج 48 ألف دبوس يوميا أي بمعدل 4800 دبوس يوميا .
والخلاصة أنه نتيجة لهذا التقسيم للعمل في مصنع الدبابيس، ينتج كل عامل من الدبابيس ما يعادل 240 مثل عدد الدبابيس التي ينتجها هذا العامل ، لو كان يقوم بصنعها بمفرده² .

و من مزايا تقسيم العمل عنده :

1. زيادة مهارة العامل وإتقانه لعمله.
 2. توفير الوقت.
 3. إمكانية تحقيق التحسينات الفنية على العمل، ومن معالم فلسفة **سميث** الاقتصادية أنه ربط بين المصلحة الذاتية للفرد والمصلحة العامة للمجتمع، اعتمادا على أن كل فرد في المجتمع يسعى إلى تحسين وضعه بدافع من المصلحة الذاتية. وإذا كانت الحرية الاقتصادية هي مطلب طبيعي فإنه من المصلحة العامة أن تتكاثف الجهود الفردية في ممارسة النشاط الاقتصادي، وهذا ما يبرز تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية.
- و إذا اقتضى تدخلها فإن وظيفتها الأساسية تتمثل في ثلاثة عناصر

هي:

1. واجب حماية المجتمع من الغزو أو العدوان الخارجي من جانب المجتمعات الأخرى.
 2. واجب حماية كل الأعضاء داخل المجتمع من الاضطهاد .
 3. واجب إنشاء بعض المشروعات و المؤسسات العامة ودعمها.
- و يمكن تلخيص فلسفة **سميث** اعتمادا على بعض القواعد:
- قاعدة المصلحة الذاتية (الإيمان بالفردية).
 - قاعدة الحرية الاقتصادية .
 - قاعدة بذور المنفعة.

¹ - فكرة تقسيم العمل فكرة قديمة تعود إلى عصر الإغريق.

² - Adam Smith - "Wealth of Nations" - Book 1 - chap 1 (cannan's ed., -page

الخلاصة فإن **سميث** صاحب نزعة مادية تؤمن بالفردية، و تربط النشاط الاقتصادي بزيادة الثروة المادية، و تجعل من المصلحة الذاتية منبعاً للنشاط الاقتصادي . ويجرد الحياة الاقتصادية من الاعتبارات الإنسانية الأخرى داخل لعبة الطبيعة الكبرى، كما لو كانت (لعبة ميكانيكية)¹ و هذه الجذور الفلسفية جميعها قد أسهمت و لو بطريقة غير مباشرة في تأسيس نظام العولمة الحالي . وقد أسهمت عملياً في رسم معالم الاقتصاد الدولي الراهن.

توماس روبرت مالتس (1766-1834) :

يعتبر من كبار المفكرين الاقتصاديين و لد في **روكاري** في مقاطعة ساري في **إنجلترا** عام 1766، درس علوم الفلسفة و اللاهوت في جامعة كامبردج و تخرج منها عام 1788 ، عرف بتجواله و ترحاله في أغلب البلدان الأوروبية. كما قد التقى في صباه بالمفكر الفرنسي **جان جوك روسو**. كما تعرف أيضاً على الفيلسوف الإنجليزي **دافيد هيوم** الذي كان ذا تأثير مباشر عليه في دراسته للمشكلة السكانية. وهي الدراسة التي ذاع صيته بسببها في أنحاء العالم آنذاك، والتي سجلها بعنوان (رسالة في مبدأ السكان) عام 1798² و فيها أوضح أن سبب البؤس لا يرجع إلى سوء توزيع الثروات بل إلى اختلاف التوازن بين السكان و الموارد.

يعتبر **مالتس** أول من أضفى على المشكلة السكانية أبعاداً اقتصادية و اجتماعية من خلال كتابة الشهير (رسالة في مبدأ السكان). و في الطبعة الأولى لهذا الكتاب ركز **مالتس** على فكرة أن سبب التعاسة و النكبة إنما يمكن في ضعفنا و في طبائعنا المعيبة . وقد اعتمد أيضاً على فرضيتين أساسيتين في بناء نظريته عن السكان:

1. إن الطعام ضروري لوجود الإنسان.
 2. إن العاطفة بين الجنسين ضرورية هي الأخرى.
- و منهما استنبط أن عدد السكان أكبر من مستوى موارد العيش لهم و عليه فالسكان يتزايدون بمتوالية هندسية، أما موارد العيش فلا تتزايد إلا بمتوالية حسابية³.

¹ - Adam Smith - Theory of moral sentiments - (1 st ed) pp:290

² - هذه الرسالة جاءت رداً علي بحث وليام جودين الذي نشر عام 1793، بعنوان "بحث في شأن العدالة السياسية وتأثيرها على الأخلاق والسعادة" وأرجع هذا الأخير سبب البؤس المنتشر في المجتمع إلى عدم تنظيم المجتمع تنظيمًا عادلاً.

³ - Malthus T.R "Essay on the principle of population" 1, st edition ,chap 1 economic classics series, pp:7

أن نظرية **مالٲس** هذه قد فقدت بعض مقوماتها مع الثورة الصناعية والزراعية إبان القرن التاسع عشر كما عارض **ريكاردو** فكرة **مالٲس** بشأن قصور الطلب الفعال وقال أن المشكلة تكمن في نقص تكوين رأس المال اللازم للإنتاج (الاستثمار).

دافيد ريكاردو (1772-1823):

ولد **دافيد ريكاردو** في لندن عام 1772 ، وعندما بلغ 21 سنة بدأ العمل في بورصة لندن للأوراق المالية، إلى أن نجح في عمله بصورة مذهلة، و يرجع المؤرخون سبب هذا النجاح إلى ما كان يتحلى به من رصانة، و بعد النظر، و الحكم الصحيح على الأمور، و السرعة المذهلة في الحساب و الأرقام ، و القدرة الفذة على العمل¹ . لقد كان اهتمام **ريكاردو** بالدراسات الاقتصادية منذ 1899، وعلى الخصوص بنظرية التوزيع التي تضمنها كتابه "مبادئ الاقتصاد السياسي وفرض الضرائب " وله نظرية في فكرة القيمة مفادها أن العمل أساس القيمة . كما عرض نظريته في التجارة الدولية في مؤلف بعنوان " نظرية التكاليف النسبية ". كما كانت قراءته النقدية لأعمال آدم سميث بمثابة نقطة الانطلاق في أبحاثه الاقتصادية².

جون ستيوارت ميل :

هو أحد مؤسسي المدرسة الكلاسيكية الإنجليزية ، ولد **جون ستيوارت ميل** في لندن بتاريخ 20 ماي 1806 تعلم اللغة الإغريقية، منذ الصغر ثم درس اللغة اللاتينية، و المنطق و التاريخ، . كما درس القانون الروماني و القانون الإنجليزي. من أهم الكتب التي نشرها **ميل** " نظام المنطق " و كتاب (مبادئ الاقتصاد السياسي و بعض تطبيقاتها على الفلسفة الاجتماعية)³ . و هو أهم كتاب **لمل** في الاقتصاد السياسي الذي يعرفه فيه: " بأنه ذلك العلم الذي يتناول طبيعة الثروة و قوانين انتاجها و توزيعها"⁴. ويعتبر هذا الكتاب تقنيا لمبادئ المذهب الحر حيث عالج فيه أهم الأفكار الأساسية كفكرة الباعث الشخصي، و التنافس، والقوانين التي تحكم الإنتاج و التوزيع، كما حاول الكشف عن الكيفية التي يصل بها إلى تنظيم المجتمع وتحقيق السعادة للناس.

¹ - حسين عمر، "تطور الفكر الاقتصادي"، الكتاب الأول، ص: 296.

² - Claude- Daniele Echaudemaison, (sous direction) dictionnaire d'économie et de sciences sociales, édition NATHAN, Paris 1993, P : 356

³ - Principle of political Economy with some of their application to social philosophy

⁴ - " حسين عمر، "تطور الفكر الاقتصادي" ، الكتاب الأول ص: 335.

لقد حاول **جون استوارت مل** إعادة صياغة المفاهيم الكلاسيكية
وذهنه مليئا بأفكار **ريكاردو** وفي نفس الوقت متأثرا **بسان سيمون**¹
وبعض المصلحين الاجتماعيين
ولهذا اعتبر كتاب "المبادئ" مخصصا لما يسمى بالإصلاح الاجتماعي.
إن السياسة الاقتصادية التي أنتجتها المدرسة الكلاسيكية يمكن
نقدها على أنها:

1. تؤسس لقيام الاحتكارات الضخمة .

2. وتتسبب في الأزمات الاقتصادية.

3. تسبب توزيع الدخل والثروة.

الفلسفة الاقتصادية في الفكر الكلاسيكي أساس لمفهوم العولمة الحديث:
يقوم التحليل الاقتصادي في هذه المرحلة على ثلاثة أركان رئيسية
هي:

1. الفرد هو محور النشاط الاقتصادي .

2. السعي نحو تحقيق المصلحة الذاتية .

3. وجود قوانين طبيعية تحكم النشاط الاقتصادي.

إن الفرد و هو يمارس نشاطه الاقتصادي يخضع لدافع المصلحة
الذاتية و عليه المصالح الذاتية للأفراد داخل المجتمع هي التي تحرك
عجلة النشاط الاقتصادي.
أما عن سعي الأفراد إلى تحقيق مصالحهم فيترتب عليه حصول
التنافس بين الأفراد (منتجين و مستهلكين) و هذا التنافس لا يعني
التعارض بين المصالح الذاتية للأفراد والمصلحة العامة للمجتمع. على
اعتبار أن المصلحة العامة ما هي إلا حصيلة المصالح الذاتية للأفراد.
أما السياسة الاقتصادية فقد ركزت على شعار الحرية المعروف
بالعبارة الشهيرة "**اتركه يعمل ، دعه يمر**" وهي العبارة التي تنادي
بصورة غير مباشرة بعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا للضرورة
لتنترك حركية النشاط الاقتصادي قائمة على التوازن بين الإنتاج و
الاستهلاك، أو بين عرض السلعة و الطلب عليها.
و هكذا يستند النظام الرأسمالي إلى الحرية و الفردية، بمعنى
الملكية الفردية للأموال و الوسائل الإنتاجية و على الحرية الاقتصادية
على مستويات الإنتاج ، الاستهلاك ، التنافس ... و هو ما يعني في نظر
أصحابه أن النظام الرأسمالي نظام طبيعي، فهو يستجيب لما تقتضيه
النفس البشرية، كحب الإنسان للتملك و عشقه للحرية، و تفضيله

¹ - حسين عمر، "تطور الفكر الاقتصادي"، الجزء الثاني ص: 990.

لمصلحته الذاتية، كل هذا بعيدا عن تدخل الدولة الذي يعيقه في كثير من الأحيان على تحصيل ثمار جهده و تملكه لأمواله.

مع اقتراب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بدأ الفكر الاقتصادي يتعمق فاتجه نحو نظرية جديدة تعرف: "**بالنظرية الحدية**"¹ والتي تأسست على البحث عن شيء آخر غير نظرية في الثمن، وهو الجانب الشخصي الذي يحدد القيمة، مع مساهمة غير الإنجليز في هذه البحوث². من رواد هذه المدرسة الحدية نجد:

وليم ستانلي جوفنز: (1835-1883م) :

وهو إنجليزي، ارجع قوانين الاقتصاد إلى بضعة مبادئ مصاغة بمصطلحات رياضية، مستخلصة من أسس الفعل البشري ويقصد بذلك مشاعر اللذة والألم.

كارل منجر: (1840-1921م) :

وهو اقتصادي نمساوي ، ترجع شهرته في ترتيب السلع على أساس اختلاف درجاتها .سلع المرتبة الأولى تشبع الحاجة مباشرة و سلع المرتبة الثانية تنتج سلع المرتبة الأولى ، و سلع المرتبة الثالثة تنتج سلع المرتبة الثانية وهكذا.

ليون فالراس: (1843-1910م) :

وهو سويسري ، أفكاره متقاربة مع أفكار **جوفنز** غير أنه أتقن ربط العلاقات الاقتصادية بين المنفعة والطلب وبين أسعار السلع وكمياتها بصيغ رياضية .

إن ما جاءت به **المدرسة الحدية** لا يختلف كثيرا من حيث النتائج بما جاءت به المدارس السابقة غير أن إسهامات اصحابها تمثل في طريقتهم الجديدة في التحليل، والقائمة على " فكرة الحد" وتطبيقها على المنفعة لتبرر فكرة المنفعة الحدية أي منفعة الوحدة الأخيرة أو الحدية من السلعة. وهكذا يمكن القول أن **الحديون** جعلوا النظرية الحدية أساس تحديد قيم السلع (قيمة أي سلعة تتوقف على المنفعة الحدية التي يحصل عليها الفرد من استخدام أو استهلاك سلعة)³ ويؤمنون بأن

¹ - سميت بهذا الاسم لأنها أقامت تحليلها على فكرة الحد و ظهرت هذه المدرسة في وقت واحد تقريبا في كل من إنجلترا و النمسا و سويسرا. انظر حسين عمر " تطور الفكر الاقتصادي " الجزء الثاني ص 1015.

² - أن الفكر الاقتصادي قبل هذه المرحلة نشأ و أنتشر في البيئات الاقتصادية المتقدمة أي في إنجلترا . لكن مع انتهاء القرن 19 م ظهرت قوي أخرى شكلت بيئات جديدة للبحوث الاقتصادية (النمسا، سويسرا ،فرنسا ، الولايات المتحدة).

³ - أنظر حسين عمر تطور الفكر الاقتصادي، الجزء الثاني، ص:118

الحرية الاقتصادية هي التي تؤدي إلى تحقيق منفعة وإشباع كبيرين على أساس أن الفرد هو أكثر الناس دراية بحاجاته وأولوياتها . وهكذا يصل بنا الاستنتاج إلى أن الرأسمالية لم تنشأ دفعة واحدة، بل هي جزء من التطور الاجتماعي والثقافي العام. فهي ليست كالاشرائية التي ولدت في أذهان بعض الفلاسفة ولم تكن الرأسمالية تطبيقا لنظرية اقتصادية أو فلسفية لمفكر بعينه على الرغم أنه لا يمكن إغفال عدد كبير من الفلاسفة والمنظرين الذين فسروا هذا النظام أو جانب منه و الرأسمالية لها بعد عالمي¹ بمعنى أنها تطبق أنظمتها وأنساقها على الصعيد العالمي.

نظام نشأ تدريجيا وفقا لظروف خاصة به وقد ساهمت كثير من النظريات في إثراء فلسفة هذا النظام والدليل على ذلك أن الحركات العمالية التي طالبت بالعدالة والمساواة وهي ظروف أفرزتها التطبيقات الواقعية لبعض النظريات الاقتصادية قد ساهمت في تهذيب الرأسمالية وهكذا يمكن الجزم بأن الرأسمالية لم تكن مجرد نظرية لمفكر ما بل كانت كائنا اجتماعيا يتطور من قرن إلى آخر . اعتمادا على الرأي الهيكلي الخاص بتطور الأفكار² ، فإن الرأسمالية عرفت من يعارض أطروحتها، وبلغ الأمر عند بعضهم إلى التفكير في نظام اقتصادي بديل يخرج من رحم النظام الأول³. ويتفق المحللون على أن الرأسمالية الصناعية، هي المحرك الرئيس لظهور الاشرائية⁴ حيث عرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر زيادة منقطعة النظير في الإنتاج، مما أدى إلى الوقوع في أزمات دورية. ومع اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، لاحت في الأفق آنذاك بوادر الكساد العام وظهر جليا في أزمة 1929م والتي نتج عنها كساد اقتصادي كبير، وهو ما ساهم في تدهور الأسواق حيث انخفضت الاسعار، وانتشرت البطالة بين العمال الذين عانوا من الاستغلال في فترة سابقة. وانتشر الفقر واليأس وتغيرت معتقدات الناس، وتأثرت قيمهم التي آمنوا بها في واقع عرف آنذاك كثرة الانحرافات السلوكية، وانتشار الآفات الاجتماعية . ولما تسببت الرأسمالية في مصاعب كثيرة ومعاناة شديدة لدى الطبقة العاملة نادى **كارل ماركس و فريدريك أنجلز** بالاشترائية من خلال البيان الشهير الذي أعلنه في مؤتمر لندن عام 1848م ثم جاء **لينين** ليكمل المشوار نظريا وعمليا إلى أن حقق الثورة الاشتراكية في **روسيا** القيصرية في أكتوبر عام 1917م ويقوم الفكر الماركسي على ثلاث ركائز:

¹ Jean- Christophe Gras, la gouvernance de la mondialisation 1er édition, la découverte , Paris, 2004, P:07

- المقصود بذلك الديالكتيك²

-² المقصود بذلك الماركسية³

-³ النظام الذي دعا اليه ماركس⁴

- الملكية الجماعية (الجانب الاقتصادي) الدولة هي المالكة لوسائل الإنتاج.
- الحزب الواحد (الجانب السياسي) احتكار إدارة الحكم لا مكان للتعددية.
- إلغاء الأديان (الجانب الروحي) الدين أفيون الشعوب. أما عن أهداف الاشتراكية فيمكن إجمالها في ما يلي:
الإعلاء من مكانة المجتمع على حساب مصالح الأفراد.
المناداة بتحقيق المساواة الاجتماعية بين الأفراد، إلغاء الفوارق بين الطبقات، بإلغاء الملكية الفردية لأدوات الإنتاج. القضاء على الرأسمالية¹.

وارتبطت هذه الحركات الثورية بنظريات فلسفية أخذت تساهم في بلورة هوية الطبقات الاجتماعية، وتطرح موقفها تجاه الواقع الرأسمالي آنذاك، والذي اتسم بالاستغلال البشع للعمال، من ساعات طويلة في العمل، إلى انخفاض الأجور إلى استغلال المرأة والأطفال فضلا عن قساوسة الظروف، والاضطهاد المسلط على العمال والفقراء. ومن الحركات المتبنية فكرة الدفاع عن المحرومين نجد الماركسية. فكان **ماركس** مفكرا ومناضلا ومغيرا حسب فلسفته². إن الحديث عن الماركسية كنظام وضع نفسه بديلا للفكر الرأسمالي يدفعنا إلى عرض سيرة مختصرة عن **كارل ماركس**³ ومذهبه، وعرض المبادئ التي تقوم عليها الماركسية، قصد الكشف عن مكانة الإنسان في الفكر الماركسي، خاصة في أبعادها المادية، من

¹ العمل على تدمير الرأسمالية من خلال ثورة العمال على مكاسب البرجوازية ولقد ساهمت التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي حدثت في أوروبا بعد الثورة الصناعية في بروز الطبقة الاجتماعية التي تضررت من انتقال المجتمع الأوربي من المرحلة الإقطاعية إلى المرحلة البرجوازية والمتمثلة بالطبقة العاملة، فبرزت الحركات الثورية العمالية التي أخذت تتبنى الدفاع عن المصالح الطبقة، وخاصة مصالح الطبقة العاملة وعاملة على استعادة حقوقها المهضومة من أصحاب المصانع والبرجوازيين خاصة بعد استعمار الدول الغربية للمناطق والدول في قارات آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

² حسب منظوره الطبقي حيث أكد ضمن مقولاته، بأن الفلاسفة السابقين عليه قد عملوا على تفسير وتبرير الواقع والدفاع عنه وعن الطبقات المسيطرة فلسفيا واجتماعيا وليس العمل على تغييره، وأن المطلوب هو تغيير العالم من خلال القوى الاجتماعية نحو اللاتطبقية، حيث كان ماركس من المؤمنين بالتحتمية التاريخية لمسار البشرية وأن هذا المسار الحتمي لا بد وأن يؤدي إلى المجتمع اللاتطبقية (الشيوعي).
³ - أن أهم ماكتب عن سيرة كارل ماركس هو ما أصدره هو في شكل كراس كتبه في عام 1913 لموسوعة "غرانات" Granat غير أن فلاديمير لينين أضاف أمور تاريخية مهمة جدا عن الرجل والسبب في ذلك أنه لم يكن يسمح للكتابات المناوئة للبرجوازية آنذاك في وقت كارل ماركس.

طريقة حياته إلى تفسيرها لتاريخه إلى مذهبه الاقتصادي، وهو ما نركز عليه في هذا المجال .

كارل ماركس :

ولد كارل ماركس يوم 8 ماي 1818 بمدينة **تريفرز**، التابعة لـ**بروسيا** آنذاك ، يعتبر ثاني طفل من ضمن ثمانية أطفال للمحامي **هرشل ماركس**¹ و كان يهوديا ثم اعتنق البروتستانتية في سنة 1824. وكانت عائلة **ماركس** وقتذاك ميسورة الحال

عرف ماركس باجتهاده الثانوية حسب أساتذته،² و بعد أن أتم دراسته الثانوية في مدينة تريفرز دخل جامعة بون عام 1835 تابع فيها دروس الحقوق والميثولوجيا الكلاسيكية وتاريخ الفن³ وفي عام 1839 ناقش رسالة الدكتوراه حول موضوع الفرق بين فلسفة ديموقريطس وبيقور⁴. أما افكاره فكانت حتى ذلك الوقت ما تزال مفاهيم هيغلية مثالية..

و أنضم في برلين إلى حلقة "**الهيغلين اليساريين**"⁵ (**برونو باور** وغيره) وعندما تخرج **ماركس** من الجامعة أقام في مدينة بون حيث كان يطمح بالحصول على منصب أستاذ في الجامعة. ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن لأن السياسة التي كانت تسلكها الحكومة كانت قد اقضت، عام 1832، **لودفيغ فيورباخ**⁶ عن منصبه كأستاذ، و عادت في سنة 1837، فرفضت من جديد السماح له بدخول الجامعة. هذه السياسة المنتهجة اضطرت **ماركس** إلى العدول عن الحياة الجامعية. في ذلك الوقت كانت أفكار الهيغلية اليسارية تتقدم سريعا جدا في ألمانيا. وكانت فلسفة **لودفيغ فيورباخ** تتجه نحو المادية التي تبلورت في سنة 1841 من خلال كتابه "**جوهر المسيحية**"، وتدعمت في سنة 1843 بظهور كتابه "**أسس فلسفة المستقبل**". لقد كتب

¹ Pierre Fougereyrollas, Marx, 2^{ème} édition presse universitaire de France Paris 1992, P :07

² " Ibid " P :10

³ " Ibid " , P : 11

⁴ Pierre Fougereyrollas, Marx, .P :13

⁵ - الهيغلين اليساريين أو الهيغلين الشبان. اتجاه مثالي في الفلسفة الألمانية في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر. حاول الهيغليون الشبان الخروج بنتائج راديكالية لإثبات ضرورة الإصلاح البرجوازي في ألمانيا. و كان زعماء ذلك الاتجاه: دايفيد سترافوس الاخوة باور ماكس ستيرنر وآخرون. و لوقت ما أنضم فيورباخ و كذلك ماركس و أنجلس في فترة شبابههم الى الهيغلين الشبان.

⁶ - لودفيغ فيورباخ فيلسوف يعزى إليه المذهب الإلحادي.

أنجلس فيما بعد حول هذين المؤلفين **لغيبورباخ**: "كان يجب أن يكون الإنسان قد تحسس بنفسه الأثر التحرري لهذين الكتابين...ولما ظهرت "الجريدة الرينانية"¹ (التي أخذت تصدر ابتداء من أول جانفي سنة 1842) و قد دعي **ماركس و برونو باور** إلى العمل محررين أساسيين فيها.

و في شهر أكتوبر سنة 1842 أصبح **ماركس** رئيس تحريرها فانتقل من مدينة بون إلى كولونيا. وهنا اتضح البعد الثوري للجريدة . فعمدت الحكومة إلى اخضاع الجريدة لرقابة إلى أن أمرت بتوقيفها تماما في جانفي سنة 1843. فاضطر **ماركس** حينئذ للتخلي عن مركزه في تحرير الجريدة . و قد أدرك **ماركس** من نشاطه الصحفي أن معلوماته في الاقتصاد السياسي غير كافية فاندفع بحماسة إلى دراسته².

وفي خريف 1843 أنتقل **ماركس** إلى باريس ليصدر في الخارج مجلة راديكالية مع **ارنولد روغه** (عاش **ارنولد روغه** من سنة 1802 إلى سنة 1880. وكان هيغليا يساريا. وسجن من 1825 إلى 1830 و هاجر بعد سنة 1848. و بعد 1866-1870 أصبح من أنصار **بسمارك**). ولكن لم يصدر من هذه المجلة المسماة "**الحولية الألمانية الفرنسية**" سوى العدد الأول إذ اضطرت للتوقف بسبب الخلافات مع **روغه**.

في سبتمبر سنة 1844 جاء **فريدريك أنجلس** إلى باريس لقضاء بضعة أيام فيها فأصبح منذ ذلك الحين الصديق الحميم ل**ماركس**. و في سنة 1845 طرد **ماركس** من باريس لكونه ثوريا خطرا يعمل على تحريض العمال لمواجهة الحكومة الفرنسية. فجاء إلى بروكسال و أقام فيها. وفي عام 1847 انظما **ماركس و أنجلس** إلى جمعية سرية للدعاية هي "**عصبة الشيوعيين**"³ وقاما بقسط بارز في المؤتمر الثاني لهذه العصبة المنعقد في لندن. و في نوفمبر 1847 و بناء على

¹ - "الجريدة الرينانية للسياسة و التجارة و الصناعة". جريدة يومية ظهرت في كولونيا من 1 جانفي 1842، الى 31 مارس 1843. أسسها ممثلون عن البرجوازية الرينانية الذين كانوا يعارضون الإستبداد البروسي. وقد تم استدعاء بعض الهيجليين اليساريين للإسهام في الجريدة. و أصبح ماركس متعاوناً في أبريل 1842، و احد محرريها منذ أكتوبر من نفس السنة. و تحت إشراف ماركس أصبحت "الجريدة الرينانية" تتخذ صبغة ديمقراطية ثورية. و في جانفي 1843 أصدرت الحكومة البروسية أمراً بإغلاق الصحيفة في 1 أبريل 1843.

² - وجدي حمدي، "كارل ماركس سيرة مختصرة وعرض للماركسية" فيفري 2004 <http://www.marxists.org/arabic>

تكليف المؤتمر وضع **ماركس و أنجلس** "بيان الحزب الشيوعي" المشهور الذي نشر في فيفري 1848. إن هذا الكتاب بلور بكل دقة المفهوم الجديد للعالم، و عرض المادية الشاملة لمختلف ميادين الحياة الاجتماعية، و الديالكتيك بوصفه قانون للتطور، ونظرية النضال الطبقي، و الدور الثوري الذي تضطلع به البروليتاريا التي تصنع المجتمع الشيوعي، وعندما انفجرت فيفري 1848¹ طرد ماركس من بلجيكا فعاد إلى باريس ليركها بعد ثورة مارس² و يعود إلى ألمانيا ليقم في مدينة كولونيا. وواصل ماركس نشاطه إلى غاية تأسيس "جمعية الشغيلة العالمية. وكان ماركس روحها كما كان أيضا واضع "رسالتها" الأولى و ذلك في 28 سبتمبر عام 1864 بلندن وظل ينشط الى أن مات في 14 مارس سنة 1883 .

مذهب ماركس الفلسفي الاقتصادي:

الماركسية هي نتاج أفكار **ماركس** و مذهبه. فما هي افكاره وما مذهبه؟

المادية الفلسفية:

يعتبر **ماركس** فيلسوفا ماديا فهو من أتباع **فيورباخ**³.. لقد كان يرى أن الشأن التاريخي العالمي **لفيورباخ** الذي "شغل دهرًا" قائم بالضبط على مقاطعته النهائية لمثالية **هيجل** و توكيده للمادية ، وكتب **ماركس** أيضا : " يرى **هيجل** أن حركة الفكر، هذه الحركة التي يشخصها و يطلق عليها اسم الفكرة، هي الاله (الخالق، الصانع)...أما أنا فأني أرى العكس: " إن حركة الفكر ليست إلا انعكاسا لحركة المادة منقولة إلى دماغ الإنسان و متحولة فيه"⁴ و أن الإنسان نفسه هو نتاج

³ - العصبة الشيوعية هي أول منظمة شيوعية أممية للبروليتاريا بقيادة ماركس و أنجلس، تأسست في لندن في أوائل شهر جوان 1947، وساعد ماركس و أنجلس في وضع البرنامج العملي و التنظيمي للعصبة. فكتبا "بيان الحزب الشيوعي" الذي نشر في فيفري 1848.

¹ - اشارة إلى الثورة البرجوازية في فرنسا في فيفري 1848.

² - اشارة إلى الثورات البرجوازية في ألمانيا و النمسا التي بدأت في مارس 1848.

³ - فيورباخ لودفيغ (1804- 1872) فيلسوف الماني مادي ملحد وقد أثر اعلانه المادية ودفاعه عنها تأثيرا عظيما على معاصريه. وكتب انجلز عن أثر كتاباته « كان الحماس عاما وصرنا جميعا فيورباخيين دفعة واحدة. » وكان المذهب الطبيعي في دراسة الانسان سمة مميزة لمادية فيورباخ التي كانت نتيجة للظروف التاريخية في ألمانيا ما قبل الثورة، وكانت تعبر عن المثل العليا للديمقراطية البرجوازية الثورية.

⁴ - وجدي حمدي ، "كارل ماركس سيرة مختصرة وعرض للماركسية " ، فيفري 2004 <http://www.marxists.org/arabic> ..

الطبيعة الذي نما و تطور في محيط طبيعي معين و مع هذا المحيط. و إذ ذاك يغدو من البدهاة أن نتاجات دماغ الإنسان التي هي أيضا عند آخر تحليل نتاجات للطبيعة ليست في تناقض بل في انسجام مع سائر الطبيعة". " لقد كان هيغل مثاليا أي أن الأفكار في دماغه لم تكن في نظره إلا صور مجردة إلى هذا الحد أو ذاك, عن الأشياء و التطورات الواقعية. بل على العكس من ذلك فالأشياء و تطورها لم تكن في نظر **هيغل** إلا صورا تعكس الفكرة التي كانت موجودة.

الديالكتيك

لقد كان **ماركس** و **أنجلز** يريان في **ديالكتيك هيغل** أوسع مذهب من مذاهب التطور جاءت به الفلسفة الكلاسيكية الألمانية. لكنهما عملا على انقاذ الديالكتيك الواعي " (من المثالية بما فيها الهيجلية نفسها) " وذلك بإدخاله في المفهوم المادي للطبيعة". " أن الطبيعة هي محك الاختبار وهي تعمل في نهاية المطاف على نحو ديالكتيكي لا على نحو ميتافيزيقي". وهذه الفلسفة نفسها ليست إلا مجرد انعكاس هذه الحركة في الدماغ المفكر". فالديالكتيك هو إذن في نظر **ماركس** علم القوانين العامة للحركة سواء في العالم الخارجي أم في الفكر البشري.

المفهوم المادي للتاريخ:

أدرك **ماركس** خلو المادية القديمة من المنطق، و عدم اكتمالها ، فأقنع بأنه يجب عليه "جعل علم المجتمع منسجما مع الأساس المادي و إعادة بنائه استنادا إلى هذا الأساس"¹. وإذا كانت المادية بوجه عام تفسر الوعي بالكائن و ليس بالعكس فهي تتطلب عند تطبيقها على الحياة الاجتماعية للإنسانية تفسير الوعي الاجتماعي بالكائن الاجتماعي. يقول **ماركس**: "أن التكنولوجيا تبرز أسلوب عمل الإنسان تجاه الطبيعة أي العملية المباشرة لإنتاج حياته، و بالتالي الظروف الاجتماعية لحياته و الأفكار أو المفاهيم الفكرية التي تنجم عن هذه الظروف"²، وقد أعطى **ماركس** صيغة كاملة عن الموضوعات الأساسية للمادية في تطبيقها على المجتمع البشري و على تاريخه و ذلك في مقدمة كتابه: "مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي" قال كارل ماركس: "³ أي أن الناس أثناء الإنتاج الاجتماعي لحياتهم يقيمون فيما بينهم علاقات معينة ضرورية مستقلة عن إرادتهم. و تطابق علاقات الإنتاج هذه درجة معينة

¹ -- وجدي حمدي ، كارل ماركس سيرة مختصرة وعرض للماركسية " فيفري 2004 <http://www.marxists.org/arabic>

² -- وجدي حمدي ، كارل ماركس سيرة مختصرة وعرض للماركسية " فيفري 2004 <http://www.marxists.org/arabic>

³ -- وجدي حمدي ، كارل ماركس سيرة مختصرة وعرض للماركسية " فيفري 2004 <http://www.marxists.org/arabic>

من تطور قواهم المنتجة المادية. و مجموع علاقات الإنتاج هذه يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع أي الأساس الواقعي الذي يقوم عليه بناء فوقه حقوقي و سياسي و تطابقه أشكال معينة من الوعي الاجتماعي. أن أسلوب إنتاج الحياة المادية يشترط تفاعل الحياة الاجتماعي و السياسي و الفكري بصورة عامة. فليس إدراك الناس هو الذي يحدد معيشتهم بل على العكس من ذلك معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدد إدراكهم.

و عندما تبلغ قوى المجتمع المنتجة المادية درجة معينة من تطورها تدخل في تناقض مع علاقات الإنتاج الموجودة، فتظهر بوادر الثورة الاجتماعية والتي تحدث انقلابا أساسيا في بناء الاقتصادي. وعند دراسة هذه الانقلابات ينبغي دائما التمييز بين الانقلاب المادي لشروط الإنتاج الاقتصادية وهو الانقلاب الذي يحدد فيما بعد المفاهيم العلمية والقيم الحقوقية و السياسية و الدينية و الفنية و الفلسفية.

الصراع الطبقي :

في كل مجتمع تتصادم مطامح البعض مع مطامح البعض الآخر و أن الحياة الاجتماعية مليئة بالتناقضات، تناقضات تصنعها الصراعات الدولية والأزمات الاقتصادية من الركود و التقدم السريع أو الانحطاط. إن الماركسية قد رسمت النهج الموجه الذي يتيح اكتشاف وجود القوانين في هذا التعقيد و نعني بهذا نظرية الصراع الطبقي. إن نظرية **ماركس** تجد تأكيدها و تطبيقها الأكثر عمقا و شمولاً و تفصيلاً في مذهبه الاقتصادي.

يحلل **ماركس** المجتمع إلى عناصر ثلاثة هي¹:

1- **علاقات الإنتاج:** وهي علاقات الملكية وتشكيل العلاقات الإنتاجية.

2- **قوى الإنتاج المادية:** وهي أدوات الإنتاج والفنيين القائمين عليه.

3- **الضمير الجماعي:** هو ما يمكن التعبير عنه بالأوضاع الأيديولوجية.

قال **ماركس** في مقدمة كتابه "**رأس المال**:" "أن الهدف النهائي لهذا الكتاب هو أن يكشف عن القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث"²، أي المجتمع الرأسمالي البرجوازي. فدراسة علاقات الإنتاج في هذا المجتمع المحدد تاريخيا من حيث ولادة هذه العلاقات و تطورها و زوالها ذلك هو مضمون مذهب **ماركس** الاقتصادي.

¹ - عمر علي حليب، "الاقتصاد السياسي، المبادئ الاقتصادية"، الطبعة الثالثة، 1996، ص : 115.

² - وجدي حمدي، "كارل ماركس، سيرة مختصرة وعرض للماركسية" فيفري 2004
/http://www.marxists.org/arabic

فائض القيمة:

البضاعة هي بالدرجة الأولى شيء يسد حاجة من حاجات الإنسان، وهي بالدرجة الثانية شيء يمكن مبادلتها بشيء آخر. أن منفعة شيء ما تعطيه قيمة استعمالية. أما القيمة التبادلية- أو القيمة باختصار- فهي، أولاً، العلاقة، النسبة، في مبادلة عدد من القيم الإستعمالية من نوع ما بعدد من القيم الإستعمالية من نوع آخر وحين يشتري صاحب المال قوة العمل يصبح من حقه أن يستهلكها أي أن يجعلها تعمل طوال النهار ولنقل 12 ساعة. ولكن العامل حين يشتغل 6 ساعات (أي وقت العمل "الضروري") يعطي إنتاجاً يغطي نفقات إعالتة و في الساعات الست الأخرى (أي وقت العمل "الزائد") يعطي إنتاجاً "زائداً" لا يدفع الرأسمالي أجرة عنه أي يعطي القيمة الزائدة. و بالتالي فمن وجهة نظر عملية الإنتاج يجب أن نميز قسمين في الرأسمال: الرأسمال الثابت الذي ينفق على وسائل الإنتاج (آلات، و أدوات عمل، و مواد أولية الخ.) وتنتقل قيمته كما هي (دفعة واحدة أو دفعات) إلى المنتج التام الصنع، و الرأسمال المتغير (المتحرك) الذي ينفق على قوة العمل. و قيمة هذا الرأسمال لا تظل ثابتة بل تنمو في عملية الإنتاج، إذ تخلق القيمة الزائدة.

لقد حاول **كارل ماركس** الأخذ عن **هيجل** نظريته في التطور الديالكتيكي التي فسر بها تطور الفكر الإنساني ولكنه عوض أن يعتمد على الفكرة الهيكلية " الوعي كمحرك لتطور الفكر البشري " اعتمد على التفسير المادي للتاريخ معتبراً أن القوى الاقتصادية هي الموجه لمسار حركة التاريخ أو بعبارة أخرى فإن المصالح المادية هي التي تدير حركة الإنسان.

غير أن الاشتراكية لها مجموعة من السلبيات يمكن استقراؤها من الواقع التطبيقي لهذا النظام على النحو التالي:

1. صنعت بيروقراطية جامدة محل البروليتاريا.
2. غياب الديمقراطية.
3. القيام على العنف الثوري في قلب نظام الحكم.
4. التعارض مع الفطرة البشرية.
5. الفساد في قمة السلطة.

لقد قال **إدوارد شفرناذر** " وزير خارجية الاتحاد السوفيتي " واصفاً سلبيات الاشتراكية : لقد اتجهنا بكل قوانا إلى الصناعة الثقيلة وإلى الإنفاق العسكري بلا حدود ولكن أهملنا أهم شئ وهو سعادة الإنسان الذي فقد حريته وإحساسه بالرفاهية¹.

¹ - حسين عمر، " تطور الفكر الاقتصادي " ، الجزء الثاني، ص: 664.

كينز:

تعتبر المدرسة الكينزية من أهم المدارس التي أثرت في السياسة الاقتصادية **جون مينارد كينز** (John Maynard Keynes) 1883-1946 هو اقتصادي كبير اشتغل أستاذا للاقتصاد بجامعة كامبردج (بريطانيا) لمدة تقارب 20 سنة كما شغل منصب رئيس للمجلة الاقتصادية Economic journal كما اشتغل بالخرينة البريطانية غير أنه لم يستمر بها وذلك بسبب عدم موافقته على السياسات المالية للحكومة البريطانية و بعد استقالته عمل لمصلحته رجل أعمال وقد حقق مكاسب كبيرة كان ذلك في عام 1919م وهو العام الذي نشر فيه مؤلفه: "النتائج الاقتصادية للسلم" غير أن أهم ما كتبه في الاقتصاد هو ما بلوره من خلال النظرية العامة.

اقتطف محمد الأطرش في إحدى المقالات عن العولمة¹ النص الآتي: "دعنا نتخلص... من المبادئ الميتافيزيقية والعامة التي تستند إليها من وقت لآخر (سياسة) الحرية الاقتصادية. ليس صحيحا أن الأفراد يمتلكون "حرية طبيعية" في فعاليتهم الاقتصادية. لا يوجد "عقد" يمنح حقوقا دائمة للذين يملكون أو للذين يستحذون. ليس العالم محكوما من الأعلى بحيث يوجد دائما انسجام بين المصلحة الفردية ومصلحة المجتمع. وليست إدارة العالم هنا في الأسفل تحقق عمليا هذا الانسجام. ليس استنتاجا صحيحا من مبادئ الاقتصاد أن المصلحة الشخصية المتنورة تصب دائما في خانة المصلحة العامة. كما أنه ليس صحيحا أن المصلحة الشخصية هي بعامة متنورة. فعندما يتصرف الأفراد بصورة مستقلة لكي يحققوا أهدافهم، فهم في أغلب الأحوال إما جاهلون جدا أو ضعفاء جدا ليحققوا حتى هذه. لا تظهر التجربة أن الأفراد عندما يشكلون وحدة اجتماعية هم دائما أقل بصيرة منهم عندما يتصرفون بصورة منفردة.. لذلك لا يمكن أن نقرر استنادا إلى أرضية تجريدية، بل يجب أن نقرر استنادا إلى المزايا التفصيلية.. ما يجب أن تأخذ الدولة على عاتقها توجيهه مسترشدة بحكمة المجتمع وما يجب أن تتركه وبأقل تدخل ممكن للجهد الفردي"².

أما عن أهم الفرضيات التي أنطلق منها كينز في تفكيره الاقتصادي فتتمثل في نظرية الاستهلاك الذي جعله العنصر الرئيس في فكره الاقتصادي لان: "ان السوق لا يضمن أليا التوازن المطلوب"³ بمعنى أن

¹ محمد الأطرش، "العرب والعولمة ما العمل؟"، مجلة فكر ونقد.

www.fikrwanakd.aldjabiriabed.com

John Maynard Keynes, "The End of Laissez-Faire (1926)", in: Essays in Persuasion - ²

.London, New York: W.W. Norton and Co., 1963), pp. 312-313

نشوء الطلب هو عنصر من عناصر الإنتاج و تحقيق رأس المال وليس العكس.



وخرج كينز بنظام اقتصادي يتسم بما يلي:

1. اقتصاد ماكرو Macro- economics .

2. اقتصاد نقدي.

3. اقتصاد دخل.

4. اقتصاد التدفق الدائري.

5. اقتصاد لا زمني.

"إن المدرسة الكينزية هي رد فعل قوي تجاه الأزمة التي واجهت النظام الرأسمالي : الأزمة الاقتصادية وواجهتها البطالة والانكماش الاقتصادي- والأزمة النقدية وواجهتها انهيار قيم العملات والأوراق المالية وعائد الاستثمار.- هذه الأزمة التي كانت أبلغ مظاهرها في سنة 1929".¹

إن الحديث عن النظام الاقتصادي العالمي الجديد لا ينفصل عن الحديث عن جميع نشاطات القوى الاقتصادية العالمية المؤثرة في حركية الاقتصاد من تكتلات و شركات متعددة الجنسيات ، و منظمات و يهيمن الطابع الكوني على جميع النشاطات الاقتصادية في إطار من الاندماج أو التأثير المتبادل على نمط المركز و الأطراف. يذهب بعض الخبراء إلى أن النظام الاقتصادي العالمي هو الأساس المادي للاستعمار الجديد² و في هذا إشارة إلى الارتباط المطلق بين النظام الاقتصادي العالمي الراهن بالاستعمار الجديد.

حجتهم في ذلك هي لجوء الدول الإمبريالية إلى الأساليب الاقتصادية لكي تخضع البلدان المتحررة من نامية و دول عالم ثالث إلى السيطرة الفعلية للإمبريالية لضمان الاستمرار ، ومن أجل استغلالها اقتصاديا و ماليا و سياسيا ، و هذا الاستغلال عندما يأخذ صفة النهب و السيطرة فإنه يتحول إلى استعمار على الرغم أنه يختفي وراء طابع الشرعية الذي يضيفه على سياسته عن طريق فرض اتفاقيات و معاهدات.

يستخدم هذا النظام عدة أساليب لإضعاف البلدان النامية منها:

³ Jean-yves capul, Olivier Garnier, dictionnaire d'économies de science sociales , édition Hatier 2^{ème} édition, paris, 1994, p :140

¹ - Jean-yves capul, Olivier Garnier dictionnaire d'économies de science sociales , édition Hatier, 2^{ème} édition ,paris, 1994, p :140

² - حسين عمر، " تطور الفكر الاقتصادي " ، الجزء الثاني، ص: 722

- التوسع الاقتصادي عن طريق توظيف رؤوس الأموال و الفروض بشروط مجحفة.
 - إغراق الأسواق العالمية بالصادرات التقنية.
 - ربط النظم النقدية للبلدان ضمن تقسيمات اقتصادية مغلقة.
 - ربط البورصات و العملات التبادلية بالنقد الإمبريالية.
- و يورد واضعوا موسوعة الاقتصاد السياسي السوفيتية جملة من أشكال الاستعمار الجديد منها:
1. إقامة الحكومات و الأنظمة السياسية التابعة.
 2. إشغال و دعم النشاط التخريبي ضد الحكومات غير الملائمة.
 3. إثارة الصراعات المحلية (عرفية ، قومية ، طائفية) و كذلك الصراعات الدولية حتى يتسنى لها التدخل و التحكم فيها بفرض الهيمنة و إقامة القواعد العسكرية بحجة فك النزاع و حماية المصالح.¹
- كما يرتبط بالنظام الاقتصادي العالمي الجديد مجموعة من الأنظمة العالمية التي تعمل على تقويته و فرض الهيمنة الكاملة على جميع الدول النامية و تعزيز تبعية العالم الثالث الرأسمالية و من هذه الأنظمة، نجد النظام النقدي العالمي، النظام التجاري العالمي العلاقات الاقتصادية الدولية.
- ومهما يكن من أمر، فإننا نعتقد أن النظام الرأسمالي كما هو الآن هو من محددات العولمة نظرا للاعتبارات الآتية:
- ترتكز العولمة على سرعة وسهولة انتقال السلع والخدمات والأموال والمعلومات والمؤسسات والناس، من أي مكان و إلى أي مكان في العالم متخطية الحدود والحواجز وغير عابئة بها وكل هذا يخدم الرأسمالية الجديدة.
1. اندماج أسواق العالم ضمن آلية حرية الأسواق بحيث يصبح العالم خاضعا لسلطة
 2. قوى السوق العالمية، الامر الذي يؤدي إلى انحسار دور الدولة القومية لتصبح الشركات العملاقة - متخطية القوميات- هي الوحدة الأساسية في مفهوم العولمة.
 3. تلازم قيام العولمة مع حدثين كبيرين:
- أ- انهيار دول المعسكر الاشتراكي و تثبيت (زعامة) الفكر الاقتصادي الليبرالي الرأسمالي.

¹ - . روميانتسيف ا.م، موسوعة الاقتصاد السياسي السوفيتية ، الجزء الثالث، موسكو. دار الموسوعة السوفيتية، 1979، ص: 82-83.

ب- الثورة الصناعية الثالثة التي تمثلت في التطور التقني الهائل في مجال الاتصالات والمعلومات.

ج- بالإضافة إلى هذه المعطيات برز دور **الولايات المتحدة** نتيجة التبدل في تركيبة النظام الدولي وبسبب تفوقها الكاسح في الميدان العسكري والاقتصادي والتقنية الحديثة. إن كل ما حدث ضمن هذا السياق جاء ليصب في خدمة مصالح **الولايات المتحدة الأمريكية** في الدرجة الأولى.

فالعولمة كما قال أحد الباحثين: "تعبير عن تطور الاقتصاد العالمي تحت تأثير العناصر الثلاث التقنية، المال، المعلومات".¹

ولهذا فنحن ننظر إلى العولمة على أنها أحدث أشكال النظام الرأسمالي الدولي والذي إنما قام وما زال يعمل من أجل خدمة مصالح القوى الرأسمالية من دول ومؤسسات ضخمة متعددة القوميات، وأهم هذه المصالح موجودة في **الولايات المتحدة الأمريكية** و بيد الشركات الأمريكية، ومن خلال هذا المنظار فإن العولمة ليست سوى الشكل الجديد أو الأكثر حداثة للاستعمار بمفهومه الاقتصادي العالم.

إن العولمة لا زالت في مراحل تأسيسها الأولى وهي تنطوي على عدد من التناقضات ومن أبرز تناقضاتها أن الاقتصاد يتجه نحو العالمية بينما ما زالت السياسة وطنية وقومية. بصورة أخرى، إن الحركة الاقتصادية بكافة أشكالها أصبحت عالمية، متخطية حدود الدول غير عابئة بها، وهي تخضع لقرارات وسياسات الرؤساء التنفيذيين في الشركات الضخمة متعددة الجنسيات كالدعوة إلى الخصخصة وخفض التعريفات الجمركية، وكافة التدابير التي تخدم في النهاية مصالح هذه الشركات ومصالح من يملكها، (أي المؤسسات المالية) في حين أن القرارات السياسية ولو على المستوى العالمي، ما زالت أسيرة الدولة القومية. وهكذا فنحن أمام اختلال هيكل بنيوي فيما بين السلطة الاقتصادية (التي تعولمت) والسلطة السياسية التي ما زالت لم تتعولم (قومية). ذلك لأن المستفيد الأكبر من هذا الخلل هي الدول العظمى، وعلى رأسها **الولايات المتحدة** الأغنى والأقوى والتي تتوطن فيها غالبية الشركات الضخمة متعددة الجنسيات.. وما ظهر حتى الآن من أشكال السلطة العالمية الاقتصادية - 8G - هو أقرب إلى مجلس إدارة لاقتصاد العالم، يمثل مصالح (المساهمين) ذوي القوة الاقتصادية الغالبة، ولا يمثل القوى السياسية (أي الدول) أو حتى القوى البشرية استنادا إلى القاعدة الديمقراطية (الغريبة!).

¹ Jean- Paul Betbège 'les 100 mots de l'économie' 1^{er} édition , presses universitaires de France, Paris 2005 , P :110

وهناك تناقضا آخر أنجبت هذه الرأسمالية، وهو فكرة نشأة الأسواق تلقائيا متى امتنعت الدولة عن التدخل. غير أن الملاحظ هو أن الأسواق تخضع لمجموعة من المعايير، والقواعد المحددة للمعاملات التجارية، مثلا منع الاحتكار من الشروط اللازمة لسير اقتصاد السوق، وهنا يكون دور الدولة ضروريا في تنظيم النشاط الاقتصادي.

ونظرة نقدية للاقتصاد الرأسمالي تجعلنا نقول ان الاقتصاد الرأسمالي يقوم على أساس حرية الفرد¹، بمعنى أن يعمل المرء ما يروقه، وأن ينتج المواد التي يختارها و بالكمية التي في وسعه انتاجها، و أن يتعامل مع غيره بحرية تامة، و بعبارة أخرى: ان الاقتصاد الرأسمالي يركز على سياسة الباب المفتوح laissez faire في الداخل و الخارج²، وقد وجد علماء الرأسمالية أنه لكي تكون الحياة الاقتصادية سوية طبيعية لا بد أن تكون مستندة الى أسس ثلاثة:

1 - المصلحة الشخصية، كهدف.

2 - المزاحمة، كوسيلة.

3 - الحرية، كشرط.

هذه هي أسس الاقتصاد الرأسمالي.

لكن مع توصل الانسان الى اكتشاف الآلة البخارية وغيرها من الآلات، التي حلت مكان الصانع العامل، ففاض الانتاج و كثر المتعطلون، وراح ارباب الثروات والمصانع، يعالجون الانتاج الفائض تارة بوقف الانتاج، و بإغلاق المصانع و صرف العمال، و تارة أخرى بتدمير الانتاج، ليظلوا محتفظين بالأسعار العالية. وتنشأ الأزمات الاقتصادية، و يدب الذعر في قلوب العمال أولا، لحرصهم على القوت، و يفزع أرباب المصانع من ثورة العمال، و ترتبك الدولة خوف افلات زمام الامور من أيديها، ثم تنفجر الأزمة، فتتكشف عن مفاسد النظام القائم و عن ضحايا لا بد منها. ثم تظهر بوادر الاصلاح وهكذا سارت الامور.

ان العولمة ليست ظاهرة جديدة³ بل هي استمرار لمجموعة من الاحداث والتطورات في تاريخ الرأسمالية، وفي الخلاصة نقول: أن العولمة تطور طبيعي في مسار النظام الرأسمالي الليبرالي، وهي أعلى وأحدث درجات الاستغلال الاقتصادي.

¹ و لهذا أطلقوا عليه أيضا اسم الاقتصاد الحر، والاقتصاد الفردي، لأنه يعنى بمصلحة الفرد و لا يتعرف على مصلحة المجتمع.

² - محمود اللبائدي، "الاقتصاد الإسلامي مقامه بين الاقتصاد الرأسمالي والشيوعي" المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، مجلة رسالة، www.taghrib.org/arabic

³ Dominique Plihon , le nouveau capitalisme 1^{er} édition, la découverte ,Paris, 2004 P :20

الليبرالية مذهب العولمة الرأسمالي :

اعتبر الباحث مصطفى عبد الله الكفري الفكر الليبرالي الجديد هو النظام الجوهري للعولمة¹ فما هي الليبرالية ؟ ما هي ظروف تكونها ؟ وما هي مجالاتها ؟

لغويا: كلمة ليبرالية كلمة ليست عربية و هي ترجمة للحرية

اصطلاحا: الليبرالية مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي و السياسي.

و يعتبر الفرد هو المحور الرئيسي لفكرة الليبرالية، اذ الحرية لا ترتبط إلا بالفرد.

ويرتبط جوهر الليبرالية بالتركيز على الفرد، مع التحرر من كل سلطان خارجي، و الليبرالية عرفت في النصف الثاني من القرن العشرين.²

كما يمكننا أن نفهم أن الليبرالية تتضمن معنيين سلبي و ايجابي و اقصد بالمعنى السلبي غياب كل صور الإكراه و هو الذي قصده **توماس هوبز** الذي قال عن الحرية "هي غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الإنسان على أن يفعل ما يشاء"³

أما المعنى الايجابي للحرية فيتضمن فرض قانون العقل و فعاليتها ، و هذا يعني أن غياب العوائق الخارجية غير كاف لوجود الحرية ، فان كان الفرد عبدا لشهواته التي تنقلت عن تحكم العقل فيكون اذ ذاك ليس حرا. و تبلورت الأفكار الليبرالية على يد كثير من المفكرين و الفلاسفة ،

ففي جانب السياسي يعتبر **جون لوك** 1632-1704 من أكبر المساهمين في بلورته ، و اقتصاديا كان لأدم سميث أكبر الإسهام في ذلك ، كما ساهمت فلسفة **جان جاك روسو** 1712-1778 و كذلك **جون استوارت ميل** 1806-1873 في بلورة الفكر الليبرالي.

و تتصف الليبرالية بخصائص مترادفها و هي :

العلمانية: التي تعني فصل الدين عن السياسة.

العقلانية: و تقتضي غياب كل سلطات على الفرد ما عدا السلطات

العقل. فالعقل الإنساني بلغ من النضج ما يؤهله إلى أن يتحكم في جميع نشاطاته دون وصاية خارجية.

الإنسانية : بمعنى أن هذا المذهب يؤمن بالإنسان و حريته و الثقة الكاملة في تصرفاته بعيدا عن أي سلطات خارجي.

النفعية: بمعنى أن الليبرالية تجعل من منفعة الفرد أو المجتمع مقياسا للسلوك.

¹ مصطفى عبد الله الكفري، "العولمة الاقتصادية وفرض هيمنة الاقتصاد الرأسمالي، مجلة الحوار المتمدن، العدد 1148، بتاريخ 26-3-2005

² - Philippe Raymand et Stéphane Rials (sous la direction) Dictionnaire de philosophie ^{1ER} édition Quadrige, 2003, Paris ,p : 393

³ - عبد العزيز كامل " دعاة الليبرالية عقول محتلة ام ولاءات مختلة ؟ صيد الفوائد.
/http://saaid.net/mkatarat/almani

و تتفرع عن الليبرالية كمذهب عام .
الليبرالية السياسية و الليبرالية الاقتصادية و الليبرالية الفكرية .
الليبرالية السياسية: هي نظام سياسي يقوم على ثلاثة مبادئ هي :

1- العلمانية

2- الديمقراطية

3- الحرية الفردية

فهي مع الحكم الاستبدادي تعتمد على أساس فصل الدين عن الدولة
(العلمانية) .

كما تعتمد ايضا على أساس التعددية الفكرية و الحزبية من خلال النظام
(الديموقراطي) و تعمل على التكفل بحرية الافراد
لقد جاءت الليبرالية السياسية لتجعل الشعب مصدرا للحكم. و لتقضي
نهائيا على الحكم الملكي الذي ساد في أوروبا خلال قرون طويلة و
حق مطلق للحكام بل تحول إلى أمانة يسأل الحاكم عنها من طرف
المحكوم و كل ذلك حرصا على سيادة القانون و حسن استعمال
السلطة.

البرالية الاقتصادية:

يقصد بها النظام الاقتصادي الذي يمنع تدخل الدولة في العلاقات
الاقتصادية أو السبب في ذلك أن تدخل الدولة يضر بمصلحة الفردية و
الجماعية.

و يعتبر المفكر الاقتصادي آدم سميث 1723-1790 صاحب النظرية
الليبرالية الاقتصادية.

و يرى سميث أن الاقتصاد ينتظم وفق قانون العرض و الطلب، و وفق
قوانين الطبيعة الإنسانية، فالمصالح الخاصة للأفراد هي التي تحكم
عمليات الانتاج و و التسويق و الاستهلاك ، و بصورة اخرى الرغبة في
خدمة مصالح الفرد وإرضائه لذاته هي المحرك الرئيس في حركة
الإنسان الاقتصادية وهذه الخصائص هي التي تلتزم بها العولمة، حتى
قال احد الكتاب "ان العولمة هي انتصار لليبرالية المتوحشة".¹

يقول الدكتور **راؤول مارك جنار**² متحدثا عن مخاطر العولمة : "ان
العولمة بمشروعها السياسي والاقتصادي الليبرالي الجديد تشقي
الناس وتضرهم"³ والسبب في ذلك أن هذا المشروع لا يحقق العدالة
المطلوبة من طرف الشعوب. وهذا الأمر يتفق عليه اغلب مناهضي
العولمة الذين يرون " أن الاختيارات الكبرى للاقتصاد العالمي هو إعطاء

¹ Sylvan Allemand , Jean Claude, Ruano borbalon, la mondialisation, économie et société ,
édition la cavalier bleu, paris, mai 2005, P : 19

² رئيس مجموعة ATTAC لمناهضة العولمة.

³ Raoul, marc- Gennar ATTAC pour une mondialisation a finalité humaine. Edition vista,
2002, P : 44

الأهمية للتوجهات الأساسية للإنتاج والتوزيع بحيث ينبغي أن يتم في إطار عادل وبصورة ديمقراطية.¹

النيوليبرالية

تعود النيوليبرالية في أصلها، كما يشير اسمها (الليبرالية الجديدة) إلى الليبرالية. والليبرالية هي أيديولوجيا (وتيار فكري اقتصادي - سياسي) لعب الدور الأساسي في ظهور وتطور الرأسمالية، كنظام اقتصادي واجتماعي وسياسي. والفكرة المركزية في الليبرالية تعتبر أن من شأن السوق، لوحدها فقط، وبدون تدخل أي جهة كائناً ما كانت، أن تؤمن توزيع الثروات والخدمات، وتوفير الاستثمار والتنمية. وعليه فحرية السوق هي ضمانة التقدم والتطور². وتم التعبير عن هذه الحرية بشعار "دعه يعمل، دعه يمر". وهذه الحرية الضامنة للتقدم يقوم جوهرها على قدرتها على ضبط التوازن بين العرض والطلب. وإذا لم تتوفر هذه الحرية للسوق فلا يمكن بلوغ التوزيع الأفضل للمداخل بين عناصر الإنتاج، أي بين العمل والرأسمال، وفق حرية العرض والطلب.

ولكن تاريخ تطور الشعوب أثبت أن الليبرالية لم تكن الحل الأفضل لتطور المجتمعات³. فالمراسي الهائلة التي أصابت البشرية، حتى في أكثر المجتمعات اعتماداً على الليبرالية، دفعت، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، بالحكومات الأكثر اعتماداً على الاقتصاد الليبرالي وبكبرى المنظمات الدولية إلى مراكمة تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وتقييد حرية حركة السوق. وبدل حرية "السوق" و"العرض والطلب" صارت الحكومات تتدخل، باضطراب، في ضبط العمليات الاقتصادية: تحديد مدة يوم العمل (عدد ساعات العمل في اليوم)، تحديد الأجر، الضمان الصحي، الفرص، حق التنظيم النقابي، التظاهر...، جملة واسعة من الإجراءات التي فرضتها الحكومات في تنظيم النشاط الاقتصادي، وتقييد حرية السوق. بالطبع لم يكن ذلك ليحصل لولا نضال الطبقات والفئات الاجتماعية التي انعكست عليها حرية السوق الليبرالية أضراراً وويلات اجتماعية فادحة.

¹ - Bacconnier G - benoît B et saussac L. La mondialisation en fiches, Bréal édition 2005, Paris 2005, P : 378

² - جوزيف عبد الله ، "عولمة ماذا؟ كيف؟ لمن؟" <http://www.urfig.org/sout-ar-glob-abdallah>

³ جوزيف عبد الله ، <http://www.urfig.org/sout-ar-glob-abdallah> .

وبعد حوالي نصف قرن من تدخل الحكومات في حركة السوق قامت الشركات الاقتصادية الكبرى تعضدها بعض الحكومات بإعادة النظر في استراتيجيات التدخل الحكومي، وعمدت إلى توحيد صفوفها وتوسيعها من أجل العمل على إلغاء سياسات التدخل الحكومي التي تعدل من حدة سيطرة السوق على حياة المجتمعات. وكانت بريطانيا، في ظل حكومة المحافظين برئاسة تاتشر (في العام 1979)، ومن ثم الولايات المتحدة الأميركية (1980)، مع وصول ريغان إلى سدة الرئاسة، أول من اعتمد استراتيجيا النيوليبرالية منها اقتصادياً¹.

ويعدد احد الباحثين المحاور الرئيسية للنيوليبرالية بثلاثة محاور هي:

تحرير أسعار: جميع السلع (منتجات وخدمات) التي كانت تحددت سابقاً انطلاقاً من معايير سياسية أو اجتماعية، وذلك بقرارات سياسية اتخذتها الحكومات بعد نضالات اجتماعية وسياسية متعددة. بيد أن النيوليبرالية تعمل على خط تحرير هذه الأسعار من أي ضوابط خارجة عن حرية السوق ومعادلة العرض والطلب. وتنادي النيوليبرالية بأن يشمل تحرير الأسعار الخدمات العامة كالعليم والصحة والنقل، وكذلك بعض الخدمات التي تقدمها الدولة (جزئياً أو كلياً)، أو السلع التي تدعم الدولة أسعارها...

الخصخصة: وهي عملية نقل ملكية مؤسسات إنتاج (أو ترويج) بعض السلع والخدمات من القطاع العام إلى القطاع الخاص. وكثيراً ما يستلزم الأمر القيام بتعديلات دستورية لإلغاء ملكية المجتمع، تلك الملكية العامة المنصوص عليها في الدستور (الثروات الجوفية، الأملاك العامة والمشاعة).

إعادة النظر بدور الدولة: ويكون ذلك، من جهة أولى، بإلغاء دورها في المهام الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم بها الحكومات. وذلك عن طريق تخفيض وإلغاء السياسات والبرامج الاجتماعية، أي تلك الإجراءات الآيلة إلى تخفيض وإلغاء ما تقدمه الدولة والمؤسسات الإنتاجية من مساعدات وإعانات للمواطنين في ما يعرف باسم الحماية الاجتماعية. ويكون ذلك بتفكيك وتعديل وإزالة المؤسسات أو القوانين التي تقوم بدور تنظيم شروط العمل (معايير العمل، الحد الأدنى للأجور، مدة العمل...) أو تقوم بتنظيم ومراقبة إجازات الاستثمار وشروطه، وحماية الثروات العامة والبيئة... ومن جهة ثانية، تعتبر النيوليبرالية أن توسيع الأسواق وجعلها ميداناً عالمياً متحرراً من القيود القومية وحدود الدول يستلزم إعادة النظر بدور الدولة أيضاً. وبالتالي يجب التحرر من

¹ - جوزيف عبد الله ، <http://www.urfig.org/sout-ar-glob-abdallah>

كل السياسات التي تعيق حرية توسيع الأسواق وتطويرها، وذلك يكون بسلسلة من الإجراءات ليس أقلها إلغاء الحواجز الجمركية واعتماد سياسات الأجواء المفتوحة... ولكن النيوليبرالية تبقى على عاتق الحكومات ضرورة التدخل في ميدان محدد هو ميدان المشاريع المتعلقة بتأمين البنية التحتية اللازمة لتطوير حركة السوق: الطرق والمرافئ والمطارات، أبحاث التنمية...، مما يعني المحافظة على دور الدولة في خدمة حركة السوق الرأسمالية العالمية¹.

يقول كريستيان بالوا²:

" لا يمكن لنظرية الإمبريالية أن تكون إلا تلك المنبعثة من نمط الإنتاج الرأسمالي ضمن العلاقات بين المسيطرين والخاضعين لسيطرة داخل النظام الرأسمالي العالمي الخاضع لعلاقات الإنتاج الرأسمالية العالمية"³.

أما سمير أمين⁴ فإن أصحاب نظرية التوسع الرأسمالي المنتقد يكتفون في نهاية الأمر بالمقولات الآتية:

أولاً: إن التوسع الرأسمالي أمر واقع يتم فعلاً في العالم الثالث المعاصر، وأن الدليل على ذلك هو معدلات النمو والتصنيع التي ترتفع أحياناً إلى مستويات لا مثيل لها في الماضي.

ثانياً: إن هذه الظاهرة لا تختلف في الجوهر عن ظاهرة التوسع الرأسمالي في الغرب.

ثالثاً: إن الانخراط في التقييم الدولي للعمل هو عامل إيجابي في تعجيل النمو هذا من خلال تقديمه لبلدان العالم الثالث أموالاً وافرة وتكنولوجيات فعالة.

رابعاً: إن هذا النمو يقوم على السوق الداخلية الموسعة إلى جانب اعتماده على السوق العالمية.

خامساً: إن التوسع الرأسمالي يؤول بالضرورة في جمع الأموال إلى تحسين ظروف المعيشة المادية، بل أيضاً إلى تقدم --- الخ...."⁴.

¹ - جوزيف عبد الله ، <http://www.urfig.org/sout-ar-glob-abdallah> .

² - كريستيان بالوا، "الاقتصاد الرأسمالي العالمي: المرحلة الاحتكارية والإمبريالية الجديدة"، ترجمة عدل عبد المهدي، دار ابن خلدون، بيروت، لبنان، طبعة الثانية. 1980، ص: 14.

³ - كريستيان بالوا Christian Paloix ، كاتب فرنسي- أستاذ في كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية بجامعة غرونوبل الفرنسية.

⁴ - سمير أمين، "من بعد الرأسمالية" ، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (9)، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة 1988، ص: 55-56.

المبحث الثالث: آليات العولمة الاقتصادية:

بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، وجدت معظم الدول الأوروبية منهكة في اقتصادها. و خرجت دول الحلفاء و في ذمتها ديون كثيرة للولايات المتحدة الأمريكية. التي تحول إليها مركز الزيادة الاقتصادية بعد ما كان في يد بريطانيا و فرنسا. و اتجهت الاستثمارات الأمريكية نحو الازدياد. و في المقابل احتاجت الدول الأوروبية إلى رؤوس أموال ضخمة لإعادة أعمارها.

و نظرا لما خلفته الحرب العالمية الثانية من تأثير شديد على نمط التجارة الدولية و شؤون النقد في العالم. فقد سعت هذه الدول أن تجد لنفسها طريقا نحو الخلاص من مشاكلها و البحث عن أهم الوسائل التي تساعد على توفير مصادر تمويلية تعمر بها ما خربته الحرب، و تنشط بذلك حركة التجارة الدولية و تساهم في استقرار النظام الاقتصادي العالمي.

و عليه تم عقد مؤتمر دولي عام 1944 في ضاحية **بريتون وودز** بالولايات المتحدة الأمريكية بهدف إيجاد الصيغة الملائمة لإدارة النظام الاقتصادي العالمي. و منذ ذلك الحين بدأت تتشكل معالم النظام الاقتصادي العالمي.¹

إن تكون النظام الاقتصادي العالمي بشكله الراهن قد ساهمت في صنعه الأحداث العالمية التي شهدتها العالم² خلال النصف الثاني من القرن الماضي والتي غيرت من نمط العلاقات الاقتصادية الدولية واتجاهاتها.

ويعتبر عام 1995 منعطفًا بارزا على طريق تغيير هيكل النظام الاقتصادي العالمي ، وهو العام الذي اتخذت فيه منظمة التجارة صفة

¹ - عادل المهدي، "عولمة النظام الاقتصادي العالمي ومنظمة التجارة العالمية"، الدار المصرية اللبنانية، طبعة سنة الثانية 2004

² - منها الاختلالات الاقتصادية المالية والنقدية التي مر بها العالم خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، حيث وقعت الأزمات والكساد العالمي.

العالمية و انتشرت المصطلحات الموحية لعالمية النظام التجاري مثل مصطلحات المنتج الكوني والمستهلك الكوني والعولمة الاقتصادية.

منظمة التجارة العالمية¹:

ماهي هذه المنظمة؟ ما طبيعة نشاطها؟ وكيف تنفذ مشروع العولمة؟

هي منظمة يقع مقرها على شاطئ بحيرة جنيف السويسرية أنشئت عام 1995م، وحلت محل اتفاقية **الجات**²، لتعمل على تحويل الاقتصاديات المحلية المغلقة على ذاتها، إلى اقتصاديات مفتوحة على الاقتصاد العالمي، وهي فكرة قديمة تعود إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية حيث طرح الرئيس الأمريكي **روزفلت** ورئيس الوزراء البريطاني **تشرشل** عام 1941م مفكرة إنشاء منظمة للتجارة العالمية من أجل تمكين **الولايات المتحدة و بريطانيا** من الوصول إلى المواد الخام الأولية ولكن أرجئ إنشاؤها إلى عدم أهلية اقتصاديات الدول للدخول إلى السوق العالمية الواحدة³.

ولم يبدأ تنفيذ قرارات منظمة التجارة العالمية في أول جانفي 1995م إلا بعد مفاوضات دامت قرابة نصف قرن بلغ عددها ثماني جولات نذكرها بالتسلسل كما يلي :

1. جولة (جنيف) انعقدت عام 1947 شاركت فيها 23 دولة.
2. جولة (انسي) انعقدت عام 1949 شاركت فيها 33 دولة.
3. جولة (توركاى) انعقدت عام 1950 شاركت فيها 34 دولة.
4. جولة (جنيف) انعقدت عام 1956 شاركت فيها 42 دولة.
5. جولة (ديلون) انعقدت عام 1961 شاركت فيها 45 دولة.
6. جولة (كينيدي) انعقدت عام 1962 شاركت فيها 48 دولة.
7. جولة (طوكيو) انعقدت عام 1973 شاركت فيها 99 دولة.
8. جولة (اورجواي) انعقدت عام 1986 شاركت فيها 124 دولة.

وتتلخص أهداف الجات في أربع قواعد هي⁴:

- 1- حماية الصناعات المحلية من خلال التعريفات الجمركية.
- 2- تخفيض التعريفات الجمركية و إزالة القيود التي تحد من التجارة العالمية.
- 3- معاملة الدول الأولى بالرعاية.
- 4- مبدأ المعاملة الوطنية.

¹- (w.t.o) world trade organisation

²- GATT_ General Agreement of Tariffs and Trade.

³ - محسن أحمد الخضيرى، "مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر الالادولة"، ص:74.

⁴ - كامل أبو صقر، العولمة التجارية والإدارية والقانونية، رؤية إسلامية، ص:408.

كما جاءت منظمة الغات GAAT لضبط قواعد التجارة الخارجية بين الدول، بهدف رفع المستوى المعيشي للدول الأعضاء،¹ والحقيقة انها جاءت ايضا لكي تخدم المصالح الكبرى للدول العظمى.²

يقصد بالنظام التجاري الدولي الذي أفرزته منظمة **الجات** مجموعة القواعد والاتفاقيات، والإجراءات، والمؤتمرات، والقرارات، والمنظمات التي تشرف على حركة السلع والخدمات والأموال بين الدول وتقيم السياسات التجارية لهذه الدول بما يحقق الاستقرار المناسب، والنمو المقبول لحجم التجارة الدولية .

ويفهم مما سبق أن النظام التجاري الدولي ينطوي على مجموعة القواعد التي اتفقت أطراف المجتمع الدولي على وضعها لتحديد طبيعة الفلسفة التجارية التي تتبناها كل الدول المتعاقدة.

كما يبنى هذا النظام على مختلف الاتفاقيات الملزمة للدول الموقعة عليها وينطوي على إجراءات توضيحية لكيفية تطبيق القواعد المتعلقة بالتجارة الدولية بوصفها قواعد عامة .

تاريخيا تأثر التفكير في الإطار المؤسسي الذي يشرف على سير النظام التجاري بمختلف التغيرات المذهبية العديدة التي مرت بها العلاقات الاقتصادية الدولية منذ عصر التجارين إلى الآن.³

فقد جاءت أفكار التجارين لتركز على زيادة الفائض في الميزان التجاري عن طريق زيادة الصادرات وخفض الواردات بتوجيه من الدول التي تسعى إلى زيادة الثروة والقوة بزيادة كمية النقود لكن أغلب هذه الأفكار انتقدت في بداية القرن التاسع عشر من طرف **دافيد هيوم** صاحب نظرية كمية النقود على أساس زيادة كمية النقود لا يقابله زيادة في الانتاج والخدمات.⁴

و بظهور أفكار المدرسة الكلاسيكية و تبلورها بوضوح مع **آدم سميث** في كتابه "**ثروة الأمم**" أعيدت حرية ممارسة النشاط التجاري للأفراد وقد استمرت هذه الأفكار عمليا إلى غاية بداية الحرب العالمية الأولى. وحسب **كينزاي** هناك ثلاث مبادئ تتحكم في حركة الاقتصاد⁵ وهي:

¹ Luis Sabourin, organismes : économie internationaux , P : 215

² Clayton Brown, Globalization and America since 1945 edition Scholarly resources , Wilmington 1984, P:27

³ عادل المهدي العلاقات النقدية الدولية، جهاز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، جامعة حلوان، سنة 2000. ص:21 .

⁴ -عادل المهدي ، عولمة النظام الاقتصادي العالمي ومنظمة التجارة الدولية، الدار المصرية اللبنانية، 2004، ص:140

⁵ Alan Samuelson, Les grands courant de la pensée économiques, 5ème édition, presses universitaire de Grenoble 1997, P : 35

المصاريف (النفقات) التي تعطي الحياة للإنتاج
الإنتاج الذي يخلق المداخل
المداخل التي تغذي المصاريف

واكتملت المعالم الأساسية المميزة للنظام التجاري الدولي الجديد
بإنهاء مفاوضات دورة أورغواي وفيها تم تحقيق أهم إنجاز خلال
السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية¹ التي استمرت أكثر من سبع
سنوات حتى تم توقيع الاتفاقية في مراكش عام 1994 وأقرت فيها
كافة الاتفاقيات التي انتهت إليها الدورات السابقة².

أهدافها :

تهدف منظمة التجارة العالمية من خلال القرارات التي تتخذها أثناء
تجمعات الأعضاء سواء على الصعيد الوزاري حيث تعقد اللقاءات على
الأقل مرة كل سنتين أو تتخذ من طرف المكتب المركزي الموجود في
جنيف خلال اجتماع أعضائه بصورة منظمة.³ إلى إيجاد منتدى للتشاور
بين الدول الأعضاء حول المشكلات التي تواجه التجارة العالمية ، و آليات
لفض المنازعات التي تنشأ بينهم ، إضافة إلى تقديم المساعدات الفنية و
المالية للدول الأعضاء بها . و في ما يلي بعض التفصيلات عن أهداف
منظمة التجارة العالمية .

إيجاد المنتدى العام للمفاوضات التجارية :

تهدف منظمة التجارة العالمية إلى جمع الدول في شبه منتدى أو
ناد يتباحث الأعضاء فيه في شتى الأمور التجارية، ويتفاوضون ضمن
جولات متعددة الأطراف، فمن جهة تؤمن اجتماعات اللجان الفرعية
الدورية في المنظمة فرصة للقاءات الدائمة بين ممثلي الأعضاء وتتيح
المجال أمامهم لمناقشة المشاكل المهمة و مواكبة التطورات في
شؤون منظمة التجارة.

و من جهة ثانية فإن منظمة التجارة العالمية تجمع الدول الأعضاء
في جولات محادثات منظمة بشأن علاقاتهم التجارية المستقبلية. و قد
ورث منظمة التجارة العالمية فكرة المفاوضات الدورية متعددة
الأطراف عن سلفها الغات -الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية
والتجارة.

و تهدف كذلك إلى تحقيق مستوى أعلى من التحرير و دخول الأسواق
في القطاعات المعنية.

تحقيق التنمية :

¹ - Jackson . J, the world trading system, IMT Cambridge, Massachusetts, 1991, p:53

² - مصطفى رشدي شبيحة ، "اتفاقيات التجارة العالمية في عصر العولمة" ، دار الجامعة الجديدة
، الإسكندرية ، 2004، ص:11.

³ Gérard Marie Henry, 100 questions sur la mondialisation , 1^{er} édition, Studyrama , Paris,
2003 , P : 99

تسعى منظمة التجارة العالمية إلى رفع مستوى المعيشة للدول الأعضاء و المساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية لجمع الدول و بخاصة النامية التي يزيد عدد أعضائها في المنظمة عن ثمانية من جملة الأعضاء، و تلك التي تمر بمرحلة انتقالية إلى اقتصاد السوق وتمنح المنظمة الدول النامية معاملة تفضيلية خاصة فتعطيها فترات سماح أطول من تلك التي تمنحها للدول المتقدمة تقنية والتزامات أقل تشدداً من غيرها وتعفى الدول الأقل نمواً من بعض أحكام اتفاقيات منظمة التجارة العالمية.

تنفيذ اتفاقية اورغواي:

أنيط بمنظمة التجارة العالمية تنفيذ اتفاقية اورغواي والتي تحتاج من أجل تحسين سير أعمالها إلى إطار مؤسسي سليم وفعال من الناحية القانونية على خلاف الجات.

حل المنازعات بين الدول الأعضاء :

لم تكن آلية الجات كافية لفض المنازعات بين الدول الأعضاء التي قد تنشأ بسبب الاختلاف حول تفسير أحكام واتفاقيات جولة أورغواي نظراً لكثرتها وتشعبها وبسبب المشاكل التي عانت منها على مدى الخمسين عاماً الماضية لذلك كان من الضروري إنشاء آلية فعالة وذات قوة رادعة تمثلت هذه الآلية في منظمة التجارة العالمية .

إيجاد آلية تواصل بين الدول الأعضاء :

تفرض اتفاقيات منظمة التجارة العالمية على الدول الأعضاء إخطار غيرها بالتشريعات التجارية المؤثرة على شؤون التجارة الدولية و أن يكون للدول الأعضاء إطلاع على النظام التجاري لكل دولة و مناقشة جميع جوانبه خاصة في ما يتعارض مع اتفاقية المنظمة.

نشاط منظمة التجارة العالمية:

هي منظمة ذات صفة قانونية لها كافة الامتيازات التي منحت لها وهي إطار تنظيمي يشرف على تطبيق جميع القواعد والإجراءات المرتبطة بسياسة التجارة العالمية .
أما عن هيكلها التنظيمي فيتضمن ما يلي :

المجلس الوزاري:

يتكون من ممثلي جميع الدول الأعضاء ينعقد مرة كل عامين على الأقل، له سلطة اتخاذ القرارات في جميع الأمور المتعلقة بالاتفاقيات التجارية.

المجلس العام:

يتكون من ممثلي جميع الدول الأعضاء يجتمع كلما اقتضت
الضرورة لتسوية النزاعات ومراجعة السياسات التجارية.

مجلس تجارة السلع:

يشرف على تطبيق الاتفاقيات الخاصة بالتجارة السلعية متعددة
الأطراف.

مجلس تجارة الخدمات:

يشرف على تطبيق الاتفاقيات الخاصة بالتجارة في قطاع
الخدمات .

مجلس الملكية الفكرية:

يشرف على تطبيق الاتفاقيات الخاصة بالجوانب المتصلة بحقوق
الملكية الفكرية.

شروط الانضمام لمنظمة التجارة العالمية:

تضم منظمة التجارة العالمية في عضويتها 137 دولة ومن المتوقع
أن يزداد هذا العدد في غضون السنوات القادمة حيث تتفاوض 32 دولة
حاليا للانضمام إلى المنظمة وهناك 20 دولة لم تقدم للعضوية في
المنظمة و تشترط المنظمة الدولية عدة شروط على الدول الراغبة في
الانضمام إليها كما توجد بعض الإجراءات الواجب اتباعها للانضمام إلى
المنظمة وفيما يلي سرد لأهم الشروط والإجراءات :

1. تقديم تنازلات للتعريفات الجمركية:

تشترط منظمة التجارة العالمية على الدولة الراغبة في
الانضمام إليها تقديم جدول للتنازلات يحتوي على تعريفات
جمركية تشكل التزامات لا يمكن رفعها من حيث المبدأ إلا
في حالات خاصة.

2. تقديم التزامات في الخدمات:

تقدم الدولة جدولاً بالالتزامات التي ستتبعها في قطاع
الخدمات يشتمل على قائمة بالحواجز والشروط التي
تعرّض القطاعات والنشاطات المهنية الخدماتية ووضع
جدول زمني لإزالتها.

3. التزام باتفاقيات منظمة التجارة العالمية:

تتعهد الدولة الراغبة في الانضمام إلى منظمة التجارة
العالمية بالتوقيع على بروتوكول انضمام يشمل الموافقة
على تطبيق والالتزام بجميع اتفاقيات منظمة التجارة العالمية.

إجراءات التقديم والقبول:

يتم قبول دولة ما في عضوية المنظمة عن طريق تقديم الدولة الراغبة بطلب العضوية رفقة قائمة تشمل تخفيضات في التعريفات الجمركية تكون أساسا للتفاوض.

منظمة التجارة العالمية ومشروع العولمة :

تسعى هذه المنظمة بالأساس إلى تنفيذ مشروع العولمة على المستويين الاقتصادي والتجاري من خلال إدماج الاقتصاديات المختلفة في الاقتصاد العالمي. وتضم منظمة التجارة العالمية 146 دولة حتى 2003 و تشارك بنحو 95 % من حجم التجارة الدولية.

ولتجسيد واقع العولمة¹ تعمل هذه المنظمة علي:

1. حماية المنافسة بمكافحة الممارسات التجارية غير العادلة مثل

قضية الدعم الحكومي للصادرات أو لجوء بعض المصدرين إلى تخفيض أسعار المنتجات المصدرة عن المحلية.

2. إزالة كافة الحواجز الجمركية التي تقف أمام حركة التجارة (السلع، الخدمات، الأفكار...

3. دفع الدول على ابتكار مزايا تنافسية في المجالين الاقتصادي والتجاري.

والخلاصة ان الرأسمالية كما قال احد الكتاب تطورت بصورة مذهلة بفضل تكثيف التجارة الخارجية²

هل حققت منظمة التجارة اهدافها التي انشئت لأجلها؟

لا شك أن قيام منظمة التجارة العالمية قد أنهى نهائيا أثار تعددية الأقطاب والإيديولوجيات التي شهدتها مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت هذه المنظمة آلية من اليات النظام العالمي الجديد

¹ - يستشهد الكاتب يحيى اليحياوي بشأن واقع العولمة بمقولة المدير العام للمنظمة العالمية للتجارة الذي قال: "العولمة واقع ليست اختيارا ، واقع يبدأ بنا وبحياتنا اليومية، ففي الصباح نستيقظ على جهاز راديو ياباني مجمع بماليزيا، وتتناول القهوة الواردة من كولومبيا، ونستقل سيارتنا المصنوعة بفرنسا لكن 50% من أجزائها تأتي من كل أنحاء العالم، ثم نتجه إلى المكتب حيث الحاسب، وكل الأجهزة الأخرى المنتجة، بمعظم مناطق العالم.العولمة واقع في حياتنا اليومية ليست اختيارا." انظر يحيى اليحياوي، "العولمة أنة عولمة؟" أفريقيا الشرق، المغرب 1999 .ص:18 .

² -Jean Servier, l'idéologie ,1^{er} édition, presses universitaire de France, Paris, 1982 P : 71

تعمل إلى جانب الصندوق النقد الدولي والبنك الدولي في خندق ايدولوجي يخضع لسيطرة اصحاب النفوذ والقرار. لقد دعت المنظمة إلى التحرير الكامل والشامل للتجارة الدولية على أساس أن هذه العملية قد تجلب الخير للعالم أجمع غير أنها تجاوزت هذه المطالب لتشمل الحواجز غير الجمركية مثل المعايير والمواصفات الخاصة بالمنتجات و السياسات الحكومية بشأن الواردات غير أن الملاحظ هو أن هذه التجارة العالمية التي كان ينتظر منها تفعيل الاقتصاد العالمي بما يناسب الجميع من خلال الفرص التي يتيحها لهم هو أن الدول النامية لم تحقق إدماجها الكامل في هذا الاقتصاد العالم. فنظرًا للخلل في موازين القوى بينها وبين الدول العظمى وجدت نفسها على الهامش، بل سجلت نسبا كبرى في مستويات الفقر و البطالة و تدهورا في الأوضاع الصحية والبيئية.

ومثال على ذلك نجد إفريقيا التي يمثل سكانها 12 % من عدد سكان العالم لا تزيد حصتها من التجارة العالمية على 2 % ونفس الشيء بالنسبة للاستثمار فلم تحصل خلال الفترة الممتدة بين 1991 و 1994 على أكثر من 1,5 % من إجمالي الاستثمارات الاجنبية¹

الآثار السلبية الناتجة عن الانضمام الى منظمة التجارة العالمية :

إن المشاكل التي طرحتها التجارة الدولية كانت نقطة البداية لتطور الاقتصاد السياسي²

ويسجل بعض المفكرين على منظمة التجارة العالمية مجموعة من **السلبيات** منها:

1. تملي السياسات على الحكومات.
2. تعمل على تحرير التجارة منهما كان المقابل.
3. تغليب المصالح التجارية على التطور والبيئة والصحة والسلام.
4. تقضي على فرص التوظيف وتزيد من حدة الفقر.
5. أن الدول الصغيرة لا حول لها ولا قوة في هذه المنظمة.
6. أنها أداة في يد اللوبيات الاقتصادية (مصالح الضغط).
7. أن الدول الأضعف مجبرة على الانضمام إلى هذه المنظمة.

اقتراحات بشأن انضمام الدول العربية إلى منظمة الدول العربية

¹ - سمير صارم، "معركة سياتل حرب من أجل الهيمنة"، ص: 12.

² Mac Grawhill, *économie moderne*, Paris, 1982, P: 9

إزاء التحديات أو المخاطر التي يمكن أن يطرحها تطبيق متطلبات الاتفاقية الخاصة بانضمام الدول العربية الى منظمة التجارة العالمية على هذه الدول كعدم قدرة قطاع الصناعات غير النفطية لديها على المنافسة والعوائق غير الجمركية التي توضع أمام صادراتها من الصناعات البتروكيمياوية والصناعات المعدنية الأساسية، فإننا نقترح على صانعي القرار بالانضمام لهذه المنظمة ولكن باعتماد المنهج التدريجي "Gradual Approach" القائم على أساس التحرير التدريجي للتجارة الدولية في السلع الصناعية من خلال إزالة وتخفيض التعريفات الجمركية وإزالة العوائق غير التجارية، حيث تؤكد الدراسات العلمية أن تطبيق هذا النموذج قد ساهم في زيادة معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في كثير من الدول ومنها بولندا والصين ومن منظور اقتصادي تام فإننا نرى ما يلي:

- 1- أن تبدأ مرحلة التحرير التدريجي للتجارة في السلع الصناعية التي تتمتع فيها الدول العربية (كل حسب حالتها) بقدرة تنافسية عالية، كسلع البتروكيمياويات والصناعات المعدنية الأساسية، التي ما زال الكثير من الدول المتقدمة غير متحمس لتحريرها بالمقارنة مع سلع أخرى لا تعد ذات أهمية كبيرة في هيكل الصناعة التحويلية العربية.
- 2- يجب التباحث مع الدول الصناعية على تخفيض الضرائب على البترول ومنتجاته والتي أثرت على أسعاره للمستهلك النهائي وبالتالي حدت من الطلب عليه.
- 3- حث الدول الصناعية على إعادة النظر في سياسات الطاقة لديها وبخاصة المتعلق منها بتشجيع استخدام أنواع الوقود البديل بذريعة تحقيق أمن الطاقة أو المحافظة على سلامة البيئة.
- 4- يجب أن يراعى عند التفاوض مع المنظمة حول مبدأ تحرير التجارة الدولية ضرورة أن يؤدي تطبيق مثل هذه السياسة إلى إحداث تغيير متوازن في الهيكل الإنتاجي للاقتصاد العربي ويعمل على تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة مبنية على زيادة في معدل التصنيع.
- 5- إن الانضمام للمنظمة يجب أن يرافقه مجموعة من الإصلاحات في هيكل الاقتصاد العربي.
- 7- أيضاً يجب أن نركز في مفاوضاتنا على ضرورة أن يكون للعرب دور فاعل ومشارك في عملية صنع القرار في أي لجنة من اللجان العاملة في المنظمة كي يتاح لهم الدفاع عن مصالحهم.
- 8- كما يجب انضمام العرب للمنظمة عاجلاً أم آجلاً، العمل على الارتقاء بقدراتنا الوطنية في مجال تكنولوجيا المعلومات والانطلاقة العالمية للتجارة الإلكترونية وذلك من خلال المنظمة والاتفاقيات الدولية، والانضمام للاتفاقيات ذات الصلة ضمن إطار منظمة التجارة العالمية.

من الآليات الكبرى التي عملت على تكريس واقع العولمة الاقتصادية نجد:

البنك الدولي:

هو مؤسسة مالية ومتعامل مصرفي¹ أنشئت سنة 1945، و بدأ النشاط بها في جوان 1946، و كانت الحاجة الماسة لإنشاء هذا البنك هي توفير رأس المال الوفير لإعادة بناء و تعمير ما دمرته الحرب العالمية الثانية . وهو أساس مجموعة البنك العالمية²

يتوفر البنك على خمس مؤسسات وثيقة الترابط وهي:

-**البنك الدولي للإنشاء والتعمير** الذي يقرض البلدان النامية التي يكون متوسط الدخل الفردي فيها عالي نسبيا.

-**المؤسسة الإنمائية الدولية** التي تقدم القروض بدون فائدة إلى أفقر البلدان النامية.

-**هيئة التمويل الدولية** التي تشجع النمو في البلدان النامية بتوفير الدعم للقطاع الخاص.

-**وكالة ضمان الاستثمار المتعدد الأطراف** التي توفر ضمانات للمستثمرين الأجانب ضد الخسارة الناجمة عن المخاطر غير التجارية.

-**المركز الدولي لتسوية منازعات الاستثمار** الذي يشجع الاستثمار الدولي عن طريق التوفيق والتحكيم في المنازعات الاستثمارية التي تنشأ بين المستثمرين الأجانب و البلدان المضيفة.

وظائف البنك الدولي :

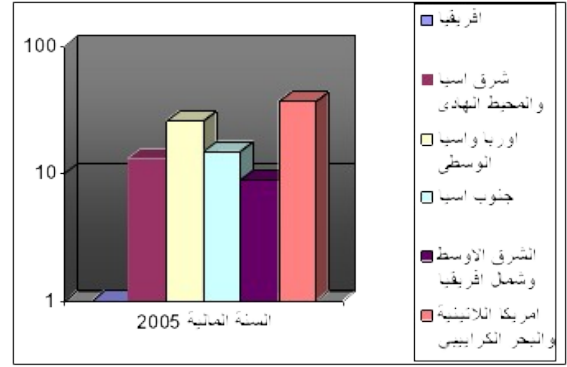
تتلخص وظائف البنك الدولي فيما يلي :

- 1 () -تقديم القروض و ضماناتها إلى الدول الأعضاء لغرض الاستثمار.
- 2)-تشجيع الاستثمار الخاص الذي يضمن نمو و توسيع القطاع الخاص.
- 3)-فض المنازعات المالية بين الدول الأعضاء.
- 4)-تدريب موظفي حكومات الدول الأعضاء على إدارة التنمية ومراقبة الإصلاح الاقتصادي.
- 5)-العمل على حماية البيئة.

ويمثل الجدول الموالي مجموع اقراض البنك الدولي حسب المناطق للسنة المالية 2005

¹ Christopher .L , Gilbert David Vines , the world bank structure and policies ,Cambridge university press , first published 2000 , p : 17

² Ibid ,p : 12



إن البنك الدولي يسعى إلى مساعدة الدول على فتح الأسواق وتقوية الاقتصاديات، ويجعل من تحسين نوعية الحياة وزيادة الرخاء للناس، في كل مكان خاصة في أفقر المناطق من العالم رسالته الأساسية.

أما عن توفير القروض لحكومات البلدان النامية فهي من أجل تشجيع النمو الاقتصادي و تمويل الاستثمار الذي يساعد على الاستقرار. جاء في تقرير البنك الدولي لعام 2005 أن اقتصاد منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا قد حقق نمواً بلغ متوسط 4,7 % من عام 2002 إلى 2005¹ وترتكز إستراتيجية البنك في هذه المنطقة على خمسة تحديات هي:

1. تدعيم نظام الإدارة العامة وإدارة شؤون القطاع العام،
 2. تشجيع تنمية القطاع الخاص والعمالة،
 3. تعزيز نوعية التعليم بما يحسن قدرة هذه المنطقة على المنافسة في الاقتصاد العالمي
 4. ضمان تكافؤ الفرص بالنسبة للرجال والنساء،
 5. إدارة الثروة المائية والاقتصاد في استهلاكها.
- وفي هذا الإطار قام البنك الدولي بإقراض مبلغ 1,3 بليون دولار لبلدان هذه المنطقة في السنة المالية 2005م² وقد تم توجيه معظم هذه المساعدات من خلال موارد مالية من البنك الدولي للإنشاء والتعمير إلى بلدان متوسطة الدخل ونبين في الجدول الموالي توزيع هذه المساعدات حسب محاور التركيز ومحاور القطاع
- اقراض البنك الدولي للإنشاء والتعمير والمؤسسة الدولية للتنمية حسب محاور التركيز السنة المالية 2005 (الحصة من المجموع البالغ 1,3 بليون دولار)**

النسبة المئوية

13%
12%
21%

محور التركيز

تنمية القطاع المالي والقطاع الخاص
إدارة البيئة والموارد الطبيعية
التنمية الحضرية

¹ التقرير السنوي للبنك الدولي 2005 م
² التقرير السنوي للبنك الدولي 2005 م

12%	التنمية الريفية
7%	التنمية البشرية
1%	سيادة القانون
13%	إدارة القطاع العام
4%	إدارة الاقتصاد
8%	الحماية الاجتماعية وإدارة المخاطر
10%	التنمية الاجتماعية والمساواة بين الجنسين

إقراض البنك الدولي للإنشاء والتعمير والمؤسسة الدولية للتنمية حسب القطاعات السنة المالية 2005 (الحصة من المجموع البالغ 1,3 بليون دولار)¹

النسبة المئوية	القطاع
10 %	التعليم
11%	التمويل
18%	امدادات المياه والصرف الصحي والوقاية من الفيضانات
18%	الزراعة والصيد
18%	القانون والعدالة والادارة العامة
22%	الصناعة والتجارة
اقل من 1%	الطاقة والتعدين
2%	النقل
اقل من 1 %	الرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية
1%	المعلومات والاتصال

إقراض البنك الدولي (حسب محاور التركيز والقطاعات خلال الفترة 2000-2005 بملايين الدولارات)

2005	2004	2003	2002	2001	2000	محاور التركيز
594,6	428,6	777,8	1408,0	3 ,895	799,6	إدارة الاقتصاد
8, 2493	1304,6	1102,6	924,0	1354,6	1829,4	البيئة والموارد الطبيعية
0, 3862	4176,6	2882,9	5055,4	3940,9	3368,4	تنمية القطاعين المالي و الخاص
2951,0	3079,5	3374,0	1, 1756	1134,7	1190,3	التنمية البشرية
2636,4	9, 3373	2464,1	4247,2	2053,7	2142,5	إدارة القطاع العام
303,8	503,4	9, 530	273,2	410,0	373,6	سيادة القانون
2802,2	1507,8	1910,9	1600,0	1822,3	7, 1413	التنمية الريفية

¹ التقرير السنوي للبنك الدولي 2005 م

8, 1285	1557,8	1003,1	1385,7	1469,7	800,8	التنمية الاجتماعية
2437,6	1577,0	2324,5	1086,4	0, 1651	0, 1895	الحماية الاجتماعية وإدارة المخاطر
0, 1079	1212,7	566,3	9, 300	1059,9	426,4	التجارة والتكامل
1860,0	1358,1	3, 1576	1482,4	1458,6	1036,6	التنمية الحضرية
22307,0	20079,9	18513,2	4, 19519	17250,6	15276,2	مجموع محاور التركيز

2005	2004	2003	2002	2001	2000	القطاع
1933,6	1386,1	1213,2	1247,9	695,5	837,5	الزراعة والصيد
1951,1	1684,5	2348,7	1384,6	1094,7	728,1	التعليم
7, 1822	966,5	1088,4	1974,6	1530,7	1572,4	الطاقة والتعدين
1675,1	1808,9	1446,3	2710,8	2246,3	1571,6	التمويل
2216,4	2997,1	3442,6	2366,1	2, 2521	7, 1491	الرعاية الصحية والخدمة الاجتماعية
1629,4	797,9	7, 796	1394,5	718,3	1036,7	الصناعة والتجارة
190,9	90,9	115,3	153,2	216,9	273,8	المعلومات والاتصالات
5569,3	4978,6	3956,5	5351,2	3850,2	4534,6	القانون والإدارة العامة
3138,2	3777,8	2727,3	2390,5	3105,2	1717,2	النقل
2180,2	2591,6	1378,3	546,0	1271,7	6, 1512	إمدادات المياه والصرف الصحي
22307,0	20079,9	18513,2	19519,4	17250,6	2, 15276	مجموع القطاعات
13611,0	11045,4	11230,7	11451,8	10487,1	10918,6	منه البنك الدولي للإنشاء والتعمير
8696,1	9034,4	7282,5	6, 8067	6763,6	4357,6	منه المؤسسة الدولية للتنمية

وعلى الرغم من إن البنك الدولي يسعى إلى التخفيف من الفقر فإن عدد الفقراء يبقى كبيراً جداً حسب تقارير الأمم المتحدة¹. فمنهم:

3 بلايين يعيشون على الأقل من دولارين في اليوم².
 1,3 بليون يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم.
 مائة مليون يبيتون في العراء كل ليلة.
 أكثر من بليون يفتقرون إلى المياه الصالحة للشرب.
 مئات الآلاف من النساء يمتن في ظروف متصلة بالولادة وذلك بسبب التقصير في العلاج ونقص الخدمات الصحية .
 ما يقرب من 40 مليون طفل يموتون سنوياً بسبب أمراض متعددة. ومشهد الطفولة

يبدو قمة في الإثارة حين نشاهد ونقرأ عن ثروات أغنياء العالم. وفي الجانب الآخر من المشهد نرى مئات الملايين من أطفال شعوب الجنوب يولدون فقراء ومديونين! ، وفي هذا السياق نذكر تقرير لليونيسيف بعنوان: (مسيرة الأمم 2000م) أن: "30 مليون طفل رضيع في العالم النامي لا يتم تحصينهم قبل عيد ميلادهم الأول. وأن أكثر من (900) ألف طفل يموتون سنوياً بالحصبة. إضافة إلى (370) ألف طفل، يموتون

¹- www.Un.org/arabic/publications/ourlives/bank.htm.

² - عادل المهدي، عولمة النظام الاقتصادي العالمي، ومنظمة التجارة العالمية الدار المصرية اللبنانية ط 2004 ص 371.

دون سن الخامسة من السعال الديكي، و (50) ألف طفل يموتون من السل، وأن 50% من النساء الحوامل لا يتم تحصينهم ضد كزاز الأمهات الذي يقتل (30) ألف أم سنوياً¹.

وتبدو الأمور أكثر مأساوية حين ندرك أن الأمراض السارية كالمalaria لا زالت موجودة في القرن (21) قرن الإنترنت، والتطور المذهل للطب. وتحصد كل عام أرواح الملايين من أبناء الجنوب وأطفالهم نتيجة انعدام اللقاحات الفعالة والأدوية الصالحة.

ويؤكد التقرير العالمي للكوارث عام 2000 م، للاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر أن:

"(2.6) مليون شخص يموتون من حمى الملاريا سنوياً، وأن 70% منهم من الأطفال أي (1.820.000)، طفل وطفلة، معظمهم من أبناء الجنوب، وكان يمكن إنقاذ نسبة كبيرة من المتوفين بكلفة دولار للشخص الواحد"².

أنه لا قيمة لحياة أطفال الجنوب، في أجندة أصحاب الاحتكارات وأنظمتها، وبالفعل "مات خلال عام واحد (11) مليون طفل قبل بلوغهم سن الخامسة بسبب أمراض كان من الممكن تفاديها، مثل الالتهابات التنفسية، والإسهال، وغيرها، وفقد أكثر من (10) مليون طفل أحد أو كلا الوالدين بسبب الإيدز". كما أكد تقرير لليونيسيف عن واقع الأطفال العام/2001م.

و الأدهى أن مئات الملايين من أطفال الجنوب وأسرههم تفتقد الماء النظيف الصالح للشرب، وتشرب مياهًا ملوثة، فيما تنعدم في أماكن السكن مرافق الصرف الصحي، والنظافة الشخصية، مما يتركهم فريسة للأمراض، ويزهق أرواح الملايين منهم. ويورد تقرير لليونيسيف لعام 2001م أنه:

يموت سنوياً حوالي مليوني طفل بسبب أمراض مرتبطة بعدم توافر المياه الصالحة للشرب، ومرافق الصرف الصحي المأمونة، والنظافة الشخصية. وتتصدّر أمراض الإسهال قائمة هذه الأمراض³.

هذا الواقع المرير الذي يسقط فيه سنوياً ملايين الأطفال في قبضة الموت إذا عكس شيئاً فهو يعكس بوضوح الفقر المذهل الذي يعاني منه مئات الملايين من الأطفال. ويؤكد تقرير لمنظمة الأمم المتحدة عن الطفل في القرن (21) أن: "(150) مليون طفل يعانون من سوء التغذية"⁴.

وقد أشار تقرير البنك الدولي للتنمية في العالم لعام 2003 إلى أن متوسط الدخل في أغنى 20 دولة يعادل 37 ضعفاً لمتوسط الدخل

1. النهار 13/6/2000 ص13.

2- مجلة الكفاح العربي، 1/7/2000 ص24.

3- البعث، 26/3/2000 ص12.

4 - السفير، 12/6/2001 ص22.

في أفقر 20 دولة في العالم وقد وصل عدد الدول الأكثر فقراً حالياً إلى 49 دولة¹.

أما عن المديونية فهي في تتفاقم سنوياً وهو ما يزيد من تعميق الأزمة حيث ارتفعت المديونية الإجمالية لبلدان العالم الثالث من 610 إلى 910 إلى نحو 2000 مليار دولار في الأعوام 1980 و1984 و1995 على التوالي. وهذه المديونية المتراكمة على مر السنين " تلتف على عنق البلدان المدينة كحبل المشنقة"².

و ما يزيد الطين بلة أن مئات الملايين من الأطفال الفقراء ليسوا على مقاعد الدراسة، والفقر هو السبب الرئيسي. ويورد تقرير لليونيسيف عن واقع الأطفال/2001م أن " (20%) من أطفال البلدان النامية ليسوا على مقاعد الدراسة".

و يبدو بؤس الأطفال أكثر وضوحاً، حين ندرك أن الفقر المدقع قد دفع جزءاً منهم إلى سوق العمل و أن شطراً آخر منهم قد تشرد فعلاً، و لم يجد مكاناً آمناً للنوم و الإقامة. ويذكر تقرير التنمية البشرية للعام / 2000م، الذي نشره برنامج الأمم المتحدة للتنمية أن: " (100) مليون طفل يعيشون أو يعملون في الشوارع"³. وغالباً ما يتعرض بعضهم لثقافة السوق المعولمة الملوثة، وأذاها و ويلاتها. ويشكلون صيداً سهلاً لبؤر الفساد المحلية. وللمافيا العالمية المنتشرة في معظم دول العالم. يقول **آدم ليريك**⁴، في مقال له تحت عنوان **هبات لفقراء**

العالم: مساعدات أكثر بنفس الكلفة : "ينبغي على مصارف التنمية المتعددة الأطراف تقديم هبات، وهي ليست قروضا، إلى الدول الفقيرة في العالم."⁵

يرفض **ليريك** الحجج التي تقول إن هذا الأسلوب سوف يستنزف موارد البنك الدولي. ويضيف أن الهبات لن تكلف أكثر من القروض؛ واحتياجات التمويل ستبقى كما هي إذا بقي مستوى المساعدة مماثلاً. ويقترح أن تقوم أسواق الرساميل بتمويل برامج التنمية بعد التأكد من الحصول على دفعات من البنك مقابل الخدمات.

¹ عادل المهدي، "عولمة النظام الاقتصادي العالمي، ومنظمة التجارة العالمية" ص: 377.

² رزق الله هيلان، "مقدمات اقتصادية لعصر ينتهي"، ص: 164.

³ -الكفاح العربي 1/7/2000 / ص: 5

⁴ مدير، مركز عايوت للسياسة العامة، وأستاذ علم الاقتصاد في جامعة كارنيجي ميلون، عمل ليريك في السابق مستشاراً لرئيس اللجنة الاستشارية في مؤسسة التمويل الدولي- لجنة ملتزر - التابعة لحكومة الولايات المتحدة.

⁵ آدم ليرك - هبات لفقراء العالم: مساعدات أكثر بنفس الكلفة - مجلة مواقف اقتصادية - مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية - سبتمبر 2001
<http://usinfo/state/gov/journals>

ويقول : " تشير رؤية طفل جائع في أي مكان من العالم الانزعاج على موائد عشاء المتخمين إلى درجة أن أي كمية من الأدوية المضادة للحموضة لا يمكنها أن تخفف من ذلك الانزعاج. إن عدم تقديم العون إلى الدول المحتاجة لم يعد خياراً مقبولاً. بل أن زيادة المساعدات هي على كل لائحة. لكن كيف يمكن توزيعها بحكمة، وبصورة فعالة، ومباشرة لمصلحة الفقير؟

وينتقد **ادم ليرك** سياسة البنك الدولي فيقول : "في جميع الحوارات، تم توجيه اهتمام ضئيل إلى السجل التعس للمساعدات السابقة أو إلى الإشراف خلال الخمسين سنة الماضية للبنك الدولي على تدفقات مالية بقيمة 500 ألف مليون دولار من الدول الصناعية. حسب تقدير البنك، فإن أقل من مشروع واحد من كل ثلاثة من مشاريعه التي نفذها في الدول الأكثر فقراً أعطى نتائج مرضية وقابلة للاستدامة. تحمل اثنتان وأربعون دولة محتاجة الآن عبئاً قدره 175 ألف مليون دولار على شكل ديون رسمية التي من الواضح أنها لن تستطيع تسديدها، كما لم تستفد منها بشيء إلا الهبوط بنسبة 25 بالمئة في مستوى معيشتها منذ عام 1980".¹

اقترح **ليرك** تقديم هبات مباشرة لتحقيق تحسينات أساسية في مستويات المعيشة والبنية التحتية التي تعتبر أساس كل صعود من الفقر إلى الإنتاجية.

والهبات ليست أمراً جديداً، ولكن يعاد تصميمها لكي تكون ناجحة مع مراعاة :

- التركيز على مشاريع لها أهداف يمكن تقييم نتائجها بسهولة كالتلقيح ضد الأمراض، ومكافحة الأمية، ومعالجة المياه والكهرباء.
- التنفيذ بموجب عروض تنافسية مع اعتماد كبير على المهارات المتخصصة للمجهزين السريعي التحرك من القطاع الخاص والمؤسسات الخيرية.
- تقاسم التكاليف بين الدولة المانحة والدولة المستفيدة على أساس مقياس تدريجي حسب الحاجة.
- تسديد دفعات الهبات تبعاً للأداء فقط، وحسب قياسه من قبل مدققين مستقلين.

ويوضح ذلك بمثال فيقول: دولة يبلغ الدخل السنوي للفرد فيها 250 دولاراً أميركياً تتأهل للحصول على نسبة 90 بالمائة من مصادر الهبة تقرر أن تلقيح أطفالها ضد الحصبة هو هدف مرغوب فيه. إذا وافق البنك

¹ ادم ليرك - هبات لفقراء العالم: مساعدات أكثر بنفس الكلفة - مجلة مواقف اقتصادية - مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية - سبتمبر 2001
<http://usinfo/state/gov/journals>

الدولي على هذه الضرورة تتقدم حكومة الدولة بطلب الحصول على عروض أسعار تنافسية من ممثلي القطاع الخاص، ومن هيئات غير حكومية كالمؤسسات الخيرية، ومن هيئات القطاع العام كوزارة الصحة. إذا كان العرض الأدنى المقبول يبلغ 5 دولارات لكل لقاح، يوافق البنك الدولي على دفع مبلغ 4.50 دولار (نسبة 90%) لكل طفل يلحق مباشرة من قبل المجهّز، وتكون الحكومة مسؤولة عن تسديد الثمن المتبقي البالغ 0.50 دولار (10%). تُسدد الدفعات فقط بعد تقديم شهادات من قبل وكيل مستقل عن كافة المشاركين- الحكومة، والبنك الدولي، ومجهز اللقاحات- تثبت بأنه تمّ بالفعل إعطاء اللقاحات للأطفال¹.

يقول آدم ليرك: "تأتي مساعدة البنك الدولي المقدمة إلى الدول ذات الاقتصاد الأكثر فقراً من المؤسسة الدولية للتنمية (IDA)، التي تقدم في كل عام حوالي 6 آلاف مليون دولار على شكل قروض بدون فائدة تقريباً إلى 72 دولة ذات دخل فردي سنوي يقل عن 1,500 دولار. من بين هذه الدول هناك 59 دولة محرومة أكثر من غيرها، حيث يعيش السكان على دخل يومي فردي يقل عن دولارين. تمثل هذه القروض نسبة 33% من مجموع قروض البنك الدولي. وكلما زاد فقر الدولة، كلما زادت حاجتها للهبات. حالياً، وبموجب شروط المؤسسة الدولية للتنمية، يستفيد جميع مستلمي الهبات من نفس الإعانات في التمويل، رغم أن بعضهم أقل فقراً بوضوح من الآخرين وأن بعضهم يستطيعون إيجاد موارد مالية محلية ومن أسواق الرساميل في الخارج. إذا تمّ تحويل كافة تدفقات المساعدات التي تقدمها المؤسسة الدولية للتنمية إلى شكل هبات، وإذا تحوّل عنصر المساعدة ليصبح على أساس مقياس تدرجي يستند إلى الحاجة - من هبات بنسبة 90 بالمائة للدول الأكثر فقراً إلى 50 بالمائة للدول التي تقترب من وسط المقياس- يكون المعدل ما بين 70 و75 بالمائة، وهذا مماثل للمعدل الإجمالي الحالي لإعانات القروض ولكن توزيع المساعدات يصبح أكثر إنصافاً. لن تقف الدول الفقيرة متفرجة في عملية منح الهبات. فهي تُشكّل الصوت المقرر في اختيار البرامج، وبترافق ذلك مع التزام التسديد المشترك المباشر حتى لا ينمو الدين ليصبح غير قابل للتحميل، فتصبح بذلك محمية ضد المخاطر. وبموجب مبدأ الهبات التي تسدد حسب القدرة، لا يمكن أن يوجد إنفاق دون فوائد، ولا التزام مالي مستمر في

¹ آدم ليرك ، "هبات لفقراء العالم: مساعدات أكثر بنفس الكلفة"، مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية ، سبتمبر 2001
<http://usinfo/state/gov/journals>

حال فشل المشروع. فأخطار الاداء تقع عند ذلك على عاتق القطاع الخاص¹.

نظرة نقدية:

يعتبر البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي حماية العولمة² وتوصف هذه المؤسسات بالخطيرة و يستعمل مدير منظمة اطاك ATTAC وهو مدير جريدة لوموند ديبلوماتيك³ كلمة العولمة الليبرالية⁴ عن الظاهرة المسماة Globalisation إن ما يمكن قوله عن صندوق النقد الدولي و البنك الدولي نفس الأمر الذي يقال عن النظام الرأسمالي باعتبارهما مؤسستان رأسماليتان، و عليه فان وظيفتهما لا تخرج عن خدمة النظام الرأسمالي و خاصة أصحاب المصالح داخل هذا النظام و ليس تنمية البلدان المتخلفة والنامية.

و من ناحية أخرى فإنهما ليستا مؤسستين فوق الدول بحيث تفرض إرادتهما عليها جميعاً وبدون استثناء وإنما لا يخرجان عن قواعد اللعبة الرأسمالية (القوي يفرض قوته على الضعيف).

و في اعتقادنا أن هذه المؤسسات عاجزة عن إحداث التنمية أو حتى على حل مشاكل العالم الثالث و التي تسببت فيها الرأسمالية بفضل حروبها و سعيها نحو تعظيم ربحها. فالفقر، والتخلف، و العنف ، والبطالة، و تلوث البيئة، و الجريمة المنظمة، و تجارة المخدرات و غيرها من مثل هذه المشكلات ليس من السهل القضاء عليها. ومع تزايد خطر أزمة المديونية وتراجع معدلات النمو الاقتصادي و اتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء تعرضت مؤسسات التمويل لانتقادات كبيرة من قبل العديد من الاقتصاديين⁵ ومن اسباب ذلك حسب رزق الله هيلان في كتابه " مقدمات اقتصادية لعصر ينتهي " :

- 1/ الهيمنة الأمريكية على إدارتها .
- 2/ ضالة دورهما وعجزهما عن تطبيق برنامج التكييف الهيكلي على الدول الصناعية الكبرى والاقتصار على فرضه على الدول النامية.
- 3/ العجز الكامل في القضاء على ظاهرة المديونية.

التعاون مع المؤسسات الأخرى :

¹ ادم ليرك ، "هبات لفقراء العالم: مساعدات أكثر بنفس الكلفة" ، مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية ، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>

² Bernard Cassen, « Reconquérir les espaces démocratiques confisqués par la mondialisation libérale », conférence au centre George Pompidou, le 03-4-2006.

³ - le monde diplomatique

⁴ Bernard Cassen, « Reconquérir les espaces démocratiques confisqués par la mondialisation libérale », conférence au centre George Pompidou, le 03-4-2006.

⁵ - رزق الله هيلان، مقدمات اقتصادية لعصر ينتهي، ص: 166 .

يتعاون البنك الدولي مع صندوق النقد الدولي تعاوناً نشطاً مع وبنوك التنمية الإقليمية ومنظمة التجارة العالمية ووكالات الأمم المتحدة والهيئات الدولية الأخرى، وهي مؤسسات لكل منها مجال تخصص معين ومساهمة خاصة في الاقتصاد العالمي، ويتسم تعاون الصندوق مع البنك الدولي في مجال الحد من الفقر بطابع وثيق خاص، لأن البنك، وليس الصندوق، هو صاحب الخبرة في مجال مساعدة البلدان على تحسين سياساتها الاجتماعية .

ومن المجالات الأخرى التي يتعاون فيها الصندوق والبنك الدولي تعاوناً وثيقاً، عمليات تقييم القطاعات المالية في البلدان الأعضاء، بهدف الكشف عن جوانب الضعف في نظمها، ووضع المعايير والمواثيق، وتحسين نوعية بيانات الدين الخارجي ومدى توفرها ونطاق شمولها. أما عن مشكلة الديون وسبل تخفيف عبئها فيقول كوهلر: "يشكل تخفيف عبء الديون أيضاً جزءاً متكاملاً من المفهوم الشامل لتخفيض مستوى الفقر. لقد بادر صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في قيادة هذا المجهود بموجب المبادرة المعززة لمساعدة الدول الفقيرة المثقلة بالديون وقد أمّن ذلك حتى الآن تخفيف مبلغ 25 ألف مليون دولار من الديون المستحقة على تسع عشرة دولة أفريقية ما أدى إلى خفض نسبة خدمة الدين مقابل الصادرات بحوالي النصف (من 18 بالمئة في 1998 - 2000 إلى حوالي 9 بالمئة في 2001-2005). يؤمن تخفيف عبء الديون بموجب هذه المبادرة وفعلاً في الميزانيات السنوية لهذه الدول تتراوح نسبته بين 1 و2.5 بالمئة من إجمالي الناتج الوطني، مما يسمح بزيادات مهمة في الإنفاق لصالح الفقراء. أني اعتقد بالفعل انه من مصلحة الدول المستفيدة من مبادرة مساعدة الدول الفقيرة المثقلة بالديون بالذات المتابعة الفعالة لاستعمال الموارد التي حررتها هذه المبادرة لكي تُظهر لشعوبها - كما لمجموعة الدول المانحة - بأنها تستعمل هذه الموارد بصورة جيدة لتخفيض مستوى الفقر. أننا نقوم بأقصى ما نستطيع لتوسيع فوائد هذه المبادرة بحيث تشمل بقية الدول المؤهلة للاستفادة منها. خلال هذه العملية سوف نعزز جهودنا لتلبية الاحتياجات الخاصة للدول الخارجة من النزاعات ومن ضمن ذلك إعانات لتسديد الفوائد المستحقة على مساعدات صندوق النقد الدولي الطارئة بعد انتهاء النزاع- كما أرحب بقرار الدول السبعة الكبار وغيرهم من الدول المانحة بتقديم إعفاءات لاحقة بنسبة 100 بالمئة من مطالباتها بموجب الاتفاقيات الثنائية الجوانب من خلال هذه المبادرة.

لكن علينا ان نكون واضحين أيضاً بأن تخفيف عبء الديون لا يُشكّل دواءً لجميع الأمراض.¹

أما الآلية الاخرى التي عملت على تكريس واقع العولمة الاقتصادية فهي:

صندوق النقد الدولي:

فما هو صندوق النقد الدولي؟

لابد أن نشير إلى أن أغلب المعلومات الهامة الواردة في هذا الباب بشأن صندوق النقد الدولي استقيناها من موقع الصندوق على شبكة الإنترنت،² تحرياً للحقيقة ثم سلطنا عليها الضوء تعليقا وتحليلا ومناقشة. صندوق النقد الدولي هو وكالة متخصصة من وكالات منظومة الأمم المتحدة، أنشئ بموجب معاهدة دولية في عام 1945، للعمل على تعزيز سلامة الاقتصاد العالمي. ويقع مقر الصندوق في واشنطن العاصمة الأمريكية.

أنشئ هذا الصندوق بموجب **إتفاقية بريتون وودز** بنيوهمشير بالولايات المتحدة الأمريكية في 22 جويلية 1944، بحضور 45 دولة من أعضاء في الجات وتجسد بصورة كلية في 27 ديسمبر 1945 بحضور 29 دولة أمضت القرار.³

وتضم هذه المنظمة المالية 184 دولة عضو⁴ تكمن وظيفتها الأساسية في دعم إستقرار الصرف، والمحافظة على التدابير المنظمة للصرف بين الدول الأعضاء، وإزالة القيود المفروضة على الصرف الأجنبي، و التي تعوق نحو التجارة الدولية. كما يعمل الصندوق على:

- تقديم المعونة الفنية قصد معالجة المشكلات المالية و النقدية في الدول الأعضاء من طرف موظفيه و خبراءه.
- تقديم برامج تدريبية في مجالات التحليل المالي و السياسات النقدية و الاقتصادية و سياسة الصندوق و نشاطاته.
- التنسيق الفعال ما بين نشاط الصندوق و نشاط البنك الدولي لفرض خدمة الاقتصاد العالمي.

¹- هورست كوهلر، "شراكة عالمية في التنمية الاقتصادية الإفريقية" - مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>

² - www.imf.org

³ - Margaret Garristsen de vries, "The IMF in a changing world 1945-1985" international monetary fund Washington DC 1986 library of congress cataloging in publication DATA ,P :03

⁴ انظر الموقع الالكتروني لصندوق النقد الدولي (www.imf.org)

صندوق النقد الدولي هو المؤسسة المركزية في النظام النقدي الدولي - أي نظام المدفوعات الدولية وأسعار صرف العملات الذي يسمح بإجراء المعاملات التجارية بين البلدان المختلفة. يعمل الصندوق على منع وقوع الأزمات في العالم عن طريق تشجيع البلدان المختلفة على اعتماد سياسات اقتصادية سليمة، كما أنه - كما يتضح من اسمه - صندوق يمكن أن يستفيد من موارده الأعضاء الذين يحتاجون إلى التمويل المؤقت، لمعالجة ما يتعرضون له من مشكلات في ميزان المدفوعات.

نشأة صندوق النقد الدولي:

تبلورت فكرة صندوق النقد الدولي في يوليو 1944 أثناء مؤتمر للأمم المتحدة عقد في **بريتون وودز** بولاية **نيو هامبشير** الأمريكية عندما اتفق ممثلو خمس وأربعين حكومة على إطار للتعاون الاقتصادي، يستهدف تجنب تكرار كارثة السياسات الاقتصادية الفاشلة، التي أسهمت في حدوث الكساد الكبير في الثلاثينات من القرن العشرين. فخلال هذا العقد، ومع ضعف النشاط الاقتصادي في البلدان الصناعية الكبرى، حاولت البلدان المختلفة الدفاع عن اقتصادياتها، بزيادة القيود المفروضة على الواردات، ولم يتمكن أي بلد من المحافظة على ميزته التنافسية لفترة طويلة. وقد أدت سياسات "**إفقار الجار**" هذه إلى تدمير الاقتصاد الدولي، فتناقصت التجارة العالمية تناقصاً حاداً وكذلك توظيف العمالة ومستويات المعيشة في بلدان كثيرة¹.

ومع إنتهاء الحرب العالمية الثانية، بدأت بلدان الحلفاء الرئيسية النظر في خطط مختلفة لإعادة النظام إلى العلاقات النقدية الدولية، وولد صندوق النقد الدولي في مؤتمر **بريتون وودز** حين وضع ممثلو البلدان المشاركة الميثاق (أو اتفاقية التأسيس) لمؤسسة دولية تشرف على النظام النقدي الدولي وتعمل على إلغاء قيود الصرف المرتبطة بالتجارة في السلع والخدمات وتحقيق استقرار أسعار الصرف. وفي ديسمبر 1945، جاء صندوق النقد الدولي إلى حيز الوجود عند توقيع 29 بلداً على اتفاقية تأسيسه².

كيف الصندوق لمواجهة التحديات الجديدة التي فرضتها العولمة:

مع التحديات الجديدة التي أوجدها تطور الاقتصاد العالمي منذ عام 1945، تطور عمل الصندوق وتبلورت ملامحه حتى يتسنى له الاستمرار في تحقيق أهدافه على نحو فعال. وقد ارتبطت العولمة - أي تزايد

¹ - <http://www.imf.org/external/pubs/ft/exrp/what/ara/what.htm>

² - <http://www.imf.org/external/pubs/ft/exrp/what/ara/what.htm>

التكامل الدولي بين الأسواق والاقتصادات - بظهور تحديات اقتصادية هائلة، لا سيما منذ بداية التسعينات. وكان من بين هذه التحديات ضرورة التصدي للاضطرابات في الأسواق المالية الصاعدة، وخاصة في **آسيا وأمريكا اللاتينية**، ومساعدة عدد من البلدان على عبور مرحلة التحول من نظام التخطيط المركزي إلى النظم القائمة على السوق والانضمام إلى اقتصاد السوق العالمي، فضلاً عن تشجيع النمو الاقتصادي، وخفض حدة الفقر في أفقر البلدان التي تعد مهددة بالتخلف عن مسيرة العولمة.

وقد جاء رد فعل الصندوق إزاء هذه التحديات في صورة إصلاحات تستهدف تعزيز بنیان النظام النقدي والمالي الدولي - أو إطار القواعد والمؤسسات في هذا النظام - وجهود لتعزيز مساهمته في منع وقوع الأزمات المالية وحلها. وقد قام الصندوق أيضاً بإعادة التأكيد على أهداف تعزيز النمو الاقتصادي وتخفيف حدة الفقر في أكثر بلدان العالم فقراً. ولا يزال الإصلاح مستمراً.

وفي سبتمبر 2000 خلال الاجتماعات السنوية لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، أوضح مدير عام الصندوق رؤيته لمستقبل الصندوق، وهي تشمل قيام الصندوق بما يلي:

1. السعي لتحقيق نمو اقتصادي غير تضخمي مستمر يعود بالنفع على جميع شعوب العالم.

2. أداء دور مركز الاختصاص المعني باستقرار النظام المالي الدولي.

3. التركيز على مجالات الاقتصاد الكلي والمجالات المالية الأساسية المنبثقة به، مع العمل على نحو مكمل لجهود المؤسسات الأخرى المنشأة لحماية السلع العامة العالمية.

4. العمل كمؤسسة مفتوحة تتعلم من التجربة والحوار وتتكيف مع الظروف المتغيرة.

وقد حظيت رؤية المدير العام بتأييد كامل من البلدان الأعضاء، وأصبحت بمثابة دليل يسترشد به الصندوق في عمله وإصلاحاته¹.

وقد ازدادت أهمية الأهداف التي يتوخاها صندوق النقد الدولي لسبب بسيط آخر، ألا وهو اتساع نطاق عضويته. ذلك أن عدد البلدان الأعضاء قد تجاوز أربعة أمثال عدد البلدان التي شاركت في إنشائه، وعددها 45 بلداً، مما يرجع بشكل خاص إلى حصول كثير من البلدان النامية على استقلالها ثم انهيار الكتلة السوفيتية مؤخراً².

والحق أن اتساع عضوية صندوق النقد الدولي، إلى جانب التغيرات التي شهدتها الاقتصاد العالمي، قد تطلبت من الصندوق أن يتكيف مع

¹ - <http://www.imf.org/external/pubs/ft/exrp/what/ara/what.htm>

² - <http://www.imf.org/external/pubs/ft/exrp/what/ara/what.htm>

المستجدات بسبل مختلفة حتى يتسنى له الاستمرار في خدمة أهدافه على نحو فعال.

أهداف صندوق النقد الدولي:

تتمثل أهداف صندوق النقد الدولي فيما يلي:

- 1- تشجيع التعاون الدولي في الميدان النقدي بواسطة هيئة دائمة تهتئ سبل التشاور والتأزر فيما يتعلق بالمشكلات النقدية الدولية.
 - 2- تيسير التوسع والنمو المتوازن في التجارة الدولية، وبالتالي الإسهام في تحقيق مستويات مرتفعة من العمالة والدخل الحقيقي والمحافظة عليها، وفي تنمية الموارد الإنتاجية لجميع البلدان الأعضاء، على أن يكون ذلك من الأهداف الأساسية لسياستها الاقتصادية.
 - 3- العمل على تحقيق الاستقرار في أسعار الصرف والمحافظة على ترتيبات صرف منتظمة بين البلدان الأعضاء، وتجنب التخفيض التنافسي في قيم العملات.
 - 4- المساعدة على إقامة نظام مدفوعات متعدد الأطراف فيما يتعلق بالمعاملات الجارية بين البلدان الأعضاء، وعلى إلغاء القيود المفروضة على عمليات الصرف والمعركة نمو التجارة العالمية.
 - 5- تدعيم الثقة لدى البلدان الأعضاء، متيحاً لها استخدام موارده العامة مؤقتاً بضمانات كافية، كي تتمكن من تصحيح الاختلال في موازين مدفوعاتها دون اللجوء إلى إجراءات مضرّة بالرخاء الوطني أو الدولي.
 - 6- العمل وفق الأهداف المذكورة آنفاً، على تقصير مدة الاختلال في ميزان مدفوعات البلد العضو والتخفيف من حدته.
- وخلال 40 سنة استطاع أي بين 1945-1985 استطاع صندوق النقد الدولي ان يجد الطرق المناسبة لمساعدة الدول الأعضاء كما ساهم في صياغة الرؤية الجديدة للاقتصاد العالمي.¹
- وعلى هذا الاعتبار تتطلع الدول الى أهمية مساعدة صندوق النقد الدولي وعلقت عليه أمالا عريضة من اجل رفع مستوى الدعم الذي تقدمه هذه المؤسسة وقصد تحقيق أهدافها لا بد من عقد عدة اتفاقيات² ولتحقيق هذه الأهداف، يقوم الصندوق بما يلي³ :
- 1/- مراقبة التطورات والسياسات الاقتصادية والمالية في البلدان الأعضاء، وتقديم المشورة بشأن السياسات لأعضائه. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

¹ Margret Garristsen de vries “The IMF in a changing world 1945-1985” international monetary fund, Washington DC 1986, library of congress cataloging in publication DATA ,P :215

² Armand Zacharie, Oliver Malvoisin, FMI la main visible, édition Labor, Bruxelles, 2003, P : 85

³ - <http://www.Imf.org/external/pubs/ft/exrp/what/ara/what.htm>.

حث المجلس التنفيذي الحكومة اليابانية في إطار مراجعته السنوية لأداء الاقتصاد الياباني لعام 2000 على تنشيط النمو بالحفاظ على انخفاض أسعار الفائدة، وتشجيع إعادة الهيكلة في الشركات والبنوك، وتعزيز جهود التحرير والمنافسة.

أثنى الصندوق على السلطات المكسيكية لإدارتها الحصيفة للاقتصاد في عام 2000، وأيد التحرك تدريجياً نحو تنفيذ أسلوب تحديد أهداف التضخم.

في عدد ربيع 2001 من تقرير آفاق الاقتصاد العالمي (World Economic Outlook)، أبرز الصندوق المخاطر التي ينطوي عليها حدوث مزيد من الضعف في النمو العالمي والحاجة إلى إنتهاج سياسة تقوم على المبادرة النشطة لدعم الطلب وإدخال إصلاحات هيكلية تستهدف تحقيق النمو.

2/- إقراض البلدان الأعضاء التي تمر بمشكلات في موازين مدفوعاتها ، ليس فقط لإمدادها بالتمويل المؤقت وإنما أيضاً لدعم سياسات التصحيح والإصلاح الرامية إلى حل مشكلاتها الأساسية. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

خلال الأزمة المالية الآسيوية في الفترة 1997-1998، سارع الصندوق بمساعدة كوريا على تعزيز ما تملكه من احتياطات، فتعهد بتقديم 21 بليون دولار أمريكي لمعاونتها في إصلاح الاقتصاد، وإعادة هيكلة القطاع المالي وقطاع الشركات، والتعافي من حالة الكساد. وفي خلال أربع سنوات، كانت **كوريا** قد حققت قدراً من التعافي يسمح لها بسداد القروض مع القيام في نفس الوقت بإعادة بناء الاحتياطات.

وفي أكتوبر 2000، وافق الصندوق على قرض إضافي لـ **كنيا** قيمته 52 مليون دولار أمريكي لمساعدتها في مواجهة آثار الجفاف الشديد، وذلك كجزء من قرض يقدم على ثلاث سنوات بمقدار 193 مليون دولار أمريكي بموجب تسهيل النمو والحد من الفقر الذي يوفره الصندوق للبلدان الأعضاء، وهو برنامج إقراض ميسر أنشئ لخدمة البلدان منخفضة الدخل. وتتضمن القاعدة الرابعة من ميثاق صندوق النقد الدولي عملية تحويل النقود وهي التي تضبط القواعد الأساسية لإقراض الدول الأعضاء.¹

3/ تقديم المساعدة الفنية والتدريب في مجالات خبرة الصندوق إلى حكومات البلدان الأعضاء وبنوكها المركزية. ومن أمثلة ذلك ما يلي:
في أعقاب انهيار **الاتحاد السوفيتي**، تدخل الصندوق لمساعدة دول البلطيق، و **روسيا** وغيرها من بلدان **الاتحاد السوفيتي** السابق في

¹ Michel Lelart, le fonds monétaire international , 2ème édition, presses universitaire de France, paris, 1995

إنشاء نظم خزانة لبنوكها المركزية كجزء من عملية التحول من نظم التخطيط المركزي إلى نظم الاقتصاد القائم على السوق.

خدمة صندوق النقد الدولي لأعضائه؟

يساعد صندوق النقد الدولي أعضائه عن طريق ما يلي:

1/ استعراض التطورات المالية والاقتصادية الوطنية والعالمية ومتابعتها، وتقديم المشورة للأعضاء بشأن سياساتهم الاقتصادية.

2/ إقراض الأعضاء بالعملات الصعبة لدعم سياساتهم المعنية بالتعديل والإصلاح التي تستهدف تصحيح مشكلات ميزان المدفوعات وتشجيع النمو القابل للاستمرار.

3/ تقديم مجموعة كبيرة ومتنوعة من أشكال المساعدة الفنية وتوفير التدريب للعاملين في الحكومات والبنوك المركزية، وذلك في مجالات اختصاص الصندوق وخبراته.

4/ تقديم المشورة بشأن السياسات والإشراف العالمي.

ويمارس الصندوق دوره الإشرافي بطرق ثلاث:

الرقابة القطرية: وهي تتخذ شكل مشاورات شاملة منتظمة (تعقد على أساس مستوى في العادة) معفرادى البلدان الأعضاء حول سياساتها الاقتصادية، مع إمكانية إجراء مناقشات مرحلية أخرى عند الحاجة.

الرقابة العالمية: وهي تستتبع قيام المجلس التنفيذي للصندوق باستعراض الاتجاهات والتطورات الاقتصادية العالمية. وتستند أهم الاستعراضات من هذا النوع إلى تقارير "آفاق الاقتصاد العالمي" التي يعدها خبراء الصندوق، وهي تتم في العادة¹

الرقابة الإقليمية: وبموجبها يدرس صندوق النقد الدولي السياسات المتبعة طبقاً لاتفاقيات

إقليمية. ويشمل ذلك، على سبيل المثال، مناقشات المجلس التنفيذي للتطورات في الاتحاد الأوروبي ومنطقة اليورو والاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا والجماعة الاقتصادية والنقدية لوسط إفريقيا والاتحاد النقدي لدول شرق الكاريبي.

الإقراض لمساعدة البلدان المتعثرة:

يقدم صندوق النقد الدولي قروضاً بالعملات الأجنبية للبلدان التي تواجه مشكلات في ميزان المدفوعات. ومن شأن هذه القروض أن تخفف من صعوبة التصحيح الذي يتعين على البلد المعني إجراءه للتوفيق بين إنفاقه ودخله بغية معالجة المشكلات التي يواجهها على

¹ <http://www.imf.org/external/pubs/ft/exrp/what/ara/what.htm>

صعيد ميزان المدفوعات. كذلك تستهدف هذه القروض دعم السياسات، بما في ذلك الإصلاحات الهيكلية.¹ ويمكن لأي بلد عضو أن يلجأ إلى صندوق النقد الدولي للحصول على التمويل اللازم لأغراض ميزان المدفوعات، أي إذا احتاج إلى قرض رسمي ليتمكن من سداد مدفوعاته الخارجية والحفاظ على مستوى مناسب من الاحتياطات .

ما هي البرامج المدعومة بـموارد صندوق النقد الدولي؟ عندما يتوجه أحد البلدان إلى صندوق النقد الدولي طالباً التمويل، فهو إما أن يكون في أزمة اقتصادية فعلية أو على وشك الوقوع فيها؛ فعملته تكون هدفاً للمضاربة في أسواق الصرف الأجنبي واحتياطياته مستنفدة ونشاطه الاقتصادي راكداً أو أخذاً في الهبوط وحالات الإفلاس فيه آخذة في الزيادة. ولاستعادة سلامة مركز المدفوعات الخارجية في هذا البلد واسترداد الظروف المواتية لتحقيق نمو اقتصادي قابل للاستمرار فيه، ينبغي الجمع بشكل ما بين عملية التصحيح الاقتصادي والتمويل الرسمي.

ويجري تصميم كل برنامج بمرونة، بحيث يمكن إعادة النظر فيه أثناء التنفيذ وإدخال تعديلات عليه إذا ما تغيرت الظروف. والواقع أن كثيراً من البرامج يجري تعديلها أثناء التنفيذ.

أدوات الإقراض في صندوق النقد الدولي وتطورها :

يقدم صندوق النقد الدولي قروضاً بموجب مجموعة متنوعة من السياسات أو "التسهيلات" التي تبلورت بمرور السنين لمواجهة احتياجات البلدان الأعضاء. وتختلف المدة وشروط السداد والإقراض في كل من هذه التسهيلات حسب أنواع المشكلات التي تواجه ميزان المدفوعات والظروف التي يتعامل معها التسهيل المعني.

ويقدم الصندوق منذ أواخر السبعينات قروضاً ميسرة لمساعدة أفقر بلدانه الأعضاء في تأمين سلامة مراكزها الخارجية، وتحقيق نمو اقتصادي قابل للاستمرار، وتحسين مستويات المعيشة

وفي أواخر التسعينات، استحدث الصندوق تسهيلات تستهدف مساعدة البلدان في مواجهة فقدان المفاجئ لثقة الأسواق، ومنع "عدوى" الأزمات - أي امتداد الأزمات المالية إلى البلدان ذات السياسات الاقتصادية السليمة

تعتبر الصين والهند في المرحلة الراهنة من أكثر البلدان تنظيماً في المجال الاقتصادي وهو ما يرجحها لتلعب دوراً مهماً في تحريك عجلة الاقتصاد العالمي في السنوات المقبلة.²

¹ <http://www.imf.org/external/pubs/ft/exrp/what/ara/what.htm>

² - Joel Decaillon , « Compétitivité mondiale , cohésion sociale et model social européenne sont-ils compatibles ? », conférence au centre George Pompidou , le 20-02-2006 .

صندوق النقد الدولي و الشراكة العالمية في التنمية الاقتصادية الأفريقية :

يقول هورست كوهلر¹: "ليس هناك أدنى شك بوجود تقديم صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومانحين آخرين مساعدات فنية متزايدة ومُنسَّقة بشكل أفضل لدعم استراتيجيات تخفيض مستوى الفقر في أفريقيا."²

يؤكد كوهلر انه لكي تكون هذه المساعدات ناجحة يجب ان تستند هذه الاستراتيجيات إلى تشجيع الحكم الصالح وتطوير الخدمات الصحية، والتعليم، والزراعة، والبنية التحتية، وتوسيع التكامل الاقتصادي الإقليمي والعالمي، وبناء شراكات بين أفريقيا ومؤسساتها الإنمائية الثنائية والمتعددة الأطراف مع قطاعها الخاص³.

يقول: "ان النجاح في الحرب ضد الفقر هو مفتاح الاستقرار والسلام في القرن الواحد والعشرين"⁴. ويضيف "خلال السنة الأولى من عملي في صندوق النقد الدولي، سافرت مرتين إلى أفريقيا لإجراء مباحثات مع رؤساء دول ومع القطاع الخاص ومع المجتمع المدني، وقابلت في أحيان كثيرة قادة أفريقيين في واشنطن. لم يبقَ لدي أدنى شك بأن أفريقيا قارة ذات تنوع غير اعتيادي - لديها مشاكل هائلة ولكنها تملك أيضا قدرات ضخمة. وقد أدهشني بشكل خاص تصميم الشعب الأفريقي، وبالأخص النساء الأفريقيات، على العمل الشاق والمثابرة في العمل بوجه عوائق عديدة. وعلينا ألا نتخلّى عنهن. إنني أعارض بقوة عدم الثقة والتشاؤم بالنسبة لأفريقيا. وأعرف تماما انه هناك طريق تقودنا إلى الأمام"⁵.

ويتحدث عن المبادرة الأفريقية الجديدة، لتسريع النمو والخروج من دائرة الفقر: "ان هذه المبادرة متشعبة بإحكام في المبادئ الأساسية الأفريقية المتعلقة باستقلالية العمل والقيادة والمسؤولية في إزالة

¹ هورست كوهلر، المدير الإداري لصندوق النقد الدولي

² - هورست كوهلر، "شراكة عالمية في التنمية الاقتصادية الإفريقية" مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>

³ - هورست كوهلر، "شراكة عالمية في التنمية الاقتصادية الإفريقية" مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>

⁴ - هورست كوهلر، "شراكة عالمية في التنمية الاقتصادية الإفريقية" مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>

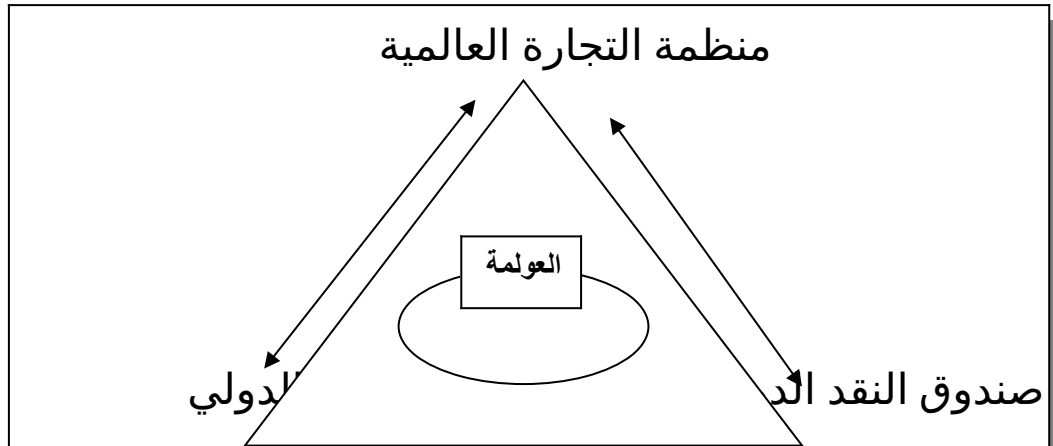
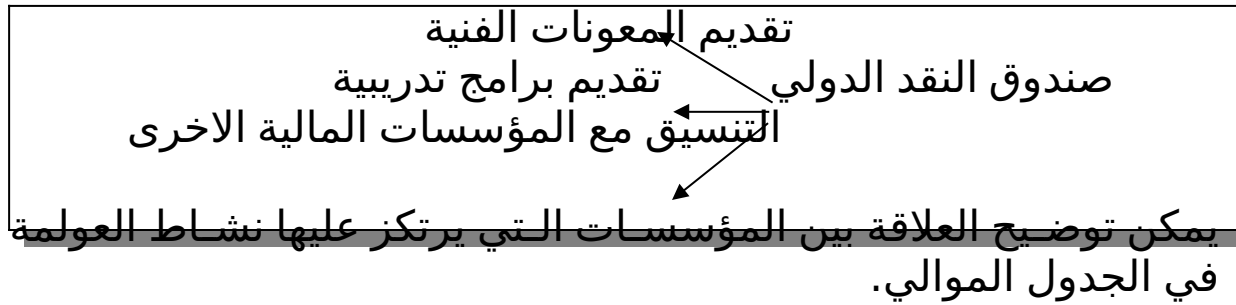
⁵ - هورست كوهلر، "شراكة عالمية في التنمية الاقتصادية الإفريقية" مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>

العوائق المحلية أمام التنمية المستدامة. وأعتقد ان ذلك يشكل أهم عامل في هذه المبادرة.

تُركز المبادرة الأفريقية الجديدة على أربعة عناصر أساسية.

1. أولاً، وقبل أي شيء آخر، هناك إدراك لا ليس فيه بأن السلام والديمقراطية والحكم الصالح هي شروط مسبقة للاستثمار والنمو وتخفيض مستوى الفقر.
2. ثانياً، تدعو المبادرة إلى خطط عمل لتطوير العناية الصحية وأنظمة التعليم والبنية التحتية والزراعة.
3. ثالثاً، تعتمد المبادرة بحق على القطاع الخاص، كما على التكامل الاقتصادي على المستويين الإقليمي والعالمي.
4. رابعاً، تحدد المبادرة خطوات ملموسة لتطوير شراكات أكثر إنتاجاً بين أفريقيا وشركائها في التطوير المبني على اتفاقيات ثنائية ومتعددة الأطراف، كما على القطاع الخاص.

أرى ان هذه العناصر تُشكل بمجموعها أساس أسلوب عمل شامل لمكافحة الفقر في أفريقيا إنني أشعر بالرضى عن كون المبادرة الأفريقية الجديدة ، وسيلة أساسية لبناء الأولويات لمجمل القارة الأفريقية، وذلك ضمن البرامج الوطنية لتخفيض مستوى الفقر ولتنسيق الدعم الدولي¹. وبهذا نستنتج أن هذا الصندوق يدعم اتجاه العولمة



¹ - هورست كوهلر، "شراكة عالمية في التنمية الاقتصادية الإفريقية" مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>

هكذا تعمل هذه المؤسسات من خلال الدور الذي أوكل لها على دعم فلسفة الرأسمالية وتكريس النظام الاقتصادي العالمي وترسيخ فكر العولمة. وعليه نستنتج أن هذه المؤسسات بقدر ما تشربت من مدرسة فكرية واحدة وهي مدرسة اقتصاد السوق فإنها أدت وستؤدي دورا مهما في تكريس الفلسفة الرأسمالية ويعزز أحد الكتاب المفكرين هذا المسعى بقوله " أنها تترجم مفهوم وأيديولوجيا ليبرالية من خلال الأسس التي اعتمدتها للنظام النقدي الدولي وللسياسات المالية والاقتصادية والتجارية¹.

الشركات متعددة الجنسية :

من هي و كيف تعمل و أين تتواجد و ما هو دورها الاقتصادي ؟ وما هو تأثيرها السياسي ؟
ان اول من استخدم تعريف للشركات متعددة الجنسيات حسب **فرانسوا كيزني²** فهو **ريشارد فارنون³** حيث يقول: "شركة متعددة الجنسيات هي شركة كبيرة لها فروعها الصناعية وتتواجد على الاقل في ستة دول"⁴.

خصائص الشركات متعددة الجنسيات :

وتتمتع هذه الشركات بقوة اقتصادية تتخطى الحدود الوطنية للدول التي تنشأ فيها . وتقوم بدور اقتصادي فعال ولها تأثير سياسي واضح وحتى نعرف تأثيرها في مسار النشاط الاقتصادي العالمي لا بد من التساؤل عن الخصائص المميزة لهذه الشركات أولا تتميز بما يلي:
1. ضخامة رؤوس أموالها: حيث تمتلك هذه الشركات أموالا ضخمة جاعلة مقياس قوتها في رقم مبيعاتها وقيمتها السوقية.
2. تنوع أنشطتها حيث تنتج وتسوق مختلف المنتجات :لا تقتصر هذه الشركات على إنتاج سلعة واحدة وإنما تنوع من المنتجات وكثيرا ما تركز على المطلوب في السوق ومرد هذا التنوع في المنتجات هو خفض احتمال الخسارة الذي قد يرتبط بمنتج أو أكثر.

نبيل مرزوق ، "حول العولمة والنظام الاقتصادي العالمي الجديد"، -
مجلة الطريق، العدد 4 جويليه-أوت 1997

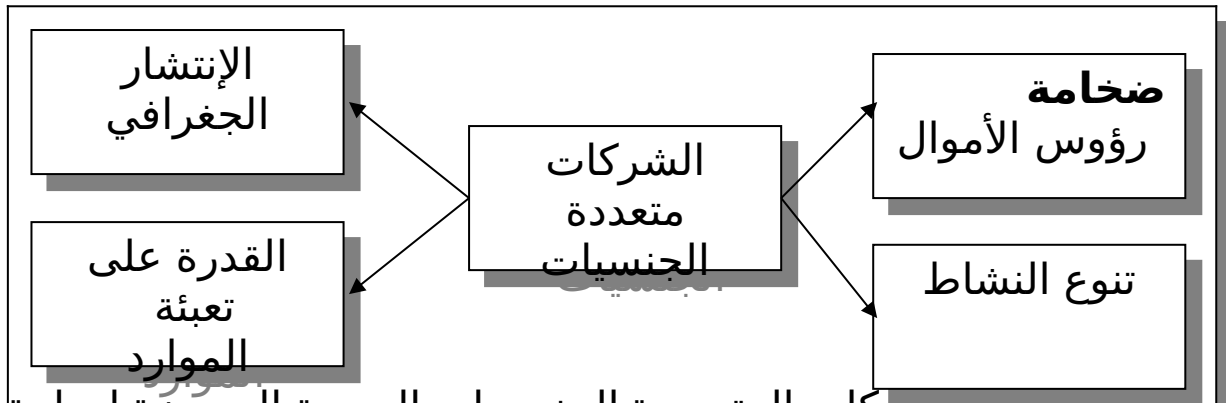
² أستاذ بجامعة باريس شمال

³ Richard Vernon

⁴ François Chesnais, la mondialisation du capital, Syros, paris, 1994 P :53

3. انتشارها الجغرافي الا محدود وقدرتها على التوسع: لا تقتصر هذه الشركات في نشاطها بقطر دون آخر بل هي تنشط في أماكن كثيرة.

4. لها مقدرة كبيرة على تعبئة الموارد المالية والطبيعية والبشرية : تعتمد هذه الشركات على بيع الأسهم في أكبر قدر من الأسواق القومية كما تقدم الشركات الكبرى على شراء أسهم الشركات الصغرى والسيطرة على إدارتها.



تسجل الشركات المتعددة الجنسيات السمة المميزة لعولمة الرأسمال، وهي نتيجة حتمية لتطور المنظومة الرأسمالية مع أن هذه الشركات ليست ظاهرة حديثة ظاهرة العولمة بل واكبت مراحل تطور الرأسمالية في شكلها التجاري والبحري¹. وقد فرض الربح السريع المنافسة بين مختلف الرأسماليين، وقد تشكلت مختلف الشركات من خلال استغلال العمال، واعتصار القيمة الزائدة، وتطور قوى الإنتاج وتوسيعه. وتجرى عمليات الدمج بين الشركات بسرعة فائقة،² بغض النظر عن جنسية هذه الشركة المهم أنها تعمل تحت لواء واحد ولهدف واحد هو رأس المال.

كما أن التكنولوجيا الحديثة كانت حليفة لتمرکز رأس المال فقد أشارت مجلة " **فوربس الأمريكية**"³ أن أغني أغنياء العالم هو العالم الأمريكي " **بيل غيتس**" صاحب شركة **مايكروسوفت للكمبيوتر** الذي بلغت ثروته 110 مليارات دولار وهو ما يعادل الدخل القومي للعديد من الدول متوسطة التطور. وهذه الشركات العالمية لا تعترف بمكان أو وطن ما، تطرح أسهمها في جميع الأسواق المالية

¹ - يحيى اليحياوي، العولمة أية عولمة؟ إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص: 40

² - من أمثلة هذا الاندماج شركة ABB التي تكونت عام 1987 من اندماج شركة سويسرية كبيرة ASEA بأخرى سويسرية تدعى Brown Boveri والتي استثمرت فور تكوينها 302 مليار دولار شملت إندماج 60 شركة أخرى وتسيطر حاليا على 1300 شركة و أنشأت ثلاث مراكز للبحث العلمي وتضم 1100 خبيراً وباحثاً وتملك بنكا ومركز معلومات .

³ - سعاد خيرى "العولمة وحدة وصراع النقيضين عولمة الرأس مال والعولمة الإنسانية"، ص:

المهمة في العالم كنيويورك، لندن، باريس، طوكيو، زيورخ ، فرانكفورت ، ميلانو .

وتنظر إلى الكرة الأرضية باعتبارها سوق واحدة، تعمل هذه الشركات على تعبئة الكفاءات الفكرية، والعلمية في العالم. وتعتبر هذه الشركات باحتكارها العالمي قلب النظام الرأسمالي، وهي أبرز آليات الاستغلال حيث تحتكر التجارة الدولية ، وتتحكم في التقنيات الحديثة وتسيطر على وسائل الاتصال والإعلام وهي- أي هذه الشركات - كما يقول **هربرت شيلر** " تطوع الشعوب وتلاعب بالعقول"¹.

تعتبر الشركات الاقتصادية العابرة للقارات متعددة الجنسيات إمبراطوريات عظمى لعصر العولمة؛ حوالي 1000 شركة تتحكم في 86% من الإنتاج المصنع في العالم. وتتميز هذه الشركات بتنوع الأنشطة والانتشار الجغرافي- فمن بين أكبر 500 شركة في العالم ، توجد 482 شركة منها موزعة على الإتحاد الأوروبي و **اليابان** و **أمريكا** حيث تملك الأخيرة أكثر من ثلث مجموع هذه الشركات ومن بينها خمس شركات عملاقة تعد ضمن أكبر عشر شركات في العالم². هذه الشركات العملاقة تمثل أهم مظاهر عولمة الاقتصاد ، والإحصاءات التالية توضح مدى خطورة تمركزها الرأسمالي³ :

- إن إيرادات أكبر (500) شركة في العالم بلغ عام 1994 نحو عشرة تريليون دولار أي أكثر من نصف الناتج المحلي الإجمالي لجميع دول العالم في عام 1993.

- إن مبيعات أكبر 200 شركة تجاوز مداخل اقتصاديات 182 دولة ماعدا أكبر 9 دول، فقد وصل دخل 182 دولة إلى 6.9 تريليون ، بينما وصلت مبيعات أكبر 200 شركة إلى 7.2 تريليون.

إن حجم المبيعات لأكثر ثلاث شركات متعددة الجنسيات (اكسون ، شل ، موبيل) عام 1980 فاق حجم الإنتاج الوطني الإجمالي لكل دول العالم الثالث عد سبع دول (**الصين**، **البرازيل** ، **الهند** ، **المكسيك** ، **نيجيريا** ، **الأرجنتين** ، **إندونيسيا**).

في عام 1996 تعدى حجم المبيعات السنوية لأكثر (20) شركة (67) مليار دولار.

لقد اثبت تقرير مؤتمر الأمم المتحدة حول التجارة والتنمية CNUCED لعام 2002 حول الاستثمار العالمي ما يلي : انه يوجد 65000 شركة متعددة الجنسيات وتضم 850 ألف فرع في ربوع العالم.⁴

¹ - هربت.أ. شيلر "المتلاعبين بالعقول" . سلسلة عالم المعرفة، رقم 106 ، الكويت، 1986.

² - الحبيب الجناحي، ظاهرة العولمة: الواقع والآفاق، 1999. ص:28.

³ - علي أحمد مدكور، "العولمة والتحديات التربوية"، مجلة العلوم والتربية ، العدد التاسع ، معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة . جانفي 1998.

إن حوالي 37.000 من الشركات متعددة الجنسيات المنتشرة عالمياً مع فروعها 170.000 المنتشرة في جميع أرجاء العالم هي الماسكة بتلابيب الاقتصاد العالمي¹، فملياراتها العابرة للقارات تحدد أسعار الصرف وكذلك القوة الشرائية في كثير من البلدان . وكي ندرك حجم التأثير يكفي أن نذكر الأمثلة التالية²:

- تجاوز حجم المعاملات لشركة فورد الدخل الوطني لجنوب إفريقيا (رقم أعمال شركة فورد 100 مليار دولار) .

- يفوق حجم معاملات شركة تويوتا الدخل الوطني **للنرويج** أو **البرتغال** (رقم أعمال شركة تويوتا 81 مليار دولار) .

- حجم مبيعات شركة فيلب مورس يساوي حجم اقتصاد **نيوزيلندا** ولها فروع في 170 دولة.

رقم أعمال شركة سوني 34 مليار دولار يتجاوز الناتج القومي لمصر أو نيجيريا

- حجم نشاط شركة متسوبيشي الاقتصادية أكبر من حجم النشاط الاقتصادي **لإندونيسيا** التي تعتبر رابع أكبر دولة من حيث التعداد السكاني .

و في سنة 1995 بلغ رقم أعمال شركة جنرال موتورز 132 مليار دولار أي ما يعادل الناتج القومي لدولة **الدانمارك**³ أو **إندونيسيا** .
تأثير هذه الشركات تجاوز الميدان الاقتصادي إلى التأثير في القرارات السياسية للدول وثقافات وسلوك الشعوب حيث أن هناك دلائل كثيرة تشير إلى أن نسبة كبيرة من التحولات الاقتصادية و السياسية والاجتماعية في دول العالم الثالث هي من صنع الشركات متعددة الجنسيات.

تحرير التجارة يعني كسر مزيداً من الحواجز السياسية والجغرافية الدولية عن طرق تقليل التعرفة الجمركية ، لذا بدأت الشركات المتعددة الجنسيات تبحث عن العمالة الرخيصة مما ترتب عليها الاستغناء عن كثير من العمالة المحلية. فعلى سبيل المثال أغلقت شركة جنرال موتورز 21 مصنعا في **الولايات المتحدة الأمريكية** وترتب عليه تسريح 30.000 عاملاً. كما ألغت شركة أي بي إم 20.000 وظيفة . ومن المتوقع أن تستغني شركة الاتصالات الألمانية عن أكثر من 100.000 عامل قبل نهاية عام 2000 . وتجاوز معدل العمال

⁴- Nasser . Mansouri- Guilani, la mondialisation a l'usage des citoyens, VO édition de l'atelier, Paris, 2004, p : 78

¹- الحبيب الجناحي، ظاهرة العولمة: الواقع والآفاق . ص 28 .

²- أمحزون. محمد ، "العولمة بين منظورين" ، مجلة البيان، العدد 145، رمضان 1420 (ديسمبر 1999) ، المنتدى الإسلامي، المملكة المتحدة .

³- الحبيب الجناحي، "ظاهرة العولمة: الواقع والآفاق" ، ص:28..

المفصولين في **فرنسا** في عام 1996 بمعدل 350 عامل في الشهر إلى أن خسرت 3 ملايين فرصة عمل في القطاع الصناعي وبلغت نسبة البطالة 12.3%. وهو رقم قياسي في فرنسا لم تصله من قبل.

لذا أغلقت الشركات أبوابها وسرحت عمالها في بلدانها، وهاجرت هذه الشركات إلى البلدان النامية لتضرب عصفورين بحجر واحد: فمن ناحية تنهرب من الضرائب في بلدانها ومن ناحية أخرى هي تستفيد من الأجور الزهيدة، إذ هناك مليار عامل في **آسيا** وحدها يتراوح أجر الواحد منهم من 2-40 دولاراً في اليوم، بينما الأجر اليومي للواحد في **أوروبا الغربية و أمريكا و اليابان** يتراوح بين 95-200 دولاراً.

ولقد استطاعت هذه الشركات أن تحول اقتصاد و ثروات الدول النامية إلى مصدر ربح وفير حيث بلغ إجمالي ما استنزفته في الربح الوفير من عقد الثمانينات 140 ألف مليون دولار¹.

وقد تلجا هذه الشركات الاحتكارية الى اتباع وسائل غير شريفة مما فيها التزييف، وتقديم الرشاوى الضخمة للزعماء. كما أنها تساعد في الانقلابات التي تحدث في الدول المتخلفة، وتمتلك هذه الشركات سيولة نقدية جبارة وقدرات تنظيمية عالية، وتستخدم التقنيات الأكثر حداثة. وتستعمل الإشهار الاغرائي لمنتجاتها وأفكارها.

واستطاعت أن تعطي للسلع قوة خارقة على النفاذ عبر الحدود و اختراق الأسوار والانتشار في كل مكان. وما يدل على الإحتكار الذي بلغته هذه الشركات وتزايد سيطرتها على النظام الاقتصادي العالمي " فقد أصبحت من الضخامة والشمولية بحيث أنها تحتكر اليوم 50% من إجمالي الأرصدة والاستثمارات الثانية في العالم بالإضافة إلى 50% من مجمل الإنتاج العالمي حالياً. كما أن التجارة الدولية هي اليوم تجارة داخلية فيها بين هذه الشركات".

وهكذا تمثل الشركات المتعددة الجنسيات الشرايين المغذية للنظام الاقتصادي العالمي و ذلك بممارساتها الاحتكارية للتجارة الدولية و بتحكمها للسيولة النقدية و سيطرتها على الوسائل و التقنيات الحديثة.

كما تلجأ هذه الشركات الاحتكارية إلى اتباع كل الوسائل في سبيل تحصيل أقصى الأرباح بما في ذلك التزييف و الإفساد و تقديم الرشاوى الضخمة للزعماء و لجان التعاقد المالية التجارية.

كما تساهم في هندسة الانقلابات داخل الدول و تمويل الحركات الانفصالية و تؤجج الحروب و الفتن كلما تعلق الأمر بمصالحها و بهذه الوسائل الخسيسة تعزز هيمنتها الكاملة يساعدها في ذلك امتلاكها للسيولة النقدية الجبارة و قدراتها التنظيمية العالية و تقنياتها الحديثة.

¹ - خلف محمد الجراد، معضلات التحزئة والتأخر و أفاق التكامل والتطور منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998 1 جانفي 2001.

كل هذا جعلها تتحكم في التجارة العالمية و بالتالي تسيطر على النظام الاقتصادي العالمي. وهكذا تتحقق نبوءة **آدم سميث** المتمثلة في أن العادات التي أنشأتها الرأسمالية سوف تنتشر في بقاع الأرض بسبب تفوقها في خلق ثروة الأمم وحتى كارل ماركس "خصم الرأسمالية" آمن هو الآخر بأن الرأسمالية ستوحد العالم في سوق واحدة بعد أن تدكه بالسلع المتداولة في التجارة الدولية¹.

من اكبر الاشياء التي يخاف منها العامل في احدى الشركات متعددة الجنسيات هي ضياع المنصب وهو الخطر الذي ينتاب العامل اثناء عمله² والان اصبحت الدول الواقعة جنوب الكرة الأرضية تشهد نمواً أسرع من الدول الواقعة شمالها. والمواطنون في أمريكا الشمالية وغرب أوروبا شعروا فجأة أنهم مهددون، واتخذوا موقفاً دفاعياً. إن جيلاً جديداً من الشركات متعددة الجنسيات، من جنوب الكرة الأرضية من الصين وكوريا والهند وأمريكا اللاتينية وحتى من إفريقيا، يقود التحرك البحث عن استثمارات في كل أرجاء الكرة الأرضية. وهذه الشركات تتنافس وجهاً لوجه مع نظيراتها من النصف الشمالي لكسب حصة لها في السوق، وشراء أصول بأقل من قيمتها الحقيقية. والكثير من هذه الشركات ربما لم يصبح حتى الآن أسماء معروفة للجميع، لكنها تتطلع إلى شراء أسماء علامات مشهورة في طريقها. فشرية لينوفو الصينية الرائدة في صناعة أجهزة الكمبيوتر، اشترت قسم الكمبيوتر التابع لشركة آي بي إم. وحاولت شركة **هاير**، الشركة الرئيسية لصناعة الثلاجات في الصين شراء شركة **ميتاج**، ولكن "**وايربول**" فازت بالصفقة³.

وقادت الشركات متعددة الجنسيات في كوريا الجنوبية القسم الجنوبي في الاعتراف بالعلامات التجارية، حيث أصبحت "**سامسونج**" الآن معروفة أكثر من "سوني". لكن الآخرين لا يحتاجون لشهرة المستهلك نفسها. فشرية **سيميكس** المكسيكية أصبحت الآن ثالث أكبر شركة في العالم لإنتاج الإسمنت، والأولى في الولايات المتحدة، واشترت أخيراً شركة **آر إم سي** البريطانية⁴.

¹ - محيي محمد مسعد، ظاهرة العولمة . ص: 77.

² Thierry verdier, « Vers une mondialisation socialement responsable » conférence au centre George Pompidou, le 20-02-2006.

³ - كوينتن بيل ، " المعوقات الداخلية هي التي تحول دون نهضة الجنوب " الاقتصادية ، صحيفة الفيناشيال تايمز الأحد 20 -11- 2005 العدد 4423 المقال مترجم من طرف الموقع الرسمي لمدينة الرياض www.Arriadh.com/économic

⁴ - كوينتن بيل ، " المعوقات الداخلية هي التي تحول دون نهضة الجنوب " الاقتصادية ، صحيفة الفيناشيال تايمز الأحد 20 -11- 2005 العدد 4423 المقال مترجم من طرف الموقع الرسمي لمدينة الرياض www.Arriadh.com/économic

وحسب آخر الإحصائيات التي وردت في مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، ارتفع تدفق الاستثمار الأجنبي المباشر من الدول النامية، بالإضافة إلى الاتحاد السوفياتي السابق، ارتفاعاً كبيراً من بضعة مليارات دولار في عام 1984 إلى نحو 90 مليار دولار العام الماضي. وربما لا تزال الدول النامية تسم بنسبة 11 في المائة فقط من إجمالي الاستثمار الأجنبي المباشر، لكن قيمته وصلت إلى 1000 مليار دولار¹. ويتركز معظم الاستثمار في جنوب الكرة الأرضية. وتقدر الهيئة الدولية للتمويل، ذراع البنك الدولي، أن الاستثمار الأجنبي المباشر ارتفع من 15 مليار دولار في 1995 إلى 46 مليار في 2003. وجاءت الأرقام الكبيرة من الاستثمارات في الموارد الطبيعية، مدفوعة برغبة كل من الصين والهند في حيازة احتياطات النفط والغاز. ولكن الأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو الحركة الديناميكية في قطاع التصنيع والخدمات، ويشمل الاتصالات والبرمجيات. والموضوع ليس أن هذه الشركات رخيصة أو أن تكلفة إنتاجها منخفضة، فقد تكون بدأت على هذا النحو، ولكنها الآن بدأت تطور التقنيات والمعرفة الخاصة بها، وتطبيق أساليب إدارة تتسم بالكفاءة. وهي تستثمر في الخارج².

ويضيف بشأن العقبات التي تحول دون النهوض و الاقلاع لدول الجنوب :

" ومع ذلك يتعين عليها أن تتجاوز الكثير من العقبات الكبيرة، علماً أن الكثير منها تحتاج لخوض حرب ضد القيود الحكومية في بلدانها، التي تحد من خروج رأس المال. وفي الصين، على سبيل المثال، يتعين على الشركات أن تقدم مجموعة كاملة من الوثائق إلى ثلاث جهات حكومية مختلفة، بما في ذلك شهادة منشأ في الصين، والعقود الخاصة بالمشاريع المراد تنفيذها في الخارج، ودراسة جدوى، وتوصية من سفارة الصين في البلد المختص، بالإضافة إلى تقارير مالية بعد تدقيقها من مكتب مراجعة، وبيانات من البنوك. وتعتبر سهولة الحصول على التمويل عاملاً كابحاً، فمعظم هذه الشركات تدفع نقداً. إن الأمر يعمل على كلا الاتجاهين. فالبيروقراطية وكثرة القوانين هي في الغالب عنصر يدفع الشركات في النصف الجنوبي بشكل ديناميكي من أجل الاستثمار في الخارج. وفي الوقت نفسه فإن خبرتها في التعامل

¹ - كوينتن بيل ، " المعوقات الداخلية هي التي تحول دون نهضة الجنوب " الاقتصادية ، صحيفة الفيناشيال تايمز الأحد 20 -11- 2005 العدد 4423 المقال مترجم من طرف الموقع الرسمي لمدينة الرياض www.Arriadh.com/économic

² - كوينتن بيل ، " المعوقات الداخلية هي التي تحول دون نهضة الجنوب " الاقتصادية ، صحيفة الفيناشيال تايمز الأحد 20 -11- 2005 العدد 4423 المقال مترجم من طرف الموقع الرسمي لمدينة الرياض www.Arriadh.com/économic

مع البيروقراطية العقيمة تجعل لديها استعداداً أفضل للتعامل مع نفس المشكلات الموجودة في الأسواق النامية الأخرى. وحيث تبدي الشركات في النصف الشمالي، إحصائياً متزايداً عن الاستثمار في إفريقيا، فإن الشركات في النصف الجنوبي، من أمريكا اللاتينية وآسيا، هي التي تتحرك للدخول في القارة السوداء¹.

فالشركات متعددة الجنسية تتسم بضخامة استثماراتها وحجم أعمالها، وتنوع أنشطتها الاقتصادية والانتشار الجغرافي والاعتماد على توظيف المدخرات العالمية والقدرة على تعبئة الكفاءات البشرية العالية من مختلف الجنسيات، واحتكارها للمنتجات ذات المحتوى التقني المرتفع ولمنجزات البحث العلمي. ونتيجة لهذه الإمكانيات أصبحت هذه الشركات تهيمن على توجيه الاستثمارات على المستوى الدولي مما أدى إلى تضخم أرباحها. وقد أدى تحكم هذه الشركات في مصير الاقتصاد والتجارة العالميين أن أصبحت حكومات الدول مضطرة لمناقشة مستقبل اقتصادياتها مع هذه الشركات.

ولتوضيح ضخامة مبيعات هذه الشركات نورد أكبر الشركات أكبر 25 شركة متعددة الجنسيات في عالم خدمات الاتصال إلى غاية 2004 المصدر مؤسسة فوربس « forbes.Com »

الترتيب	الاسم	الدولة	البيع (بليون دولار)
26	Verison Commun	الولايات المتحدة الأمريكية	67,75
30	Nippon Tel et Tel	اليابان	92,41
33	SBC communications	الولايات المتحدة الأمريكية	39,16
84	Bell South	الولايات المتحدة الأمريكية	22,58
93	BT groupe	بريطانيا	58, 29
112	China Mobile (HK)	هونغ كونغ - الصين	15,53
116	AT et T	الولايات المتحدة الأمريكية	34,53
164	Telstra	أستراليا	13,81
175	BCE	كندا	14,70
187	AT et T Wireless	الولايات المتحدة الأمريكية	16,70
193	Nextel commun	الولايات المتحدة الأمريكية	10,15
202	China telecom	الصين	9,12
207	Sprint FON	الولايات المتحدة الأمريكية	14,19
211	KDDI	اليابان	23,56
217	Qwest communication	الولايات المتحدة الأمريكية	14,51

¹ - كوينتن بيل ، " المعوقات الداخلية هي التي تحول دون نهضة الجنوب " الاقتصادية ، صحيفة الفينانشيال تايمز الأحد 20 -11- 2005 العدد 4423 المقال مترجم من طرف الموقع الرسمي لمدينة الرياض www.Arriadh.com/économic

13,82	كوريا الجنوبية	KT	236
8,11	الولايات المتحدة الأمريكية	Alltel	291
5,82	سنغافورة	Singapor telecom	318
10,52	سويسرا	Swisscom	320
47,99	بريطانيا	Vodafone	354
7,93	النرويج	Telenor	358
5,08	تايوان	Changhwa telecom	360
56,40	المانيا	Deutsche telecom	364
57,99	فرنسا	France telecom	378
4,90	هونغ كونغ - الصين	China unicom	383

ونذكر الان اكبر 25 شركة متعددة الجنسيات في عالم تكنولوجيا البرمجيات والتجهيز الى غاية 2004
المصدر مؤسسة فوربس « forbes.com »

البيوع (بليون دولار)	الدولة	الاسم	ترتيب فوربس « forbes »
89,13	الولايات المتحدة الأمريكية	IBM	16
73,06	الولايات المتحدة الأمريكية	Hewlette-Packard	43
37,05	فنلندا	Nokia	83
19,82	الولايات المتحدة الأمريكية	Cisco systems	89
41,44	الولايات المتحدة الأمريكية	dell	113
27,06	الولايات المتحدة الأمريكية	Motorola	131
10,49	كندا	Nortel networks	322
6,24	الولايات المتحدة الأمريكية	EMC	349
4,12	الولايات المتحدة الأمريكية	Qualcomm	433
39,06	اليابان	Fujitsu	524
39,72	اليابان	Nec	538
18,79	السويد	LM ericsson	545
38,17	فرنسا	Alkatel	561
11,20	تايوان	Hon hai precision	655
6,67	اسلاندا	Seagate technology	668
11,20	الولايات المتحدة الأمريكية	Sun microsystems	690
8,65	الولايات المتحدة الأمريكية	Lucent technologies	695
11,19	اليابان	Epson	725
6,74	الولايات المتحدة الأمريكية	Aple computer	762
6,06	الولايات المتحدة الأمريكية	Agilent techologies	899
79, 10	الولايات المتحدة الأمريكية	Sanmina-SCI	901
4,12	تايوان	Quanta computer	961
3,09	الولايات المتحدة الأمريكية	Corning	968

" تعتمد المجموعات الصناعية على قانون المنافسة وقد استعادت النظرية الداروينية " **البقاء للأصلح** " في ظل آليات السوق " ¹. وفي هذا السياق يقول المفكر العربي المعروف **عبد الوهاب المسيري**: " يرى دعاة الداروينية الاجتماعية أن القوانين التي تسري على معالم الطبيعة والغابة هي ذاتها التي تسري على عالم الإنسان و المجتمع " ².

قال **تيودير لوفيت** في مقالته **عولمة الأسواق** وهو يحلل النمط الجديد الذي ينبغي أن تتصف به الشركات العالمية : " ينبغي على الشركات الكبرى أن تعمل كما لو أن العالم هو سوق كبير موحد " ³ إن الشركات متعددة الجنسيات لا يمكنها أن تضمن الاستقرار العالمي بحكم عملها إنما الذي يضمن الاستقرار العالمي هي الأنظمة من خلال نشاطها ضمن إطار دائم ومنظم للمفاوضات بين الدول ومن خلال وضعها لمعايير سلوك ومراقبة الأنشطة الرئيسية ⁴

اثر العولمة الاقتصادية على اقتصاديات الدول العربية:

إن الحكم على أي أمة من الأمم بالتخلف والجهل والفقر والتبعية والانغلاق... أو الحكم لها بالتقدم والارتقاء العلمي والمعرفي الأصيل والمنفتح على الآخر بعيداً عن الاستلاب " إنما ينبثق من رصد صورة واقع هذه الأمة. " ⁵ انطلاقاً من هذا القول نحاول رصد الواقع العربي في زمن التغيرات السريعة والأحداث العالمية التي تؤثر دون شك في حركة المجتمع العربي.

إن الأرض العربية تعدُّ من أغنى أراضي العالم بالموارد البشرية والطبيعية والاقتصادية، ولكن كثيراً ما نتساءل إلى أي مدى استطاع

¹ - عبد المالك رومان الدناني. الإعلام العربي وتحديات العولمة، دراسة في النموذج البث الفضائي، بغداد، العراق 2004. ص: 283

² ⁷ صلاح عباس، العولمة وآثارها في البطالة والفقر التكنولوجي في العالم الثالث. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى. 2004

³ - Levit Théodore , "the globalization of markets", Harvard business review , Harvard May – June, 1983, P :92

⁴ Christian Chavagneux . Économie politique internationale, 1^{er} édition , la découverte Paris 2004 ,P :103

⁵ حسين جمعة، العرب اليوم بين الواقع والطموح، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق. 2005

العرب أن يؤثروا بهذا الغنى المتنوع في مجريات الأحداث العالمية، أو أن يمسكوا بزمام المبادرة في بعض تلك الأحداث؟ وربما نتساءل: إلى أي مدى استطاع العرب أن يحدثوا حركة توازن داخلية ذاتية حقيقية بين أفراد مجتمعهم، على صعيد الإبداع الفردي والجماعي قادرة على أن تحلل واقعها وتستشرف آفاق مستقبلها من خلال تعاملها الإيجابي مع محيطها العالمي؟ وبصورة مختصرة ما هو موقع العرب في تفاعلهم وتأثرهم بالأحداث العالمية في زمن العولمة؟ إن المتابع المدقق لوضع الأمة العربية تنكشف أمامه سلبات العولمة بصورة أساسية في الغزو الثقافي. وتراجع الإنتاج الوطني لحساب الشركات متعددة الجنسيات، وكذا إغراق السوق بالإنتاج العلمي والفني والاقتصادي للدول الغنية، مع تهميش الإنتاج والإبداع الوطني للدول النامية. وخلاصة القول أن العولمة بأبعادها المختلفة ليست كلها إيجابية، وإنما لها آثارها السلبية الكثيرة التي تمس جميع المجتمعات في بنيتها المختلفة وبخاصة منها تلك التي لا تملك مقومات قادرة على التصدي والصمود. كما أن المتابع لحياة الأمة العربية يدرك بوضوح مع الأسف اختلال منظومات القيم الخلقية والمعرفية والنفسية فضلا عن الضعف الذي اعتري فعلها الانتاجي وهو ما جعل العرب تابعين للآخر ومستهلكين لكل ما ينتجه؛ فصاروا أرقاما استهلاكية وحسب، ولتعزيز هذه الصورة نعرض مختلف الجوانب من حياة العرب ونرصد الواقع كما هو من خلال ما تكشفه الدراسات والأبحاث.

اقتصاديا:

لاشك أن العالم العربي منخرط في نظام العولمة سواء مع دول الجوار المتوسطي الاوربية أو مع الولايات المتحدة الامريكية، فالدول الاوربية عززت موقعها مع الدول التي استعمرتها أو وقعت تحت انتدابها،¹ وعملت الولايات المتحدة على تعزيز تواجدتها الاقتصادي من خلال شركاتها الكبرى، ووجودها السياسي من خلال تأثير نفوذها على مجريات الامور هذا ما جعل احدهم يقول "إن الهيمنة الأمريكية على الدول تفقد الدول سلطة القرار على النشاطات الاقتصادية"،² وهذا ما اثر سلبا على السياسة الاقتصادية لدول المنطقة، حيث لم تستطع الدول العربية على الرغم مما تتوفر عليه من امكانيات، ان تحدث عملية تنمية ذاتية تركز على الذات، ولا في ايجاد قاعدة صناعية واسعة، ولم تخرج الصادرات العربية عن دائرة النفط ومشتقاته، خلافا للتنوع في المنتجات الواردة من الخارج والموجهة نحو الاستهلاك. ومن هنا كانت المنافسة شديدة بين الولايات المتحدة و الدول الاوربية على الهيمنة

¹ مثل فرنسا مع دول المغرب العربي وبريطانيا مع دول الخليج .

² Christian Chavagneux, *économie politique internationale*, P : 103

على السوق العربية والاستفادة من تنامي الاستهلاك والطلب على السلع بالاعتماد الشديد على الاستيراد .

ان الاقتصاد العربي بصورة عامة ليس متماسكا ولا يشكل مجالا متكاملًا بل يخضع الى كثير من الانكسارات التي تتحكم فيها قوى الطرد والجذب ، فالتباين لا يقع فقط في أساليب الإنتاج وتخلفها، وإنما يتجسد في وسائل التبادل والاتصال. فأواصر القربى والجغرافية تكاد تكون مقطوعة فضلاً عن الاختلاف والتباين في طبيعة التعامل مع الآخر العربي. كما يعاني الاقتصاد العربي من عدة مشاكل ابرزها نقص الخبرة الاقتصادية التي تؤهله لمواجهة كل التحديات القادمة . ينظر مناهضو العولمة على أنها تمثل خطراً دائماً على الصناعات الصغيرة والمتوسطة لأن هذه الصناعات لا تقوى على منافسة المنتجات الصناعية المستوردة من الدول الصناعية ، سواء من حيث الجودة أو تكاليف الإنتاج . كما أن منشآت تجارة التجزئة صغيرة الحجم تصبح في وضع تنافسي غير متكافئ أمام زحف منشآت التوزيع العالمية داخل السوق الوطنية؛ مثل سلسلة محلات **كارفور** ، ومونوبري وغيرها ، وترتب على ذلك إفلاس الكثير من هذه المنشآت والصناعات وفقد الكثير من المواطنين لوظائفهم، مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات البطالة . ويدفع تحقيق الربح من طرف الشركات متعددة الجنسية التي توطن إنتاجها في دول العالم الثالث إلى استغلال مواطني هذه الدول العاملين في هذه الشركات، ومن أهم صور الاستغلال تخفيض الأجور وإجبار العمال على العمل ساعات طويلة ، وتقدم هذه الشركات على ذلك نظراً لما تتمتع به من نفوذ قوي ونافذ لدى صناع القرار السياسي في الكثير من الدول النامية¹.

من هنا كان لا بد من ايجاد استراتيجية عمل قادرة على احداث الاستقلال الذاتي وان كانت نظرياً كما قال **ميشال كابرون** " تبدو جذابة ولكنها ليست قابلة للتحقق بسهولة"² إلا اذا ترافقت مع وجود استراتيجية حقيقية للتنمية الاقتصادية كما ان التبعية للغير في المجال الاقتصادي تنتج العجز الغذائي ، الفقر ، البطالة المزمنة، المديونية المتصاعدة ، التأهيل التقني البطيء، التصنيع المحدود كل ذلك يعرقل مسار التنمية الاقتصادية في المنطقة.

سياسيا:

لم تكن السياسات العربية بمنأى عن تأثيرات الهيمنة الامريكية، حيث انزوت دعوة الوحدة العربية جانباً، وفقد التضامن العربي قوته تلاحمه.

¹ - بنيامين باربر ، " عالم ماك: المواجهة بين التأقلم والعولمة " ، ترجمة أحمد محمود، إصدارات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1998 ، ص: 259.

² - ميشال كابرون (تحت اشراف) أوروبا في مواجهة الجنوب . العلاقات مع العالمين العربي والإفريقي . ترجمة اديب نعمة . دار الفرابي بيروت. لبنان الطبعة الاولى 1992 ص: 144

فما ينتج من قرارات عن المؤتمرات القومية العربية الكثيرة سرعان ما ينحدر من سيئ إلى أسوأ تعبيراً عن حالة فقدان الثقة من هذا النظام أو ذاك. ومن ثم وصلت حالة الأمة العربية إلى أشكال ضعيفة ولاسيما إبان حربي الخليج الأولى والثانية... ثم ظهرت بشكل أعجب صور التضامن الهزيل إبان العدوان على العراق الشقيق في 20 مارس 2003م بعد أن نفذت بحقه. وأصبح السلوك السياسي العربي في كثير من الأحيان تحكمه **الفردانية** في التسيير وهي بالمعنى السياسي مذهب يعني هيمنة الفرد على الجماعة.¹

إنَّ أبرز مساوئ العولمة السياسية أنها تستغل ورقتي الديمقراطية وحقوق الانسان لكي يتدخل الاقوياء وأصحاب النفوذ في الشؤون الداخلية لبعض الدول بحجة حماية حرية الافراد وحقوقهم داخل بلدانهم، وهو ما حصل في افغانستان والعراق على سبيل المثال. من هنا كان من الضروري:

- التأكيد على ما يتيح الإسلام من مساواة في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية بين مختلف الأفراد ، وفوق كل هذا صلاحية الشريعة الإسلامية كقانون لحقوق الإنسان حتى لا تعطى الفرصة لأي تدخل اجنبي في الدول بحجة تعزيز الديمقراطية او حماية حقوق الإنسان.

عسكريا:

ان الوضع العربي الهزيل عسكريا يعكس مستوى التبعية المفروض خارجيا على هذه الامة وان كان العلم العربي يقتني اسلحة فهو لا يأخذ ما هو متطور فضلا عن منع استعماله للأسلحة النووية وفي المقابل يسمح لليهود تطوير هذا النمط من الاسلحة بل وتشجع امريكا حليفها على هذا المنحى حتى يسهل عليهما حماية امن اسرائيل من جهة والاستيلاء على مقدرات الأمة العربية من جهة اخرى، فالعدوان الأمريكي على المنطقة قام بعمل عدائي عسكري مخطط يهدف إلى تدمير الأرض والحضارة والعلم والعلماء.

البحث العلمي.

واقع التعليم في الأقطار الإسلامية واقع مؤلم ومأساوي، وتتجلى أزمة التعليم هذه في غياب فلسفة تربوية واضحة المعالم، وانتشار الأمية، والوضع التعليمي للمرأة ، والاهتمام بالتعليم النظري دون التعليم الفني، وهجرة العقول العربية الى الخارج.

¹ Michel Blay (sous la direction) grande dictionnaire de la philosophie édition CNRS Paris 2005P :549

فمن المؤسف أنَّ أوضاع البحث العلمي محبطة في عالمنا العربي والإسلامي، فبينما نجد أنَّ حصيلة:
البرازيل 42 بحث لكل مليون شخص، وفرنسا 840 بحث لكل مليون شخص، وسويسرا 1878 بحث لكل مليون شخص، نجد أنَّ العالم العربي بأسره يملك 26 بحث¹ لكل مليون شخص.
إن البلاد العربية - وللأسف - موعلة في الأمية، والجهل، وارتفاع نسبة الأمية في البلاد العربية له تأثير سلبي أثناء التلقي من الثقافة الوافدة، فالكأس إذا كانت خالية، أمكن ملؤها بأنواع المائعات².
وإلقاء نظرة سريعة على هذه الأرقام تغني وتوضح المراد:
وفقاً لإحصائيات اليونسكو يقول مدير مكتب اليونسكو الإقليمي (فكتور بلة) في المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم والمعارف في الوطن العربي الذي استضافته الجزائر بمشاركة 20 دولة عربية في 23/4/2002م: "إن عدد الأميين بالوطن العربي يبلغ نحو 70 مليوناً، وإن ما يزيد على 90% من الطلبة العرب لا يمتلكون ثقافة معلوماتية. وقال: إن غالبية الدول العربية تتجاهل تعليم الطفل في المرحلة التحضيرية، كما أن 40% من الأطفال ممن تتراوح أعمارهم بين السادسة والخامسة عشرة لم يلتحقوا بمقاعد الدراسة. وأضاف أن أحدث الإحصاءات المتوافرة لدى اليونسكو تظهر أن أكثر من 70 مليوناً في الوطن العربي لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، وأشار إلى أن ذلك لا يعني الحديث عن الأمية الحاسوبية، وصنف (بلة) التعليم في الوطن العربي بأنه يقع ضمن أدنى المستويات في العالم"³.

ثقافياً :

لا يختلف الضعف الذي اعتري الواقع الثقافي العربي عن مستوى الضعف الذي اطبق على القطاعات الأخرى وما أحسن ما عبر عنه **فهيم هويدي** معلقاً على تأثير الجانب السلبي للثبث التلفزيوني على الشعوب العربية ومتحدثاً عن تونس حيث قال: "خرج الاستعمار الفرنسي من شوارع تونس عام 1956 م، ولكنه رجع إليها عام 1989م، لم يرجع إلى الأسواق فقط، ولكنه رجع ليشاركنا السكن في بيوتنا، والخلوة في غرفنا، والمبيت في أسرة نومنا. رجع ليقضي على الدين، واللغة، والأخلاق، كان يقيم بيننا بالكُره، ولكنه رجع لاستقبله بالحب، والترحاب، كنا ننظر إليه فتمنقته، أما الآن فتتلذذ بمشاهدته، والجلوس

¹ - افراح بنت علي الحميضي "سياسة مواجهة تحديات العولمة ضد المرأة والمجتمع". 19 ماي 2005 www.lahaonline.com.

² - ناصر بن سليمان العمر "رسالة المسلم في حقبة العولمة" مركز الدراسات الإسلامية بقطر- لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في ربيع أول/1424 www.almoslim.net.

³ - ناصر بن سليمان العمر "رسالة المسلم في حقبة العولمة" مركز الدراسات الإسلامية بقطر- لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في ربيع أول/1424 www.almoslim.net.

- معه إنه الاستعمار الجديد، لا كاستعمار الأرض، وإنما استعمار القلوب، إن الخطر يهدد الأجيال الحاضرة، والقادمة، يهدد الشباب والشابات والكهول والعفيفات، والآباء، والأمهات. وقال: إن الفرنسيين غادروا تونس عام 1956 م وعادوا إليها عام 1989 م ليقتحموا كل بيت، وقرروا أن يقضوا داخله 20 ساعة كل يوم، يمارسون تأثيرهم على اللغة، والأخلاق، والفكر، والوعي، عند الصغار والكبار، والنساء والرجال، والشباب، والفتيات، وإن كان الخطر أكبر يهدد الجيل الجديد كله¹.
- أثر العولمة في التنمية البشرية العربية :** يعتبر بعض الاقتصاديين ان للانفتاح الاقتصادي على العالم اثرا ايجابيا في رفع مستوى التنمية البشرية وتخفيض درجة الفقر². واعتقد أن ظاهرة العولمة تخلق فرصا ظاهرية كثيرة للبلدان وتقدم فرصا جديدة للاقتصاديات الناشئة منها:
1. اقامة أسواق جديدة للتجارة.
 2. الحصول على سوق من أكبر الأسواق ومن تم إيجاد مجموعة عريضة من السلع والخدمات.
 3. -تدفقات كبرى إلى الداخل من رؤوس الأموال الخاصة.
 4. -تحسين إمكانية الحصول على التكنولوجيا من خلال الاستثمار الأجنبي المباشر.
 5. -إمكانية تحقيق النمو الاقتصادي القائم على التصدير.
 6. -الحد من اتباع الحكومات سياسات لا تتلاءم مع الاستقرار المالي طويل الأجل.

في اعتقادنا ان النمو الاقتصادي يتوقف على عدة عوامل مثل درجة المساهمة في التجارة الدولية، وانخفاض مستوي التعريفات الجمركية، وقلة القيود الكمية على الواردات، ومستوى العمالة، ونمط توزيع الدخل.

وهناك بعض الدول العربية قد تأثرت ايجابا نسبيا بزيادة انفتاح اقتصادها على العالم الخارجي (العولمة) ، وفي المقابل كان لرياح العولمة ايضا تأثيرها السلبي على واقع الدول العربية. فالدول القوية تستغل نفوذها للتدخل في فرض بعض الشروط التي تعيق التنمية كما يرغب فيها المجتمع العربي وتستخدم المؤسسات المالية والنقدية مثل صندوق النقد الدولي و البنك الدولي في وضع الدول النامية والفقيرة امام خيارين: إمّا الاستفادة من الميزات المقدّمة من المؤسسات المالية العالمية، إذا ما التزمت بالشروط المعلنة مقابل تدخل تلك المؤسسات في الكثير من خصوصياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وإمّا المحافظة على سيادة الدولة ورفض أي تدخل في

¹ فهمي هويدي - جريدة الأهرام 27/6/1989 م. www.almoslim.net/admin

² - جلال أمين ، العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون الى حولة الاورغواي ، 1898-1998. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان الطبعة الاولى - 1999 . ص: 48

شؤونها، مما يجعلها رهناً للفقر والانعزال. ومن هنا كان لسياسة التجسس الاقتصادي اثرها القوي في التمهيد لتطبيق الهيمنة الاقتصادية وقد اكدت كثير من الدراسات العلمية الخاصة بسياسة الولايات المتحدة الامريكية على الارتباط العضوي بين عمل المخابرات الامريكية وتقدم المصالح الاقتصادية للشركات الامريكية ذات الوزن الكبير. من ذلك الوثيقة السرية للمخابرات المركزية الامريكية المؤرخة في 3 ديسمبر 1974 التي كشف عنها في صيف 1975 الموقعة من طرف **هنري كسينجر** وزير الخارجية آنذاك والموجهة الى سفارات وقنصليات الولايات المتحدة عبر العالم¹.

كما يمكن للعولمة ان يكون لها اثر مهم في التنمية البشرية من خلال زيادة معدل انتقال الافكار الايجابية والمعلومات المفيدة على كل المستويات هذا الانتقال يجعل المجتمع اكثر ديناميكية وحيوية خلافا للمجتمع المغلق الذي يحاصر نفسه عندما يرتبط بأرضية لا تقبل الانفتاح على الآخر، لكن بالمقابل يمكن لتغلغل الافكار السلبية وأنماط السلوك الشاذة والقيم الفاسدة اثرها السلبي على المجتمع. والخلاصة هي ان المجتمعات العربية قد تأثرت برياح العولمة تأثراً ايجابياً في بعض جوانبه، وسلبياً في جوانب أخرى.

إستراتيجية مواجهة تهديدات العولمة الاقتصادية :

لكي تتمكن الدول الإسلامية من مواجهة أخطار العولمة الاقتصادية والاستفادة بأكبر قدر من مزاياها وتفادي أو التقليل من آثارها السلبية، فإنها - كمجموعة - ملزمة بتطوير عناصر القوة الاقتصادية والسياسية والتقنية لديها. ومن أهم الآليات والشروط الواجب توفرها والوسائل المساعدة للتعامل الايجابي مع هذه العولمة ما يأتي:

1- احداث التكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية :

حيث يؤدي التكامل الاقتصادي إلى توزيع المنافع الاقتصادية بين الدول التي دخلت في برنامج التكامل، كما أن ذلك سبيل إلى تحقيق الاستفادة من المزايا النسبية المتوافرة في كل دولة، مما ينتج عنه زيادة الإنتاجية واتساع نطاق التبادل التجاري بين هذه الدول. ويمكن إيجاز أبرز منافع التكامل الاقتصادي في النقاط الآتية :

1- اتساع نطاق السوق واندماج الأسواق الوطنية يؤدي إلى مزيد من التخصص وتقسيم العمل بين الدول المتكاملة وفق المزايا النسبية

¹ - تتضمن الوثيقة 69 سؤالاً النصف منها مخصص لنشاط الاتحاد السوفيتي والنصف الآخر مخصص لمجالات التجسس الاقتصادي تطلب فيها تقارير مفصلة عن الوضع الاقتصادي العالمي والتوقعات المنتظرة في السنوات القادمة.

- الحقيقية، وهذا يترتب عليه أو ينتج عنه رفع الكفاءة الإنتاجية وزيادة المقدرة على المنافسة الدولية¹.
- 2 - ارتفاع معدل النمو الاقتصادي وزيادة مستوى التشغيل والإنتاج.
- 3 - تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة في الدول المتكاملة ، مما يمكنها من تحقيق التنمية الاقتصادية².
- 4 - تنوع سلة الإنتاج والصادرات السلعية والخدمات في إطار من التنسيق بين الدول المشتركة في برنامج التكامل.
- 5 - زيادة التجارة البينية بفعل الترتيبات التكاملية بين الدول المشتركة في التكتل أو التكامل الاقتصادي.
- ومع كل هذه المزايا المتوقعة للتكامل الاقتصادي إلا أن هناك بعض العقبات أو العوائق التي تقف في وجه الدول الإسلامية أثناء سعيها لتحقيق هذا التكامل³.
- ومن المستلزمات الضرورية لمواجهة تيار العولمة الاقتصادية - السعي الحثيث للأخذ بالأساليب العملية والتقنية الملائمة لحاجات التنمية الاقتصادية في هذه الدول، وهذا يعنى أنه ليس بالضرورة أن تكون أحدث المخترعات والصيحات في العالم هي الهدف، بل ما يتوافق وأوضاع وظروف هذه الدول ويلبي احتياجاتها الفعلية⁴.
- الاهتمام برأس المال البشري:
- تعاني الدول الإسلامية بعامة من تخلف مستوى التقنية وأساليب الإنتاج فيها، مما يرجع في جانب كبير منه إلى ضعف برامج التعليم والتدريب وارتفاع نسبة الأمية وضالة جهود البحث العلمي وانعدام روح المبادرة والابتكار...الخ،

¹¹- رفعت السيد العوضي ، التكامل الاقتصادي الإسلامي مقومات ونتائج أعماله في الدعوة الإسلامية ، دار المنار القاهرة، ط 1 / 1409 هـ - 1989، ص: 48 - 50.

²- د. محمد الأمين الشنقيطى ، التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. د. ت، ص: 316.

³ - لعل من أبرزها:

أ - التفاوت في المستوى الاقتصادي واختلاف أساليب ووسائل وأولويات التخطيط بين دولة وأخرى.

ب - ضعف واختلال الهياكل الإنتاجية، والتشابه في الاعتماد على القطاع الأولي، مما يجعل هذه الدول أقرب إلى التنافس منها إلى التكامل.

ج - اختلاف النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهذا يؤدي إلى اختلاف دور الدولة ومدى تدخلها في النشاط الاقتصادي من دولة لأخرى.

د - تدخل الاعتبارات السياسية في القرارات التكاملية.

هـ - عدم وجود معايير موضوعية مقبولة لتنوع التخصصات وتقسيم العمل بين الدول، وكذا عدم وجود معايير واضحة ومقبولة لتوزيع أعباء وعوائد التكامل.

و - الجهود الكبيرة للشركات متعددة الجنسية في الحفاظ على مصالحها الاقتصادية، وبالتالي السعي لعرقلة أية جهود إقليمية في هذا الشأن.

³⁴ - عبد الحق الشكري " التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي "، كتاب الأمة رقم (17)، طبعة الأولى

/ 1408 هـ الدوحة، قطر، ص: 140.

6 - تفعيل الدور السياسي والاقتصادي لدول العالم الإسلامي:
في ظل التطورات السريعة التي تطرأ على الاقتصاد العالمي في السنوات الأخيرة يجب أن يكون أبناء الأمة وعلمائها على يقظة تامة للكشف عن التحديات والمشكلات التي تواجه دولهم.

الجزائر والعولمة :

تحتل الجزائر موقعا جغرافيا متميزا لها، فهي تقع على احد ضفتي البحر الابيض المتوسط بساحل شاسع وقرب مع الشريك الاوربي، لكن بالمقابل لها سياسة اقتصادية غير قوية كما قال **روبيرت ماندل**¹، الذي ألقى محاضرة حول "الاقتصاد المعولم بحاجة لعملة معولمة" في ملتقى نظمه مركز "الخبر" للدراسات الدولية، واحتضنه فندق الشيراطون يوما التاسع والعاشر من شهر جوان 2005: "إن السياسة التجارية في الجزائر تركز بشكل واضح على المحروقات، إلى جانب ذلك، فإن منظومتها البنكية جد سيئة، بسبب عدم خوصصة كافة بنوكها". وقال عن الشركات الجزائرية "إنها فاشلة وأن الناتج القومي الخام جد ضعيف، يضاف إلى ذلك التدخل الواضح للدولة في تسير الاقتصاد"، داعيا إلى ضرورة أن يتم استغلال القدرات السياحية بشكل أفضل، "فالجزائر لديها إمكانات متعددة، منها ساحل شاسع، وموقع جغرافي هام، بسبب قربه من أوروبا، ويضاف إلى كل ذلك، فهي لديها أفضل شريك وهو الاتحاد الأوروبي"². ونحن نرى ان وراء هذا الضعف اسبابا ذاتية ولكن في نفس الوقت هناك تأثيرا للعولمة الاقتصادية على الجزائر. فقد فرض صندوق النقد الدولي على الجزائر منذ عام 2000 ضمن برنامج التعديل الهيكلي حل عدد كبير من هذه المؤسسات وتسريح 200 ألف عامل في عهدي "احمد اويحي" على رأس الحكومة. ففي مجال الخصخصة اعترفت الحكومة الجزائرية علي لسان وزير الاستثمار ومساهمات الدولة "**عبد الحميد تمار**" بان عمليات الخصخصة في الجزائر تعرف تأخرا كبيرا.³ وتقول الارقام التي قدمتها الحكومة الجزائرية ان برنامج الخصخصة سيجلب للخزينة العمومية للجزائر 800 مليار دينار جزائري (10 مليارات دولار). ويشمل برنامج الخصخصة الذي اعدته الحكومة الجزائرية الممتد من جوان 2003 الى غاية جوان 2006 التنازل عن اصول 922 مؤسسة عمومية وقد جرت خصخصة 90 بالمائة من هذه المؤسسات بين سنتي 2006 فقط 2005.

¹ الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد

² الموقع الالكتروني لجريدة الخبر الجزائرية www.elkhabar.com/dossier/?idc=69

³ <http://www.irna.com/ar/news/view/line-29/0611048271210607.htm>

ومن بين اسباب تأخر عمليه الخصخصة هو عدم اهتمام القطاع الخاص الجزائري بالمشاركة في اسهم المؤسسات العموميه المعروضة للخصخصة.

بالمقابل يتهم القطاع الخاص الجزائري الحكومة الجزائرية والقوانين التي وضعتها لتسيير عمليه الخصخصة بالتسبب في هذا التأخر¹.

كما ان الجزائر فتحت ابوابها للاستثمارات الاجنبية وقد نجحت كثير من الشركات العالمية في تحقيق ارباح مهمة من امثلة ذلك : " شهدت أوراسكوم تليكوم القابضة نجاحًا عندما تم إطلاق أوراسكوم تليكوم الجزائر² في فبراير 2002. وشهدت الشركة نموًا حتى أصبحت الشركة الرائدة في السوق من حيث كل من أعداد المشتركين وجودة خدمات الاتصالات المقدمة. وتقدم Djezzy الخدمة إلى حوالي 9.5 مليون مشترك في شبكتها وتبلغ حصتها في السوق 65% (في جوان 2006).³

وقد فتحت الجزائر افق التعاون الاستراتيجي، وتطوير علاقاتها مع العالم، وإحداث شراكة اقتصادية تتجاوز المبادلات التجارية، ويظهر من خلال التوقيع على الاتفاقيات المبرمة بين الجزائر وغيرها من الدول فمع الصين مثلاً هناك تطور مستمر في التعاون الاقتصادي⁴؛ بعد أن وقع البلدان لأول مرة اتفاقية التجارة والمدفوعات عام 1964، ينمو التبادل التجاري بينهما بشكل متواصل. في السنوات الأخيرة، ومع تحسن الأوضاع الداخلية في الجزائر تدريجياً ونمو اقتصادها، زاد حجم التبادل التجاري بينهما مرة أخرى، حيث بلغ 198ر85 مليون دولار أمريكي عام 2000، وارتفع إلى 433ر8 مليون دولار 2002، وبلغ 97ر659 مليون في الفترة من يناير إلى نوفمبر عام 2003، منها 565ر08 مليون دولار أمريكي صادرات صينية للجزائر، بزيادة 1ر83%، وواردات صينية قيمتها 94ر9 مليون دولار بزيادة نسبتها 8ر26%. هذا يعني أن حجم التبادل التجاري الصيني الجزائري قد زاد⁵ نحو 2ر5 ضعف من عام 2000 إلى عام 2003. وفي نفس الوقت تحسن هيكل المنتجات في التجارة بين الطرفين. ففي الفترة من يناير إلى سبتمبر من عام 2003 بلغت قيمة المنتجات الصناعية التي صدرتها الصين إلى الجزائر 295ر83 مليون دولار أمريكي، وبهذا تكون الصين سابع أكبر مصدر إلى الجزائر. في مقابلة المشروعات والعمالة وقعت الصين مع الجزائر 198 اتفاقية لمقابلة المشروعات، قيمتها نحو 1ر89835 مليار

¹ <http://www.irna.com/ar/news/view/line-29/0611048271210607.htm>

² SPA (Djezzy)

³ www.arabstrategies.org/Ar/Sponsors/OrascomProfile.php

⁴ - العلاقات الصينية الجزائرية- مجلة الصين اليوم العدد 3 مارس 2004 www.chinatoday.com.cn/Arabic

⁵ - العلاقات الصينية الجزائرية- مجلة الصين اليوم العدد 3 مارس 2004 www.chinatoday.com.cn/Arabic

دولار أمريكي، وقيمة أعمالها نحو 902ر48 مليون دولار أمريكي، يعمل 5067 عامل صيني في هذه المشروعات. تقوم الشركة الصينية العامة للمشروعات الهندسية وغيرها من 14 شركة صينية بأعمال مقاولة المشروعات رئيسيا، تغطي أعمالها البناء المدني والري والبتروك والاتصالات. في عام 2001 كانت الصين في المركز الخامس العالمي والمركز الأول الأفريقي من حيث قيمة اتفاقيات مقاولة المشروعات والعمالة في الجزائر.

هناك تطور جيد للتعاون الصيني الجزائري في مجال البترول. فبعد أن فازت الشركة الصينية للبترول، صينوكيت، بمشروع إصلاح حقول زارزاتين في أكتوبر 2002، وقعت مجموعة الصينية للبترول، بترو تشينا، اتفاقية مع الجزائر لبناء أول مشروع موحد للتعاون الجزائري الخارجي في مجال البترول في يوليو 2003، ثم وقعت في ديسمبر من نفس العام اتفاقيتين حول التنقيب بحوض الشرف ومنطقة أخرى، مما يشير إلى أن التعاون الصيني الجزائري في مجال البترول يتطور بخطى متسارعة¹.

سياسة مواجهة العولمة

إنَّ خطورة العولمة تستدعي تضافر الجهود من أجل مواجهتها، واول صور المواجهة تقتضي تحسين المكانة في هذه المعمورة من خلال القيام ببعض الجهود التي تشكل أولويات في سياسة المواجهة، ومن هذه الجهود ما يلي:

1: تنمية حس التحصين و الممانعة: على المستوى الفردي والجماعي يستلزم نشر الوعي بالعولمة، طبيعتها ومجالاتها وتأثيراتها، قصد بلوغ مستوى عدم القابلية للانهازم والاستسلام امام ما تفرضه الرأسمالية. وهذا الدور لابد ان تقوم به جماعة المفكرين والمثقفين والأدباء والعلماء

2: تقوية الصمود الثقافي: اذا كانت العولمة تعمل على تنميط الأذواق والأعراف و تدعو الى تعميم النمط الثقافي الاحادي (السلوك ، الفن ، الاستهلاك) فلا بد من تأكيد العلاقة الواعية مع الثقافة الفعالة والبناءة ومحاولة إيصالها لكل أفراد المجتمع لتشكل درعاً يصمد تجاه كل عمليات الاختراق التي تأتي مع رياح العولمة، وأيضاً من خلال تنمية الوعي الذاتي بغرس المفاهيم الثقافية الذاتية والإيجابية، وذلك عن

¹ - العلاقات الصينية الجزائرية- مجلة الصين اليوم العدد 3 مارس 2004
www.chinatoday.com.cn/Arabic

طريق التربية السليمة ومناهج التعليم المتطورة ووسائل الإعلام الهادفة. إنَّ تحقيق ذلك كله سيؤدي إلى تقوية إرادة التمتع عن الذوبان الثقافي والاجتماعي في تيار العولمة³: تطوير الواقع عمليا؛ ويشمل ذلك:

- أ/ إعادة بناء البنى الإدارية والاقتصادية والسياسية وفق استراتيجية جديدة تضع في الحسبان خدمة الافراد والمجتمع بالدرجة الاولى.
- ب/ بلورة استراتيجية عملية فعّالة للاستفادة من كل الفرص التي توفرها العولمة والعمل على التمكين لمجتمع قادر على مسايرة العولمة.
- ج/ إعادة بناء النظم التعليمية والتربوية بحيث تكون منسجمة مع المتغيرات الدولية ومتطلبات التنمية الشاملة.
- 4: توفير الإطار المرجعي:

يعتبر الاطار المرجعي ضروري لتقييم الأسس والمفاهيم والسلوكيات التي تقوم عليها العولمة، ونحن كأمة إسلامية لا نستطيع أن نكون إطاراً مرجعياً بعيداً عن ثقافتنا وخصوصياتنا وقيمنا الإسلامية. يقول حسين جمعة: "إن بزوغ فجر جديد للأمة لا بد من أن يستند إلى التمسك بالهوية الوطنية والقومية باعتبارها المادة، وبالتراث والثقافة باعتبارهما الجوهر والروح الحضارية التي شكلت الرؤى الإنسانية لها في كل زمان ومكان. إن انبثاق مثل هذا الفجر لا يعني تبعية ثقافة الأمة لثقافة الآخر، وإنما يعني الانفتاح والتفاعل، لا الوقوع في النسخ والتشويه والاستلاب. فثقافة الأمة العربية - وإن تخلفت بعض أدواتها؛ وبعض صورها - مازالت غنية بكثير من الرؤى التي تدفع البشرية إلى التقدم"¹. ويضيف: "فالأمة التي تحافظ على ثقافتها وهويتها ولا تغلق عيونها عما ينتجه الآخر لن تهزم".

وفي هذا السياق فإنَّ علينا أن نوَّكِّد أنَّ رؤيتنا للأشياء لابدَّ أن تتم من خلال تصورنا المتوافق مع قيمنا²، لا من خلال رؤية الآخرين. ماهي التوجيهات العملية لمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر.

معالجة قضايا الفقر: لم تكن وعود العولمة بشأن محاربة مشاكل الفقر سوى وعوداً جوفاء، فإنَّ الملاحظ أنَّ مشكلة الفقر ستتزايد من يوم لآخر، ذلك أنَّ هم الأغنياء لا يخرج عن تحقيق الربح السريع وهذا النهم العظيم للربح يجعل الفقراء يُداسون تحت عجلة العولمة الاقتصادية. فالجزائر اذن مطالبة بمواجهة تلك المشكلة من خلال:

- دعم البنك الإسلامي للتنمية ليدعم مشروعات التنمية .

¹ - حسين جمعة، "العرب اليوم بين الواقع والطموح"، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. 2005

² - كما لابدَّ أن نراعي تميُّزنا كأمة مسلمة لها الوسطية والخيرية، فإنَّ هذا هو السبيل الأفضل للحفاظ علي انفسنا من الإذابة في بحر النمطية التي تريدها العولمة.

- تهيئة الفرص لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الجزائر والدول الإسلامية، بإنشاء السوق الإسلامية المشتركة، وبالتالي يقلل من وقوع الاقتصاد الإسلامي تحت رحمة البضائع الأجنبية ويدعم الاكتفاء الذاتي.
 - إبراز المشروع الإسلامي فيما يخص مواجهة الفقر عبر مبدأ التكافل الاجتماعي (الزكاة، الصدقات، الخ).
 - أن تدعم إنشاء جمعيات استهلاكية تعاونية يسهم بها الفقراء ومحدودي الدخل.
 - إقامة المشروعات الصغيرة وأماكن التسوق والورش الصناعية.
 - منح الدولة قطع أرض لذوي الدخل المحدود أو لراغبي القيام بأعمال لا تحتاج لرؤوس أموال كبيرة ومساعدتهم عن طريق الإقراض المالي معالجة مشكل ضعف مستوى التعليم.
 - خوض بحر العولمة يقتضي تدعيم البرامج التربوية والتعليمية قصد مساهمة التطورات العالمية بوسائل وتقنيات التعليم، ويتأتى ذلك من خلال:
 - دعم مشروع التعليم للجميع في كل الجهات ، فلا يكون من حق الأغنياء والمترفين فقط.
 - الاهتمام بتشجيع وتمويل ودعم المشاريع العلمية البحثية.
 - تحسين أوضاع البحث العلمي عن طريق تجديد المناهج الدراسية وتطوير فعاليتها و تنمية روح البحث وملكة النقد لدى الباحثين والطلبة، وفي سبيل هذا فلا بد من تزويد المدارس والمعاهد بالورش والمختبرات العلمية.
 - معالجة مشاكل الرعاية الاجتماعية: تقوم العولمة على نظرية أساسية هي أن الكبار يسيطرون والصغار يذوبون، والأصحاء يعيشون والضعفاء يموتون من هنا كان لزاما علي الدولة مايلي:
 - دعم المشاريع الخيرية والربحية فيما يخص رعاية ذوي الحاجات الخاصة.
 - التوسع الأفقي في نشر الرعاية الاجتماعية،
 - معالجة مشاكل الصحة والبيئة: - بدعم الأبحاث فيما يخص الأمراض البوائية والمستعصية والمزمنة، وذلك من خلال إقامة المعاهد البحثية الملحقه بالمستشفيات.
 - تكثيف إجراءات الطب الوقائي ودعم مجالات التوعية الصحية والبيئية.
 - زيادة الاهتمام بتلوث البيئة وطرق الوقاية.
 - نشر الخدمات الصحية رأسياً وأفقياً.
 - معالجة قضايا الديمقراطية و حقوق الإنسان: من خلال قيام وسائل الإعلام بدورها في تحصين المجتمع ضد فرض النموذج الغربي عليه فيما يخص الحريات وحقوق الإنسان.
- الخلاصة:**

لا شك أن التنسيق الثلاثي بين صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي والمنظمة العالمية للتجارة هو السمة المميزة للاقتصاد العالمي، وبهذا التنسيق يتولد فكر العولمة خطاباً رسمياً يرتوي من تلك البنود والتوجيهات والقيم التي وضعها فقهاء الاقتصاد في زمن العولمة. فالعولمة هي أحدث أشكال النظام الرأسمالي الدولي والذي قام وما زال يعمل من أجل خدمة مصالح القوى الرأسمالية من دول ومؤسسات ضخمة متعددة القوميات، وأهم هذه المصالح موجودة في **الولايات المتحدة الأمريكية** و بيد الشركات الأمريكية، ومن خلال هذا المنظار فإن العولمة ليست سوى الشكل الجديد أو الأكثر حداثة للاستعمار بمفهومه الاقتصادي العام.

الأساس التقني و العلمي للعولمة :

من الفرضيات التي اشرنا اليها في السابق نجد الأسس العلمية والتقنية التي ساهمت في إيجاد ظاهرة العولمة، لاثبات ذلك نتابع تاريخيا تطور العلوم، ونقف عند الثورة العلمية، بالتركيز على الفترة التي تحدد بدايتها، ونتكلم عن أهم معالم عصر النهضة من النواحي الإبداعية، والاقتصادية، والفكرية، ونركز على النهج العلمي الذي وضع العلم الحديث على وجهته الحقيقية لنرى المسارات التي بلورتها هذه الثورة العلمية .

وفي ثنايا هذا الفصل نتحدث عن ثورة الاتصالات وأثرها في تسريع حركة العولمة، ودفعها بصورة مذهلة إلى الأمام، ونركز على وسائل الاتصال الكبرى التي لعبت دورا مهما في التقريب بين الناس، وتسهيل عملية الاتصال، ونتحدث عن الاختراعات العلمية التي تتزايد يوما بعد يوم بصورة مضاعفة،¹ بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه التكنولوجيا في إرساء معالم العولمة .

كما نقف عند موضوع المعلوماتية وكيف ساهمت تكنولوجيا المعلومات على مختلف تطور مراحلها، في انكماش العالم بتقليص المسافات بين الأفراد والشعوب، ونستعرض المشهد المعلوماتي لنبين كيف أن المعلومات تمثل قوة اقتصادية هامة، وكيف يعمل عصر المعلومات على توحيد نمط الاقتصاد وازدهاره، وكيف أعادت تكنولوجيا المعلومات صياغة ثقافة المجتمع المعاصر.

ونقف أيضا عند التجارة الالكترونية فننتحدث عن خصائصها، وأنواعها، ومستوياتها ونموها، وأبعادها الاقتصادية، و سلبياتها ومنافعها الاقتصادية. كما نتحدث عن ماهية الإنترنت وتطور مراحلها، وتوجهاتها، وخدماتها، وفوائدها، ودورها في بلورة ما يعرف بالقرية الكونية حيث مكنت الأفراد من الاتصال بالصوت، والصورة، وجمعهم في فضاء واحد.

إن العولمة في اعتقادنا ما كانت لتكون بهذا الانتشار لولا اعتمادها على التطورات التقنية والعلمية التي عرفها القرن الحالي والذي سبقه، وهذا ما نجليه في هذا الفصل.

نظرة تاريخية عن تطور العلوم والتقنيات :

¹ أشارت جريدة الخليج ليوم 16/01/1999م إلى أن الاختراعات المسجلة، خلال عام 1998 في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، قد بلغت أكثر من 151 ألف اختراع.

لا شك ان العلوم المختلفة لا ترتبط بحضارة معينة وإنما هي حصيلة تطور الجهود العلمية عبر العصور¹، غير ان العصر الحديث عرف ثورة عظيمة في مجال تطور العلوم والتكنولوجيا، وقد ظهرت ملامح هذه الثورة في أوروبا، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر². يقصد بالثورة العلمية تلك التحولات الشاملة التي طرأت على كل مرافق الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ويناقش **فلوريس كوهين** هذا الموضوع فيقول: "مفهوم الثورة العلمية مجرد استعارة، إنه يحيل مباشرة الى حدث في الماضي أو حلقة [تاريخية] واقعية لا جدال فيها؛ وهي بزوغ العلم الحديث"³ إذ أن مفهوم "الثورة العلمية" يعبر عن لحظة تاريخية محددة. ولو ان هذه التحولات لم تحصل بنفس الحدة في كل المناطق، نظرا للفروق في توفر الخيرات الاقتصادية وأساليب توزيعها، ونمو الوعي الحضاري لدى السكان. كما ان هذه التحولات العلمية الذي حصلت في أوروبا خلال القرنين المذكورين لا تنفصل عن الأحداث السياسية والاجتماعية وعن النشاط الفكري عامة.

ومفهوم "الثورة العلمية" وضعه فلاسفة الأنوار في أواسط القرن الثامن عشر بالمعنى الذي يعبر عن تحول الأفكار الأساسية حول العالم، ثم ظهر مفهوم "الثورة العلمية" ثانية على يد مؤرخ العلم **الكسندر كويري** في أواخر الثلاثينات من القرن الحالي، والمؤرخ **هربرت بترفيلد**، فاستعمله كثير من مؤرخي العلم منذ ذلك الظهور. تعبيرا عن الفترة قبيل وبعد عام 1600م. عندما توصل **غاليلي** إلى اكتشافات أساسية في الديناميكا والفلك حيث قدمت أجوبة دقيقة لأسئلة قديمة

¹ على الرغم من مساهمة الفراعنة والآشوريين والبابليين والفينيقيين في إرساء معالم التفكير العلمي إلا أن مساهمة الإغريق في هذا الصدد تبدو أكثر من غيرها من الحضارات ثم وضعت الحضارة الإسلامية العالم على الوجهة العلمية الحقيقية، ثم تسارع الإنتاج العلمي بإيجاد حلول علمية لأسئلة طالما أعجزت الدارسين حول حركة الأجسام وسر انتظام حركة الأجرام السماوية وطبيعة الضوء والمد والجزر وإعادة سبك المعارف العلمية القائمة التي أنجزها الإغريق والمسلمون خصوصا، لقد عرفت المجتمعات الإغريقية والإسلامية- بعض العلوم، فتطورت عندها، لكنها لم تعرف انتشارا على مدي جماهيري واسع، ولم تصبح جزءا أساسيا من الحضارة السائدة في المجتمع، كما عرفت أوروبا خلال "الثورة العلمية"، وما أدت إليه من تجديد في الحياة اليومية للمواطن الأوروبي.

² من الصعب أن نتصور إجماعا بين كل الباحثين- حول تحديد بداية الثورة العلمية التي نحن بصدد منجزاتها. فكل بناء استدلالي وكل حدث فكري وكل ظاهرة اجتماعية تنخرط تشعباتها في صيرورة ثقافية-تاريخية ممتدة في الزمان والمكان، حيث تتواصل حلقاتها مع الماضي بدون قطيعة صارمة كتلك التي تحدث عنها باشلار. ولهذا فتعيين القرنين السادس عشر والسابع عشر كبدية لهذا التحول لا يمتلك قوة مطلقة.

³ Floris Cohen A H, The Scientific Revolution, Chicago & London: the University of Chicago Press, 1994, p. 500

باتت تشغل الدارسين. وتتسع هذه الفترة لتضم إنجازات **ديكارت** الفلسفية الطبيعية ، بل تشمل زمن **كوبرنيك ونيوتن** (أي من أوائل القرن السادس عشر إلى أواخر القرن السابع عشر)، لأن أعمال **غاليلي وكبلر وديكارت** تندرج في الدفاع عن بناء مفهومي قائم هو بناء **كوبرنيك** الذي وجد تتويجه في إنجازات **نيوتن** التجريبية والتنسيقية¹. وهي الانجازات التي ميزت العصر الجديد وسمته بعصر النهضة².

ولم يكن تمديد المجال الدلالي لمفهوم "الثورة العلمية" قبل أو بعد القرنين السادس عشر والسابع عشر مقبولا عند الجميع. وفي هذا السياق كتب **رشارد وستفال**: "يستند مفهوم "الثورة العلمية" إلى إعادة التنظيم الجذرية لفهم الطبيعة، التي حصلت فعلا في القرنين السادس عشر والسابع عشر. أنا مقتنع بعدم وجود طريق آخر لفهم تاريخ العلم بدون الاعتراف بهذا الواقع، بحيث أنه إذا وسعنا من مفهوم "الثورة العلمية" ليضم القرن الثالث عشر سنحتاج إلى إبداع حد آخر لغرض التعبير عن التغييرات التي حصلت في القرنين السادس عشر والسابع عشر"³. والخلاصة التي نصل من كل هذا ان مفهوم "الثورة العلمية"، يمكن أن يضيق أو يتسع، دون أن يدعي أحد أنه قد وضع حدا للاختلاف حول مدلوله.

من أشهر التصورات التي اجتهدت في رسم اللحظة الفاصلة في تطور العلم في أوائل هذا القرن ما جاء به العالم والمؤرخ الفرنسي **بيير دوهيم**، والذي يعين هذه الفترة الحاسمة والمتمثلة في وسط القرن الرابع عشر في جامعة باريس على يد علماء مسيحيين أشهرهم **جان بوريدان** (1295-1358) و**نيكول أورزم** (1303-1382). ففي نظر **دوهيم** ان هناك علاقة واضحة بين فيزياء **غاليلي** وفيزياء علماء باريس، حيث انتقلت إليه هذه من خلال تلمذهم الذين أخذ عنهم **غاليلي** في باريس مباشرة أو عن طريق التأثير غير المباشر. و يشيد

¹ يمكن أن نعتبر أن التحول المفهومي في العلم حصل ما بين سنة 1609، وهي سنة المكشوفات الجديدة حول سقوط الأجسام على يد **غاليلي** وحركة المريخ على يد **كبلر**، وسنة 1638، حيث اكتملت أعمالهما ونشرت بالإضافة إلى كشوفات **هارفي** البيولوجية وديكارت الجبرية. ويمكن اعتبار أن التحول المفهومي الجريء قد حصل ما بين سنة 1597 وسنة 1650 بالنظر إلى أن الإنجازات المشار إليها تمت بعد تهيئ وعمل منهجين في إطار برامج علمية واضحة المعالم. ويمكن القول إن التحول حصل ما بين سنة 1543، وهو تاريخ صدور مؤلف كوبرنيك المجدد وسنة 1687، وهو تاريخ صدور مؤلف نيوتن الذي يتوج إنجازات السابقين وينشئ بناء متكاملًا، وينظمها في نسق منسجم واحد.

² مفهوم "النهضة" يعنى كون العصور الوسطى تمثل قرونا من الظلام تتوسط بين العصر الذهبي الإغريقي واستعادة مكوناته خلال القرن الخامس عشر. فإذا بسير الأبحاث التاريخية المعاصرة حول تلك العصور تكشف عن الاتصال المستمر بين العصر الوسيط الذي كان يوصف بالظلام، والنهضة التي كانت توصف بالإشعاع.

³ - Westfall, R.S. "Science and technology during the Scientific Revolution: an empirical approach", in J.V. Field & F.A.J.L), **Renaissance and Revolution**. James editions p 246

دوهيم بعلماء باريس المسيحيين الذين وقفوا في وجه الاتباع الأرسطي، ويوجه **دوهيم** نقدا لازعا لابن رشد والأرسطيين "حيث يتهمهم بأنهم جمدوا الفكر بدفاعهم عن الأسلوب الأرسطي في الفكر الذي ينفر من التناول الرياضي للموضوعات المبحوثة"¹. فالعلم الحديث في نظره وليد التقليد الباريسي الذي وجد من يتمسك به ويطوره من أساتذة وعلماء، "وغاليلي ومنافسوه كانوا ورثة هذا التقليد الباريسي"². لكن التفسير الذي يقدمه **دوهيم** لبروز هذا الظهور المناهض لفكر أرسطو، حسب بعض الباحثين³ لا يبين وجود تطور في المفاهيم التجريبية بل يرجع الفضل في ذلك التحول المفهومي إلى قرار المنع الذي أصدرته سلطة الكنيسة في شخص **إتيين تومبيي**، بأمر من روما، بخصوص تدريس وتداول دعاوى فلسفية جلها أرسطية ورشدية⁴. وفي نظر **دوهيم** فالعلم الحديث تمخض عن هذه الدعاوى الإيمانية للأرسطية. إذ كتب: "إذا كان لا بد من تعيين تاريخ لميلاد العلم الحديث، فإننا نختار ولا شك تلك السنة 1277م. التي أعلن فيها أسقف باريس رسميا أنه يمكن أو توجد عوالم كثيرة، وأن مجموع الأفلاك السماوية يمكن أن تسكنها حركة مستقيمة، وذلك بدون وقوع في تناقض"⁵. فالعلم الحديث في تصور **دوهيم** ولد على إثر قرار ديني ضد أفكار أرسطو. ويمكن الرد على تصور **دوهيم** هذا من خلال الملاحظات الآتية:

¹ - بناصر البعزاتي، كيف حصلت "الثورة العلمية" في أوروبا؟

www.fikrwanakd.aljabiriabed.com

² - **Pierre Duhem**, *Etudes sur Leonard de Vinci*. Vol.III: **Les Précurseurs Parisiens de Galilée** (1913), Editions des Archives Contemporaines, Gordon and Breach Science Publishers S.A., 1984, p : 6

³ بناصر البعزاتي، www.fikrwanakd.aljabiriabed.com.

⁴ وهذا المنع يكون قد ساعد على تقدم الفكر، لأنه فتح آفاقا جديدة خصبة غير أرسطية في تحليل الظواهر. فقد تطورت فكرة القوة الدافعة (الميل، إمتوس) على يد جان بوريدان ونيكول أورزم، التي كانت الأساس النظري الذي تطور مع تجدد التجارب وأدى إلى فكرة العطالة، ذلك المبدأ المركزي في الفيزياء الحديثة. لقد كانت فكرة السببية الأرسطية المرتبطة بقدم العالم تحول دون تقدم النظر؛ فأتى قرار منع الدعاوى التي تحد من قدرة الخالق، ليفتح المجال لفكرة تعدد العوالم والدفع الأولى وقدرة الله اللانهائية.

⁵ ? - **Pierre Duhem**, *Etudes sur Leonardo*, Vol. II, p. 412: "S'il nous fallait assigner une date à la naissance de la Science moderne, nous choisirions sans doute cette année 1277 où l'Evêque de Paris proclama solennellement qu'il pouvait exister plusieurs Mondes, et que l'ensemble des sphères célestes pouvait, sans contradiction, être animé d'un mouvement rectiligne".

عن بناصر البعزاتي، كيف حصلت "الثورة العلمية" في أوروبا؟

www.fikrwanakd.aljabiriabed.com

1 - اذا سلمنا بأن القرار الديني الصادر ضد افكار ارسطو عام 1277 قد ساهم في البحث عن الأفكار غير الأرسطية، فان الافكار غير الأرسطية التي تطورت خلال القرن الرابع عشر لم تقطع مع أرسطو، لأن فلسفة ابن رشد الشارحة للفكر الارسطي عرفت انتشارا واسعا في اوربا منذ ان ترجمت، و ظلت تناقش حتى القرن السادس عشر لان التصور الرشدي يجمع بين فلسفة أرسطو والدين من جهة، ومن جهة اخرى فان المفاهيم الفيزيائية في القرن الرابع عشر لا تتناقض مع التصور العام للفلسفة الأرسطية، كما تداولها الدارسون آنذاك، وما يدل على ذلك استمرار النشاط العلمي في البحث عن الكتب والمخطوطات والترجمة من اللغات اليونانية والعربية والعبرية، وربما الفارسية وغيرها،

2- ان رفض دعاوي أرسطو وابن رشد في ذلك الوقت، ليس مرده الانكار الكلي للفكر الارسطي وإنما توجيه البحث بالاطلاع الواعي على الإنجازات العلمية التي قام بها **آرخميدس وأقليدس وبطليموس وابن الهيثم وابن سينا** وغيرهم في ميدان العلوم الوضعية.

ومن التصورات التي خالفت موقف **دوهيم نجد تصور ألكسندر كويري** الذي يرى أن نمو المعارف يتم في شكل بناءات منفصلة مختلفة عن البناءات السابقة. ويرتبط هذا الموقف بفلسفة عقلانية تدعي أن الثورة العلمية التي دشنها **غاليلي وديكارت** قامت على مبدأ الصياغة الرياضية للوقائع، بصورة لم يسبق لها مثيل؛ وأن طريقة **غاليلي** العقلانية الرياضية قطعت مع التناول الكيفي في دراسة الظواهر. فكتب: "الفيزياء الجديدة قامت على أسس قبلية. فالنظرية تسبق الواقعة؛ والتجربة غير مجدية، لأننا نمتلك المعرفة التي نبحث عنها قبل كل تجربة"¹. ويرجع **كويري** الأصول التكوينية للعلم الجديد القائم على الصياغة الرياضية العقلانية للطبيعة إلى فلسفة أفلاطون، التي تبنّاها علماء العصر الحديث للوقوف في وجه الفكر الأرسطي. وهناك من الدارسين الذين يحاولون تأليف تصور يجمع بين **ماركس وباشلار وليفى ستروس**؛ ويعتبرون أن الفيزياء الحديثة التي تأسست في القرن السابع عشر منفصلة عما سبقها، وهي حاصل "قطيعة إبستمولوجية" مع ما يسمونه "ما قبل العلم". والقطيعة الإبستمولوجية لحظة حاسمة يتحرر فيها العلم من ماض ليس إلا مجرد عائق، فهي "نقطة اللاعودة"، التي يبتدئ منها هذا العلم، بحيث يصير

¹ Koyré, A. Galilée et la révolution scientifique (1943, 1955), in Etudes d'Histoire de la Pensée, Gallimard, 1973, p. 211.

كل رجوع إلى فكرة سابقة مستحيلاً². أي أنه لم يكن هناك قبل غاليلي علم حقيقي.

ابرز معالم عصر النهضة¹ :

تميز عصر النهضة الاوربية بكثير من المعالم المميزة بين مرحلتين في تاريخ اوربا نقلتها من العصور الوسطى الى العصر الحديث اهمها:

من الناحية الابداعية :

تميز عصر النهضة، خصوصا خلال القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر بظاهرة الإبداع الفني، وعرفت ايطاليا عدة فنانين، حيث انتشرت اللوحات والصور الشخصية والمنحوتات والمنقوشات الخشبية والتحف والأزياء المزركشة. واستخدمت الأساليب الرياضية في التشكيل. واعتبرت الأدوات الرياضية والعلمية طرقا ناجعة من أجل انجاز الاعمال الفنية انطلاقا من ملاحظة الظواهر الطبيعية. وقد أصبحت الفنون موضة مجتمع النهضة، كما تطور أسلوب البناء المعماري، متجليا في بناء الكاتدرائيات الكبيرة والقبة باستخدام تقنيات هندسية عالية لتوفير المتانة الضرورية للبناء. وتحقيق شروط الانسجام والجمال.

من الناحية الاقتصادية:

انتعشت التجارة بين الشرق والغرب خاصة عبر البحر الابيض المتوسط ، كما بدأت طرق الإنتاج والتعامل في ميادين التجارة والصناعة والمال تتحسن في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر. وبالرغم من الطابع الاداري الذي اتخذته المؤسسات البنكية والتأمينية والشركات التي كانت منتشرة في اوربا، إلا ان طابع السرية كان لا يزال سائدا خوفا من موقف رجال الدين المعارض لنمط العلاقات الإنتاجية الجديدة. ولكن مع اتساع المراكز التجارية وتزايد عدد البواخر وتطور قدراتها الحمولية وكثرة السلع المتداولة في التحويل والاتجار، أصبح الاقتصاد الأوروبي منذ حوالي 1500م قطب الاقتصاد العالمي.

من الناحية الفكرية:

² Fichant M. & Pêcheux M., Sur l'Histoire des Sciences, Paris: F. Maspero, 1971, pp. 8-9.

¹ - النهضة بمفهومها الخاص هي حركة إحياء التراث اليوناني والروماني، أما بمعناها الواسع فهي عبارة عن ذلك التطور الحاصل على مستوى العلوم والفنون وطرق التعبير، و الدراسات، وما صاحب ذلك من تغير في أسس الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية

في المجال الفكري انتشرت المجالس الأدبية وخرجت عن الطابع الديني الذي لازمها فترة طويلة،¹ واتسع جو الجدل الفكري. وقد زاد إنتاج الكتاب وتداوله، باعتباره عنصرا مهما في العلاقات الجديدة من الزاوية الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، من تحرير الفكر وتوجيهه، نحو دراسة أمهات الكتب الإغريقية، المترجمة و المطبوعة² في الفلسفة والأدب والعلم.. وكان لنتيجة هذا التحول في الآداب والفنون والكتاب تطور ملحوظ وتوجهات تدعو إلى تغيير العلاقات بين المؤسسة الدينية والمجتمع والسلطة السياسية او بالأحرى تحرير المجتمع من السلطة الدينية.

وخلاصة لما سبق يمكن الإقرار بأن تحولا مهما قد حصل في أوروبا خلال النهضة والفترة التي نقول إنها عرفت ثورة علمية.

منهج البحث العلمي³:

لقد تطور النشاط التجريبي في القرن السادس عشر، وأصبح يتبنى طريقة التعبير التكميمي عن نتائج التجارب التي تجرى مجهزة بآلات مستحدثة. فقد أدرك الباحثون ان تناول العلمي للظواهر والاحداث يقتضي مواصلة تتبع الملاحظة لتدقيق الأحوال المختلفة للوقائع المدروسة. ونجد تعبيرا عن هذه الفكرة لدى بعضهم كما نجد ممارسة لذلك. فقد كتب **فنسنزو غاليلي** (أب غاليلي الفيزيائي): "أتمنى أن أشير إلى رأيين خاطئين اقتنع بهما الناس عن طريق كتابات مختلفة، وأخذت بهما أنا كذلك، إلى أن تيقنت من الحقيقة بواسطة التجريب، التجريب معلم كل شيء"⁽⁴⁾ وقبله **ألح ليوناردو دافنشي** على الاستناد إلى التجربة "المعلمة الحقيقية"، وأن "الحكمة بنت التجربة"، كما ألح على أن لا علم بدون رياضيات؛ إذ "الميكانيكا جنة علم الرياضيات، لأنه بواسطة يجني المرء ثمار الرياضيات"⁽⁵⁾.

¹ - اذ لم تكن تخرج الحوارات الادبية عن الاديرة والكنائس.

² - اتخذت حركات الإصلاح الديني من الطباعة الجديدة أداة ناجعة لنشر مبادئها بين مختلف الأوساط.

³ شكلت مسألة المنهج موضوعا مركزيا في المناقشات خلال القرن السادس عشر. فتطورت أفكار حول قواعد المنطق ومدى فعاليتها في إنتاج المعرفة العلمية. تبين للكثير أن قواعد المنطق الصوري ليست بالضرورة مجدية في الممارسة الفعلية للعلم التجريبي. لهذا تطور رأي يدعو إلى التمييز بين "المنطق كما يعلم" و"المنطق كما يمارس".

⁴ - Vincenzo Galilei, in W.P.D. Wightman, *Science in a Renaissance Society*, p. 165: "I wish to point out two false opinions of which men have been persuaded by various writings and which I myself shared until I ascertained the truth by means of experiment, the teacher of all things".

⁵ - Leonardo de Vinci, *The Notebooks of Leonardo D. V.*, Oxford & New York: Oxford University Press, 1991, pp. 1, 6 9

عن بناصر البعزاتي ، كيف حصلت "الثورة العلمية" في أوروبا؟
www.fikrwanakd.aljabiriabed.com

ثورة الاتصالات وتسريع حركة العولمة:

تعرف التكنولوجيا: "بأنها مجموعة المعارف التي تمكن من إنتاج مواد أو اختراع منتجات جديدة"¹ و تعرف تكنولوجيا الاتصال على أنها "مجموع التقنيات أو الأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي أو الجمعي أو الواسطي، والتي يتم من خلالها جمع المعلومات و البيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة أو الرسومية أو المسموعة المرئية أو المطبوعة أو الرقمية "من خلال الحاسبات الالكترونية"، ثم عملية نشر هذه المواد الاتصالية أو الرسائل أو المضامين مسموعة أو مسموعة مرئية، أو مطبوعة أو رقمية و نقلها من مكان إلى مكان و تبادلها . و قد تكون تلك التقنيات يدوية أو آلية أو الكترونية أو كهربائية، حسب رحلة التطور التاريخي لوسائل الاتصال و المجالات التي يشملها التطور"².

لقد ساهمت التكنولوجيا الاتصال المتقدمة في تغيير طريقة النشاط الاقتصادي في مختلف مستوياته، وأصبحت هذه التكنولوجيا عنصرا مهما في التصنيع، والإنتاج والتصميم والتسويق، حيث وفرت لأصحاب الأعمال الكثير من تكلفة الإنتاج ، ووفرت الوقت والجهد، فأصبح يتم الاتصال بين المنتج والمستهلك في ثوان معدودة. و استخدمت التكنولوجيا أيضا في تصميم المنتجات بدقة وطبقا لمواصفات عالمية تؤهلها للمنافسة، وأصبحت الحاسبات الآلية المنتشرة في المكاتب والبنوك والمصانع وحتى المنازل تعمل على ربط الشرق بالغرب والشمال بالجنوب، بفضل شبكة الاتصالات حتى أصبح العمل عن بعد امرا يسيرا، حيث "يتم الاتصال باستخدام المحادثات الفورية أو بالبريد الالكتروني، وقد مكنت الإنترنت بفضل خدماتها من خلق فرص مختلفة للعمل ، واستخدمت لغرض التجارة الالكترونية .

وتذكر بعض الدراسات العلمية أن تقدم التكنولوجيا في **الولايات المتحدة الأمريكية** يساهم بنسبة تتراوح ما بين 8 % و 9 % في زيادة إنتاجية العمل.³ ومن هنا يأتي الاهتمام بهذا المجال لذلك نجد الدول المتطورة تنفق مبالغ مالية باهظة على الأبحاث التكنولوجية. كما سعت الحكومات إلى دعم قطاع البحث التكنولوجي و تشجيع الابتكارات و تمويلها.

¹ Jacques PERRIN , les transferts de la technologie, éditions la découverte, Paris , 1984, P : 16

² - محيي محمد، مسعد ظاهرة العولمة، الأوهام والحقائق، مكتبة الاشعاع، ص: 26

³ محمد آدم، "التكنولوجيا والاقتصاد في خدمة الإنسان و التنمية".

لقد مكنت التكنولوجيا من إرساء شبكة اتصال عالمية لتبادل المعلومات على نطاق كوني بواسطة شبكة الانترنت التي عملت على تكريس مقولة " **القرية الالكترونية الشاملة**". ويبشر المنبهرون بالحضارة الالكترونية بولادة الفضاء المعلوماتي الجديد ومن بين هؤلاء " **جون بري بارلو**" أحد ابرز علماء المستقبلات الذي أصدر إعلانا باستقلال المجال السبرنتيقي موجهًا لحكومات العالم¹.

ومن الواضح أن هذه الثروة المعلوماتية يجري استغلالها، و توظيفها في الشؤون الإستراتيجية والعسكرية، فكثير من الزعماء الأمريكيين يعتبرون التحكم في العالم والسيطرة عليه إنما يقومان على التفوق المعلوماتي.

فهذا " **دافيد رويتكوف**"² كتب مقالا بعنوان " في مديح الإمبريالية الثقافية" يتنبأ فيه بقيام إمبراطورية أمريكية تقوم على أساس الاتصال والإعلام فيقول: " بالنسبة للولايات المتحدة يتعين أن يكون الهدف المركزي لسياستها الخارجية في عصر الإعلام، هو تحقيق الفوز في معركة تدفق المعلومات على النطاق العالمي"³. وفي نفس السياق كتب " **جوزيف نياي**" مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق و " **وليام أونسن**" نائب رئيس اللجنة المشتركة لقادة أركان الجيش سابقا، دراسة هامة يؤكدان فيها قوة الولايات المتحدة الأمريكية المتفوقة في المجال المعلوماتي " فالولايات المتحدة مؤهلة أكثر من غيرها من البلدان لتسيير الثورة المعلوماتية عن طريق الإعلام"⁴.

كما ساعدت التكنولوجيا المعاصرة من تطوير أنظمة حديثة تعمل على التحكم في مختلف الميادين بما في ذلك ميدان التجسس على العالم ومن أمثلة ذلك النظام الالكتروني الذي ابتكرته الولايات المتحدة للمراقبة⁵ وهو نظام قادر على التقاط كل المكالمات الهاتفية المدنية والعسكرية، كما يراقب كل عمليات الانترنت، والبريد الالكتروني، وهو بذلك يستهدف أسرار الدول والأشخاص والشركات، غير أن الولايات المتحدة اعترفت⁶ بوجود هذا النظام وطمأنت الدول الأوربية بأن نظام

¹ - السيد ولد أباه، **إتجاهات العولمة، إشكالات الألفية الجديدة**، ص: 10.

² - احد المستشارين في ادره كلينتون الرئيس الامريكى السابق.

³ - DAVID.ROTHKOPHY «in praise of cultural imperialism». Foreign policy summer-1997.

⁴ - Nye S. Joseph, Owens William A., « America's Information Edge », in Foreign affairs, mars-avril 1996, pp.20-. 36.

⁵ جعفر حسن عتريسي، **العولمة والعالم، إدارة وأدوات** . دار الحجة البيضاء بغداد الطبعة الأولى 2001 ص:21

⁶ منذ تاريخ الاعتراف 1 شباط 2000 تعالت الأصوات في المجتمعات الغربية ضد ما سمي آنذاك بالاستعمار الالكتروني الأمريكي.

المراقبة يجري على الدول المراقبة⁷ على النظام الدولي وهو تابع لوكالة الأمن القومي، ويعمل بواسطة الأقمار الصناعية وكابلات بحرية.

تكنولوجيا الاتصال :

يعتبر اختراع آلة التلغراف عام 1837م أول خطوة في مسار التطورات التقنية التي عرفتھا الاتصالات السلكية واللاسلكية، ويقصد بالاتصالات السلكية واللاسلكية حسب تعريف الاتحاد الدولي للاتصالات¹ : "انه عملية تساعد المرسل على إرسال المعلومات أيا كان أصلها، وبأي صورة ممكنة سواء كانت مكتوبة أو مطبوعة أو صور ثابتة أو متحركة أو أحاديث أو موسيقى من وسائل النظم الكهرومغناطيسية: التراسل السلكي واللاسلكي أو الضوئي، أو باستخدام بعض هذه النظم، أو كلها معا."²

ومن أشهر وسائل الاعلام التي تستخدم هذه الاتصالات هي البرق (الفاكس) والهاتف والتلكس والبث التلفزيوني والاذاعي، وتشمل هذه العمليات إرسال الاشارات السلكية وبواسطة شبكات الكوابل الارضية او البرية، وفي الجو عبر الاثير، او عبر الفضاء باستخدام الاقمار الصناعية.³

من أكثر الوسائل التي ساهمت في إحداث ما يعرف بثورة الاتصالات نجد مجموعة من الوسائط التقنية التي عملت على تسريع عملية العولمة ومنها:

الراديو: وهو الجهاز الذي يتم بواسطته تحويل الموجات الكهرومغناطيسية أو الموجات إلى صوت مطابق تماما لصوت المذيع الصادر من محطة الإذاعة.

لقد قام العالم **جيمس كلارك ماكسويل**⁴ بالتنسيق مع بعض الباحثين من جيله الذين درسوا الظواهر الالكترومغناطيسية بوضع نظرية مجموع الموجات الالكترومغناطيسية التي تثبت العلاقة مع الموجات الضوئية، وبعد أن كشف العالم الألماني **هونريك هرتز**⁵ عام 1887م عن الموجات الهرتزية بدأ العمل بهذه الموجات سنة 1894م، حيث كان أول تبادل بالإشارات الهرتزية على بعد 40 متر ثم تطورت سنة 1896م إلى 3 كلم في بريطانيا، لتتطور عام 1897م إلى 25 كلم

⁷ يقصد بها الدول التي لا زالت تخالف جهرا سياسة الولايات المتحدة ككوريا الشمالية، كوبا.

¹ International Telecommunication Unions (ITU)

² ميسر حمدون سليمان، الاتصالات السلكية واللاسلكية في الوطن العربي ورقة بحث قدمت إلى ندوة المواصلات في الوطن العربي: "بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع نقابة المهندسين ونقابة المعلمين في الجمهورية العراقية " مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت-1982. ص: 337

³ راسم محمد الجمال، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى سنة 1991. ص: 80

⁴ James Clerk MAXWELL

⁵ Heinrich HERTZ

ثم تصل عام 1899 الى 160 كلم، وبتاريخ 12 ديسمبر 1901م تحقق أول اتصال بين جهاز بث وبين جهاز استقبال عن بعد¹. واستمر الأمر في تطوير هذه الوسائل الى ان ظهر الراديو للوجود مع بداية 1920م بمدينة بوسبرغ الأمريكية ، وأصبح الناس يسمعون البرامج الإذاعية كتلك التي نسمعها الآن². وقد عمل هذا الجهاز في وقته من خلال تقديم المعلومات وإذاعة الاخبار على زيادة تقرب الناس من مصادر المعلومات فضلا عن الدور التوجيهي والترفيهي الذي كان يمارسه.

التلفزة:

لقد ظهر هذا الجهاز الذي قرب المسافات والذهنيات³ مع نهاية الأربعينات⁴ تبعا للتطورات العلمية وتطبيقاتها التقنية وأصبح الإعلام المتلفز، أقوى من الإعلام المسموع بواسطة الراديو، وأقوى في التأثير على المشاهد، إذا ما قورن بالسينما والمسرح لأنه يتوفر في كل بيت ويشاهد ساعات كثيرة، ومن هنا يكتسب قوته وتكامله وسحره⁵. يمكن للقناة التلفزيونية ان تلعب دورا تجاريا كما تقوم به قناة canal + حيث وصل عدد المنخرطين فيها عام 1992م 3,7 مليون منخرط وجمع مؤسسوها 9, 7 مليار فرنك فرنسي⁶.

الحاسوب : ويقال له الكمبيوتر، هو جهاز يقوم بمعالجة المعلومات وفق إجراء محدد. صريفاً، يرجع أصل الكلمة في اللغة العربية إلى الجذر "حَسَبَ" بمعنى "أجرى العمليات على الأرقام". فكل كلمة "حاسوب" هي صيغة مبالغة غير قياسية على الوزن "فاعول" من هذا الجذر.

الحاسب أو الكمبيوتر هو عبارة عن جهاز مصمم لمعالجة البيانات و ذلك طبقا لمجموعة كبيرة من التعليمات و الاوامر، يتكون الحاسوب من قسمين رئيسيين هم العتاد والبرمجيات و يقومان معا في تأدية وظيفة محددة جدا.

¹ Pierre ALBBERT et André Jean TUDESQ, histoire de la radio, télévision- qui-sai-je? 5^{ème} édition 1996 presse universitaires de France, P : 8 ,9

² Pierre MIQUEL, histoire de la radio et la télévision, édition librairie académique, Paris 1984, P:8

³ Pierre MIQUEL, histoire de la radio et la télévision, , P:341

⁴ Pierre ALBBERT et André Jean TUDESQ, histoire de la radio, télévision- que-sai-je? P :17,18

⁵ René PREDAL, les médias et la communication audiovisuelle- les éditions d'organisation 1995 paris P : 141

⁶ Pierre ALBBERT et André Jean TUDESQ, histoire de la radio, télévision- que-sai-je?:128

تأخذ الحاسبات اشكالا ملموسة (فيزيائية) متعددة . لقد كانت الحاسبات الاليكترونية البدائية كبيرة الحجم وهذه الحاسبات الضخمة - السوبر كمبيوتر- ما زالت موجودة و ذلك لأداء الحاسبات العلمية المتخصصة. اما الحاسبات الاصغر و المستخدمة شخصيا و التي يطلق عليها الحاسبات الشخصية، و يسمى المحمول منها بالحاسب المحمول تعد ادوات معالجة معلومات و اتصالات كاملة .

يمكن تقسيم الحواسيب إلى:

- حواسيب الإطار الرئيسي: وهي الحواسيب ذات السعات التخزينية الضخمة والكفاءة العالية في المعالجة والتي تستخدم في المنشآت الكبيرة كالدوائر الحكومية والشركات الكبرى، حيث يتم ربط الجهاز الرئيسي بمجموعة من الأجهزة الفرعية .
- حواسيب شخصية: وهي الحواسيب التي نراها في المنازل والمكاتب.
- الحواسيب الصغيرة وهي أجهزة صغيرة لا يتجاوز حجمها كف اليد، تستخدم في إجراء بعض المهام الحاسوبية البسيطة كحفظ البيانات الضرورية والمواعيد، وقد توسع استخدامها مؤخراً حتى أصبحت تضاهي باستخداماتها الحواسيب الأخرى، حيث تستخدم بعضها في الدخول الى الانترنت.
- حواسيب مدمجة: وهي الحواسيب الموجودة في العديد من الأجهزة الإلكترونية والكهربائية في هذه الأيام. إذ أن العديد من الأجهزة تحتوي حواسيب لأغراض خاصة. فمثلاً توجد الحواسيب في الهواتف والكاميرات والطابعات والسيارات وأجهزة الفيديو والطائرات وغيرها.

ومن الشخصيات التي ساهمت في صناعة الحاسوب :

أيكن هوارد¹: 1900م-1973 م عالم أمريكي مختص في الرياضيات والمعلوماتية، عمل بين سنة 1939 و 1944 م لصالح شركة IBM الأمريكية ، وساهم في إنشاء إحدى أوائل الحاسبات المبرمجة مارك 1 سنة 1944 م ، كما ساهم في المشاريع التي أدت إلى إنشاء الحاسبات مارك II ، مارك III و مارك IV .

¹ Aiken Howard شغل منصب أستاذ المعلوماتية بجامعة هارفارد (Harvard) ما بين عامي 1939 و 1961 م حيث أنشأ "مخابر المعلوماتية"

آلن بول¹ : مهندس أمريكي ، أسس بالتعاون مع بيل غيتس عام 1975 م شركة ميكروسوفت (Microsoft) ساهم مع نفس الشخص في تطوير لغة البيزك (Basic) للحاسوب Atlair 8800 .

ايكارت جون برسير 1919م - 1995م :مهندس امريكي ساهم بمساعدة **جون موشلي** عام 1945 في إنشاء أول حاسوب أمريكي² **انجلبارت دوق** :ساهم بشكل فعال في تطوير شبكة المعلوماتية. اخترع الفأرة و برامج العرض البينية .

غايتس بيل³ : وليام هنري غايتس عام 1955 ، أسس بالتعاون مع **بول الن** شركة ميكروسوفت ، اسندت له من طرف شركة (IBM) مهمة تطوير لغات البرمجة الخاصة بالحاسوب (Pc- IBM) . انتج بعد ذلك نظام التشغيل windows 95/98 ليصبح من أغنى أثرياء العالم .

ويرث نيكولوس : متخصص في البرمجة ، أنشا عام 1972م لغة البرمجة باسكال (pascal) لصالح مركز الحساب المتعدد التقنيات بزيوريخ .

وهكذا يستخدم الحاسوب بفضل المعلومات المخزنة داخله والبرامج المهمة لإدخال ومعالجة البيانات في الاتصال بالعالم الخارجي من خلال توظيفه في الانترنت، فضلا عن جمعه للمعلومات المهمة التي يحتاجها الانسان وقت الحاجة. ومن الوسائل المهمة في الاتصال والتي ساهمت في ترقية مستوى الاتصال نجد:

الهاتف المحمول:

منذ ان اخترع الهاتف من طرف العالم **السكندر غراهام بيل** عام 1875م⁴ بمدينة بوسطن الأمريكية وهو يعرف اكتساب خصائص جديدة، تجعل استعماله في متناول الناس إذ بلغ عدد الأجهزة التلفونية عام 1918م عشرة ملايين جهاز⁵ وهو ما يعني تطور هذا الجهاز بسرعة فائقة.

¹ Allen Paul ترأس مجموعات عمل في تطوير برامج خاصة ، كما ساهم في تطوير برامج عرض بينية (interface graphique) و تجهيزات الوسائط المتعددة (Multimédia) و في سنة 1992م ساهم في تطوير برامج تربط شبكة الانترنت بقواعد المعطيات.

² (ENIAC: electronic numerical integrator & computer):

³ ما زال بيل غايتس مؤسسة شركة مايكروسوفت أغنى رجل في العالم، كما جاء في التصنيف السنوي لأصحاب المليارات الذي أصدرته مجلة فوربس لعام 2006، وفاز بيل غايتس (49 عاما) الذي تقدر ثروته ب 46,6 مليار دولار، هذه السنة أيضا بلقب أغنى رجل في العالم، للسنة الحادية عشرة على التوالي.

⁴ Claud, Neuschnader, Jean Marie-Charpontier, Gille de Margerie, Olivier Dousset, Gerard Carle , la communication dans tous ses états – édition Syros, Paris, 1986, P :164

⁵ Tom FARLEY , “Telephone history” , www.affordablephones.net/history_telephone.htm

يعتبر من اكبر وسائل الاتصال التي " تعمل على كل الاتجاهات"¹، أي انه يقرب كل المسافات على جميع النواحي. في ظل التكنولوجيا الرقمية يتصف الهاتف المحمول بالكثير من الصفات التي نجدها في الحواسيب و الكاميرات الفيديوية، و يعتبر الهاتف المحمول وسيلة هامة في الاتصال، بين شخص و آخر بالصوت، و حتى الصورة أيضا . وهو لا يكتفي بنقل الصورة، فقط بل بمعالجة المعطيات، و النصوص، و هو بذلك يقترب في مهامه من الحاسوب الشخصي، و بفضل الشاشات العملية التي يجهز بها هذا الهاتف المتصل بالأقمار الصناعية يتمكن الناس من التخاطب مباشرة وإرسال البريد الالكتروني.

و المشاركة في المؤتمرات المرئية في أي مكان و زمان . و التسوق و شراء المنتجات المختلفة .

و قد بدأت الكثير من الدول في أوروبا من استغلال ثورة الاتصالات هذه من خلال المهام التي يقوم بها هذا الهاتف المحمول خاصة في مجال التجارة الالكترونية.

ومع مرور الأيام يلاحظ تطور خصائص هذا الهاتف مع تطور العلوم و التكنولوجيا ويمكن القول أن الوسائل التقنية و المكتشفات التكنولوجية هذه تتضاعف بصورة مذهلة وهو ما يعني كثرة الإقدام على استعماله.

الثورة المعلوماتية أساس للعولمة :

انطلاقا من مقولة **غاستون باشلار** "إن المعرفة تتطور بصورة جدلية"² فقد أصبحت المعلومات في عصر العولمة عنصرا مهما في تسريع حركة العولمة، حيث تساهم تكنولوجيا المعلومات في تطوير التنمية بمختلف مستوياتها. تعتبر تكنولوجيا المعلومات عاملا مهما في تطوير الحركة الاقتصادية و العلمية، كما تساهم في تنمية الحركة الاجتماعية و من هنا يأتي الاهتمام بها من طرف الدول. و باعتبار استخداماتها يحقق النمو و الازدهار. ولقد عرفت تكنولوجيا المعلومات اهتماما واسعا من طرف من فلاسفة العلم واللغة والأخلاق وعلماء الاجتماع واللاهوت والتربية والإعلام.

فكيف ساهمت تكنولوجيا المعلومات في نشأة العولمة؟.

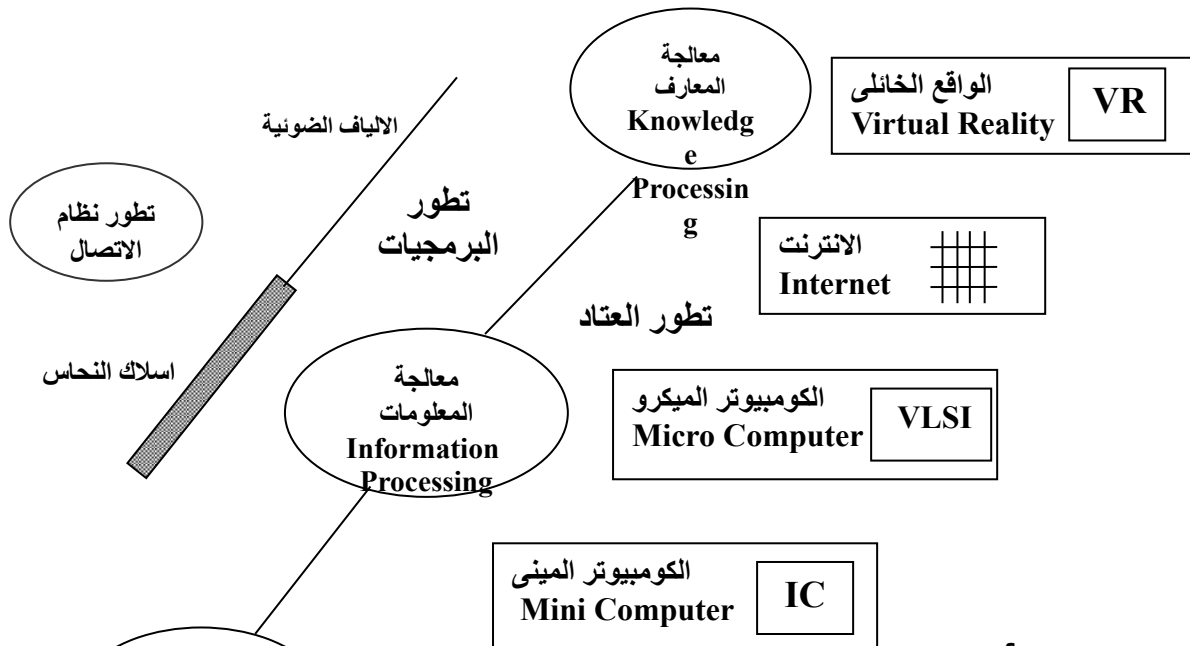
و إذا كانت المعلوماتية قد ارتبطت في الخمسينيات و الستينيات في القرن 20 بثورة الحاسوب و الإلكترونيات فإنها أي المعلوماتية تستند اليوم إلى ثقافة المعرفة .

ولمعرفة تأثير ثقافة المعلومات في صناعة مجتمع العولمة لا بد من التركيز أولا على الأفكار المحورية لتكنولوجيا المعلومات.

¹ Luis PORCHER, télévision, culture, éducation, édition Armand colin, Paris, 1994, p : 112

²Luis PORCHER, télévision, culture, éducation, p :82 نقلا عن Gaston BACHLARD la formation de l'esprit scientifique.

تاريخيا يمكن الإشارة إلى أن هذه التكنولوجيا مرت بمراحل أثناء تطورها. وقد سمحت الأسس العلمية و الوسائل التكنولوجية المناسبة خلال أربعينيات القرن العشرين لتحقيق الحلم بصناعة الكمبيوتر الرقمي والذي أحدث ثورة تكنولوجية جديدة في مجال صناعة المعلومات من خلال الامتزاج الخصب لثلاثية : عتاد الكمبيوتر Hard ware و البرمجيات Software وشبكات الاتصال¹. ثم ارتفعت هذه التكنولوجيا بصورة غير مسبقة خلال سلسلة من المراحل. وقد أورد الأستاذ نبيل علي المراحل التي مر بها تطور تكنولوجيا المعلومات في الشكل الموالي² :



الشكل الأول: المراحل المختلفة لتطور تكنولوجيا المعلومات

لا شك أن العولمة انتشرت المعلومات التي يقول عنها واضح تماما وغير محدد لأسباب تتعلق بانساع نطاق تطبيق واستخدام المعلوماتية من جهة و للتقن اللغوي في إطلاق مصطلحات مترادفة للمعلوماتية أيضا من جهة أخرى⁴ و تعني المعلوماتية المعلومات أو الحوسبة. وهي قبل كل شيء حوسبة إلكترونية للمعلومات أو خلق آلي لها.

العلاقة بين العولمة و المعلوماتية :

¹ - نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، ص: 68.

² - " المرجع نفسه " ص: 69.

³ - أستاذ نظم المعلومات الإدارية المساعد جامعة الزيتونة الأردنية.

⁴ - سعد غالب ياسين، "المعلوماتية و إدارة المعرفة رؤية استراتيجية عربية"، مجلة المستقبل العربي، العدد 2000 ص: 117

ان التسليم بوجود علاقة متينة بين العولمة والمعلوماتية أمر واضح للعيان حيث يرى **الجابري** أن العولمة هي من افرازات المعلوماتية¹ و في نفس الاتجاه ذهب **ميشيل اده** الى أنه لا يمكن تصور العولمة بمعزل عن هذه الثورة الثقافية² وكذلك الأمر بالنسبة إلى **برهان غليون** الذي عرف العولمة قائلا " هي الدخول بسبب تطور الثورة المعلوماتية و التقنية و الاقتصادية معا في طور من التطور الحضاري يصبح فيه مصير الإنسانية موحدا أو نازعا للتوحد"³ و حجة هؤلاء هو الخدمة الهامة التي قدمتها المعلوماتية في تطورها الى العولمة، و من ذلك وضعها للعالم في متناول أي إنسان. مثل إمكانية الاتصال بأي مكان في العالم بأقل التكاليف، أو التعرف على مصادر المعلومات مباشرة بطرق مختلفة، أو إمكانية التفاعل المباشر مع مختلف الوكالات السياحية و الإدارية و الحكومية، أو البيع و الشراء عن بعد.

يعطي ألفين توفر أهمية كبرى للمعلوماتية لما يتحدث عن سمات الموجة الثالثة "التي تتصف بالمعرفة، التي تعمل على توفير الوقت والمكان، سواء في أماكن التخزين أو وسائل النقل ، وفي سرعة التوزيع والاتصال بين المنتج والمستهلك."⁴ وبصورة أوضح فان تكنولوجيا المعلومات تعتبر قاعدة نظام الاتصال الحديث لأنها تعمل على تحسين عملية تحويل وتسيير المعلومات⁵.

ومع توالي أجيال الكمبيوتر⁶ تسارعت الدول والمؤسسات في استغلاله، والاستفادة من خدماته وكان الحصول على المعلومات يعني زيادة فرص التطور الاقتصادي والإعلامي والثقافي والاجتماعي، وقد صاحب تطور أمريكا في صناعة العتاد والاتصالات تطور اليابان في صناعة الشرائح الإلكترونية. هذا بالإضافة إلى ظهور كبير لفرنسا و ألمانيا وبريطانيا في مجال الاتصالات.

وقد جعلت **سنغافورة** من ثورة المعلومات موردا مهما لدخلها القومي. وكذلك فعلت إسرائيل التي نجحت في تأسيس مواقع متقدمة

¹ محمد عابد الجابري ، عشر أطروحات حول العولمة والهوية الثقافية .
² ميشل اده، مستقبلنا و تحديات العولمة، مجلة المعرفة ، دمشق العدد 410 نوفمبر 1997 ص: 07.

³ نايف على عبيد، العولمة و العرب، ص 27 نقلا عن برهان غليون- العرب و تحديات العولمة الثقافية في عصر التشرد الروحي، محاضرة القيت في المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، في 10/04/1998م

⁴ انظر مقال انهيار مزاعم العولمة قراءة في تواصل الحضارات و صراعها عزت السيد احمد منشورات اتحاد الكتاب العرب عام 2000 نقلا عن عبد الحكيم محمد بدران، عرض لكتاب بناء حضارة جديدة ، تأليف الفين توفلر و هايدي توفلر، ترجمة سعد زهران ضمن مجلة العربي وزارة الاعلام الكويت، العدد 466 اوت/سبتمبر 1997 ص: 194

⁵ Eric Guichard, comprendre l'usage de l'Internet, édition rue d'Ulm Paris 2001 p:165

⁶ - نبيل علي ، ثورة المعلومات ، الجوانب التقنية (التكنولوجيا) ، ندوة " العرب و العولمة " . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998، ص 103-118.

في معظم فروع تكنولوجيا المعلومات¹ وحتى **الهند** نجحت في صناعة البرمجيات وصناعة الحواسيب الإلكترونية².
لقد نجحت تكنولوجيا المعلومات كما يقول الكاتب **نبيل علي**³ في أن تجمع بين الأكفأ و الأعلى قدرة، وبين الأرخص والأكثر سهولة في الاستخدام وقد شملت الزيادة في عدة أمور هي :- زيادة سرعة تنفيذ العمليات الحسابية والمنطقية.
- زيادة سعة التخزين للوسائط الالكترونية.
- زيادة كفاءة ملحقات الطباعة.
- زيادة ملحقات شاشات العرض.
- زيادة ملحقات شاشات و مولدات الصور.
- زيادة إمكانيات لغة البرمجة.
- زيادة سهولة الاستخدام لتكنولوجيا المعلومات⁴.
- زيادة سعة التخزين⁵.

واعتمدت هذه التكنولوجيا على أمرين أساسيين هما : التصغير و الرقمنة⁶.

أما التصغير فقد شمل وحدة البناء الأساسية الممثلة في شرائح السيلكون فائقة الكثافة بالإضافة إلى أجهزة الكمبيوتر والطابعات. وهذا ما سهل اندماج المعلومات مع منظومة الإنسان ومجتمعه. أما الرقمنة فقد عملت على إسقاط جميع الحواجز الفاصلة بين الرموز المختلفة من نصوص وأصوات وأنغام وأشكال وصور عن طريق سلاسل رقمية قوامها " **الواحد و الصفر** ".

استفادت العولمة من انخفاض كلفة تكنولوجيا المعلومات لأن هذا الانخفاض ساهم في سرعة انتشارها وإتاحتها لجماهير عريضة من المستخدمين. ونظرا لانتشارها وانصهارها في الكيان المجتمعي فإن هناك علاقة تتوثق بين منظومة تكنولوجيا المعلومات ومنظومات أخرى، فعلى سبيل المثال مكنت الانترنت من توفير المعلومات عن المفاهيم

¹ -بشير نبيل علي متحدثا عن جبهة العتاد ، جبهة العتاد، بدأ معهد وايزمان تجاربه في بناء الحواسيب الإلكترونية في وقت مبكر منذ عام 1954، ونجحت إسرائيل في تطوير ميكروكمبيوتر للأغراض العسكرية. أما على جبهة الاتصالات فقد برزت إسرائيل في مجال الألياف الضوئية، ذات الأهمية الخاصة في إقامة شبكات طرق المعلومات الفائقة السرعة. وتقوم إسرائيل كذلك بصناعة قواسم الهواتف (السنترالات). و قد أطلقت إسرائيل أول قمر صناعي للاتصالات عام 1996 ليغطي الشرق الأوسط ووسط أوروبا. وفيما يخص تطوير البرمجيات، فقد تنوعت مجالاتها من البرمجيات التعليمية وبرمجيات قطاع السياحة، إلى تطبيقات البحث في الانترنت والنشر عبرها. ولإسرائيل باع طويل في مجال نظم نقل المعلومات، من برامج المحافظة على السرية (أو التعمية) وبرامج ضغط البيانات، Data compression وعلى صعيد شبكة الانترنت، تأتي إسرائيل، رغم قلة عدد سكانها النسبي، في المرتبة العشرين على مستوى العالم فيما يخص عدد المواقع على الشبكة ويضاهي عدد المواقع الإسرائيلية على الانترنت إجمالي مواقع الدول العربية مجتمعة.

² - نبيل علي، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، ص: 74.

³ - "المرجع نفسه" ص: 76.

⁴ - من ذلك سهولة استخدام الانترنت حتى بين محدودي التعليم.

⁵ - يمكن لقرص السي دي CD أن يسع ما يوازي آلاف الكتب ، انظر نبيل علي ، ص: 76.

⁶ - نبيل علي **الثقافة العربية وعصر المعلومات**- ص 76.

السياسية المختلفة (الديمقراطية، حقوق الانسان ، الحرية...). ومن الناحية الاقتصادية أصبحت المعلومات سلعة اقتصادية وموردا مهما في جميع الأنشطة الاقتصادية. وصناعة تتسابق في حجمها الدول و الكيانات في هذا المجال أورد الأستاذ **نبيل علي**¹ تقرير اليونسكو السنوي عن المعلومات وفقا لأرقام 1994 ما يلي:

قطاع المعلومات	المجموعة الأوربية	الولايات المتحدة
محتوى المعلومات	186(34%)	255(45%)
توزيع المعلومات	165(30%)	160(28%)
معالجة المعلومات	193(36%)	151(27%)
المجموع الكلي	544	566

جدول يوضح حجم صناعة المعلومات في أوروبا والولايات المتحدة (وفقا لأرقام 1994 بوحدة المليار دولار).

الدور الاجتماعي للمعلومات:

يموت الإنسان وتبقى معلوماته وتبقى الحضارات وتبقى نظم معلوماتها وتأتي الأجيال لتستثمر المعلومات التي سبقت إليها الحضارات المتعاقبة عبر الزمن.

فقد احتكر كهنة الفراعنة المعارف الدينية والأخوية² بواسطة الكتابة الهيروغليفية ثم سجلت الأبجدية الفينيقية المعارف المختلفة بواسطة الكتبة والكهنة. لكن المعرفة لم تعرف طريقها إلى النشر والانتشار الواسع إلا في منتصف القرن الخامس عشر على يد **يوهانس جوتنبرغ**. مكتشف آلة الطباعة، هذه الآلة التي وصفها **مارتن لوثر كينغ**³ بأنها " **أسمى فضائل الرب على عباده**"⁴ لأنها ساهمت في نظره في طبع الإنجيل الذي حرر الفرد المسيحي من سلطة رجال الدين. وهكذا فقد ساهمت المطبعة في نشر المعرفة لا مجرد تسجيلها. وبعد خمسة قرون من اختراع **جوتنبرغ** ظهر الكمبيوتر في منتصف القرن العشرين ليعمل على معالجة المعلومات من خلال

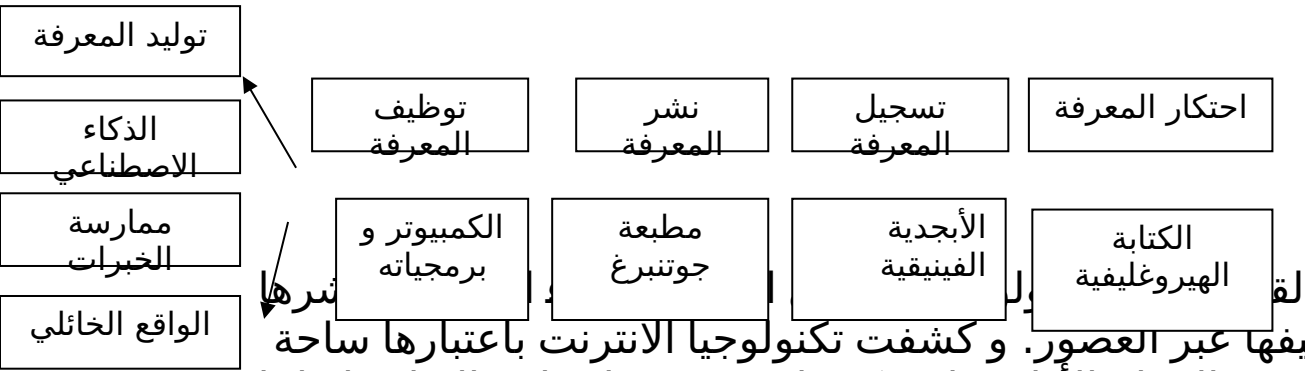
¹ - "المرجع نفسه " ص 98.

² - المعارف الدينية التي كانت تخص توزيع الأراضي وللاستفادة من خيراتها. والمعارف الأخوية تخص أسرار التحنيط ودفن الموتى وطقوس المعابد.

³ - مؤسس المذهب البروتستانتي.

⁴ - Postman , Neil, *technopoly- the surrender of culture to technology*. 1992. vintages bonks. The United States of America. P: 15.

توظيف المعرفة من خلال عمليات التصميم والضبط والمراقبة والتعليم والتحكم، بل تمكن أهل تكنولوجيا المعلومات بواسطة هذا الجهاز من توليد المعارف الجديدة لاستعمالها حسب الحاجة. وقد لخص الأستاذ **نبيل علي** هذه المراحل الزمنية في الشكل الآتي الذي يمثل تطور دور المعلومات مجتمعياً¹:



وتوظيفها عبر العصور. وكشفت تكنولوجيا الانترنت باعتبارها ساحة ثقافية في المقام الأول بجانب كونها بنية تحتية لصناعة الثقافة إبداعاً وتعبيراً، قدرتها على إنتاج السلع والخدمات والمساهمة في تشكيل وعي الفئات الاجتماعية سياسياً واقتصادياً وثقافياً، بل عملت التكنولوجيا في غالب الأحيان على توجيه المجتمع التوجيه الذي يعيد للإنسان إنسانيته ويعيد للمجتمع توازنه وعقلانيته.

إن تكنولوجيا المعلومات بفضل مرونتها كما يرى الأستاذ **نبيل علي**: "ستكون أكثر قابلية للتوجيه الاجتماعي"².

فالثقافة ليست مجرد مؤسسة ضمن المؤسسات الاجتماعية الأخرى كما ذهب **أميل دوركايم** وليست ناتج فرعي لطور الإنتاج السائد كما زعم **كارل ماركس** أو هي مجرد عامل مساعد يدفع المجتمع صوب غاياته كما في نموذج **ماركس فيبر**.

إن المجتمع الذي أفرزته تكنولوجيا المعلومات هو مجتمع ينتج المعرفة ويستهلكها وتتفاعل عناصره بصورة مذهلة ومن هنا نتساءل هل أعادت التكنولوجيا صياغة ثقافة المجتمع المعاصر.

لقد جعل **أفلاطون** من العقل جهاز استقبال يتلقى المثل العليا من السماء. واتخذ **جون لوك** لوحاً أبيض تسجل عليه مختلف الحقائق ثم جاءت فلسفة **إيمانويل كانط** لترتقي بالعقل إلى آلة ذات قدرة ذاتية تعتمد على الربط بين الآليات الذهنية ومفاهيم الوجود الواقعية. أما **دافيد هيوم** فقد جعله مرآة تجمع مختلف الانطباعات والأفكار. ثم جاء **هيغل** ليتخذ آلة لمنطقه الجدلي. في حين يحيله **كارل بوبر** آلة المنطق الاستقرائي الذي ينتقل بالحقيقة من المقدمات إلى النتائج. ولا يمكن للصورة أن تكتمل كما يقول **نبيل علي**: "دون أن يدلو أهل

¹ - نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص: 120.

² - "المرجع نفسه"، ص: 138.

الكمبيوتر بدلهم في شأن هذا العقل". فهذا **ميرفين مينكي** عالم هندسة المعرفة يرى العقل مجتمعاً مكوناً من مؤسسات ذهنية متخصصة¹.

أما أهل الذكاء الإصطناعي فيرون المخ البشري شبكة كثيفة من عناصر الذاكرة ومعالجة المعلومات، يمكن محاكاتها بألة ذكية. وكإجابة عن السؤال المطروح سابقاً يمكن القول أنه لم تعد ملكة الذكاء مقصورة على الإنسان فقط بل أصبحت خاصية موزعة على الآلات الخاصة بذلك.

كما أن فكر مجتمع المعلومات الوليد له ذكاؤه الجمعي وذاكرته الجمعية وشبكة أعصابه الجمعية (الانترنت). ضرورة إعادة النظر في عمل العقل البشري فبعد أن كان يتعامل مع الواقع مباشرة أصبح اليوم يتعامل مع هذا الواقع من خلال وسيط تكنولوجيا المعلومات.

العقل ← وسيط المعلومات ← الواقع
كما أن عقل مجتمع المعرفة الجديد يتعامل مع المجردات أكثر مما يتعامل مع المادة وهو ما يعني أن تطور المجتمعات يقابله تطور العقل الإنساني تاريخياً².

مجتمع الاسطورة ← مرحلة الحس الغريزي.
مجتمع عصر المادة ← مرحلة التعامل مع المحسوسات.
مجتمع المعرفة ← مرحلة التعامل مع المجردات.
←

لانترنت ومجتمع العولمة الاستهلاكي :

شبكة الانترنت أو كما يطلق عليها الشبكة العالمية الالكترونية، أو شبكة الشبكات أو الشبكة العنكبوتية³، هي اسم لنظام ضخم منتشر في جميع أنحاء العالم، يتألف من أفراد ومعلومات، وحواسيب، وبروتوكولات لتنظيم الاتصال عبر الشبكة.

تنقسم الكلمة إلى مقطعين (**أنتر**) و (**نت**)، وهما اختصار لمصطلح INTERNET تعتبر الإنترنت أكبر شبكة معلوماتية في العالم، ووصفت **بيت العنكبوت العملاقة** لأن نسيجها يشبه بيت العنكبوت.

¹ -Minsky,Mervyn, (1985) the society of mind, Simon and Schruster. Inc New york.P:24-

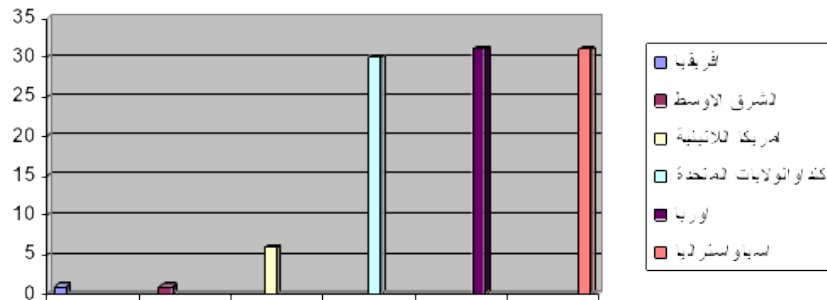
² -Egan, Kieran, The educated mind- how cognitive tools understanding, the university of Chicago press, The united state of America P:27

³ أحمد خالد العلجوني، التعاقد عن طريق الانترنت، الطبعة الاولى، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص:14

لذلك فإن أفضل تعريف للإنترنت هو أنها أكبر شبكة كمبيوتر في العالم ، ففي سنة 1997 قدرت شبكة الإنترنت بأنها مكونة مما لا يقل عن ستة عشر مليون مشترك ، بينما قبلها بعام واحد فإن العدد لم يزد عن خمسة ملايين ، أما سنة 1998 فقد تخطت أعداد الكمبيوتر المشتركة عدد الخمسين مليون¹.

وقد توسع عدد المشاركين في الانترنت، وتطورت هذه الأعداد بشكل مذهل.²

تشير الإحصائيات المقدمة من مؤسسة Nielsen/NetRatings عام 2002 كما يوضحها الشكل الموالي³ إلى أن أعلى نسبة لاستعمال الانترنت موجودة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تعادل تقريبا النسبة التي تستعملها الدول الأوروبية مجتمعة



نسبة استعمال الانترنت في العالم الى غاية سنة 2000					
الشرق الأوسط	إفريقيا	أمريكا اللاتينية	كندا والولايات المتحدة	أوروبا	آسيا وأستراليا
1 %	1 %	6 %	30 %	31 %	31 %

نلاحظ أن نسبة استعمال الانترنت إلى غاية 2000 في العالم عالية جدا في القارة الأمريكية مقارنة مع غيرها، ونسجل ضعفها في القارة الإفريقية. وهي نفس النسبة التي تتناسب طرديا مع مرور السنوات.

¹ ساهمت السرعة الكبيرة في انخفاض أسعار أجهزة الكمبيوتر و العدد الكبير المتزايد من الذين يزودون خدمة الانترنت في الارتفاع المتواصل و المستمر في أعداد المشتركين ، ان كل ما يحتاجه المشترك هو أن يكون جهازه مزودا بقطعة المودم ، وهي أداة الكترونية تجعل الكمبيوتر قادرا على التعامل مع خط التلفون.

² عبد الفتاح التميمي، عماد محمد أبو عيد، شبكات الحاسوب والانترنت خطوة...خطوة، طبعة الأولى دار اليازوي العلمية للنشر والتوزيع، عمان 2002، ص 74 .

أما إحصائيات أواخر مارس من سنة 2007 م فتقول أن العدد ارتفع إلى أكثر من مليار مستخدم عبر العالم ، وبالأرقام 1114274426 مستخدم¹. وتبين هذه الإحصائيات المبينة في الجدول الموالي، التباين الواضح في استخدام هذه الوسيلة التقنية بين جهات العالم المختلفة.

و تحدد هذه الإحصائيات الاستعمال العالمي للانترنت مقارنة بعدد السكان حسب (إحصائيات الثلاثي الاول لسنة 2007) التي قدمتها مؤسسة **نيلسون ميتراتينغ** مؤخرا نجليها في الجدول الموالي²

جهات العالم	عدد السكان ³ احصائيات 2007	نسبة السكان العالمية	استعمال الانترنت اخر المعطيات	نسبة الاستعمال للسكان	نسبة الاستعمال العالمية	تطور نسبة الاستعمال ما بين 2000 و 2007
إفريقيا	933,448,292	14.2 %	33,334,800	3.6 %	3.0 %	638.4%
آسيا	3,712,527,624	56.5 %	398,709,065	10.7 %	35.8 %	248.8%
أوروبا	809,624,686	12.3 %	314,792,225	38.9 %	28.3%	199.5 %
الشرق الأوسط	193,452,727	2.9 %	19,424,700	10.0 %	1.7 %	491.4 %
أمريكا الشمالية	334,538,018	5.1 %	233,188,086	69.7 %	20.9%	115.7 %
أمريكا اللاتينية والكاريبي	556,606,627	8.5 %	96,386,009	17.3 %	8.7 %	433.4 %
أوقيانوسيا استراليا	34,468,443	0.5 %	18,439,541	53.5 %	1.7 %	142.0 %
مجموع العالم	6,574,666,417	100.0 %	1,114,274,426	16.9 %	100.0 %	208.7 %

تاريخ الانترنت :

بدأت الانترنت في عام 1969 كشبكة لوكالة مشاريع الأبحاث المتقدمة ARPANET في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي كانت إحدى الوكالات

¹ <http://www.internetworldstats.com/stats.htm>

² www.nielsen-metratings.com
³ www.world-gazetteer.com

المدعمة رسميا من قبل وزارة الدفاع الأمريكية، وأطلق عليها تسمية شبكة أربانت¹ ARPANET ودافع نشأتها هو خشية وزارة الدفاع الأمريكية أن يؤدي الهجوم بالأسلحة النووية على **الولايات المتحدة الأمريكية** في حالة نشوب حرب إلى انقطاع قنوات الاتصال بين المراكز الرئيسية للمعلومات في وزارة الدفاع الأمريكية وقد مقتضرة قبل سنة 1980 على الجيش تم خرجت بعد هذه السنة للضوء بعد أن أنقسم مشروع البحث في **أمريكا** إلى قسمين: الأول استخدم في الأبحاث المدنية والقسم الثاني احتفظ به للاستخدامات العسكرية وفي سنة 1986 شبكت مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية الباحثين بعضهم ببعض في كافة أنحاء البلاد².

والجدول التالي يبين أهم وأكبر 10 دول مستخدمة للانترنت على مستوى العالم خلال عامي 1998، 2002 طبقا لبيانات الاتحاد الدولي للبيانات³ والذي يتبين فيه أن الصين سوف تصبح من أهم عشر دول في عام 2002.

ويوضح الجدول⁴الموالي أكبر 10 دول مستخدمة للانترنت على مستوى العالم خلال

1998-2002

2002			1998		
الترتيب	الدولة	عدد المستخدمين	الترتيب	الدولة	عدد المستخدمين
1	الولايات المتحدة	154.6	1	الولايات المتحدة	70.1
2	ألمانيا	32.9	2	ألمانيا	10.3
3	اليابان	23.3	3	المملكة المتحدة	8.9
4	المملكة المتحدة	23.0	4	اليابان	8.8
5	فرنسا	23.0	5	فرنسا	4.0
6	إيطاليا	13.2	6	كندا	4.0
7	كندا	12.3	7	استراليا	3.4
8	الصين	9.4	8	إيطاليا	3.1
9	هولندا	7.6	9	السويد	2.5
10	استراليا	5.8	10	هولندا	2.5

مراحل تطور الانترنت :

¹ لقد شكلت شبكة "ARPANET" الإطار العملي للانترنت إلى أن أغلقت رسميا في عام 1990.

² - عبد المجيد صويلح واحمد راشدي، تاريخ الأنترنت حدوده ونقاط ضعفه وجريدة اليوم تاريخ 17 أكتوبر 2001

³ INTERNATIONAL DATA CORPORATION

⁴ رأفت عبد العزيز غنيم، دور جامعة الدول العربية في تنمية وتسيير التجارة الالكترونية بين الدول العربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، الإمارات العربية المتحدة، ملحق أول، نوفمبر 2002، ص7

ثم بدأت هذه الشبكة تنمو وتتطور منذ ذلك التاريخ، وكان أساس تصميم هذه الشبكة هو استخدام نفس المحددات أو ما يطلق عليها البروتوكولات.¹

وتحدث **ابراهيم العيسوي** في دراسته عن التجارة الالكترونية عن هذه المراحل فأشار إلى ثلاثة مراحل في تطور الانترنت²

1- المرحلة الأولى: وهي تمتد من أواخر الستينات إلى أوائل التسعينات، وفي هذه المرحلة كانت استخدامات الانترنت محصورة في القطاع العسكري وقطاع البحث العلمي.

ب- المرحلة الثانية: وهي تمتد من أوائل التسعينات حتى الوقت الحاضر، وهذه المرحلة التي شهدت انتشار واسع النطاق للانترنت واستخدامها في الأنشطة التجارية، بل وتحولها للعمل على أساس تجاري.

ج- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة على وشك البدء وسوف تشهد انتشار واسع النطاق لتكنولوجيا الاتصال ذات المدى الواسع، يجري اتصال المستخدم بالانترنت من خلال وصلة فائقة السرعة وقابلة للاستجابة دائما.

نستنتج أن الانترنت يقصد بها ذلك التجمع العالمي من الحاسبات الآلية المرتبطة بشبكات داخلية التي تحمل البيانات وتسمح بتبادل المعلومات،

والانترنت، فهي مشروع تعاوني لعدد من الهيئات والمنظمات أخذت على عاتقها وضع نظام مرتب ومتزن نتجت عنه هذه الشبكة المفتوحة.³ إن الإنترنت ينظر إليها الآن بأنها وسيلة التفاهم بين المستخدمين، و بالتالي فإن كل مستخدم للانترنت يمكن أن يكون مصدر المعلومات كما يمكن أن يكون مستقبلا لها أيضا.

فالانترنت تبقى الظاهرة الجامعة للمعارف على مختلف مصادرها فهي: "مقر الظواهر التي لا تعترف بالحدود".⁴

التوجهات الرئيسية للانترنت:

لقد عمل التطور السريع لشبكة الانترنت على اكتسابها توجهات جديدة حسب الأستاذ **نبيل علي**⁵ : فهي تتجه حسب رأيه:

1- من المتندى العلمي إلى سوق التجارة الالكترونية.

¹ البروتوكول: هو عبارة عن مجموعة من القواعد التي تحدد الطريقة التي سيتم من خلالها التواصل ونقل البيانات من خلال الشبكة

² ابراهيم العيسوي، التجارة الالكترونية، ط1، المكتبة الأكاديمية القاهرة، 2003، ص: 22-23

³ محمد ابراهيم أبو الهيجاء، التعاقد بالبيع بواسطة الانترنت، ط1، الدار العلمية الدولية ومكتبة دار الثقافة للنشر التوزيع، عمان، 2002، ص 44

⁴ Jean Luis Guigou – « Internet et nous . L'homme dans la cité numérique :le printemps de médiateur »- les nouveaux cahiers de L'IREPP : n° 21 Juin 1979 Paris P :18

⁵ - نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص 96.

- 2- من تبادل البحوث إلى تسليع الثقافة.
- 3- نحو مزيد من الاندماج صوب الاحتكار.
- 4- من النصوص إلى التناص¹ ومن التناص إلى الشعب².
- 5- من الاستاتي إلى الدينامي³.
- 6- من الباحث البشري إلى الوكيل الآلي.
- 7- من الواقعي إلى الخائلي⁴.

نحن نرى أن أغلب هذه التوجهات تسكنها روح الاقتصادية وتحكم فيها القوى الاقتصادية لاستغلالها لصالحها. فقد كانت الانترنت في بداية الأمر بمثابة المنتدى العلمي الذي يربط بين مختلف مراكز البحث والمؤسسات الأكاديمية. ولكنها تستمر على هذا المنوال من الطهارة المعلوماتية بل تسلمت إليها القوى الاقتصادية لتستغل هذه الشبكة في نقل البضائع وربط مصادر الإنتاج بمنايع الطلب. كما سعت المؤسسات الاقتصادية إلى اكتساب المنتج الثقافي والإبداعي طابع السلعة التجارية علما أن صناعة الثقافة يتوقف في المقام الأول على التحكم في مصادر اقتناء المحتوى⁵. وعلى هذا الأساس عمل الفضاء المعلوماتي على "ترجمة العالم الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وحرر الجميع من طول المسافات، وغذى العولمة".⁶

وبهذا يتخذ تطور المجتمع المعلوماتي نفس المنحى الذي اتخذته التنمية الاقتصادية وهذه الفكرة كانت أصل الاقتراح الذي تقدم به نائب الرئيس الأمريكي ال غور في سنة 1990م حينما شجع على تنمية الطرق السريعة للمعلومات لتأخذ نفس الاتجاه الذي أخذته التنمية الاقتصادية.⁷ تقدم شبكة الانترنت يوما بعد يوم خدمات فعالة في ميادين متنوعة وسنتناول فيما يلي بعض هذه الخدمات:

- 1- خدمة التخاطب: وهو نظام يمكن مستخدمي الانترنت من التحدث بطريقة الكتابة فيما بينهم مباشرة.
- 2- خدمة البريد الالكتروني: وهو نظام لتبادل الرسائل والملفات بين الأشخاص⁸، والهيئات ويتميز البريد الالكتروني عن البريد العادي المألوف بالميزات التالية:⁹
- سرعة الاتصال.

¹ - (Inter-textually التناص) يقصد به ربط النص بخارجه من النصوص و الوثائق الالكترونية الأخرى.

² - الشعب النصي Hypertext.

³ - لم تعد الوثائق الالكترونية مقصورة على الصور والنصوص الثابتة بل يمكن أن تشمل أيضا عناصر برمجية تجعل الملتقى يتفاعل معها.

⁴ Virtual : يقصد به محاكاة الواقع أو ما يناظره لدرجة أنه يخيل لنا أنه واقع.

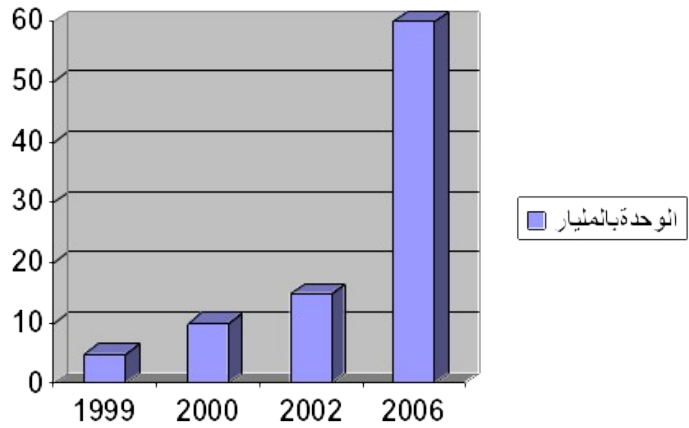
⁵ - " المرجع نفسه "، ص: 98. (نبيل علي).

⁶ Serge FDIDA, Des autoroutes de l'informations au cyberspace, éditions flammario, Paris, 1979, P :103

⁷ Serge FDIDA, Des autoroutes de l'informations au cyberspace. P : 07

⁸ بشير عباس العلاق، تطبيقات الانترنت في التسويق، طبعة الاولى، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2003، ص 99

- انخفاض التكلفة.
 - السرية في الاتصالات وذلك بتشفير الرسائل³ وترميز المعلومات. لان هذه الخدمة محفوفة بالمخاطر.⁴
 - إمكانية توزيع نفس الرسالة إلى عدة من الصناديق البريدية الالكترونية دفعة واحدة وهذه الميزة تستفيد منها المؤسسات الجامعية أو الشركات التي تتعامل مع عدد كبير من الأفراد.
 - الاشتراك في الندوات والمؤتمرات الالكترونية، وهي ميزة يستفيد منها طلبة العلم ورجال البحث كثيرا.
- وقد تطور استعمال البريد الالكتروني بعد سنة 2002 إلى مستويات عليا حتى بلغ الستين مليار رسالة الكترونية سنة 2006م كما يتضح في الجدول الموالي



ويعتبر البريد الالكتروني الأكثر استعمالا في الانترنت لأنه يمكن من بعث الرسائل وقواعد البيانات والصور والتسجيلات الصوتية والبرامج والكثير من أنواع البيانات.

ويستخدم تجاريا في طلب معلومات حول منتج معين أو طلب فواتير شكلية أو إرسال مطالب للموردين أو تأكيدها أو إلغائها. خلاصة الامر فإن البريد الالكتروني حل محل الاتصال التقليدي من هاتف وفاكس ورسائل بريدية نظرا لما سبق ذكره من مميزات، علاوة عن الآلية التقليدية للبريد.

نستنتج بعد كل هذه الخدمات التي تقدمها الانترنت كثيرة، وعلى رغم النجاح الهائل الذي حققه الجيل الحالي من الانترنت إلا ان نقل المعلومات لا يزال بطئه يشكل عائقا أمام العديد من التطبيقات الثورية

⁹ مراد شلبية، علي فاروق، مقدمة إلى الانترنت، طبعة الاولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص 20

³ التشفير هي تقنية لترميز البيانات والمعلومات فلا يمكن قراءتها إلا بعد فك التشفير

⁴ محمد ابراهيم أبو الهجاء، التعاقد بالبيع بواسطة الانترنت، ص 46

ومن هنا كان البحث عن طرق جديدة أسرع من الخطوط الهاتفية مثل: الألياف الضوئية ، كوابل البث التلفزيوني ، والأقمار الصناعية. وتتسارع العديد من الأبحاث الرامية إلى حل مشكلة البطء وذلك باعتماد الأجيال الجديدة¹ للانترنت مشاريع تستند الى نسخ متطورة من بروتوكول الانترنت IPVC والتي تتوفر على ميزتين هما: ميزة الإرسال المتزامن المتعدد الواجهات وميزة جودة الخدمات التي تدعم البث الحي لملفات الفيديو وتدعم التطبيقات الوسائط المتعددة.

وسيؤدي هذا التطور إلى ثورة في مجال التجارة الالكترونية سيساعد على هذه الثورة طرح العديد من الأجهزة القادرة على الولوج إلى خدمات الانترنت مثل الهواتف النقالة والبرادات والسيارات وسواءها² توفر شبكة الانترنت العالمية مجموعة من **الفوائد والمزايا** نحاول سرد أهمها :

1- تشكل الانترنت أعلى مستوى للتطور التكنولوجي المعاصر: إذا كانت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تركز على الكمبيوتر والالكترونيات الدقيقة والاتصالات والألياف الضوئية والبرمجيات وشبكات المعلومات فإن استثمار إمكانياتها سيكون عبر الانترنت. بل وأصبحت الانترنت قمة التطور لمختلف أنواع الاختراعات والتكنولوجيات، فقد أصبح الإنسان المعاصر يستخدم جهاز الحاسوب الشخصي الواحد كأداة للبحث الآلي المباشر ، وكذلك البحث بالأقراص المكتنزة والوسائط المتعددة بالإتصال عن بعد ، وإرسال واستلام الرسائل والوثائق ، وكذلك خدمات أنظمة بنوك الاتصال المتلفزة ، إضافة إلى استخدام تسهيلات الشبكة للاتصالات الهاتفية، والبث التسجيلي والبث التلفزيوني المباشر.

2- العرض الهائل من الوثائق وسرعة الحصول على المعلومات المتنوعة قديمها وحديثها .

تتوفر شبكة الانترنت على كمية كبيرة جدا من الوثائق والمعلومات المتوفرة في حواسيب الشبكات المحلية والاقليمية المشاركة في الانترنت وهي مصنفة ومبوبة بشكل يسهل الوصول إليها بكل سرعة.

3- نشر الوعي المعلوماتي:

¹ انترنت 2 Internet وانترنت الجيل المقبل Next Generation Internet- NGI وشبكة CANET
2. وهناك الجيل الثالث للانترنت THE THIRD GENERATION OF INTERNET مازال هذا
الجيل قيد الأبحاث ومن المتوقع له أن يدعم جميع المزايا المتقدمة ولا سيما تلك التي تتطلب
سرعة عالية جدا ومن أبرز المشاريع المقدمة:

² منير محمد الجنيهي، التبادل الالكتروني للبيانات، دار الفكر الجامعي للنشر، الاسكندرية 2004، ص 9-11.

يساعد استخدام الانترنت في معالجة مشكلة محو الأمية التكنولوجية حيث تستطيع شبكة الانترنت وبما توفره من تسهيلات تكنولوجية على كسر حواجز ما يطلق عليه بالأمية التكنولوجية.

4- التقارب بين الأمم والشعوب:

لقد عملت التكنولوجيا الحديثة بواسطة شبكة الانترنت على تحويل العالم إلى قرية صغيرة، واخترقت شاشة الحاسوب، كل الحواجز والحدود الجغرافية والسياسية للدول والأقاليم، وعلى هذا الأساس فإنه من الممكن استثمار ذلك في التقارب بين شعوب العالم.

5- تأمين الاتصال المباشر بالمعلومات في كل مناطق العالم:

تؤمن الانترنت خدمة الحصول على المعلومات المتاحة في الشبكة حيث يستطيع المستخدم بواسطة روابط تشعبية ذات طبيعة دلالية من الوصول إلى الوثائق والمعلومات الموجودة في مختلف المجاميع والمناطق¹.

الاستخدام غير المشروط واستثمار معلومات من كل شرائح المجتمع:

تعتبر ابواب شبكة الانترنت مفتوحة على مصراعيها حيث لا تقتصر خدماتها وتطبيقاتها على شريحة محددة واحدة من شرائح المجتمع، بل جميعها تقريبا، وان كانت حصة الباحثين الجامعيين هي الأكبر حيث يشكل طلبة الجامعات وأساتذتها ثلث مجموع عدد مستخدمي الشبكة، فالمهم بالنسبة للانترنت انها تتوزع على قطاعات كثيرة حيث يجد كل فرد ضالته في هذا التجمع المعلوماتي، ففي احد الاستجابات على سؤال "عما تبحث في الانترنت؟" وقد طرح السؤال عبر خط الانترنت من طرف مؤسسة **نوفاتريس** Novatris فاجاب 23000 مشترك انذاك في ماي 1999م فكانت النتيجة كما يشير اليها الجدول الموالي:²

6667	البريد الالكتروني
4030	البحث عن المعلومات
3632	مواقع الكترونية
2210	محاضرات
2023	البحث العلمي

¹ للبحث عن كلمة عولمة في احد البحث فان نتائج البحث تجمع من خلال الرابط التشعبية كل ماله علاقة بكلمة عولمة في أي نص مهما كان نوعه وطبيعته.

² Eric Guichard, comprendre l'usage de l'Internet, p:181

1823	الانترنت نفسها
1149	الاعلام الالي
1062	مطالعة الجرائد
831	عمل
636	البورصة
550	اليوم
531	صداقة
483	عطل
482	تكوين
459	العاب
459	احوال جوية
456	سينما
454	اخبار
430	رياضة
427	برامج
408	وثائق

تعكس نتائج هذا الجدول شمول اهتمامات الافراد وتباين نسب الاقبال على جوانب مهمة اكثر من غيرها، كما يتصدر الاطلاع على البريد الالكتروني اهتمامات اكثرية المشتركين.

لقد عملت الانترنت على مساعدة الاقتصاد الأمريكي فقد حصدت هذه الصناعة كأرباح عام 1999م اكثر من 300 مليار دولار¹ والسبب في ذلك يعود إلى كثرة نفقات الاستثمار التي تنفقها الشركات المعلوماتية وكذلك مساهمتها القوية في تنمية الاقتصاد الأمريكي.²

كما أن الاستثمار في تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الولايات المتحدة الأمريكية متقدم جدا عن غيره، حيث تشير بعض الأرقام إلى أن هذا الاستثمار بلغ سنة 1999م 1200 مليار دولار في مقابل 580 دولار في بلدان الاتحاد الأوربي (11 دولة).³

لقد تطرقنا إلى المزايا التي تتوفر عليها الانترنت وبدن شك فانها تحمس الكثيرين إلى اللجوء إلى هذا الاكتشاف التكنولوجي والحضاري المهم، واستخدام تسهيلات وتطبيقاته وخدماته المتنوعة، لكن ذلك لا يمنعنا من التطرق إلى مجموعة من السلبيات التي تنجر عن الاستخدام السيء لهذا الانجاز التكنولوجي.

مشكلات أو سلبيات استخدام الانترنت :

تتميز الانترنت بمجموعة من السلبيات يمكننا أن نحصرها في الآتي:⁴

¹ جعفر حسن عتريسي- العولمة والعالم-إدارة وأدوات . ص:23

² من بين أكبر خمسة رساميل في سوق وول ستريت ثلاثة تملكها شركات معلوماتية هي مايكروسوفت، سيسكو، انتل

³ جعفر حسن عتريسي، العولمة والعالم، إدارة وأدوات . ص:24

⁴ عامر ابراهيم قنديلجي، إيمان فاضل السمراني، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها، الطبعة الاولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان 2002 ص 450-461.

1- تعرض البريد الالكتروني للاختراق :

يتعرض البريد الالكتروني Electronic mail والذي يعتبر من أوسع وأهم الخدمات التي تقدمها الشبكة، إلى اختراق ومضايقات ورسائل غير مرغوب بها. وهو البريد الالكتروني، الخدمة الأكثر استخداما في الشبكة من المواقع في مختلف دول العالم.

2- نشر المعلومات اللاأخلاقية:

تتضمن شبكة الانترنت حوالي ملايين الصور المنافية للأخلاق.

3- مشاكل مالية وتجارية:

يعتقد الكثير من المستخدمين أن التعامل التجاري والمالي عبر شبكة الانترنت في موقف محرج، لعدد من الأسباب أهمها عدم كفاية الأمان، وتهريب أموال المخدرات.

4- الغزو الثقافي الأجنبي وتهديد الخصوصية:

عموما فإنه يخشى من هيمنة القطب المعلوماتي الثقافي الرئيسي في العالم، والمتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية وهيمنة لغتها الانجليزية وثقافتها العامة والجماهيرية على لغات العالم وثقافته، ومن ثم يخشى من استخدامها كسلاح مؤثر في الهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية وحتى الأمنية.

5- مشاكل حقوق النشر والتأليف:

تعتبر حقوق النشر والطبع للمنتجات الفكرية المختلفة من الأمور المهمة والحساسة للمؤلفين والناشرين التي يترتب عليها أمور قانونية ومالية، وهذا موضوع مثير للجدل بالنسبة للوثائق، والمعلومات المتوفرة في شبكة الانترنت، وكذلك برامج الحواسيب المختلفة المتوفرة على الشبكة.

من جانب آخر فقد تحجب بعض من خدماتها ومعلومات الشبكة عن الدول التي تخالف آراء ومصالح الادارة الأمريكية.

التجارة الالكترونية :

شاع مفهوم التجارة الالكترونية وانتشر بصورة هائلة وتوسع ليشمل عمليات أوسع من البيع والشراء، كما سيتضح لنا في ثنايا هذا الفصل إذ أن الآفاق التي تفتحها التجارة الالكترونية أمام الشركات والمؤسسات والأفراد كثيرة جدا. في البداية لا بد لنا من تحديد مفهوم التجارة الالكترونية.

تعريف التجارة الالكترونية :

في الحقيقة ليس هناك تعريفا دقيقا ومحددا للتجارة الالكترونية حتى الآن، رغم رواج هذا المصطلح بشكل واسع، ومن الصياغات التي طرحت من اجل تعريف للتجارة الالكترونية.

ومن تعاريف التجارة الالكترونية بأنها " مجموعة المعاملات الرقمية المرتبطة بأنشطة تجارية بين المشروعات بعضها البعض، وبين المشروعات والأفراد، وبين المشروعات والإدارة"

في هذا التعريف يتوسع مفهوم التجارة الالكترونية ليشمل كافة أوجه النشاط الالكتروني للتجارة ما بين الأفراد و المؤسسات والإدارة.

اما منظمة التجارة العالمية OMC¹ فتعرف التجارة الالكترونية: تشمل التجارة الالكترونية أنشطة إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها وتسويقها وبيعها أو تسليمها للمشتري من خلال الوسائط الالكترونية.

وهذا التعريف جاء أوسع، حيث تشمل المعاملات التجارية طبقا لهذا التعريف ثلاثة أنواع من العمليات:

تتعلق الاولى بعمليات الإعلان عن المنتج وعمليات البحث عنه؛

اما الثانية فتتعلق بعمليات تقديم طلب الشراء وسداد ثمن المشتريات؛

اما العملية الاخيرة فتتعلق بعمليات تسليم المشتريات.

وهذا التعريف الأوسع لا يحصر التجارة الالكترونية في عمليات شراء منتج معين، بل أن التجارة الالكترونية تتسع هنا لتشمل أية معلومات أو خدمات تقدمها مؤسسة لأخرى أو شركة لمستهلك باستخدام وسائط الاتصال الالكتروني، ابتداء من معلومات ما قبل الشراء، (تعيين السلعة وفحص نوعيتها وتقييمها) وانتهاء بخدمات ما بعد البيع، كل ذلك يتم باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات .

نستخلص ان التجارة الالكترونية هي عبارة عن تنفيذ المعاملات التجارية في السلع والخدمات والمعلومات باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من بينها الانترنت،

والتجارة الالكترونية تتميز بسمات أو خصائص والتي تجعلها مختلفة عن التجارة التقليدية، كما تجعلها تتطلب توافر بيئة تنظيمية وتشريعية مختلفة عن تلك التي كانت كافية لإدارة التجارة التقليدية.

بالنسبة الى خصائصها يذكر احد الدارسين ان التجارة الالكترونية تتميز بما يلي:²

1- الطابع الدولي للتجارة الالكترونية³

¹ ابراهيم العيسوي ، التجارة الالكترونية، الطبعة الاولى، المكتبة الأكاديمية القاهرة، 2003، ص: 11-12

² " المرجع نفسه " ص: 31-34

³ إن الوسائط الالكترونية التي تجري من خلالها أنشطة التجارة الالكترونية، لا سيما الانترنت، لا تعرف الحدود المكانية أو الجغرافية، ومن ثم فإن أي نشاط تجاري يقدم سلعا أو خدمات على الانترنت لا يحتاج إلى التوجه إلى مكان محدد.

- 2- الطابع المتشابه للتجارة الالكترونية
- 3- غياب المستندات الورقية للمعاملات في التجارة الالكترونية.
- 4- التعامل التجاري دون الكشف عن هوية المتعاملين.
- 5- سرعة تغيير المفهوم وتجديد قواعده وضوابطه.

أنواع ومستويات التجارة الالكترونية :

تأخذ التجارة الالكترونية عدة أشكال، وتعمل على ثلاث مستويات هذا ما سنتطرق إليه في هذا المطلب. هناك تسعة أنواع للتجارة الالكترونية تنجز بواسطة الانترنت ومن خلال أنشطة تبادل المعلومات وهي¹:

1. التعاملات فيما بين الأجهزة الحكومية بعضها البعض،
2. التعاملات فيما بين الأجهزة الحكومية والشركات، حيث تستخدم الحكومة الانترنت في إرسال المعلومات إلى الشركات واستقبالها، كالمعلومات الخاصة بالضرائب والجمارك.
3. التعاملات فيما بين الأجهزة الحكومية والمستهلكين.
4. التعاملات فيما بين الشركات والأجهزة الحكومية.
5. التعاملات فيما بين الشركات بعضها لبعض،
6. التعاملات بين الشركات والمستهلك.
7. التعاملات من المستهلك إلى الحكومة².
8. التعاملات فيما بين المستهلكين والشركات، كالبحث عن أفضل المنتجات والمقارنة بين أسعار منتجات المختلفة.
9. التعاملات فيما بين المستهلكين أنفسهم، أي دون أن تدخل من الوسطاء.

إذن هناك نوعيات متعددة من الأنشطة التجارية وأنشطة تبادل المعلومات التي يمكن ممارستها عن طريق الانترنت. وإذا كان معظم الاهتمام في الدول المتقدمة التي نشأت فيها التجارة الالكترونية وكذلك على صعيد المنظمات الدولية يركز على نوعين من الأنشطة المرتبطة بهذا النوع من التجارة وهما³:

1. التعاملات فيما بين الشركات والأفراد
2. التعاملات فيما بين الشركات بعضها البعض ويعتبر أكثر حجما فقد وصل إلى ما يزيد 401 مليار دولار سنة 2000 و 7300 مليار دولار سنة 2004⁴.

¹ إبراهيم العيسوي، التجارة الالكترونية، ص: 14-17

² مثل قيام الأفراد بسداد الضرائب.

³ Gary Gereffi, l'évolution de chaînes de valeur mondiales à l'ère d'Internet, commerce électronique et développement, séminaires du centre de développement, OCDE, p28

⁴ بشير عباس العلاق، تطبيقات الانترنت في التسويق، مرجع سبق ذكره، ص: 153.

اذن نستنتج التجارة الالكترونية مفهوم مفتوح إلى حد كبير في الوقت الحاضر.⁵

ونشير إلى أنه في جميع أنواع التجارة الالكترونية التي تناولناها فإن التجارة الالكترونية تتضمن:²

1- المتاجرة الالكترونية بالسلع والخدمات و تتمثل في أساليب المتاجرة القائمة، مستثمرة الإمكانيات الجديدة التي أتاحتها التكنولوجيا لتحسين الكفاءة من حيث تقليص التكاليف، وتحسين الفعالية و الجودة

ب- المتاجرة الالكترونية بالمعلومات المستندة للمحتوى (البرمجيات، الفيديو، الموسيقى، الصور، أعمال، وسائل الاتصال المختلفة، الألعاب... الخ)

اما عن مستويات التجارة الالكترونية فتتم عملية تنفيذ المعاملات فيها عبر الانترنت خلال ثلاثة المراحل التالية:³

- العرض والطلب إلكترونياً: حيث يقوم الزبون بالتعرف من خلال القوائم الالكترونية (الكاتالوجات) على مواصفات السلع.
 - تسليم البضائع: وترتبط بنوع البضاعة إذ يمكن تسليم بعض أنواع البضاعة الالكترونية من خلال الانترنت بينما تسلم الأنواع الأخرى باليد أو عن مندوب المبيعات.
 - سداد القيمة: ويتحقق سداد القيمة إلكترونياً.
- أما فيما يخص نمو التجارة الالكترونية عالمياً، فالجدول الموالي⁴ يوضح التفوق الملحوظ لمنطقة أمريكا الشمالية أمام باقي العالم حسب مبيعات 2004.

الجدول: نمو التجارة الالكترونية عبر دول العالم (الوحدة مليار دولار).

المبيعات سنة 2004 %	2004	2003	2002	2001	2000	
8.6	6789.8	3979.7	2231.2	1223.6	657.0	المجموع مليار \$
12.8	3456.4	2339.0	1495.2	908.6	509.3	أمريكا الشمالية
13.3	3189.0	2817.2	1411.3	864.1	488.7	USA
9.2	160.3	109.6	68.0	38.0	17.4	كندا

⁵ إبراهيم العيسوي، التجارة الالكترونية، ص 17.

² "المرجع نفسه"، ص 159-161

³ حمدي عبد العظيم، اقتصاديات التجارة الدولية، الطبعة الثانية، عالم الغد للنشر، مصر، 2000، ص: 341-342

⁴ بلغرة عبد اللطيف، آثار العولمة المالية على المؤسسات المصرفية في إطار التجارة الالكترونية، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيذر، بسكرة، العدد 5، ديسمبر 2003، ص 268.

المكسيك	3.2	6.6	15.9	42.3	107.0	8.4
آسيا	53.7	117.2	286.6	724.2	1649.8	8.0
اليابان	31.9	64.4	146.8	363.6	880.3	8.4
أستراليا	5.6	14.0	36.9	96.7	207.6	16.4
كوريا الجنوبية	5.6	14.1	39.3	100.5	205.7	14.6
تاوان	4.1	10.7	30.0	80.6	175.8	16.4
أوروبا الغربية	87.4	194.8	422.1	853.3	1533.2	6.0
ألمانيا	20.6	64.4	102.0	211.1	386.5	6.5
بريطانيا	17.2	38.5	83.2	165.6	288.8	7.1
فرنسا	9.2	22.1	49.1	104.8	206.4	5.0
أمريكا اللاتينية	3.6	6.8	13.7	31.8	81.8	2.4

منافع وسلبيات التجارة الالكترونية

تتمتع التجارة الالكترونية بمنافع وسلبيات وهذا نظرا لخصوصياتها أو لطبيعتها، هذا ما سنحاول التطرق إليه لاحقا.

منافع التجارة الالكترونية: تنطوي التجارة الالكترونية

على العديد من المنافع الخاصة بكل من المشتري والبائع، وسوف يتم استعراض هذه المنافع بالنسبة للبائع والمشتري تباعا:²

1. منافع التجارة الالكترونية بالنسبة للمشتري:

إن أحد أهم منافع التجارة الالكترونية بالنسبة للمشتري يتمثل في السهولة وتوفير الجهد، فالمشتري يمكنه ممارسة أنشطة التجارة الالكترونية لمدة 24 ساعة في اليوم وسبعة أيام في الأسبوع، وذلك من أي مكان يتواجد فيه شبكة الانترنت.

توفر العديد من البدائل أمام المشتري باستخدام شبكة الانترنت، فلهذه فرصة الإطلاع على العديد من المنتجات التي تعرض بواسطة العديد من البائعين في أماكن مختلفة من العالم، كما يتوافر لدى المشتري قدر كبير من المعلومات المتاحة عن هذه المنتجات. كما تتيح التجارة الالكترونية فرصة الوصول إلى أفضل الأسعار من خلال التجارة الالكترونية.

2. منافع التجارة الالكترونية بالنسبة للبائع:

بعض هذه المنافع يمثل الوجه الآخر لمنافع التجارة الالكترونية بالنسبة للمستهلك، مثل القدرة على خدمة العميل بدون حدود زمنية أو مكانية، وسهولة عرض العديد من المنتجات، والمعلومات وعمل اتصالات تسويقية ذات اتجاهين، والاحتفاظ بعلاقات جيدة مع العملاء، وتصميم السلع والخدمات بما يتفق مع رغباتهم مما يسهم في تحقيق رضاهم وولائهم للشركة.

² محمد صالح الحناوي وآخرون، مقدمة في الأعمال في عصر التكنولوجيا، الدار الجامعية، طبع و نشر توزيع، الاسكندرية 2004، ص: 164-167

ومن جانب التكاليف فإن هدف تخفيض التكاليف الخاصة بالمراسلات البريدية والدعاية والاعلان، وتكلفة التوزيع والتصنيع وأجور العاملين، والبريد والطباعة، والأوراق، يتحقق أكثر عند القيام بممارسة أنشطة التجارة الالكترونية.

كما تستطيع مؤسسات الأعمال أن تتحول إلى مؤسسات افتراضية بحيث يكون وجودها الفيزيائي محدودا جدا، بينما يكون وجودها على الانترنت وخدماتها واسعين جدا، فبعض الشركات اختارت النموذج الافتراضي منذ تأسيسها ولا يمكن التعامل معها سوى الكترونيا مثل مكتبة Amazon.com التي تعرض قائمة الكترونية ب 5 ملايين كتاب¹

سلبات التجارة الالكترونية :

- كما أن هناك منافع للتجارة الالكترونية، فإن هناك سلبات للتجارة الالكترونية يمكن عرضا فيما يلي²:
- 1- إمكانية الشراء باستخدام بطاقات ائتمانية مزيفة من قبل بعض العملاء.
 - 2- يمكن حدوث تلاعب لبيانات النسخ الأصلية الخاصة بطلبات الشراء أو إرسال بضائع، وذلك نتيجة لعدم وجود مستندات ورقية، وعدم إمكانية التوقيع بخط اليد، بما يهدد الحقوق والمصالح الخاصة للأفراد والمؤسسات على السواء.
 - 3- هناك احتمالات لحدوث عمليات نصب واحتيال بسبب صعوبة التحقق من شخصية المتعاملين.
 - 4- من الممكن القيام بطلب استيراد سلع ممنوع استيرادها في الأسواق المحلية للدولة التي تطلبها.
 - 5- سهولة إفشاء أسرار العملاء والبنوك والشركات إلى المنافسين من خلال اختراق شبكة الانترنت.

الخلاصة :

إن الكشوف العلمية التي فتحت في بداية هذا القرن آفاقا جديدة تماما على صعيد البحث العلمي وتطبيقاته، مثل نظرية النسبية ونظرية الكوانتا، والتي توجت بغزو الذرة وصنع القنبلة الذرية وتفجيرها من جهة، وبغزو الفضاء والصعود إلى القمر وارتداد مجاهل كونية أخرى من جهة ثانية، إن هذه الكشوف والتطبيقات العلمية الهائلة التي شهدتها هذا القرن العشرون كانت امتدادا مباشرا لذلك التحول الذي عرفته العلوم، وبكيفية خاصة الرياضيات والفيزياء، في مثل هذا الوقت من القرن

¹ Gary Gereffi, l'évolution de chaînes de valeur mondiales à l'ère d'Internet, commerce électronique et développement, séminaires du centre de développement, OCDE, p:35

² محمد صالح الحناوي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 169

الماضي، كما كانت في نفس الوقت تمهيدا للثورة المعلوماتية التي اجتاحت كل ميادين الواقع والوعي، هذه التحولات المذهلة بكل ميادينها ترتبط بمفاهيم وعلاقات جديدة، إنها تحركت وفي الوقت ذاته ولدت مفاهيمها وعلاقاتها ولغتها وأسئلتها وصعوباتها المتجددة ظاهرة تسمى بالعولمة.

الأساس الايديولوجي للعولمة :

ما المقصود بالأساس الايديولوجي للعولمة ؟ نقصد بذلك ان العولمة تأسست في نظرنا على ارضية ايديولوجية ساهمت فيها بعض الفلسفات التي روجت للفكر الرأسمالي ودعت الي اعتباره الفكر القادر على مسايرة الحياة المعاصرة بما فيها من مستجدات تكنولوجية.

قبل الولوج إلى الحديث عن البعد الإيديولوجي للعولمة لا بد أن نحدد مفهوم الايدولوجيا لغة واصطلاحاً.

الايدولوجية Ideology: الإيديولوجية هي مصطلح مشتق من اللغة اليونانية وهذا المصطلح يتكون من كلمتين هما إيدو ومعناها الفكر أو المعتقد، ولوجي ومعناها العلم، إذن إيديولوجية تعني علم الفكر أو المعتقد. ويعتبر الفيلسوف الفرنسي **ديستات تروسي**¹ 1755-1836 أول من وضع هذا المصطلح في كتابه عناصر الإيديولوجية. وقد قصد بها علم الأفكار².

مصطلح الايديولوجية دُخِل على اللسان العربي. وسعى بعض الكتاب العرب الى إيجاد المعادل العربي لمصطلح إيديولوجيا. ومنهم **عبدالله العروي** الذي اقترح كلمة "أدلوجة" على وزن أفعولة، وهو اقتراح وجيه. وهذه الترجمة تحافظ على المنظور الإشكالي للمفهوم، ولا تنظر فقط إلى المعنى اللغوي.

وهناك من ترجم إيديولوجيا بالفكرانية، وهي ترجمة غير مسوغة ولا مقبولة عند الكثير من الدارسين فهي "تسقطنا في اشتراك لفظي. يخلط بين الايدولوجيا والتأدلج الذي يفيد معنى التمهيد للفكر الخاص أو الفكرة الخاصة.. هذا في حين أن الإيديولوجية هي نظرية للعمل. و تصبح الإيديولوجية بهذا الطرح نقيضاً للفكرانية من حيث وفاء الإيديولوجية لمصلحة الحامل الإيديولوجي وليس للفكرة³.

¹ Destutt Tracy

² إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات. بيروت، الطبعة الأولى، 1999 ص: 47-48.

³ إدريس هاني " ماذا بعد الايدولوجيا " ، لك الكلمة ، مجلة فصلية تعنى بشؤون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجديد الحضاري، تصدر عن منتدى الكلمة للأبحاث والدراسات. العدد 47 السنة الثانية عشر ربيع 2005 .

ان الايديولوجيا كما يعرفها هيجل : " رؤية معرفية للكون والدنيا والمجتمع والإنسان تتبلور في صياغات تعطي نفسها مواقف ووسائل تحسبها محققة لطموحاتها في شتى مجالات الحياة"¹. اننا نقصد بالبعد الايديولوجي في هذا المقام ان خطاب العولمة تكرر من خلال دور بعض المثقفين الذين عملوا على الترويج لأفكار تبرر هيمنة الغرب على دول الجنوب، وهنا نحاول ان نتطرق الى هذه الافكار.

فكرة " نهاية التاريخ " :

فكرة نهاية التاريخ هي أصلها فكرة غربية تتحدث عن التحرر العقلي والمعجزة الليبرالية في تجليها الأوربي والأمريكي وترتبط بزمان محدد، يبدأ حسب الدكتور فيصل دراج بالعصر اليوناني أي أن التاريخ في رأيه يبدأ بالمعجزة اليونانية وينتهي بالعقل الأوربي الحديث وبالمعجزة الأوربية الليبرالية الحديثة، وهي بذلك ترجع التاريخ إلى زمن مغلق يحدد البداية والنهاية، باعتباره تاريخا كاملا مطلقا ومثاليا². وترجع الفكرة الى مروجها فرنسيس فوكوياما الذي عالج كما اعتقد قضية "التوافق الكامن في النظام الرأسمالي الليبرالي"³

لقد اكد فوكوياما في اطروحته هذه ان العالم بعد انهيار المعسكر الشيوعي قد اتجه نحو نهاية التاريخ بانتصار النموذج الليبرالي الامريكي داعيا الى تعميم الديمقراطية الغربية بوصفها الشكل النهائي للحكم الانساني. وهذه الافكار تمثل محاور مشتركة بين اطروحة نهاية التاريخ والأفكار الرئيسية المحركة للعولمة⁴

قبل الحديث عن كيفية انتهاء التاريخ و إمكانية ذلك نتساءل عن ما المقصود بالتاريخ؟ إن التاريخ الإنساني معناه حركة الإنسان في الزمن و الزمن قيمة نسبية.

فالتاريخ إذن لن ينتهي إلا باختفاء الإنسان من الوجود وهنا نقول مع توينبي : " هو الحقبة الكاملة لحياة الإنسان في الأرض"⁵.

وهذا معناه حسب **ماكس غالو**- ليس تتاليا للأحداث المختلفة التي يصنعها البشر⁶ ولا تسلسلا للوقائع التاريخية بما تحمله من ظواهر

¹ - محمد حسين هيكل ، "العرب على اعتاب القرن الواحد والعشرين "، جريدة الخبر عدد 16 - 06 - 1997

² - فيصل دراج، " النظام الدولي الجديد وايدولوجيا " نهاية التاريخ" - الطريق العدد 04 أوت 1995.

³ فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الاولى، 1993 ص: 15

⁴ محمد حسين ابو العلا، دكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف ، مكتبة مدبولي، القاهرة الطبعة الاولى 2004 ص: 170

⁵ - توينبي أرنولد، ترجمة فؤاد محمد شبل، مختصر دراسة التاريخ، الجزء الأول. ص 69-70.

⁶ - عبد الفتاح فكهاني " الهيمنة الأمريكية تثير نقاشا فلسفيا" في باريس يتحدثون عن نهاية التاريخ. جريدة القلم المغربية 13/02/1992 - ص 03.

اجتماعية، بل التاريخ حسب **أرنولد تويني** هو: "الفترات التي أنتجت الحضارات... والتي لا تغطي سوى اثنين في المائة من تلك الحقبة الكاملة لحياة الإنسان في الأرض. إن ما ندعوه تاريخا إن هو إلا تاريخ الإنسان في مجتمع متمدين".¹

لاشك أن فلسفة التاريخ تتبع مختلف الانتصارات والمعجزات، التي يحققها الأفراد أو الجماعات البشرية خاصة تلك التي تدفع بالبشر نحو التطور، من أمثلة ذلك الانتصارات التي حققها **نابليون**² على القوى الأوربية كانت في رأي **هيجل**³ بشرى بانتصار قيم العقل والحرية والمساواة التي نادت بها الثورة الفرنسية، على حساب أفكار الحكم المطلق التي كانت تحميه الجيوش البروسية.⁴

لقد تجسدت الفكرة- الروح- في **نابليون** ممثلا لانتصارات القيم المثالية على القيم الرجعية التي عرفتها أوروبا حسب **هيجل** وقد نقلت لنا الكتب الفلسفية انبهار هذا الفيلسوف بالرجال الذين يصنعون التاريخ، بإرادتهم الصلبة وعقولهم القوية. فقد كتب يقول وهو يضع اللمسات الأخيرة لكتابه فيزيولوجيا الروح⁵ " رأيت الإمبراطور " ، يجتاز المدينة على صهوة جواده أنه لشعور غريب حقا، أن يرى المرء شخصية كهذه متمركزة في نقطة واحدة من المكان في حين أن فكرة الصلف يشع على العالم أجمع".⁶

فالتاريخ في نظر **هيجل** هو سجل لانتصارات العقلانية والحرية. وفي التاريخ يتحقق الوعي الذاتي المطلق، ويتصالح المجتمع مع الدولة و العقل مع الموضوع وتوضع نهاية للجدل التاريخي. لقد تحققت الدولة الحرة الحديثة في أوروبا بعد الثورة الفرنسية، وكذلك تحققت في أمريكا الشمالية بعد انتصار الثورة الأمريكية بفضل مبادئ الحرية التي حملتهما هاتان الثورتان.

¹ - تويني أرنولد، مختصر دراسة التاريخ، ص 69-70.

² - دامت حروب نابليون حوالي 17 سنة أي من 1798 إلى 1815م.

³ يعتبر الفيلسوف الألماني " هيجل" أول من استخدم مصطلح " نهاية التاريخ" وكان ذلك مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي. ولد جورج فريدريك هيجل (1770-1831) في مدينة اشنتوتغارت بألمانيا وتعلم فيها وتنقل بينها وبين معهد توينغن الديني وجامعة برلين التي أصبح مديرا لها. كانت عائلته متواضعة من الناحية المادية. وقد أصيب بعدة فواجع في طفولته، ففقد أمه التي كان يحبها كثيرا في الحادية عشرة. وقتل أخوه في الحرب، وجنت أخته التي كان متعلقا بها أيضا كثيرا. تضاف إلى ذلك مأساة طفله غير الشرعي الذي سبب له متاعب عديدة طيلة حياته كلها، وبالنسبة للفيلسوف، غير أن هذه الفواجع تصافرت في شكل حوافز لكي تصنع منه ثاني أكبر فيلسوف في ألمانيا بعد استاذة كانط. عندما اندلعت الثورة الفرنسية عام 1789م كان عمره 19 عاما كانت له شمسا أشرفت لتاريخ حديث وأحرقت تاريخا قديما هو بالنسبة لهيجل تاريخ عبودية وقهر

⁴ - مازن البندك " نظرية العالم الأول"، نهاية التاريخ، الجيل، عدد ديسمبر 1989-ص20.

⁵ - فينومولوجيا : هو علم الطواهر التاريخية الكبرى، أو هو الظاهرية. وهو مذهب فلسفي يقول بأن المعرفة محصورة في الطواهر أو الحوادث المحسوسة.

انظر المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة الحادية والثلاثون، 1987- ص 482.

⁶ - جان ادوارد سبنله Jean Edward Spenlé - ترجمة تيسير شيخ الأرض، الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه. منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، 1968م. ص199.

إن **هيجل** حسب **فوكوياما**- لم يدع بأن الدول الحرة قد انتصرت في كل مكان من العالم، إنما كان ما قاله هو أن مبادئ الحرية والمساواة التي تحدد الدولة الحديثة ، قد تم اكتشافها واكتملت في دولة أكثر تقدماً، وأنه لا توجد مبادئ بديلة للتنظيم الاجتماعي و السياسي تسمو على التحررية، وبمعنى آخر كانت المجتمعات الحرة خالية من المتناقضات التي ميزت الصور الأولى للتنظيم الاجتماعي، ومن ثم تضع نهاية للجدل التاريخي¹.

فلأول مرة حسب **هيجل** " يتصالح المجتمع مع الدولة، والفرد مع الإنسان، والعقل مع الواقع، والذات مع الموضوع، فلا شيء من هنا فصاعداً يحول دون اتحادهم"². وبهذا يتحقق معنى نهاية التاريخ ليس بالمعنى الديني أو الثيولوجي- القيامة وعودة المسيح-، ولكن بمعنى نهاية التعارض والتناقض بين الإنسان و الواقع. لقد كانت معركة " إينا " " Iéna "³، فاصلاً بين حكم نظام قديم و واقع جديد للحركة والمساواة والأخوة، جميع هذه القيم مجسدة في الدولة بصورة متجانسة تحكمها إرادة الشعب، ويحقق الأفراد فيها ذواتهم. وهذه اللحظة هي التي انتظرها " **هيجل** " طويلاً ومع حصولها كانت الحالة التي تخبر عن نهاية التاريخ"⁴. أما خارجياً فتمثل معركة " إبانا " " تلك اللحظة التي يقول عنها **كوجيف**⁵: أن الطليعة الإنسانية جسدت فيها مبادئ الثورة الفرنسية⁶ وهكذا تفهم من مقولة " نهاية التاريخ " التي جاء بها **هيجل** تعبيراً عن فكرة العالمية أوريا. ولم تكن تنتشر بهذه السرعة في ذلك الوقت لولا انتصار الدولة القومية على سلطة الكنيسة المتواطئة مع استبداد الملوك والاباطرة والإقطاعيين. وإذا كانت الدولة الحرة في نظر **هيجل** قد طبقت مبادئ الحرية والمساواة فإنها حسب كارل ماركس لم تحقق الحرية إلا للطبقة البرجوازية هذه الدولة التي فشلت في حل التناقضات خاصة صراع الطبقات أي الصراع بين البرجوازية وطبقة البروليتاريا. ويذهب **ماركس** مخالفاً أستاذه **هيجل** إلى أن الدولة⁷ لا تخدم سوى مصالح

¹ - فرنسيس فوكوياما " نهاية التاريخ ".

² - قاسم حجاج، العالمية والعولمة: نحو عالمية متعددة وعولمة إنسانية، ص: 189.

³ - هي معركة انتصر فيها نابليون على الجيوش البروسية في أكتوبر 1809

⁴ - فيصل دراج، "النظام الدولي الجديد وإيديولوجيا نهاية التاريخ"، ص 07.

⁵ - الكسندر كوجيف " 1903-1968 . A. KOJEVE . ولد بموسكو من عائلة ثرية وسافر إلى ألمانيا وفرنسا للدراسة، كان له تأثير بارز في الفكر الفرنسي يؤمن بأن السليبي يتحول إلى إيجابي أي أن الصراعات الدموية والإرهاب هي تدفع نحو الوئام والسلام.

⁶ - حمادي الروديسي، " اللحظة الفلسفية في فهم التحولات العالمية " . لوموند دبلوماسيك الكراس العربي. ماي/جوان. 1990-ص 10.

⁷ - على الرغم من الخلاف الذي كان بين ماركس و هيجل الا انه وافقه في كثير من اجزاء مذهبه الجدلي فقد قبل ماركس من أستاذه فكرة تطور المجتمع الإنساني عبر العصور من التراكيب البدائية إلى تراكيب

الرأسماليين الذين يسيطرون على المجتمع. وعليه فإن " نهاية التاريخ " عند **ماركس** تأتي من انتصار طبقة البروليتاريا (الطبقة العالمية) ومعها تتحقق المدينة الشيوعية التي تضع حدا للصراع الطبقي.

ونتساءل الآن هل تحققت نهاية التاريخ كما تنبأ لها **هيجل** وفق جدله؟ أوحى كارل ماركس وفق تصوراته عن المجتمع الشيوعي ؟

لقد كشفت الأحداث التي تلت انتصار نابليون أوربيا سقوط فكرة " نهاية التاريخ " بسرعة تماما مثل ما سقطت إمبراطوريات أخرى كالإمبراطورية الرومانية. وما دورات الحروب القتالية التي توالى بعد ذلك إلا دليل على ذلك¹ وقد شهد التاريخ انهزام نابليون عام 1815 وهذا العام الذي انعقد فيه مؤتمر فيينا للسلام وقد انتهزت الإمبراطورية الفرنسية على يد روسيا سنة 1817 بعد أن توحدت على يد بسمارك².

ومثل ما انهارت فكرة " نهاية التاريخ " بالمنظور الليبرالي فقد انهارت أيضا بالمنظور الجدلي الماركسي لأن الشيوعية لم تتحقق كما تنبأ لها أصحابها. فقد شهدت كثير من الدول التي اتبعت النهج الاشتراكي تحولا في سياستها الاقتصادية، ولم يبق حالها كما كانت في السابق .

وقد تساءل **الكسندر كوجيف** مثل ما تساءل غيره³ عن " عالمية التاريخ " فلم يخرج جوابه عن تأكيد نفيه لهذه العالمية بل ما حدث منذ 1806 ليس شيئا سوى اتباع البلدان لمبادئ الثورة الفرنسية وحتى الثورة البلشفية لم تضاف حسب **كوجيف** سوى محتوى اجتماعي لمبادئ الثورة الفرنسية.

لقد كان سقوط جدار برلين عام 1989 الفرصة السانحة التي استغلها " **فرنسيس فوكوياما** " مستفيدا من الدعاية الأمريكية للطرح الهيجلي، ليعلن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، بأن الليبرالية السياسية قد انتهت كأيدولوجية نهاية تحمل النظام الرأسمالي كنظام مثالي. وقد ورد " انتهى التاريخ في 1806، هذا يعني أن التطور الأيدولوجي

أكثر تعقيدا بالإضافة إلى أن الحركة التاريخية تخضع إلى حركة جدلية كما شاركه في إمكانية وجود نهاية للتاريخ.

¹ - - قاسم حجاج، **العالمية والعولمة: نحو عالمية متعددة وعولمة إنسانية**، ص: 443.

² - يعود توحيد بروسيا إلى تلك الجهود الذي بذلها القادة و المفكرون الألمان الداعي إلى القومية الألمانية. ومن بين هؤلاء **فخته** الذي كان معجبا بداية بأفكار الثورة الفرنسية ولما اغتصبت هذه المبادئ من طرف نابليون دعى إلى النزاعة القومية الألمانية من خلال الخطابات التي ألقيت إلى الأمة الألمانية خلال شتاء 1807-1808.

انظر جان إدوارد سنبله: ترجمة تيسير شيخ الارض: " الفكر الألماني من لوتر إلى نيتشه. ص 101-108.

³ - من المفكرين الذين تتمحور أعمالهم حول صياغة موقف نقدي لكل من التمدن الصناعي والعقل الأداتي الغربي نجد الفيلسوف الأمريكي هيربرت ماركور " ذو الأصل الألماني " H.Marcuse 1898-1979، ومدرسة فرانكفورت التي يمثلها M.Horkheimer 1875-1973 و TH. Adorno 1903-1969، يورغن هابرماس Y. Habermas 1929-20??

للإنسانية اكتمل مع مبادئ الثورات الأمريكية والفرنسية إن الحقيقة النظرية لهذه المبادئ تبقى مطلقة ولن يمكن تجاوزها أبداً حتى وإن لم تستطع بعد بعض النظم المعنية تجسيد هذه المبادئ في الواقع العيني. فالدولة المتجانسة ستنتصر بالفعل طال الزمن أم قصر¹. ويضيف قائلاً: " إن الإنسانية قد دخلت مرحلة ما بعد التاريخ فالخلافت الدولية على نطاق كوني كالحروب العالمية من أجل هيمنة وانتشار فكرة ذات بعد كوني وقادرة على تعبئة الإنسانية أمر غير وارد"².

وهكذا يستبعد **فوكوياما** تلك النزاعات الحربية التي سادت التاريخ الغربي خلال القرون الأخيرة فلا إيديولوجيا الآن بعد أن هيمنة الدول الصناعية بقيم العالم الحر كالديمقراطية وحقوق الإنسان، واقتصاد السوق. وإن كانت نهاية التاريخ لا تعني حسب **فوكوياما** اضمحلال كل التناقضات والنزاعات العرقية والأصولية وبقياً بعض الإيديولوجيات المتواجدة في الجنوب أو الشمال³. إن أطروحة " نهاية التاريخ "⁵ من أهم الأطروحات التي تشكل المرتكز الرئيسي لخطاب العولمة⁶ وتبرز الفكرة الفلسفية الهيغلية القائلة باكتمال حركية التاريخ من حيث تطابقه الجدلي مع العقل المطلق الذي تجسده موضوعاً الدولة الليبرالية الجديدة التي حققت المبادئ السامية للعقل وجسدت الحرية بتعميمها لاقتصاد السوق⁶. كما اعتمد فوكوياما في بحثه على آراء سان سيمون 1760-1825 في نظرية التقدم المؤدية إلى إنسانية ثرية منعمة بالسلم والأمان باعتمادها على أمرين هما الصناعة والعلم. فقد تفاعل **سان سيمون** بتحقيق حلم الازدهار والتطور. بعد ملاحظته لعناصر فكرته وهي التطورات الهامة التي شهدتها إنجلترا في نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر.

1/ الثورة الصناعية التي أدت إلى مزيد من الرخاء آنذاك.

2/ التجارة الحرة التي واكبت تلك الثورة

3/ ازدهار الصناعة في جو الأمن والسلام.⁷

وهذا المناخ هو شبيه بالذي جعل **فوكوياما** يخرج بنبوءته بالقول:

1/ سقوط الكتلة الشيوعية

1- ؟ قاسم حجاج، العالمية والعولمة: نحو عالمية متعددة وعولمة إنسانية، ص: 443.

2- ؟ " المرجع نفسه " ص: 443.

3- حمادي الرديسي، " اللحظة الفلسفية في فهم التحولات العالمية " - ص 11.

4 هذه الأطروحة جاءت بعد انهيار النظام الاشتراكي

5 انظر السيد ولد اباه، اتجاهات العولمة، إشكالات الألفية الجديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب

طبعة 2001 ص: 112

6 GEMDEV cordonné par Michel BEAUD, Oliver DOLLFUS, Christian GRATALOU, Philippe HUGAN, Gérard KEBABDJIAN, Jacques LEVEY -la mondialisation, les mots et les choses, édition karthala, 1999, Paris, P :33

7 ؟ صامويل برنستين، " فلسفة سان سيمون للتاريخ "، ص: 73

- 2/ نهاية الحرب الباردة
3/ توفر مناخ في الأمن لازدهار الصناعة
و يلتقي **فوكوياما** مع **سان سيمون** في عدة افكار أخرى أهمها
1/ تبني الحضارة الانسانية على أساس علماني.
2/ رواد العولمة " منظمة كونية " هم رجال الصناعة و العلم.
3/ تتحقق وحدة العالم باتخاذ نخبة رجال الفكر و رجال الصناعة مع اقضاء رجال الدين
4/ اذا كانت السياسة علما و التاريخ علما و بالتالي قوانين تطورها
معلومة يمكن التنبؤ بالمرحلة القادمة للإنسان ، وهذه الفكرة يتلقى بها
ايضا مع هيجل الذي حكم بنهاية التاريخ على أساس هذا المفهوم.¹
كما اعتمد فوكوياما على بعض الأفكار الفلسفية الأخرى كفكرة الكونية
باعتبارها اديولوجيا النزعة الإنسانية الجديدة. و اديولوجيا الليبرالية
الجديدة التي تصنعها النظرة الاقتصادية و كذلك اديولوجيا المعلوماتية
التي تصنعها النظرة التقنية.

نقد الفكرة و ابراز مخاطرها:

يمثل كتاب " نهاية التاريخ و خاتمة البشر " لفرنسيس فوكوياما واحدا
من أكبر الكتب التي مثلت دعاية سياسية لتسويق نموذج العولمة أثر
سقوط المذهب الشيوعي، و قيادة النظام العالمي من طرف الولايات
المتحدة الأمريكية . و فضلا عن ذلك فان الكاتب يتعامل مع موضوع ذي
اهتمامات إنسانية.

والتحليل المتفحص لهذا الكتاب يكشف لنا على بعض الأخطاء التي
فاته الانتباه إليها و منها :لقد نسي فوكوياما أن يقدم لنا الأدلة القاطعة
التي تكشف بان الليبرالية الغربية تمثل الصيغة الشاملة و الكاملة التي
تحقق لجميع الأفراد رغباتهم و حوائجهم و تشفي ما بداخلهم .
ان البحث الذي قدمه **فوكوياما** اتخذ منحى سياسيا، لقد دشّن بفترة
العودة الى هيمنة القطب الواحد "تنصيب ليس فقط الرأسمالية لكن أيضا
النسخة السلطوية المقدسة الواقعة من عولمة ما بعد جدار برلين على
العرش"² ولا يعكس واقع الأمر خلافا **لكوجيف** " الذي ركز على فلسفة
هيجل و فسرّها باحثا عن الحقيقة لا مروجاً لنزعة أو لمذهب، و المنحى
السياسي لفوكوياما أدخله في دائرة التحيز لمطالب و طموحات
السياسيين و جعله يخلط الفلسفة بالادولوجيا .

ان فوكوياما أراد أن ينفخ روحا جديدة في فلسفة هيجل فاستهل وصف
أنه " يصب خمرا قديما في كوب جديد"³ فاذا كان هيجل تنبأ بنهاية

¹ عبد الله عثمان التوم ، عبد الرؤوف محمد ادم ، العولمة دراسة تحليلية نقدية . ص: 69

² توم نيران، نهاية العالم الحر، 1 كانون الاول 2004 مجلة المنتدى الديمقراطي المفتوح

<http://www.opendemocracy.net>

³ عبد الله عثمان التوم ، عبد الرؤوف محمد ادم ، العولمة دراسة تحليلية نقدية ، ص: 65

التاريخ مع الدولة الليبرالية الجديدة. و جاءت الثورة البلشفية التي قصمت نبوءته. و ان أوجدت هذه الثورة المبرر فان فوكوياما ابرز تحقق مبادئ الدولة السامية في صورتها الليبرالية متخذا من التجربة الأمريكية مثالا واقعيا ينعكس فيه مبادئ الحرية و المساواة و الاعتراف بحقوق الإنسان . و بلوغ ما يسمى بالدولة المتجانسة و هي هدف جميع الدول و بتحقيق هذه النتيجة . ينتهي التاريخ و تعيش الأجيال اللاحقة في مرحلة ما بعد التاريخ لكن ما رأي فوكوياما في الصراعات والحروب المنتشرة هنا وهناك وهل انتهت العصبية القومية من التأثير في حركة التاريخ؟ وبعد كل هذا أليست الأحداث المروعة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية في 9/11/2000 تبطل نبوءة فوكوياما كلية ؟ و فضلا على كل ما سبق ذكره هل حقا تمثل الولايات المتحدة الأمريكية الدولة المنسجمة؟

هل زالت العنصرية ؟ و هل زالت الرشوة مع صانعي الإمبراطورية الاقتصادية ؟ و هل امتدت جسور المحبة لتشمل كل الأفراد ؟ و هل زال الفقر و الخوف ؟ هل تحققت الرفاهية للبشر؟ إن البشر لن يكتفوا بالرفاهية الاقتصادية وإنما يتطلعون دائما إلى ابعد من ذلك و ببلوغ تأثير سياسة الليبرالية مداه على الأفراد في الدول النامية و الفقيرة حيث انتشار البطالة و زيادة نسبة الفقر، و نقص الخدمات الاجتماعية كالصحة و التعليم ، و الإحساس بالتبعية و الظلم، وهو شعور شمل أيضا الفقراء و محدودي الدخل و حتى الطبقة المتوسطة في الدول الصناعية الكبرى . و هو ما شكل جمهور مناهضة العولمة و مقاومتها . وقد قام أنصار هذه الحركة بالعديد من المظاهرات و الانتفاضات المقاومة للعولمة . منها عام 1994 في المكسيك انتفاضة الفلاحين ضد الحكومة المكسيكية التي وقعت لتوها اتفاق النفط (المنطقة التجارية الحرة لأمريكا الشمالية) عام 1995 مظاهرات الطلبة في فرنسا احتجاجا على ارتفاع تكاليف التعليم.

عام 1999 في الولايات المتحدة الأمريكية (اجتماع الآلاف من البشر للتنديد و الاحتجاج على اجتماع منظمة التجارة العالمية المنعقد آنذاك بمدينة سياتل.

-عام 2001 في جنوا بإيطاليا تجمع ما يزيد على 300 ألف من مناضلي حركة مناهضة العولمة

-عام 2002 في لندن 100 ألف مطالبين بالحقوق الفلسطينية.

-عام 2002 في فلورنسا مليون متظاهر على هامش المنتدى الاجتماعي الأوروبي.

ليست العولمة سوى تطبيق للهيمنة الفردية و فرض لسيطرتها تحت مسميات مختلفة (الشرعية الدولية أو النظام الدولي الجديد)

لقد تغذت " فكرة نهاية التاريخ باعتبارها الوجه الآخر لمركزية الأوربية الحديثة وقوامها تأكيد السيطرة الأوربية عالميا، وتهميش المناهض لها عالميا أيضا"¹ من الفلسفة السابقة التي تشيد بفكرة التمرکز حول الذات الأوربية الغربية كما قال تويني². وتشيد بقيم التفوق كما ذهب الى ذلك " دافيد هيوم"³: " تشكل الأمم الأوربية هذا الجزء من الكرة الأرضية الذي يقتات بشعور الحرية، والشرف، والإنصاف، وقيم تتفوق على قيم البشرية جميعا"⁴.

ان فكرة نهاية التاريخ التي زعم بها فوكوياما عام 1989 عند ايدان انهيار الكتلة الشيوعية ليست سوى " بيان مناهض للشيوعية"⁵ وهي فكرة تحاول في جوهرها أمركة العالم و إيجاد المبررات لإحكام سيطرة الولايات المتحدة على غيرها سياسيا و عسكريا و ثقافيا و إعلاميا. و خلاصة القول أن نهاية التاريخ⁶ ما هي سوى محاولة نظرية لتسويق النموذج الليبرالي ومن ثم تبرير وجود العولمة بفرضها للرؤية الأحادية في الثقافة و الفكر و السياسة و الاقتصاد .

أطروحة صامويل هنتغتون وكيفية استغلالها. الأسس الفكرية لأطروحة صراع الحضارات:

ترتبط أطروحة " صراع الحضارات " بمقالة المفكر و السياسي الأمريكي " صامويل هنتغتون"⁷ و التي تداولتها الأدبيات الصحفية في أمريكا و العالم قبل أن تصاغ في كتاب موسع بعنوان " صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي و إعادة بناء النظام العالمي"⁸

¹ - فيصل دراج، ، ص 5-6.

² -أرنولد تويني- الجزء الأول. ص61.

³ -فيلسوف إنجليزي-

⁴ - (فيصل دراج "النظام الدولي الجديد وإيديولوجيا نهاية التاريخ") ص 10..

⁵ توم نيران- نهاية العالم الحر 1 كانون الأول 2004 مجلة المنتدى الديمقراطي المفتوح

<http://www.opendemocracy.net>

⁶ مع العلم ان فوكوياما لم يقل بان التاريخ انتهى في العالم كله وإنما فقط في البلدان المتقدمة أما في الدول الأخرى فما زال أمامها شوط كبير ينبغي أن يقطع حتى يتم الوصول إلى المجتمع الديمقراطي الحقيقي المؤمن بالتنوع السياسية والحرية الفكرية ورغد العيش على النحو الذي حصل في الغرب. انظر هشام صالح -المتفقون الأمريكيون ومصير العالم - مجلة

البلاغ info@balagh.com

⁷ - أستاذ كرسي ايتون لعلم السياسة، ومدير معهد جون م. أولين للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد

⁸ ظهر المقال لأول مرة في صيف 1993 في المجلة الأمريكية Foreign Affairs بعنوانه الانجليزي The clash of civilization ثم طورها صاحبها في كتاب The clash of civilization and the remaking of world order أي صراع الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي .

عرض الفكرة :

و تدور الفكرة المركزية لهنتغتون في هذا الكتاب على
فرضية مؤداها أن المعايير الثقافية للشعوب و الأمم هي التي
ستكون سببا في النزعات و الصراعات التي تحدث في العالم.
و لم تعد تتحدد بالعوامل الاقتصادية أو الاديولوجية . فقد صرح
قائلا " فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية ، و
المصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا ، و ستظل
الدول و الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية ، لكن
النزاعات الأساسية في السياسة العالمية، ستحدث بين أمم و
مجموعات لها حضارات ستكون هي خطوط المعارك في
المستقبل⁴.

و اذا كان هنتغتون يقر أحيانا بالتداخل بين بعض الحضارات، إلا أنه يجعل منها-اي الحضارات -خطا مميزا للهويات عن بعضها. و يذكر الحضارات الرئيسية المؤثرة في العالم اليوم و منها الغربية، و الكنفوشيوسية ، و الإسلامية ، و الهندية، و السلافية الارثوذكسية ، و الأمريكية اللاتينية و الأفريقية . و هذه الحضارات متميزة بهويتها. و عن أسباب التصادم فيما بينها نجلها فيما يلي:

- طبيعة الاختلافات البارزة بين هذه الحضارات خاصة فيما يتعلق بالدين و اللغة و الثقافة و التقاليد
- الوعي الكامل بالتميز الحضاري الناشيء عن زيادة القارب بين الأفراد في العالم .
- انعكاسات نهج التحديث الاقتصادي و الاجتماعي على الهويات و ما يولده من جذر الاختراق.
- استبعاد مهمة صهر الثقافات في بوتقة واحدة.
- تزايد النزعة الإقليمية الاقتصادية، المؤثرة في النشاط الثقافي .
- ازدواجية النظرة الى الآخر الغربي بين تقليد نموذجه و
العداوة لقيمة الثقافية.

⁴ هانتغتون صامويل، صدام الحضارات. ص 14 .

جاء صامويل هنتجتون، ليعلن هيمنة قيم العالم الغربي على حساب جميع القيم الأخرى بما في ذلك القيم الإسلامية كما قال فوكوياما¹.

أما عن العلاقة بين الإسلام و الغرب فقد كشف هنتجتون على زيادة الديموغرافية المذهلة و هو ما أكد له زيادة تحصين الهوية الإسلامية خاصة مع الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعينها الشعوب الإسلامية، و الإحساس المتزايد بفرض الغرب لهيمنتها الثقافية عليها. و وصل إلى أن الصراع سيحدث بدون شك بين المسلمين و الغرب خاصة و أنه يمتد في التاريخ بدءا بالحروب الصليبية و انتهاء بالاستعمار الغربي و إرهاب المجموعات الأصولية " و هذا التفاعل العسكري الذي يمتد عمره قرونا بين الغرب و الإسلام ليس من المرجح أن ينحسر، بل قد يصبح أكثر خطرا²

كما أن الخطوط الحمراء بين المسلمين و الغرب تتمثل في نزوع النخب الإسلامية الى ما يسمى " التحديث دون التغريب " أي قبول المنتجات المادية للحضارة الغربية دون الحاجة لقيمها الثقافية. و هذا غير مقبول لان الحضارة المهيمنة في أي عصر تاريخي تنزع إلى فرض نموذجها كاملا (ماديا و ثقافيا)³ و هذا الاتجاه يقول به أكثر من مفكر غربي فهذا **بول كندي** في كتابه " الاستعداد للقرن الواحد والعشرين " يشير إلى الأسباب العقيدية و الاجتماعية التي تحول دون استعداد العالم الإسلامي للقرن الواحد والعشرين. فإذا احتاج المرء الى مثال على أهمية المواقف الثقافية لشرح استجابة مجتمع ما للتغيير فعليه بالإسلام المعاصر⁴.

¹ قول فوكوياما: " صحيح أن الإسلام يشكل إيديولوجيا منسقة و متماسكة شأن الليبرالية و الشيوعية و أن له معايير الأخلاقية... " "إن الإسلام هو الوحيد الذي اقترح دولة تيوقراطية كحل تعويض و بديل لليبرالية و الشيوعية". لكن هذه النظرية حسب رأيه لا يمكن لها تعبئة غير المسلمين و غير الملونين و عليه فهي نظرية غير قادرة على صناعة التاريخ.
انظر فرنسيس فوكوياما: ترجمة حسين أحمد أمين " نهاية التاريخ و خاتمة البشر " مركز الأهرام للترجمة و النشر- القاهرة، ط 01-1993، ص 56-57.

²

³ هانتجتون صامويل " **صدام الحضارات** " . ص 25.

⁴ " Bernard Lewis " The west and the middle East

⁴ بول كندي، **الاستعداد للقرن الواحد والعشرين**، ترجمة محمد عبد القادر غازي مسعود، دار الشروق، عمان 1993. ص: 266

هذه الدلائل تشير في مجملها إلى تأكيد الخطر الإسلامي في نظر الغرب، وهي فكرة مصنوعة في المختبرات الغربية التي تريد أن تكشف ذاتها من خلال نفيها للآخر. فالغرب بعدما انهار الخطر الشيوعي بدأ يبحث عن عدو آخر يصنع وفق مقياسه. فالعقل الأوروبي كما يقول الجابري لم يعد يرى المستقبل من وجهة مستقبلية بل من خلال آلية صنع السيناريوهات واستعراض الامكانيات المحتملة، ومن ثم فإن الحاجة العميقة إلى العدو استدعت المراهنة على خيار "الصراع مع الإسلام"¹.

على الرغم من أن كل حضارة لها مبادئها التي تقوم عليها والتي تنبع من العقيدة الدينية أو الفلسفة الوجودية لهذه الحضارة. فإن الحضارات الكبرى التي عرفها التاريخ البشري قد تكاملت فيما بينها على الرغم من التباين في أسسها الروحية أو المادية أو التي تزن بين الجانبين. فكل حضارة مصادرها ومشاريها وما يشير إلى هذا التكامل هو اعتماد كل حضارة على بعض مآثر الحضارة السابقة والأمثلة في ذلك كثيرة وهذا ما يؤكد وجود تماثل و تطابق بين كثير من الحضارات، وهو ما يبطل نظرية الصراع.

لا شك أن الحضارات في ارتباطها وتواصلها وتعاقبها تتدافع وتتلاقح وهذه سنة التاريخ. وفكرة التدافع هي فكرة وردت في المفهوم القرآني بمعنى يبطل فكرة الصراع من الأساس قال تعالى: "و لو دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض"² وقال أيضا "و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع و صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا"³.

و العبد مطالب أن يدفع بالتي هي أحسن في كل الحالات قال تعالى " ادفع بالتي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم "⁴

و خلاصة القول أن التاريخ ليس صداما و لا صراعا حضاريا، و بالتالي فإن الصراع الحضاري ليس حتمية تاريخية كما يزعم بعض المفكرين المعاصرين.

¹ محمد عابد الجابري ، مسالة الهوية ، العروبة والإسلام والغرب ، ص: 182 189 .

² سورة البقرة الآية 251

³ سورة الحج الآية : 40

⁴ سورة فصلت الآية: 34

يلخص الاستاذ نزيه الشوقي أهم ما جاء به كتاب هنتيغتون فيقول: " يقع كتابه صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي في خمسة أجزاء رئيسية وكل هذه الأجزاء هي محاولة لتطوير نتائج ذلك الافتراض وهي إن العالم اليوم متعدد الأقطاب والثقافات، وإن التحديث مختلف عن الغربية. إن توازن القوى بين الحضارات أخذ في التغير، الغرب يتقهقر في نفوذه النسبي وإن الحضارات الآسيوية تقوم ببناء وتوسيع قواها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، والعالم الإسلامي يشهد انفجاراً سكانياً بعيد المدى في تأثيراته على مستقبل الدول الإسلامية ومصحوب بنتائج عدم استقرارها من جهة وعلاقتها مع الحضارة الغربية من جهة أخرى، إن نطاقاً عالمياً أساسه التنوع الثقافي أو الحضاري أخذ في الانبثاق: هناك مجتمعات تتقاسم روابط ثقافية تتعاون مع بعضها البعض والدول التي تجمع نفسها حول الدول الأساسية الرائدة أو الكبرى من نفس حضارتها أو ثقافتها. إن دعوات الغرب إلى العالمية تضعه دائماً في صراع مع الحضارات الأخرى وبشكل أكثر أهمية وخطورة وتحديداً مع الإسلام والكونفوشية وعلى المستوى الإقليمي حروب خطوط الصدع والتي تقع بشكل رئيس بين المسلمين وغير المسلمين، تؤكد الحشود التي تؤديها دول تشاطر حضارتها وتهدد بتوسيع حدود الصراع مما يجعل الدول الكبرى تسعى إلى إنهاء تلك الصراعات، إن حياة الغربيين تعتمد على الأمريكيين وهم يعيدون تأكيد هويتهم - الثقافة الغربية - وإن المجتمع الغربي قد هيا نفسه على اعتبار أن ثقافتهم ثقافة متميزة، وقد اتحدوا لغرض تجديدها وصياغتها ضد التهديدات من المجتمعات غير الغربية"¹.

نقد الفكرة:

إن طرح هنتيغتون جاء ليكرس استمرارية نفس الخطاب المعروف تاريخياً في حقل العلاقات الدولية وهو خطاب يعتبر الغرب رمزاً للتقدم والعقلانية، أما الباقي فيفتقدون للحضارة ولا ينحون إلا نحو الفوضى والعنف واللاعقلانية.

ويشير الكاتب **مارك سالز** صاحب إحدى الدراسات المهمة التي صدرت عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 تحت عنوان "البرابرة والحضارة في العلاقات الدولية" إلى ثنائية المتحضرين والبرابرة التي كان الفكر الغربي يروج لها ويوظفها سياسياً في العلاقات الدولية - تاريخياً، بل وكانت من عناصر مشروعه الكولونيالي، لقد طرحت الحضارة الأوربية نفسها بالنسبة للآخرين باعتبارها النموذج الكلي الذي

¹ نزيه الشوقي ، " الثقافة الهدامة والإعلام الأسود من هيروشيما إلى بغداد ومن خراب الروح إلى العولمة " دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ، 2005 ص:122

يجب استلهامه والإقتداء به من قبل الآخرين غير الأوروبيين وهم البرابرة¹.

إن طرح **هنتجتون**² طرح استشرافي في جوهره يعتمد على عنصرين أساسيين هما:

- 1- التباين المطلق، أي أن الغرب متميز عن الشرق بسبب التفوق الغربي الذي تؤمن به المنظومة الغربية.
- 2- الصراع المستمر، أي ديمومة الصراع الذي يكرس ثنائية الانتصار-الهيمنة.

لقد أكد **هنتجتون** أن الصراع العالمي هو صراع ثقافات وأديان وليس صراع مصالح. ينطلق هنتجتون بترويج فكرة صدام الحضارات مؤكداً في سياق أطروحاته على فكرة أساسية وهي أن الصدام في القرن الواحد والعشرين سيكون بين الغرب من جهة والإسلام والكونفوشية من جهة أخرى باعتبارهما ثقافتين أو حضارتين تؤكدان على هويتهما الثقافية رافضة الانصياح للثقافة الغربية.. وبهذا هو يروج الصراع مع الشرق المحدد لديه بالإسلام والصين، لصالح الغرب والأمريكان. وقد فسر تقدم الدول و تأخرها بسبب وضعيتها الثقافية وانتماءها الديني. وقد أرجع مؤخرًا³ مهمة تشكيل التنمية الاقتصادية والسياسية إلى العوامل الثقافية وحدها دون غيرها.

والان نطرح السؤال لماذا قدم **هنتجتون** الإسلام على أنه العدو الأول للغرب؟ هل هو ينتمي إلى معسكر المتوجسين من خطر الإسلام أم لأمر آخر؟ الجواب بكل بساطة يتمثل في ان الموجه الأيديولوجي - الأميركي - قد قرر تنفيذ خطط أميركا التوسعية أو الجيوبوليتيكية فهيأ لها منظرين على شاكلة **ص. هنتينغتون** . لكي يتحدثوا عن ظاهرة الصحوة الإسلامية لدى العالم الإسلامي والعربي باعتبارها تشكل خطراً على الغرب ومصدر الخطر في رأيه تتمثل في اعتزاز المسلمين بحضارتهم وثقافتهم الأمر الذي سيقود إلى صدام حضاري ولذلك راح يهاجم الإسلام معتبراً إياه ديناً عدوانياً بطبعه وانتشر بحد السيف ويحاول فرض ثقافته على الآخرين بالقوة.

إذن ما جاء به **هنتجتون** حول صدام الثقافات (بين الغرب والإسلام) يندرج في إطار للسياسة الأمريكية تجاه المسلمين، ولعل هذا سيظهر

¹ - سمير مرقص، الإمبراطورية الأمريكية: ثلاثة الثروة... الدين... القوة- من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11 سبتمبر، ص 21.

² - هذا الطرح قد وضع تصوره الأول برنارد لويس في كتابه ثقافات في صراع Culture in conflits انظر سمير مرقص مرجع سابق، ص 20. وذلك من خلال كتابه الذي أصدره عام 2000 هو ومجموعة من المفكرين بعنوان "أمور ثقافية" "culture matters"

³ - وذلك من خلال كتابه الذي أصدره عام 2000 هو ومجموعة من المفكرين بعنوان "أمور ثقافية. Culture matters

عندما يصف **هنتنغتون** بأن الإسلام ومنذ البداية كان دين سيف ودين يدعو للجهاد كوسيلة أساسية لمحاربة الأعداء وبهذا فإن الصراع بين المسلمين والغرب قديم، وهو ما سوف يكون ممتداً في القرن الواحد. من هنا جاء تركيز هنتنغتون على مبدأ الصراع وتبريره. ثم فلسف مقولته بأن العالم الإسلامي يشهد نمواً سكانياً بعيد المدى في تأثيراته على مستقبل العالم الإسلامي نفسه وعلى علاقاته مع الحضارات الأخرى، فهذا النمو في تصاعد مستمر ويأخذ أبعاداً خطيرة على مستقبل العلاقة مع الغرب مما يجعل هذا النمو عاملاً أساسياً ومهماً في مد الصحو الإسلامية بالعناصر الشابة النشطة المؤمنة بقيمة الحضارة الإسلامية وهذا سوف يشجع التطرف وهجرة العناصر الشابة المدربة من المسلمين إلى أوروبا - التي تعاني من مشكلات كثيرة في هذا الإطار - مما تتصاعد الصعوبة معها بخاصة إذا ما علمنا أن المجتمع الغربي نفسه لم يعد قادراً على استيعاب هذا التنوع الثقافي، وأن الصحو الإسلامية سوف يصيبها الكثير من الضعف بينما يضع الإسلام حسب اعتقاده حل إشكاليات التسلط السياسي والتخلف الاقتصادي والضعف العسكري ولعل الاستثناء الوحيد لذلك قد يأتي في كل من أندونيسيا وماليزيا إذا نجحت هذه البلدان بالحفاظ على تحقيق معدلات عالية للتنمية.

ويشير هنتنغتون إلى أن حضارة الغرب ستبقى الأكثر قوة محتفظة بحالة جيدة وهي تدخل الألفية الثالثة. وإن الحضارة الغربية هي الوحيدة بين الحضارات التي كان لها تأثير هائل نتيجة للعلاقة بين قوة وثقافة الغرب وقوة وثقافات الحضارات الأخرى، لذا فإن فكرة قوة الحضارة الغربية هي التي تؤهلها على أن تكون أكثر انتشاراً بين حضارات العالم . وتدور فكرة هنتنغتون حول مستقبل الصراع على اعتبار أن الصراع آت لا ريب فيه، وسيكون صراعاً ثقافياً وليس أيديولوجياً أو طبقياً هذه المرة، ويأخذ طوقاً مختلفة ومن أبرزها الغزو الثقافي عن طريق العولمة دون الاكتراث بحركة التاريخ وأحداثه .

عندما تحدث هنتنغتون عن صراع الحضارات الذي سيشغل العالم طيلة القرن الحادي والعشرين فإنه غفل بأن الصراعات المختلفة ليست دائماً بين قسمين بين البشر يختلفون باديولوجيتهم وديانتهم عن مخالفيتهم ، فالبشر مهما كانت أصولهم الأديولوجية فهم يتقدمون ويتأخرون بحسب الظروف والأحوال ، والتاريخ يكشف ذلك فالحضارة الإسلامية قد بلغت مجدها التاريخي، عندما توفرت لها الظروف الملائمة ، بينما كانت حضارات أخرى تعيش تخلفها، واليوم الحضارة الغربية تقف شامخة متفوقة على غيرها. إذن نسي **هنتنغتون** أن الصراع والانقسام موجود داخل العالم الإسلامي نفسه . ولم ينتبه الى هذا الصراع الا مؤخراً، وهو ما جعله يغير رأيه، وبالتالي يعدل عن موقفه .

هذا الصراع الداخلي بين دعاة الأصالة والمعاصرة بالإضافة إلى الصراعات الموجودة داخل البلدان الإسلامية. اذن ليس كل المسلمين لهم نفس التفكير، ولا الغربيين يفكرون بطريقة واحدة، فمثلا مناهضو العولمة تجمعهم فكرة واحدة، هي مناهضة الرأسمالية المتوحشة وهم موجودون في كل أقطار العالم . والخلاصة من هذا أن الصراع المقبل هو صراع بين الحق والباطل أو بين الخير والشر وبين العدل والظلم، أو بين الفقر والرفاهية، وفي هذا الصراع يجد العربي أو المسلم يناضل جنباً إلى جنب مع غيره من الغربيين والأفارقة والآسيويين.

لقد أكد المؤرخون السابقون أن الحضارات قد تفاعلت بشكل كبير وأن أي حضارة هي جهد إنساني ساهم في بلورته جميع الأجناس السابقة والأعراق المختلفة أما الاختلاف بين الحضارات فإنما يعود إلى تنوع العوامل والظروف وأشار إلى ذلك المؤرخ البريطاني 1889-1975 . أما **روجي غارودي** فقد تحدث كثيراً عن أهمية الحوار الحضاري وقد اشر الى ان التعالي الغربي على الحضارة الإسلامية هو الذي افقدها بعدها الإيمان¹.

ويمكن الاستشهاد برأي بعض الأمريكيين في الرد على موقف **هنتغتون** من الحضارة الغربية .

تقول السيدة **هيلجا لاوش** وهي رئيسة مؤسسة "تشيلر" للنشاطات الثقافية والإنسانية في الولايات المتحدة متحدثة عن موقف هنتجتون : "انه ليس مجرد نظرية أكاديمية بل انه سيناريو فعلي لسياسة انغلوسكسونية، إن الحوار بين الثقافات كان دائماً سمة من سمات التاريخ الإنساني حيث التقت دائماً عقول العالم عبر القرون والتاريخ الإنساني أصبح اليوم في قارب واحد"² وبعد كل هذا نتساءل هل من سبيل إلى ثقافة أخرى غير ثقافة الصراع؟ هل يمكن الحديث عن حوار الحضارات ؟ وهل التعايش السلمي بين المجتمعات أمر ممكن ؟ في اعتقادنا انه لا بديل للصراع الحضاري الا الحوار. فما هو المقصود بحوار الحضارات؟

¹ عبد الله بن صالح العبيد، "الحضارات والثقافات- وئام أو صدام"؟ بحث مقدم إلى مؤتمر باريس للمنظمات الخيرية والإنسانية باريس 9- 10 / 01 / 2003م
² "المرجع نفسه "

ان جوهر الحوار هو التبادل السلمي للأفكار والآراء والمعلومات. و من سواء كان بواسطة الكلام أو غير الكلام، ويتجلى في اشكال مختلفة منها المفاوضات و المناقشات والمناظرات و المحادثات.

و الأصل فيه انه تبادل ثنائي الاتجاه بين طرفين- او اكثر- يتناوب كلاهما دور المرسل و المستقبل بأقدار متناسبة او شبه متناسبة و لكن ليست متساوية بالضرورة . و الحوار، بمفهومه الموضح انفا، يتنافى مع الصدام و يتناقض معه الا انه لا ينفي الصراع و أن كان يلطفه احيانا.

و من بين الأطراف المحتملة للحوار : الحضارات والتي يُعرف الحوار بينها بالحوار بين الحضارات او حوار الحضارات والمقصود بذلك هو ذلك الحوار الذي يتم بين الحضارات¹ بتوسط المنتمين اليها سواء على المستوى الفردي او الجماعي، لهدف موضوعي.

و من الواضح أن الحوار بين الحضارات تنامي حجما و نوعا عبر التاريخ، ولعله الآن افضل مما كان عليه في أي وقت مضى، وقد سجل لنا التاريخ بعض التفاعلات الحوارية بما فيها الحوار الكلامي بين عناصر من الحضارات السابقة و خاصة ما تقارب منها زمانيا ومكانيا. واستطاعت الدراسات التاريخية أن تتعقب بعض العناصر او المكونات التي انتقلت من حضارة الى اخرى وان تحلل بعض الحضارات الى جذورها الممتدة داخل حضارات اخرى. و بالتأكيد فان بيان ما كان بين الحضارات من حوار لا يعني نفي او التقليل من ما كان بينها من صراع و صدام وصل أحيانا درجة الاقتتال المسلح

أهمية الحوار بين الحضارات: تكمن أهمية الحوار في الخروج من دائرتين كبيرتين تبتلى بها الحضارات وهما:

دائرة السلبية والانعزال: بمعنى كف او امتناع الحضارات او بعضها عن إقامة اي علاقات مع بعضها البعض.

دائرة التصارع: بمعنى انتهاج الحضارات او بعضها علاقات تقوم على الصراع والتصادم والاقتتال.

واليوم هناك عوامل تجعل الحوار بين الحضارات اكثر أهمية وضرورة للجنس البشري اكثر من اي وقت مضى . ومن هذه العوامل :

¹ . إن نسب الحوار الى الحضارات إنما هو من قبيل المجاز اللغوي لان الحضارات لا تتحاور او تتصادم بذاتها و إنما تتحاور او تتصارع او تتصادم من خلال اتباعها .

- 1- التطورات التكنولوجية الهائلة التي شهدتها العالم مؤخرا أدت إلى تقليل المسافات بين الأفراد والمجتمعات بشكل أدى إلى تسهيل وزيادة حجم الانتقال والتداخل (هجرة وعملا وسياحة) بين مجموعات البشرية وزيادة سرعة وحجم انتقال المعلومات والأخبار بينها
- 2- امتلاك بعض الحضارات أو بعض عناصرها اليوم قدرات عالية من الأسلحة التدميرية يمكن أن تستخدم في تدمير قرى ومدن بأكملها فلا بد للحوار قصد تفادي إساءة استخدام الفتوحات العلمية الأخيرة في مجالات من مثل الهندسة الوراثية و الذكاء الاصطناعي-
- 3- تفادي زوال بعض اللغات والقيم المثالية التي تشكل الميراث المشترك للشعوب . و تتمثل أهمية الحوار بين الحضارات في زمن العولمة أن هذا الحوار وإن كان من غير المرجح أن يتمكن من أن يوقف تماما زوال اللغات والثقافات إلا أنه بالتأكيد يمكن أن يساهم في التقليل من هذا الزوال على مجمل الحضارة البشرية .

مقومات و متطلبات حوار الحضارات:

لكي نضمن الحوار أولا ثم استمراريته ثانيا وفعاليته ثالثا لابد من الأخذ بالمقومات و المتطلبات الضرورية لحوار الحضارات وهي:

1. الإيمان بالحوار: لابد ان يتوفر الإيمان بالحوار كنهج أساسي سليم وفعال للعلاقة مع الآخر و الحوار اساس العلاقات الانسانية و الاصل فيها. و الايمان بالحوار عنصر اساسي في تأمين الرغبة في الحوار و التي لابد منها لقيام الحوار و تحديد نوعيته. فالحوار القائم على ايمان اطرافه بالحوار يعد حوارا طوعيا تقبل عليه اطرافه بمحض إراداتها مما يجعلها حوارا ايجابيا و فاعلا. خلافا للحوار الذي تضطر اليه اطرافه او بعض اطرافه فيظل في الغالب حوارا متعثرا غير مثمر.
2. إمكانية التواصل بين المجموعات الحضارية: إن الإيمان بالحوار لا يترجم الى واقع عملي ما لم تتوفر فرص و إمكانيات التواصل بين المجموعات البشرية¹ على الرغم من وجود عوائق في هذا الميدان.

¹ العوائق المحتملة امام التواصل بين المجموعات الحضارية تكون اما عوائق طبيعية كبعد المسافة او عوائق اجتماعية كالقوانين التي تمنع التواصل او تحد منه. وصحيح أن التطور التقني قد قلل كثيرا من اثر العوائق الطبيعية و حد من فعالية العوائق الاجتماعية

3. الاتفاق على مرجعية الحوار والمتمثلة في العقل أو المنطق البشري: لا يستقيم أي حوار بين طرفين أو أكثر لا يستند إلى مرجعية معينة يكفل الاستناد إلى مسلماتها حسم الخلافات و ضبط الحوار وتوجيهه الوجهة الصحيحة . ويفترض أن لا تثور مسألة المرجعية داخل حضارة أو ثقافة أو دين معين . أما إذا تباينت المرجعيات الأساسية في الحوار بين الحضارات يغدو لازماً اتفاق هذه الأطراف على مرجعية معينة تتبادل الآراء في ضوءها و تحتكم إليها في حسم الخلافات . وهي مرجعية العقل أو المنطق البشري وذلك باعتبار أن العقل اعدل قسمة بين البشر¹.

4. توافر المصادقية العملية : ونقصد بالمصادقية العملية التزام اطراف الحوار عملياً بقبول نتائج الحوار والبناء على ما قد يتكشف لهم من حقائق أو حق ، لهم أو عليهم، اثناء الحوار و التنفيذ العملي لما يتم الاتفاق عليه بين اطراف الحوار ..

5. عدم تهديد الحوار الحضاري للخصوصيات. ان الاعتراف بخصوصيات الآخر الحضاري ضروري لاستقامة الحوار وتعظيم نتائجه العملية.

تاريخ الولايات المتحدة وفلسفة السيادة وإستراتيجية السيطرة الأمريكية على العالم:

لقد انتهى النزاع الأمريكي السوفيتي على ثروات العالم ومدخراته الى هيمنة مطلقة للقوة الأمريكية التي اضحت متحكمة في احداث العالم وتوجهاته² هذه الحقيقة وان كانت واضحة فهناك من لا يستسيغها ، حيث أكد احد الكتاب في احد الصحف الإماراتية " ان العولمة عملية تطور مجتمعية لا تخضع لإرادة دولة ولا تنبثق عن فكر معين ولا تخدم إيدولوجيا بحد ذاتها، إنها نقلة نوعية تاريخية تعيد ترتيب الأوضاع على أسس جديدة"³

اننا نختلف تماماً مع هذا الطرح حيث نرى ان العولمة تخضع لإرادة دولة قوية هي الولايات المتحدة الأمريكية التي فرضت سلطتها على العالم وعليه فان العولمة تحكمها الايدولوجيا الأمريكية وان كان اثر الدول الأخرى لا ينكر فهو من باب التحالف والهدف من هذه الايدولوجيا

¹ مقولة تنسب الى الفيلسوف الفرنسي ديكارت

² احمد العربي المشرقي، حقيقة العولمة ، دار فتيبة للطباعة والنشر، دمشق سوريا، الطبعة الاولى 2003. ص:145

³ محمد عبد العزيز ربيع ، "الاطار التاريخي للعولمة" صحيفة الاتحاد الاربعاء 18-05-2005 الامارات العربية المتحدة.

هو تحقيق مصالح قوى عظمى تريد الهيمنة باستخدام مختلف الوسائل الممكنة، ويمكن القول أن الولايات المتحدة تريد تحويل القرن الواحد والعشرين إلى قرن أمريكي . ويشبه احد الكتاب وضع اليوم بالوضع الذي كانت عليه الأحوال أيام الاسكندر فيقول: "والوضع اليوم سياسيا وثقافيا لا يختلف عن أيام **الاسكندر** كثيرا بعد أن قضت الرأسمالية العالمية المتعطشة للحروب على إمبراطورية الاتحاد السوفيتي مثلما قضى **الاسكندر المقدوني** على إمبراطورية كورش الفارسية، لكي يكمل بوش الابن رسالة والده بوش الكبير في فتح العالم بمشورة حكومته الخفية المؤلفة من المحافظين الجدد للهيمنة على طاقتي البترول والغذاء بحسب إستراتيجية كيسنجر ولنشر طراز الحياة الأمريكية والثقافة الانجلوسكسونية في العالم كله".¹

تعتمد الإيديولوجيا الأمريكية على نظرية الاحتلال بوصفها فضيلة لا غني عنها.

وأصبح الأمريكيون يحلمون برسم إمبراطوريتهم الفاضلة وفق السجية الميكيفالية القائلة بفكرة "أن تخيف الآخر بدل أن تكسب حبه لك و ينطلقون في هذا من اعتقاد يعود في جوهرها إلى ثقافة الاستيطان الانجلوسكسوني.

- استراتيجية الولايات المتحدة في ظل الثنائية القطبية:**
- مرت الإستراتيجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية بعدة أطوار:²
- (1) **استراتيجية الحصر 1945-1953:** والمقصود بذلك أن تطوق الولايات المتحدة مجال الوجود السوفياتي الذي انتشر باتجاه شرق أوروبا وقد أعلمت الإتحاد السوفياتي أنها لن تقبل توسيع الوجود السوفياتي في العالم.
 - (2) **استراتيجية الرد الشامل التلقائي 1953-1958:** لقد حذرت واشنطن بلسان وزير خارجيتها آنذاك "**جون فوستر دالاس**" بأن الرد الأمريكي سوف لن يقتصر على كوريا فحسب بل ستختار الولايات المتحدة مناطق أخرى للرد على أي تعرض روسي محتمل. وقد عزز "**نيكسون**" نائب الرئيس هذا المنطق بأن تعتمد الولايات المتحدة على قوى انتقامية كثيفة ومتحركة".
 - (3) **الحرب النووية المحدودة:** لقد وردت الإشارة الرسمية إلى احتمال خوض حرب نووية محدودة في عهد "**كينيدي**".

¹ ابراهيم الداوقوي، "العولمة باب للغنى...بوابة للفقر والهيمنة"، مجلة عالم الغد، العدد الرابع، ربيع 2005 النمسا www.freemediawatch.org

² - - محمد علي القوزي، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر، الطبعة الأولى 2001. - دار النهضة العربية- بيروت لبنان- ص 184-187.

(4) استراتيجية الرد المرن: وهي استراتيجية شددت على تحسين القدرة الإستراتيجية النووية الأمريكية. أن **أمريكا** تسعى لكي تكون سلطتها مهيمنة في العالم بفضل قوتها العسكرية و الثقافية و الإعلامية و بفضل فلسفتها التي تستهتر بالآخر حيث يغيب الإقناع و التحاور في العلاقات الدولية و المشهد العراقي يعزز هذا الرأي ، فقد شنت الحرب على الرغم من عدم قبول هذا الفعل في بدايته لا من الاتحاد الأوربي و لا هيئة الأمم المتحدة. اعتمدت أمريكا على مقولات السيادة المطلقة و تأسست الثقافة الأمريكية عليها.

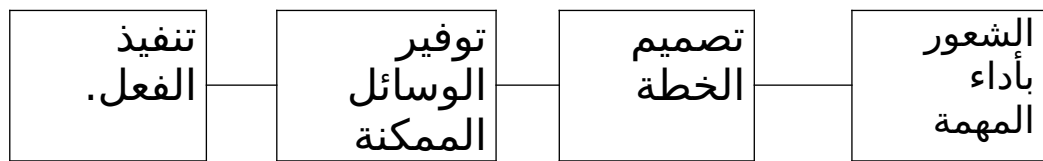
فقد ظل الرئيس الأمريكي السابق **ريتشارد نكسون** يردد في خطبه الموجهة إلى الجيش و الشعب هذه الكلمات " الله مع أمريكا الله يريد أن تقود أمريكا العالم "¹. قامت **الولايات المتحدة** على فلسفة السيادة المطلقة و قد عملت الإيديولوجية على ترويح هذه الفلسفة خاصة خلال تاريخها الحديث. و تنطلق هذه الفلسفة من نقطتين أساسيتين هما:
1. الاعتقاد بأن أمريكا مكلفة بأداء رسالة اتجاه العالم.
2. الاعتقاد الكامل بأن أداء هذه الرسالة يتطلب استخدام كل الوسائل. و قد سارت الولايات المتحدة على هذين المبدأين خاصة في القرنين الآخرين.
إن الغرب يستعمل كل الطرق لفرض قيمه و ثقافته و يخترق بإعلامه و فكره و جواسيسه كل المنظومات، و يقنن هذا الاختراق باسم النظام العالمي الجديد. و فكرة السيطرة أو الهيمنة عميقة في التفكير الغربي. لقد قام الاستعمار في نظر البيض برسالة حضارية من خلال تقويض كل القيم و المبادئ و البنى التحتية للمجتمعات المستعمرة مشوها بذلك هويتها و أديانها و تاريخها و هو دور في رأي بعض المفكرين تحديثي و تمديني.
و قد أشار كارل ماركس و هو يتحدث عن الغزو الفرنسي للجزائر على أنه يزيل الرجعية و التخلف و نفس الفعل قامت به بريطانيا في الهند. و ذهب "**ميشال بوغنون موردان**" في كتابه **أمريكا التوتاليتارية**² الصادر في باريس عام 1997 إلى أن الإيديولوجية الأمريكية لم تتورع عن خلع صفة الأزلية على **أمريكا** حيث أن ادعاء الرسالة الإلهية لم يغيب يوما عن ناظرها ، ثم يورد كلاما لمعاون الرئيس

¹ -محمود حيدر، "المباني المعرفية للمحافظين الامريكيين الجدد، فلسفة التدمير الخلاق" . مجلة الفكر السياسي. العدد 17. السنة الخامسة . خريف شتاء 2002.

² L'amerique Totalitaire.

السابق **بيل كلينتون** لشؤون الأمن القومي **انطوني لاك**¹ فيه أن مصالحنا و مثلنا لا تلزمنا بالتدخل و حسب ، بل تلزمنا أيضا بالقيادة ... من واجبنا تطوير الديمقراطية و اقتصاد السوق في العالم لأن هذا يحمي مصالحنا و أمننا و لأن الأمر يتعلق بانعكاس القيم ، حيث هي في آن قيم أمريكية و عالمية " نفهم من هذا الحضور الكلي للإيديولوجية في الذهنية الأمريكية .

فالبعد الإيديولوجي يتمثل في قناعة الولايات المتحدة الأمريكية بأن لها مهمة رسالية حضارية لا بد من إنجازها و هذا الإنجاز يقتضي استخدام كل الوسائل الممكنة و وفق خطة ترسم سلفا مع الحفاظ على العنصر الإيديولوجي المولد للفعل.



من الوسائل التي مكنت الولايات المتحدة من إخضاع الأمم وفق استراتيجية محكمة هي الاعتماد على السلطة و الاحتكار .

فالسلطة يقصد بها صورة الرجل الذي يمثل رئاسة الولايات المتحدة و يكون موجود في مجموعات مصالح مالية و عسكرية و يعمل مع اللوبيات و أجهزة أمنية².

أما عن فكرة الهيمنة فقد أدرك الكتاب الأمريكيين الفلسفة التي يحتكم إليها القادة و الزعماء الأمريكيين في قيادتهم للشعب الأمريكي. و هذا الكاتب الأمريكي "**روبرت دكابلان**" يتساءل في كتاب صدر له مؤخرا "لماذا تحتاج قيادة الشعب الأمريكي إلى رمز وثني؟ فيجب عن تساؤله هذا في كتابه المعنون " سياسة محارب " بأن الروح الوثنية للقدماء هي التي لا زالت تسري في دماء الزعماء الأمريكيين و الذين استفادوا من فلسفة **هوبز و ميكافيلي** . حيث يرى **كابلان** أن السياسيين الذي يلتزمون بالقيم الأخلاقية المثالية بدلا من الحرص على تحقيق المصالح الذاتية الأنانية محكوم عليهم بالفشل ، و يصر على أن التقدم و الفضيلة يتحققان فقط عند هجران الفكر و الموقف المبنيان على أسس دينية " حيث الغاية تبرر الوسيلة " و القوة وحده دون غيرها جديرة بأن تسود".

¹ Antony lak

² ميشال بنينو موردان ، أمريكا المستبدة ، الولايات المتحدة و سياسية السيطرة على العالم ، (العولمة) ترجمة حامد فرزات - اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2001 .

و يورد **كابلان** أمثلة للزعماء ممن اتخذوا لأنفسهم ذلك الرمز الوثني نبراسا و منهم **شرشل** و **فرنكلين روزفلت** و **اسحاق رابين** و تقمص هذا الأخير دور صانع السلام لأنه عندما كان وزيرا للدفاع في إسرائيل أمر قواته المسلحة بتكسير عظام الفلسطينيين المدنيين العزل.

من الأمثلة الدالة على حضور فكريتي السيطرة و الهيمنة في السياسة التي تقود الولايات المتحدة الأمريكية . تشير الدراسات إلى وجود الكثير من الجماعات المتطرفة سواء كانت مسيحية أو يهودية داخل مجموعة الحكم في الولايات المتحدة و هذه الجماعات تعمل بإيديولوجية الهيمنة و السيطرة و ترتبط بكبرى الشركات المنتجة للأسلحة و شركات النفط و المؤسسات الإعلامية الضخمة.

و توصي هذه الجماعات بما يلي:

- 1/ هيمنة الولايات المتحدة عالميا و السيطرة على شعوب العالم و استغلاله بكافة الطرق بما في ذلك العسكرية.
- 2/ تفضيل قيادة الولايات المتحدة الأمريكية. ورفض جميع المعاهدات التي لا تخدم مصالح الولايات المتحدة الأمريكية.
- 3/ الإنفاق العسكري المتزايد.
- 4/ تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في أي مكان في العالم بموافقة الأمم المتحدة أو بدونها.
- 5/ تأييد سياسات الاحتلال الإسرائيلي.

و ذكرت جريدة الأسبوع الأدبي في إحدى مقالاتها. مختلف المنظمات و الشخصيات. المؤثرة في صناعة القرار السياسي و العسكري الأمريكي و كشفت عن مدى ارتباطها بوزارة الدفاع كمتعاقدين لبيع الأسلحة.

و من تلك المنظمات... جمعية المشروع الأمريكي لأبحاث السياسة العامة: هي مؤسسة استشارية فكرية قوية ويمينية متطرفة تعمل على تطوير السياسة. ويعمل أكثر من عشرين من أفرادها لإدارة بوش. تبلغ ميزانيتها نحو عشرين مليون دولار. وهي "مكرّسة للحفاظ على أسس الحرية وتدعيمها: حكومة محدودة ومشاريع خاصة، ومؤسسات ثقافية وسياسية حيوية، وسياسة خارجية قوية ودفاع وطني قوي". تنشر مجلة المشروع الأمريكي وتنظم ندوات دورية بمشاركة مسؤولين رفيعي المستوى من الحكومة والجيش.

ومن بين أعضائها **لين تشيني** (زوجة **ديك**)، و**توماس دونلي**، و
ريول مارك غيريشت، و**نيوت غينغريتش**، و**روبرت هيلمس**، و
جين كيركبا تريك، و**إيرفنج كريستول**، و**مايكل ليدين**، و
ريتشارد بيرل، و**رادك شيكورسكي**.

الجمعية اليهودية لشؤون الأمن القومي: "صهرنج فكري"
آخر قوي ويميني متطرف. يعلن جهاراً أنه "لا يوجد احتلال إسرائيلي".
وقد نجح في حملته لجعل "الأمن" الإسرائيلي ميزة بارزة ومركزية في
السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

مشروع قرن أمريكي جديد¹: صهرنج فكري محافظ جديد
رئيسي، دعا إلى "تغيير النظام" في العراق قبل وقت طويل من وصول
بوش إلى الرئاسة. وكانت ورقته البيضاء: **إعادة بناء الدفاعات
الأمريكية**: الاستراتيجية والقوات وموارد القرن الجديد قد نُشرت في
أيلول 2000، وهي مماثلة تقريباً لسياسة الحكومة، حتى في اللغة
المستخدمة.

ويوجد بين أعضائه **ديك تشيني**، و**دونالد رامسفيلد**، و**ريتشارد
بيرل**، و**بول وولغويتز**، و**بيل كريستول**، و**جون بولتون**، و
لويس ليبى. وكلهم ناشطون أقوياء في توجيه السياسة الخارجية
والعسكرية للولايات المتحدة.

ومن بين المؤسسات المهمة الأخرى: جمعية أولين
للدراسات الاستراتيجية، ومركز السياسة الأمنية، ومشروع أمريكا،
والمبادرة الأطلسية الجديدة.

ومن الأشخاص الأقوياء المهندسين لفلسفة السيطرة الأمريكية
وفي نفس الوقت حماية إسرائيل نجد: **جون بولتون**²: وكيل وزارة
الخارجية لشؤون الرقابة على التسليح. عضو مشروع قرن أمريكي جديد

¹- تأسس سنة 1997 تحت رعاية "مشروع المواطنة الجديد"، وللمعهد علاقة مع "معهد
التخطيط الأميركي" هدفه الترويج للزعامة الأميركية العالمية. ورئيسه هو وليام كريستول،
ويشغل العديد من الذين كانوا على علاقة بالمعهد، مناصب رفيعة في الإدارة الأميركية الحالية.
ومن الأسماء الموقعة على إعلان مبادئ المعهد: دونالد رامسفيلد، ديك تشيني، بول وولفويتز،
إليوت برامز. انظر بسام البطوش المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون مجلة الغد
الأردن بتاريخ 1-6-2006 <http://www.alghad.jo>

²- سفير الولايات المتحدة، في الأمم المتحدة، الذي عمل طوال حياته معارضاً للأمم
المتحدة، ومكائنها، ودورها، وهو القائل: لا يوجد شيء اسمه الأمم المتحدة. هناك أسرة دولية
تجتمع أحياناً، ويمكن أن تقودها القوة العظمى الوحيدة المتبقية في العالم، وهي الولايات
المتحدة، عندما يناسب ذلك مصالحنا

وكان عضواً في مجلس مستشاري الجمعية اليهودية لشؤون الأمن القومي قبل الانضمام إلى إدارة بوش. ويُعتقد أنه كان المهندس الأول لسياسة الولايات المتحدة تجاه العراق.

ديك تشيني: نائب الرئيس **بوش** و صقر حربي كبير. عضو مؤسس لمشروع قرن أمريكي جديد وكان عضواً في مجلس مستشاري الجمعية اليهودية لشؤون الأمن القومي حتى استلام منصبه. كان وزير الدفاع في عهد **بوش الأب** ورئيس شركة **هاليبورتون** التي حصلت تابعتها كيلوغ براون وروت على عقود مربحة مع جيش الولايات المتحدة. وهو وصي على جمعية المشروع الأمريكي ولديه روابط نفطية عديدة من ضمنها شركة **شيفرون**. زوجته **لين** عضو في مجلس لوكيهد مارتن التي تدير صناعة صواريخ كروز.

توماس دونلي: نائب المدير التنفيذي لمشروع قرن أمريكي جديد وأحد المؤلفين الرئيسيين لإعادة بناء الدفاعات الأمريكية. صاحب عمود في واشنطن تايمز والمحرر التنفيذي لناشونال انتريست. وتُنشر مقالاته أيضاً في دوريات ويكلي ستاندرد، وواشنطن بوست، وجينز ديفنس ويك كما يظهر في فوكس نيوز. وكان نائباً لمعاون وزير الدفاع لشؤون القوات النووية وسياسة الرقابة على التسليح. ويعمل مديراً للاتصالات والمبادرات الاستراتيجية في شركة لوكهيدمارتن (2002).

دوغلاس فيث¹: كان عضو مجلس الجمعية اليهودية لشؤون الأمن القومي قبل الانضمام إلى إدارة **بوش** وهو ثالث أعلى مدير تنفيذي في البنتاغون كونه وكيل الوزارة لشؤون السياسة. وقد مثل كمحام معمل الأسلحة الرئيس **نورثروب غرومان**، ويختار أعضاء مجلس سياسة الدفاع التابع للحكومة.

ريول مارك غيريشيت: زميل مقيم في جمعية المشروع الأمريكي ومدير مبادرة الشرق الأوسط في مشروع قرن أمريكي جديد، ويكتب

¹ - كان من أنصار المتطرف الصهيوني فلاديمير جابو تنسكي، وانتمى لعصابة بيتار-حركة شببية جابو تنسكي، ودوغلاس أحد أبرز المحرضين على العراق، ومن بين أبرز من دفع الإدارة نحو الحرب على العراق، وهو متطرف إسرائيلي، دخل وزارة الدفاع، مع خلفية معارضة معاهدة الأسلحة البيولوجية سنة 1986، ومعاهدة الأسلحة النووية المتوسطة سنة 1988، ومعاهدة الأسلحة الكيميائية سنة 1997، ومعاهدة الصواريخ بالستية سنة 2000، وكل اتفاقات السلام الفلسطينية-الإسرائيلية، وسبق أن طرد من مجلس الأمن القومي سنة 1982، مع مجموعة اعتبرت خطراً على الأمن، كما اتهم بتسريب وثائق سرية للسفارة الإسرائيلية. وعاد سنة 2001 مساعداً لوزير الدفاع للسياسة، وأسس مكتب العمليات الخاصة لتأمين معلومات تبرر الحرب على العراق، ودافع بقوة عن ارتباط صدام حسين بالقاعدة

انظر بسام البطوش المحافظون الجدد والمسيحيون الصهونيون. مجلة الغد الاردن بتاريخ 1-

2006-6 <http://www.alghad.jo>

لدوريات دول ستريت جورنال، و ويكلي ستاندرد، و نيو ريوبليك، و واشنطن بوست، و نيويورك تايمز و غيرها. كان اختصاصي وكالة الاستخبارات المركزية لشؤون الشرق الأوسط ومستشاراً لشبكة سي بي إس في الشأن الأفغاني.

جين كيركبا تريك: عضو المجالس الاستشارية للمبادرة الأطلسية الجديدة والجمعية اليهودية لشؤون الأمن القومي ومركز السياسة الأمنية، وهي زميل كبير في جمعية المشروع الأمريكي. ومن مناصبها السابقة عضوية مجلس تنقيح السياسة الدفاعية والمجلس الاستشاري الرئاسي لشؤون الاستخبارات الأجنبية، وممثلة **الولايات المتحدة** في الأمم المتحدة، وعضو مجلس الاستشاري للبيت الأبيض.

بيل كريستول: رئيس مشروع قرن أمريكي جديد وعضو المجلس الاستشاري للمبادرة الأطلسية الجديدة. محرر **ويكلي ستاندرد** (التابعة لروبرت مردوخ)، يظهر بانتظام في التلفزيون كمحلل سياسي رئيس. وساعد في تحقيق الانتصار الجمهوري في انتخابات الكونغرس عام 1994. كان رئيس أركان نائب الرئيس **دان كويل**.

مايكل ليدين: خبير في السياسة الخارجية ومستشار سابق في مجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع. أستاذ مقيم في جمعية المشروع الأمريكي وعضو المجلس الاستشاري للجمعية اليهودية لشؤون الأمن القومي، من بين مقالاته "يجب أن يأتي دور **سورية** و **إيران**".

لويس ليبى: عضو مؤسس لمشروع قرن أمريكي جديد. رئيس أركان تشيني. عمل في وزارة الدفاع في عهد **بوش الأب** وهو عضو في مجلس شركة راند ذات العقود المربحة مع البنتاغون.

ريتشارد بيرل: عضو المجلس الاستشاري لمشروع قرن أمريكي جديد والجمعية اليهودية لشؤون الأمن القومي. وكان حتى وقت قريب رئيس المجلس الاستشاري للسياسة الدفاعية في البنتاغون ولكنه استقال وسط جدل حول علاقاته مع شركة غلوبال كروسينغ المفلسة. وهو زميل مقيم في جمعية المشروع الأمريكي. يكتب في دوريات وول ستريت جورنال، وديلي تلغراف، وواشنطن بوست، وغيرها، وكان مساعداً وزير الدفاع لشؤون سياسة الأمن الدولي 1981-1987 وعمل مساعداً لرئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق **بنيامين نتنياهو**. وهو عضو في مجلس مستشاري وقفية الدفاع عن الديمقراطية وهي منظمة موالية لإسرائيل "تدير أعمالاً بحثية وثقافية حول الإرهاب الدولي".

ستيفن بيتر روزن: مدير جمعية أولين وعضو مؤسس لمشروع قرن أمريكي جديد. أستاذ الأمن القومي والشؤون العسكرية في جامعة هارفارد، ومستشار في وكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الدفاع، وعمل سابقاً في وزارة الدفاع ومجلس الأمن القومي في الكلية الحربية البحرية.

دونالد رامسفيلد: عضو مؤسس لمشروع قرن أمريكي جديد وعضو المجلس الاستشاري للمبادرة الأطلسية الجديدة. وزير دفاع **بوش** ويُنسب إليه تخطيط غزو العراق. ويلعب أيضاً دوراً رئيساً في توزيع عقود إعادة إعمار **العراق** ولديه روابط مع شركة بتيشيل (المستفيد الرئيس من حروب **الولايات المتحدة**).

راديك شيكورسكي: المدير التنفيذي للمبادرة الأطلسية الجديدة. جاء من **بولونيا** حيث شغل مناصب نائب وزير الخارجية (1998-2001)، ونائب وزير الدفاع (1992)، وسكرتير الشؤون الخارجية في منظمة التضامن (1999-2001). كان ممثلاً لنيوز كوربس (1989-1992) ومراسلاً متجولاً لناشونال ريفيو (1988-1998). وكان لاحقاً سياسياً في المملكة المتحدة (1981-1989).

بول وولفو يتز: عضو مشروع قرن أمريكي جديد، وإيديولوجي مهم في إدارة بوش. معاون وزير الدفاع، وهو يهودي ينحدر من **بولونيا**. **جيمس وولسي:** عضو مشروع قرن أمريكي جديد ومدير سابق لوكالة الاستخبارات المركزية. عضو الجمعية اليهودية لشؤون الأمن القومي. تشمل مصالحه شركات دين كورب، وتيتان كوربوشن، وبريتيش إيروسبيس، وبالادين كابيتال غروب، وبوز ألن هاملتون. وهي شركات مؤهلة للاستفادة من حروب الولايات المتحدة.

تظهر المواقع التي يشغلها هؤلاء الأفراد وجود تحالف غير مقدس بين الحكومة والشركات و وسائل الإعلام والهيئات الاستشارية. وهم الأشخاص أنفسهم في الكثير من الأحيان. لم تفكر الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة على العالم عند مطلع القرن العشرين إلا بعد أن وجدت كل المعطيات ترشحها لذلك. بدأ من اعتقادها بأن تكون كيانا كلياً لا شبيه له و كأن الإرادة السماوية أرادت منها أن تجسد النموذج العالمي. و ما عليها إلا أن تملي على الأمم و الشعوب قانونها الخاص.

و زاد من ذلك على استبدادية الولايات المتحدة الأمريكية علينا أن نحلل ما يقتضيه وصف المستبد من فرض لإيديولوجيا و استخدام شرطة مرعبة و احتكار للوسائل الاتصال و اقتصاد متمركز في يده و احتكار

للقوى المسلحة ثم نرى إن كانت هذه المكونات موجودة في استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية .

ويتحدث **سمير أمين**¹ عن هذه الاستراتيجية فيقول: "تتمحور استراتيجية السيطرة للولايات المتحدة حول الطبيعة الجماعية للإمبريالية الجديدة، وتستغل نقط القصور والضعف في الحركات الاجتماعية والسياسية "ضد- النيو لبرالية"²

يوضح **زيبغينيو برجينسكي**³ في كتابه "رقعة الشطرنج الكبرى" "أن الرهان الرئيس بالنسبة للولايات المتحدة، هو السيطرة على الأوراسيا"، هذا المجال الرحب، انطلاقاً من أوروبا الغربية، حتى الصين، عن طريق آسيا الوسطى. ويدعو هذا الجيوسياسي برجينسكي، إلى أنه، انطلاقاً من هذا التفوق على هذه القارة الأوراسية، سيؤدي الأمر إلى الهيمنة الشاملة، ومن هنا كانت المجابهة الروسية - الأمريكية من أجل السيطرة على قلب القارة الأوراسية كلعبة كبيرة بين القوتين زمن الحرب الباردة. ولهذه الأسباب شكلت حكومة الولايات المتحدة مجموعة عمل وزارية مخصصة لدراسة مصادر الطاقة من بحر قزوين، ويرأس هذه المجموعة عنصر من مجلس الأمن القومي وتقوم هذه المجموعة بدراسة أسواق النفط، وإقامة استراتيجية حقيقية بشأن الحرب الاقتصادية، وفي كل ما يتعلق بالنفط. وتقدر هذه المجموعة الاحتياطيات النفطية في المنطقة بـ(6000) مليار برميل، أي (35%) من مخزونات الكرة الأرضية، في حين أن منطقة قزوين ستكون الخزان العالمي الثالث ، بعد الشرق الأوسط.

وتقدر احتياطيات منطقة قزوين بـ(178 - 200) مليار برميل من النفط الخام وتشكل 16% من الاحتياطيات العالمية، وأيضاً من [1000 إلى 7340] مليار متر مكعب من الغاز.⁴

من هنا حددت الولايات المتحدة أربعة أهداف رئيسية، ستمكنها من ربح الأسواق الدولية، دون كثير من العقبات وهي .

- 1 - تعزيز استقلال الدول الجديدة في آسيا الوسطى.
- 2 - دعم الإصلاحات السياسية والاقتصادية فيها.

¹ المدير العام لمنندى العالم الثالث، ورئيس المنندى العالمي للبدايل،

² سميرامين، الامبريالية اليوم وحملة الولايات المتحدة للسيطرة على العالم، منندى العالم الثالث،

http://thirdworldforum.net/arabic/Samir_Amin_Writings/Imperialism_US_agression.htm

³ زيبغينو برجينسكي هو مفكر أمريكي، من أصل بولوني، من مواليد 1928 كان مستشاراً للشؤون الخارجية في إدارة الرئيس جونسون، وهو الآن مستشاراً في مركز الدراسات الاستراتيجية العالمية بواشنطن.

⁴ موسى الزعبي، " الإستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة حرب على المنافسين أعداء وأصدقاء " مجلة الفكر السياسي اتحاد الكتاب العرب سوريا شتاء 2005

3 - تكثيف الروابط الاقتصادية بين هذه البلدان، التي لم يتم التعاون فيما بينها، في الماضي، على الرغم من الروابط الثقافية، بهدف خفض احتمال نشوب نزاعات إقليمية.

4 - ضمان استغلال المصادر الخاصة بالطاقة لمصلحة الولايات المتحدة.

العولمة وأمركة العالم:

منذ أن سيطر الرومان على العالم لم تستطع أمة أن تفرض سيطرتها وتهيمن على الآخرين كلياً باستثناء الولايات المتحدة. فما هي ابعاد هذه السيطرة ؟

صرحت مجلة "الاكونوميست" حسب احد المختصين¹ فقالت: "فإنّ الولايات المتحدة تعيد تركيب العالم كما تريد، فهي تسيطر على قطاع الأعمال والتجارة والاتصالات واقتصادها من أنجح الاقتصاديات في العالم وهي الأقوى والأفضل عالمياً من حيث القوة العسكرية"². ما نراه اليوم على ارض الواقع وفي الوضع الدولي الجديد السائد يؤكد بما لا يدع مجالا للشك بان العولمة ليست سوى مفهوما مرادفا للأمركة انطلاقاً من هيمنة أمريكا الاقتصادية في العالم وذلك بالنظر لضخامة الاقتصاد الأمريكي وسيطرة رأس المال الأمريكي على مشروعات في معظم أرجاء المعمورة خاصة كما ان الدولار الأمريكي اصبح وسيلة التبادل وأداة التسوية الرئيسية لمعظم دول العالم إضافة لسيطرة أمريكا على الأنشطة الاقتصادية الحساسة والمهمة مثل صناعة المعلومات والبرمجيات والخدمات والتحويل حيث تحولت أمريكا الي اكبر سوق لاستثمار رؤوس الاموال الاجنبية.

أما وزير الخارجية الفرنسي السابق "**هوبير فيدرين**" فقد قال في عام 1999 أن الولايات المتحدة قد تخطت مرحلة القوة العظمى في القرن العشرين إلى أكثر من ذلك "فالهيمنة الأمريكية امتدّت إلى كافة النواحي الاقتصادية والمالية والعسكرية العالمية لتطال طرق الحياة واللغة والانتاج الفكري والثقافي للآخرين، لتعيد تشكيل الأفكار وتسحر حتى أعداءها"³. وهو ما يعني ان الولايات المتحدة قد وصلت الى مرحلة من الهيمنة الكاملة على العالم "فالنظام الدولي اليوم لم يعد يقوم على

¹ جوزيف ناي عميد في جامعة هارفرد، رئيس مجلس الاستخبارات الوطني الأمريكي ومساعد وزير الدفاع في عهد إدارة كلينتون، له العديد من الكتابات في أشهر الصحف مثل النيويورك تايمز، والواشنطن بوست، والوول ستريت، وله العديد أيضاً من الكتب والمؤلفات أبرزها كتاب "الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية".

² نقلاً عن جوزيف ناي من مقال "حدود القوة الأمريكية" ترجمة: علي حسين باكير

<http://www.geocities.com/adelzeggagh/limits.html>

America's World, "The Economist, 23 October 1999

³ Lara Marlowe, "French Minister Urges Greater UN Role to Counter US Hyper power," The Irish Times, 4 November 1999. In 1998., "Hubert Védérine with Dominique Moisi, France in an Age of Globalization (Washington, DC: Brookings Institution Press, 2001),

توازن القوى كما كان عليه الأمر سابقا و إنما أصبح نظام القطب الواحد والهيمنة الأمريكية"¹، حيث زاد الاعتماد العالمي عليها ممّا دفع بالكثيرين للقول إن العولمة في هذا العصر ما هي إلا امبريالية أمريكية متكررة بأشكال عديدة، فالعولمة بحسب المجلة الألمانية "داشبيغل" ترتدي ملصق "صنع في الولايات المتحدة الأمريكية"².

يقول الأمريكي **توم فريدمان**: "نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة، العولمة هي الأمركة، والولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوة ثورية خطيرة، وأولئك الذين يخشوننا على حق. إن صندوق النقد الدولي قطة أليفه بالمقارنة مع العولمة. في الماضي كان الكبير يأكل الصغير، أما الآن فالسريع يأكل البطيء"³.

فالعولمة بالمفهوم المعاصر (الأمركة) ليست مجرد سيطرة وهيمنة والتحكم بالسياسة والاقتصاد فحسب، ولكنها أبعد من ذلك بكثير، فهي تمتد لتطال ثقافات الشعوب والهوية القومية والوطنية، وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك وأنماط أو منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير، وهي بالتالي تحمل ثقافة (غربية أمريكية) تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى، ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والتفكير وجعله يعمل وفق أهداف الغازي ومصلحته. وأكد ذلك الرئيس الأمريكي السابق **جورج بوش** حين قال بعد انتهاء حرب الخليج الثانية: "إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية وأنماط العيش والسلوك الأمريكي"⁴.

وقد سبقه **روزفلت** في التصريح بأمركة العالم عندما قال: "قدرنا هو امركة العالم تكلموا بهدوء واحملوا عصا غليظة عندئذ يمكن أن تتوغلوا بعيدا"⁵

ومن هنا تأتي المخاوف ليس على العالم الثالث بل و أوروبا أيضا " في إطار مفهوم أوروبا الموحدة تسعى المجموعة الأوروبية إلى بلورة ثقافة

¹ Robert Kagan and William Kristol, "The Present Danger," The National Interest (Spring 2000).

² William Drozdiak, "Even Allies Resent U.S. Dominance," Washington Post, 4 November 1997.

³ - مصطفى العبد الله الكفري، "العولمة الاقتصادية وفرض هيمنة الاقتصاد الرأسمالي"، مجلة الحوار المتمدن، عدد 1148 الصادر بتاريخ 26/2/2005 عن جريدة الشرق الأوسط ، العدد الصادر بتاريخ 2/3/1997

⁴ 1. الأسبوع الأدبي، العدد رقم 602 الصادر بتاريخ 14/3/1998، اتحاد الكتاب العرب سوريا ص: 19

⁵ عبد الرحمن تشوري، "العولمة مرة أخرى تروج للعصر الأمريكي"، الحوار المتمدن، العدد: 12-19 2005

أوربية واحدة تعمق الانتماء الثقافي والإرث التاريخي الذي يدعم مساعي الإندماج الثقافي"¹.

والآن بعد أن أوردنا مختلف المواقف التي تؤكد على الهيمنة الأمريكية سواء كانت من طرف أمريكيين أو آخرين نحاول الكشف عن الأساس الإيديولوجي الذي قامت عليه الفلسفة الأمريكية لنبين الرؤية الأمريكية للعالم وطبيعة المحددات الحاكمة للسلوك الأمريكي وكيف تروج أمريكا لقيمها باسم العولمة؟

الفلسفة المعتمدة في الهيمنة على العالم:

يكن طابع الهيمنة للولايات المتحدة في المسؤولية التي يحس بها الأمريكيون اتجاه العالم "إن طراز الحياة أمريكياً". وتشكل المفاهيم الاقتصادية والسياسية الأمريكية، وحتى الأفعال القهرية، للولايات المتحدة: "غارات وضربات جوية، تدميراً وقتلاً.. إلخ" حسنات في نظر الكثير من المولعين بالطراز الأمريكي. وكان ريتشارد نيكسون، يكرر القول: "يريد الرب أن تقود الولايات المتحدة العالم"، وأيضاً، كان روبرت كاغان يقول: "إن الهيمنة التي تمارسها الولايات المتحدة، جيدة، بالنسبة إلى جزء كبير من سكان العالم"².

إذن ليست "دبلوماسية الغارات الجوية، والحظر الاقتصادي، والقتل، والتدمير" التي يجري تنفيذها، في هذه السنوات الأخيرة، في أفغانستان وفي العراق وفي الماضي القريب، في بنما وغيرها ليست ظواهر جديدة، في السياسة الأمريكية، فالقادة الأمريكيون، يؤمنون بسياسة "العصا الغليظة" التي دشنها الرئيس ويليام ماكنلي، منذ عام (1898) أثناء الحرب ضد إسبانيا من أجل السيطرة على كوبا. ثم أصبحت سياسة رسمية، صدرت عن الرئيس **تيودور روزفيلت**³ منذ مطلع القرن العشرين. وتستهدف (الدبلوماسية القهرية) المُغلَفة بالتدخل الأمريكي، إعادة الصواب للأمم العاصية، باستخدام القوة، ضد كل من يقف في وجه الهيمنة الأمريكية أو يهدد مصالحها الاستراتيجية.

إن الفلسفة التي قامت عليها السياسة الأمريكية هي فلسفة القوة وفرضها على كل المستويات من أجل الوصول إلى الهيمنة الشاملة. وارتكزت في سياستها العولمية الي بناء القوة العسكرية بأفضل الوسائل التقنية و تخصيص مئات الملايير سنوياً لتعزيزها وتطوير الاقتصاد وتكوين رأس مال انتاجي في كل القطاعات واستغلال وسائل الاعلام الضخمة ومراكز البحث العلمي لتعميم ثقافتها ونشر الثقافة

¹ محمد علي حوات، "العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل". ص: 179.

² موسى الزعبي، "الإستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة حرب على المنافسين أعداء وأصدقاء"، مجلة الفكر السياسي اتحاد الكتاب العرب، سوريا شتاء 2005.

³ Theodor Roosevelt

الأمريكية لإحداث التبعية والهيمنة الأمريكية على العالم لتتمكن من السيطرة على المنافذ البحرية والجوية والفضائية دون السماح لأي قوة عالمية أخرى منافستها ..

كما تنزع إلى استخدام مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان كأوراق تسوغ لنفسها التدخل في شؤون الدول لأنها تعتبر نفسها راعية العالم ومن حقها التحكم فيه وتوزع شهادات حسن السلوك للدول والشعوب كما تشاء وحق لها في نظرها أن تطلب من الدول الإسلامية تطوير المناهج التربوية وتعديل برامج التربية الإسلامية بحيث نقول إن اليهود أحبابنا وإن الصهاينة مظلومين لأن الإرهاب مصدره الإسلام والمناهج الحالية ومن هنا ذهب محمد عمارة إلى ربط الصراع الغربي مع الإسلام بالدرجة الأولى "إن نزعة الغرب نحو الهيمنة معناها عدم اعتراف الغرب بالآخر. و بعد أن سقط الاتحاد السوفيتي، أصبح الإسلام هو العدو الأول الذي ينبغي للآلة الحربية الغربية أن تتوجه به وهذا ما يقوله أصحاب صناع القرار في الغرب"¹ ومن هنا يصح القول كما يقول الغربيون أنفسهم إن الصراع الحقيقي في زمن العولمة هو بين الشمال والجنوب وبين الغرب والعالم الإسلامي.²

نستنتج من كل ما سبق أن العولمة الحالية هي إعادة صياغة العالم وفق المقاييس الأمريكية

إن المتتبع لتاريخ **الولايات المتحدة الأمريكية** منذ تأسيسها لا يغفل دور الدين³ كأساس مهم بني عليه العالم الجديد في توسعه الداخلي والخارجي على غرار التوسع الأوربي الذي اعتمد على عناصر ثلاثة هي "الثروة" بواسطة النشاط التجاري و "القوة" بفضل التدخل العسكري و "الدين" بفضل حملات التبشير.

ومع بداية التوسع الأمريكي الداخلي⁴ كان جمع الثروة من بين الأهداف الأساسية لهذا التوسع. وقد مكنها هذا التوسع من بناء قوتها الذاتية والذي يساعدها فيما بعد على التوسع نحو جزر المحيطين الهادي والأطلسي. وقد تمكنت من السيطرة على مختلف الجزر الهامة والحيوية.

¹ - محمد عمارة أسئلة عقلية حول هيمنة العولمة www.balag.com/islam/z003zncj

² Pierre Hassner - Avec Andrew Hurrell - l'ordre international entre diversité et égalité, l'ordre nucléaire entre inégalité et réciprocité. colloque éthique et relation international : choc des identités ,démocratie et ordre international 10- 03- 2006 CERI Paris.

³ -سمير مرقص، **الإمبراطورية الأمريكية.ثلاثة الثروة..الدين .القوة..من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11 سبتمبر**

ص: 30.

⁴ - لقد اهتمت أمريكا بالتوسع داخل أراضيها وكانت البداية مع قتل أبناء الأرض الأصليين من الهنود الحمر ثم التوسع والامتداد الداخلي حيث تمت السيطرة على الجنوب والوسط وشماله، ومع حلول عام 1850 تمت السيطرة حتى على أقصى الغرب الأمريكي (ساحل المحيط الهادي) وتم بسط النفوذ على كامل أرض العالم الجديد.

إن تتبع تاريخ **الولايات المتحدة الأمريكية** بشكل خاص يكشف عن العلاقة الوطيدة بين الإنفاق العسكري و الحفاظ على الاقتصاد القومي من التدهور و التآزم .

لقد حققت الولايات المتحدة نموا سريعا على حساب غيرها أثناء فترة الحربين

العالميتين وما تلاه من حرب الباردة و السبب في ذلك مرده هو بعدها عن مسرح المعارك التي أنهكت شعوبا في أوروبا و **اليابان**.

لقد خرجت **الولايات المتحدة الأمريكية** في كلتا الحربين العالميتين و هي القوة الأعظم و المهيمنة اقتصاديا و سياسيا و عسكريا. و تذكر بعض الإحصائيات¹ أن رقم دخل وزارة الدفاع الأمريكية قد ارتفع بعد عام 1945 إلى مليار 81 مليار بعد ما كان قبل الحرب العالمية الثانية 1 مليار و بلغت صناعة الطيران مائة ألف طائرة سنويا عام 1945 بعدما كانت 6000 طائرة فقط مع بداية الحرب، و استمر نمو الاقتصاد الأمريكي مجنيا أرباحا طائلة من خلال تصديره للسلاح إلى مناطق محتلة من العالم التي كانت تعج بالحروب و النزاعات .

فخلال :- الخمسينات اندلعت 25 حربا أهلية و دولية.

-الستينيات اندلعت 21 حربا أهلية و دولية .

-السبعينيات اندلعت 25 حربا أهلية و دولية.

-الثمانينات اندلعت 35 حربا أهلية و دولية².

و قد بلغ عدد ضحايا هذه الحروب خمسة ملايين شخص و ملايين أخرى من المشردين و المعاقين.

و في مطلع الثمانينات أعلن الرئيس الأمريكي و قت ذاك " **رونالد ريغان** " بداية سباق التسلح أو برنامج حرب النجوم قصد إنهاء الاتحاد السوفيتي من جهة و مضاعفة الإنتاج العسكري لتصدير السلاح إلى مختلف الأماكن الساخنة و لم يرضى مافيا السلاح بهذا فقط وإنما كانت تأجج الفتن لأجل اندلاع الحروب الأهلية من حين لآخر بفضل التدخل الأمريكي أحيانا و الغزو العسكري أحيانا أخرى و لأمريكا تدخلات رئيسية في العالم تمتد إلى تمتد إلى بداية القرن التاسع عشر و منها ما يلي³:

- 1819 ضم فلوريدا

- 1846 بداية الحرب العدائية ضد المكسيك

- 1854 تهديد اليابان بفتح مرافئه أمام التجارة الأمريكية.

¹ - صوفي غيراردي، " امريكا الحرب و الازدهار " صحيفة لوموند الباريسية 15/01/1991م عن رزق الله هيلان مقدمات اقتصادية لعصر ينتهي ص 26

² - فاتح الخطيب " الرعب القادم " الحوار المتمدن العدد 1075 بتاريخ 11-1-2005

<http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=29598>

³ - ميشال بينو موردان ، امريكا المستبدة الولايات المتحدة و سياسة السيطرة على العالم، ترجمة جامد فزرات منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2001

- 1898 غزو الفلبين.
- 1898 غزو كوبا.
- 1898 ضم هاواي.
- 1898 ضم بورتوريكو.
- **1903 التدخل في بنما.**
- **1906 التدخل في كوبا.**
- 1909 التدخل نيكاراغوا.
- 1914 التدخل في المكسيك.
- 1915 التدخل في هايتي.
- 1924 احتلال سان دومينيك.
- 1934 احتلال هايتي.
- 1941 حرب المحيط الهادي التي انتهت بإلقاء القنابل على هيروشيما و ناجازاكي.
- 1950 الحرب الكورية.
- 1954 تدخل الجيش الأمريكي في غواتيمالا.
- **1958 إرسال المارينز إلى لبنان.**

و هكذا فقد حلت **الولايات المتحدة الأمريكية** محل القوى الأوربية في السيطرة على القارة الأمريكية، وقد سائر هذه السيطرة العسكرية تنامي القوة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية. فمع حلول عام 1914م أصبح إجمالي الدخل القومي الأمريكي والفردى أعلى مما لدى جميع البلدان القوية آنذاك¹. والجدول الموالي يوضح ذلك:

الدولة	الدخل القومي "مليون دولار"	الدخل الفردي "دولار"	السكان "مليون نسمة"
USA	37	377	98
بريطانيا	11	244	45
فرنسا	06	153	39
اليابان	02	36	55
ألمانيا	12	184	65
إيطاليا	04	108	37

¹ - سمير مرقص، الإمبراطورية الأمريكية. ثلاثة الشروة.. الدين... القوة... من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11 سبتمبر. ص 42.

171	41	07	روسيا
52	57	03	النمسا-المجر

وهكذا قوبلت شوكة الولايات المتحدة على مختلف المستويات وهذا ما تشير إليه النصوص الأمريكية وتؤكد عليه " ليس ما يفترضه الجميع خطأ على الدوام. ثمة في الحقيقة ثقافة كوكبية ناشئة، وهي بالفعل أمريكية إلى حد كبير من حيث الأصل والمحتوى"¹.

وقد استغلت أمريكا كل الفرص المواتية لتطبيق هذه الهيمنة بما في ذلك أحداث 2001 " لقد استغلت أحداث 11 سبتمبر 2001 من أجل تكريس الهيمنة والسيطرة على العالم أو بعبارة أخرى قد فتحت الأفق واسعا لحرب طويلة تطال العالم كله"².

وقد لخص احد الكتاب استراتيجية الولايات المتحدة في ظل الثنائية القطبية فقال:

"مرت الإستراتيجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية بعدة أطوار:

استراتيجية الحصر 1945-1953: والمقصود بذلك أن تطوق الولايات المتحدة مجال الوجود السوفياتي الذي انتشر باتجاه شرق أوروبا وقد أعلمت الإتحاد السوفياتي أنها لن تقبل توسيع الوجود السوفياتي في العالم.

استراتيجية الرد الشامل التلقائي 1953-1958: لقد حذرت واشنطن بلسان وزير خارجيتها آنذاك "جون فوستر دالاس" بأن الرد الأمريكي سوف لن يقتصر على كوريا فحسب بل ستختار الولايات المتحدة مناطق أخرى للرد أي تعرض روسي محتمل. وقد عزز "نيكسون" نائب الرئيس هذا المنطق

1. الحرب النووية المحدودة: لقد وردت الإشارة الرسمية إلى

احتمال خوض حرب نووية محدودة في عهد "كنيدي".

2. استراتيجية الرد المرن: وهي استراتيجية شددت على تحسين القدرة الإستراتيجية النووية الأمريكية.³

ويقول آخر في نفس المجال: " ورغم ذلك فإن هيمنتهم فرضت وستفرض على شعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية بالعنف، وبالعنف وحده"⁴.

¹ - بيتر إل. برغر و سامويل، بي، هنتفون- عولمات كثيرة- التنوع الثقافي في العالم المعاصر- تعريب: د فاضل جتكر- مكتبة العبيكان- الرياض-2004. ط 1- ص 15.

² - سلامة كيلة، العولمة الراهنة، آليات إعادة إنتاج النمط الرأسمالي العالمي. التمدد الرأسمالي ومصير الدولة والأمة- نينوى للدراسات والنشر والتوزيع- دمشق- سوريا- ط 1-2003-ص 137.

³ - محمد علي القوزي- العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر. ص 184-187.

⁴ - محمد الحسن، تحليلات فكرية في زمن العولمة، دار الاتحاد للنشر- تونس. ط 1-2002-ص 110.

كما ان الخطاب العولمي هو الاخر يستخدم العنف لكي يتجسد والأمثلة الواضحة من خلال العنف الذي يسلط على معارضي العولمة كل ما اجتمع الكبار في مختلف بقاع العالم بل وقد أدت فعلا إلى الموت مثل ما حصل مع الشاب الايطالي الذي قتل في 21 جويلية من عام 2001 في مدينة جينوة الايطالية ومن هنا قال احد الكتاب "إن العولمة قناة ملطخة بالدماء"¹ وكرد فعل على ذلك تولد العولمة العنف وتنشر ثقافة العصيان².

يقول الكاتب: **ر. رادا كريشنان**: "اعتقد أن العولمة تأخذ شكل تفكيك للقوميات التابعة من قبل القوميات المتطورة فالعالمية والعولمة هما البيان الدارويني لبقاء الأصلح: الأمم القوية سوف تبقى بشكل طبيعي، لأنها قدرها هو أن تبقى كأمم لا اسم لها ولا سمة في حين أن الأمم الضعيفة سوف تحدث حتما بسبب أدائها غير المرضي كدول قومية بعارة أخرى، إن الأمم القوية ستكون قد كسبت السلطة الأخلاقية- السياسية التي تفوضها لتفكيك سيادة الحقوق القومية العالم الثالثة تحديدا لأن الأمم الكاملة التطور قد تبحث في تحقيق هذا الشكل من السيادة"³.

خلاصة لما سبق نستنتج أن الرؤية الأمريكية للعالم تحدد وفق مفهوم القوة أي أن المصالح الأمريكية لا تتحقق إلا باستخدام القوة. والقيم الأمريكية لا تنتشر عالميا إلا بالقوة، وهذه النتيجة تؤكدتها الخبرة الأمريكية من خلال موقف مفكرها البارزين.

(1) موقف زيجينيو- بريجنسكي⁴:

يرى **بريجينسكي** أن: "أي قوة عظيمة لا يمكنها البقاء مهيمنة إلا إذا أبرزت رسالة كفاءتها من خلال مسألة الثقة بالحق الذاتي"⁵. والمقصود بذلك أن ممارسة القوة قصد تحقيق المصالح يحتاج إلى شرعية تبيح هذه الممارسة، والمدخل إلى هذه الشرعية هو القيم المشتركة التي يقبلها العالم ويحدد **بريجينسكي** أربع مجالات تمكن أمريكا ممارسة قوتها⁶:

¹ Bernard poulet- le pouvoir du monde. Quand un journal veut changer la France éditions la découverte Paris 2003 p : 141.

² Marcel gauchet, quand les droits de l'homme devienne une politique le débat n°110 août 2000.

³ - آليسون جاغار، ر. راداكريشنان، ليندا كينتز، تاني مارلو. الدرجة صفر للتاريخ، أو نهاية العولمة، ص: 57.

⁴ Brzezinski (Zbigniew) بولوني الاصل تحصل على الجنسية الامريكية عام 1958 عمل استاذاً للعلاقات الدولية بجامعة هارفارد

Pascal LOROT, (sous la direction) dictionnaire de la mondialisation édition ellipses 2001, p:64.

⁵ - سمير مرقص. الإمبراطورية الأمريكية. ثلاثة الثروة.. الدين... القوة... من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11 سبتمبر. ص70.

⁶ - زيجينيو- بريجنسكي- الفوضى: الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين ترجمة مالك فاضل- الأهلية للنشر والتوزيع- الأردن ط 1998. نقلا عن سمير مرقص. الإمبراطورية الأمريكية

أ) عسكريا: حيث تمتلك قدرة عالية لا نظير لها.
ب) اقتصاديا: حيث تظل المتقدمة في النمو العالمي حتى لو واجهت التحديات في بعض المجالات من **ألمانيا و اليابان**.
ج) تكنولوجيا: حيث تحتفظ بالتقدم الشامل في جميع مجالات الابتكار الحاسمة.
8) حضاريا: حيث تمتع رغم بعض المبالغة بجاذبية لا يزاها أحد فيها خصوصا لدى شباب العالم.

موقف صاموئيل هنتجتون:

لقد جمعت الدراسات الهامة التي قام بها **هنتجتون** كل معالم التعظيم والسيادة **للولايات المتحدة الأمريكية** فهي مصدر رأس العالم وحاملة لقيم النظام الدولي الجديد. فهو يؤكد بوضوح أن " عالما بدون سيادة **الولايات المتحدة** سيكون عالم أكثر عنفا وفوضى وأقل ديمقراطية وأدنى في النمو الاقتصادي، من العالم الذي يستمر تأثير **الولايات المتحدة** فيه أقوى من تأثير أي دولة أخرى على صياغة الشؤون العالمية، إن السيادة الدولية المستخدمة للولايات المتحدة ضرورية لرفاهية وأمن الأمريكيين ولمستقبل الحرية والديمقراطية، و الاقتصاد المنفتح والنظام الدولي في العالم"¹.
يتفق **هنتجتون** مع **برجنسكي** على أن **أمريكا** سوف تكون القوة العظمى الكونية الأولى والوحيدة التي تملك قيما عالمية يجب أن تسود، وأي رفض للقيم الأمريكية يعني رفض للسيادة وخروج عنها.
ويرى **هنتجتون** أن أمريكا تمارس مسؤولياتها حيال العالم من خلال المنظومة الثلاثية وهي:

- 1- التفرد الأمريكي Americans Uniqueness .
- 2- الطهر الأمريكي American Virtue .
- 3- القوة الأمريكية American Power .

موقف هنري كيسنجر²:

لقد تبلورت كتابات **هنري كيسنجر** في مؤلفيه الأخيرين. وهما الدبلوماسية 1995م وهل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الواحد والعشرين 2001. وقد حملت هذه الكتابات رؤيته الاستراتيجية والقائلة أن القوة هي الكفيل باستمرارية التفرد ونشر القيم وتحقيق المصلحة .

ص.67.

¹-Samuel P . Huntington. "Why international primary. Matters", international security, Vol. 17, No. 4, spring,1993.

²- من أشهر وزراء خارجية الولايات المتحدة الأمريكية-

يقول كيسنجر: "إن المأزق النهائي لرجل السياسة هو في التوصل إلى الموازنة بين القيم والمصالح، وأحياناً بين السلم والعدل".¹

ويقول أيضاً: "إن التحدي الأساسي لأمريكا هو تحويل قوتها إلى اجتماع أخلاقي ونشر قيمها لا عن طريق فرضها، وإنما بجعلها مقبولة في عالم هو في أمس الحاجة إلى قيادة مستنيرة".
هذه الأقوال جميعها تصب في فكرة واحدة مفادها أن السياسة الخارجية الأمريكية قد تراجعت بين منهجي **روزفلت** و **ويلسون** اللذان يتفقان على ضرورة ممارسة **أمريكا** للهيمنة بالمنطق الإمبراطوري.

لقد تمسكت أمريكا بإيديولوجيا اقتنعت تاريخياً بها وتمثل في اتجاهين أساسيين:

الأول: أن تخدم أمريكا قيمها بأفضل الوسائل عن طريق تحقيق الديمقراطية على أصح وجه في الداخل وبذلك تصبح منارة لباقي العالم أو بعبارة أخرى " الأمة النموذج".

الثاني: أن القيم الأمريكية تفرض على **أمريكا** التزاماً بأن تحارب من أجل هذه القيم في العالم أجمع وهذا يعني أنها مسؤولة عن العالم. فهي حارسة التوازن العالمي.

فالاتجاه الأول يحمل في ثناياه منهج " **وودرو ويلسون** " الذي قدم الفكرة الأخلاقية المثالية على استخدام القوة. فإن الاتجاه الثاني يرى الذي يمثله " **تيودور روزفلت** " يعتبر استخدام القوة رسالة كونية تحمي النظام الدولي من الاختلال.

قال **ألبرت بغيريدج** أحد أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي في خطاب ألقاه معبراً عن الفكر الاستعماري لأمريكا: "إن المصانع الأمريكية تنتج اليوم أكثر مما يستطيع الشعب الأمريكي أن يستهلك، والتربة الأمريكية تنتج كذلك أكثر مما نستطيع أن نستهلك، ومن هنا نرى أن القدر قد رسم لنا سياستنا، إن تجارة العالم لا بد أن تكون بين أيدينا، وليس من شك في أننا سنستولي عليها كما علمتنا أننا انجلترا أن نفعل، ولسوف ننشئ قواعد تجارية في أرجاء العالم كله لتوزيع المنتجات الأمريكية، وسنملأ ماء المحيط بأسطولنا التجاري وستنهض حول تجارتنا مستعمرات كبرى، تحكم نفسها بنفسها، ولكنها ترفع علمنا وتتاجر معنا"² وهذا ما يحدث فعلاً في بعض الدول التي تتباهى بالسيادة الأمريكية خاصة تلك التي تتواجد على أرضها قواعد عسكرية.

¹- أغلب هذه الأقوال مستوحاة من كتاب سمير مرقس، الإمبراطورية الأمريكية، ص: 76.
² قدرتي قلعي، أمريكا وغطرسة القوة، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، سنة 1987، ص: 28

فكرة الشرق الأوسط في الایدولوجیا الأمريكية

قال ارنهاور متحدثا عن إستراتيجية الولايات المتحدة في الشرق الأوسط: " أن الأمور التي تؤكد أهمية الشرق الأوسط القصوى احتواؤه على ثلثي مصادر البترول المعروفة في العالم، إذ أن هذه المصادر البترولية لا تقل أهمية عن الحلف الأطلسي، بل إن هذا الحلف يفقد معناه وهدفه إذا فقدنا مصالحنا في الشرق الأوسط"¹ إن فكرة الشرق الأوسط الجديد هي فكرة إسرائيلية تبنتها الولايات المتحدة تهدف من خلالها إعادة ترتيب المنطقة جغرافيا، وسياسيا، واقتصاديا، وحضاريا وهو المشروع الذي تحتفظ به المصالح الأمريكية والصهيونية من خلال السيطرة المطلقة على النفط ومنابعه وممراته وأسواقه وأسعاره وهو ما يعزز الاقتصاد الأمريكي ويحل من أزماته مع أن السيطرة على المنطقة لا تقتصر على البعد الاقتصادي بل السيطرة الشاملة عسكريا بفضل إقامة قواعد عسكرية في المنطقة وسياسيا بالحكم في التوجهات السياسية لدول المنطقة وثقافيا بالتحكم في المناهج التربوية والكتب الدراسية وتحويل مواد كتب الدين الإسلامي. لقد ورد مصطلح الشرق الأوسط بداية في كتابات مؤسس الحركة الصهيونية **تيودر هرتزل** عام 1897م حيث كتب في يومياته يقول: "يجب قيام كمونولث شرق اوسطي يكون لدولة اليهود فيه شان قيادي فاعل، ودور اقتصادي قائد، وتكون المركز لجلب الاستثمارات والبحث العلمي والخبرة الفنية"²

وبعد ذلك استخدم المصطلح في الكتابات الداعية إلى تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين واتخذه أداة عسكرية في يد الدول الاستعمارية للحيلولة دون وحدة العرب وتطورهم، وفي هذا المجال اقترح **بن غوريون** أول رئيس وزراء للكيان الإسرائيلي على الرئيس الأمريكي **ايزنهاور** بتاريخ 24-7-1958 في رسالة وجهها اليه " إقامة سد منيع ضد المد الناصري أي التيار القومي للوقوف أمام التوسع السوفييتي من إسرائيل وتركيا وإيران"³ وقد عملت معظم السياسات التي تداولت على السلطة على دعم إستراتيجية امريكا في منطقة الشرق الاوسط ففلسفة ريغان في الشرق الأوسط والدول الإسلامية قامت على ما يلي:

-الاستمرار في تبني إستراتيجية التدخل العسكري السريع والمباشر.
- التوافق الاستراتيجي مع الأنظمة الحليفة لواشنطن (إسرائيل).

¹ سيف سعيد ، الوجود الاميرالي في الشرق الأوسط ، مظاهره ومخاطره جوان 1986 دمشق ص:118

² انعام رعد ، الصهيونية الشرق اوسطية والخطة المعاكسة ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت 1979 ص:62

³ محمد حسنين هيكل ، الانفجار ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، القاهرة 1990 .

- العمل على إبعاد الاتحاد السوفيتي.
 - الحصول على تسهيلات للقوات الأمريكية.
 - القيام بمناورات حية تتحول إلى أعمال غزو لشعوب المنطقة.¹
- هكذا قامت الولايات المتحدة بالدور الأساس في إرساء معالم الشرق الأوسط بالتنسيق مع فرنسا وبريطانيا ، حيث تم التعهد بالمحافظة على امن الكيان الصهيوني لان في ذلك خدمة للمصالح الأمريكية مستقبلا. ولتأمين مصالح الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط يذكر احد الكتاب جملة من المهام التي تقوم بها أمريكا وهي:
- 1- تأمين السيطرة الأمريكية على منابع النفط وممراته وأمواله عن طريق القواعد العسكرية الدائمة.
 - 2- المحافظة على تفوق إسرائيل العسكري على جميع البلدان العربية.
 - 3- نزع السلاح غير التقليدي من أيدي العرب والحد من التسليح للدول العربية غير الخليجية.
 - 4- التوصل الى تسوية الصراع العربي الإسرائيلي.
 - 5- إلغاء المقاطعة العربية.
 - 6- بيع كميات كبيرة من الأسلحة للدول الخليجية لتحسين وضع الاقتصاد الأمريكي.
 - 7- توسيع التواجد العسكري الأمريكي في المنطقة.
 - 8- إقامة النظام الإقليمي، والسوق الشرق الأوسطية.²

خلاصة الفصل:

ان العولمة هي ايدولوجية جديدة منمقة تهدف الى زيادة سيطرة القوى الغربية على بقية شعوب العالم . و أكثر من ذلك فهي تعني حاجيات طبقة محدودة من عمالقة المال و الإعلام و الاقتصاد ،الذين يستعملون رأس المال ليهيمنوا به على العالم، و يديرون به مقدراته. و أغلب صور الهيمنة هذه متأتية من الولايات المتحدة الأمريكية بفضل شركاتها العابرة للحدود و هيمنتها الإدارية على صندوق النقد الدولي و البنك الدولي و هذه المؤسسات هي التي تؤثر في حركة المال ، و كمية النقد و سعر صرفه ، وتنظيم الإنتاج و التحكم في ميزانيات التعليم و الصحة.

¹ الموسوي ضياء ، النهب الامبريالي للعالم الإسلامي ، حقائق وأوهام ، الطبعة الأولى، طهران

1404 هـ ص:23-24

² غازي حسين ، الشرق الاوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والامبريالية الامريكية ، ص:30

اما نظرية " أمركة العالم " ¹ فهي تفسر بكل وضوح ما يدور في عالم اليوم حيث يذهب بعض المفكرين إلى أن العولمة هي الأمركة اعتمادا على سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى توظيف العولمة لمصلحتها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تمكنها فعلا من فرض هيمنتها على العالم عن طريق السيطرة وتعميم النموذج الأمريكي على جميع أوجه النشاطات الاقتصادية والسياسية والثقافية، وما يعزز ما سبق قوله ما جاء عن [جورج بوش] " في أوائل التسعينات "إن القرن القادم ينبغي أن يكون أمريكيا" ². و قول نكسون " يجب على أمريكا أن تقود العالم " ³، وقول روزفلت في الأربعينات " إن قدرنا هو أمركة العالم " ⁴

إن العولمة الحالية اذن هي إعادة صياغة العالم وفق المقاييس الأمريكية كما أنها تجلي الهيمنة الأمريكية لكن هذه الهيمنة لا تستمر في السنوات القادمة بالنظر إلى المعطيات الاقتصادية المتاحة والتي ترجح قيام قوى اقتصادية مؤثرة في صيرورة العولمة وستظهر في الصين والهند والبرازيل.

الخاتمة

¹ يرى البعض أن العولمة ليست هي عينها الأمركة لعدة اعتبارات:
- الأمركة هي تطبيق الإيديولوجية الأمريكية و فقط، في حين أن العولمة هي تعبر عن جملة التغييرات السياسية والفكرية والعلمية والاقتصادية.
- تمكن أمريكا من السيطرة، لا يكفي لان تكون العولمة هي الأمركة، مع العلم أن الشعب الأمريكي لا يسمح لمجموعة من السياسيين إن يتحدثوا باسمه ويستغلوا كل إمكانياته
- ان الاتجاه نحو السيطرة والتفوق نتيجة جميع الدول لتحقيق حلم السيطرة، و لو سمحت الفرصة لأي قوة غير الولايات المتحدة الأمريكية لسعت إلى فرض هيمنتها. انظر السيد ياسين "نحو سياسة ثقافية عالمية" الاهرام ، 24ماي 2001 السنة 125، العدد 41807

² باسم علي خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، دار الفكر العربي، الطبعة الاولى سنة 2001 ص: 27 .

³ ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة احمد صديقي مراد، القاهرة ، دار الهلال : 1992 ، ص 9 .

⁴ " باسم علي خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي _ ص: 27 .

ان العولمة تمثل ظاهرة تاريخية متداخلة اشد التداخل، ما زالت قيد التكوين تؤسس لمفاهيم عالمية، تسعى إلى توحيد العالم اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وذلك برفع الحواجز، و القيود أمام المال والتجارة والاستثمار والتوظيف، بآليات تتحكم فيها القوى العظمى، وتعتبر عن هيمنة الأقوياء وفرض نفوذهم على الأطراف الأخرى، من أجل تحقيق مصالحهم المختلفة.

ولقد تعددت المفاهيم التي حاول اصحابها كشف حقيقة العولمة وتباينت في بعضها وتوافقت في البعض الآخر، لعل ابرز العناصر المشتركة بين المفاهيم على تعددها ما يلي:

- 10- نظام العولمة لا يكتثر بالبيئات المحلية، ولا بالخصوصيات الفكرية الثقافية للشعوب.
- 11- تعتمد العولمة على آليات اقتصادية وترتكز على مؤسسات مالية وشركات كبرى لتحقيق أهدافها.
- 12- بناء فلسفتها على الانتقال الكلي للأفكار والسلع والأشخاص دون حواجز جمركية.
- 13- إقصاء دور الدول الوطنية الضعيفة في تشكيل نظام العالم .
- 14- بروز دور الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية في التحكم في مسار الاقتصاد العالمي.
- 15- الاعتماد على المعطيات التكنولوجية، والاستناد الى التطور العلمي.
- 16- تشابك المجالات المختلفة كالاقتصاد والسياسة والإعلام والثقافة في بلورة العولمة.
- 17- بروز الايدولوجيا التي تحرك العولمة.

تاريخيا العولمة ظاهرة حديثة النشأة في مصطلحها ولكن ملامح مضمونها بدأ يتشكل قبل منتصف القرن الماضي، أما العوامل التي ساهمت في بروز العولمة بالصورة التي هي عليها الآن فهي كثيرة منها:

10. تزايد دور وأهمية المنظمات الدولية المؤثرة في الاقتصاد مثل " صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، المنظمة العالمية للتجارة " .

11. اندماج أسواق المال مع بعضها.
12. تغيير مراكز القوى الاقتصادية العالمية.
13. تغيير هيكل الاقتصاد العالمي.
14. انهيار الاتحاد السوفيتي والأنظمة الاشتراكية في دول أوروبا الشرقية.
15. انتصار النظام الرأسمالي باستعادته الهيمنة، والانتشارية المؤسسة على اقتصاد السوق.

16. الاستناد على الثورة المعلوماتية وشبكة الانترنت.
17. تطور وسائل النقل والاتصال.

على صعيد الواقع لا يمكن التغافل عن التعامل مع العولمة، باعتبارها تعكس مرحلة تاريخية من مراحل تحول العالم، وحدث التغيرات فيه على جميع الأصعدة، ولها اليوم حضوراً قوياً في معظم المجالات الحياتية والفكرية المعاصرة وتجلت مظاهرها في واقع الناس من خلال القيم التي دعت إليها والفلسفة التي انتهجتها على المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية.

وأثارها متجلية في كل المناحي تعيشها الشعوب في جميع أصقاع المعمورة، بعضها يعيشها طرفاً فاعلاً ومؤثراً، بل موجهاً وأمرأً ومراقباً، ويعيشها الآخر منفعلاً متلقياً، متفرجاً ومشدوهاً. لم تظهر العولمة فجأة بل نتجت عن تبلور افكار فلسفية سابقة فهي تغترف مكوناتها الفكرية من التراث الفلسفي العالمي خاصة ما انتجه الفكر الغربي في القرون الاخيرة ولكن العولمة اليوم تتحدث بلغة جديدة تتفق مع التغيرات التي حدثت في هذا العصر، وتستند إلى منهج معين تخاطب به الناس، وتستخدم وسائل معينة لكي تحقق أهدافها، كل هذه العناصر تشكل المصادر الفلسفية لخطاب العولمة.

من اهم العناصر الفلسفية التي تستخدمها العولمة في خطابها والتبريرات الفلسفية لمبادئها والقيم الأخلاقية التي تروج لها ما يلي:
- يركز خطاب العولمة على الحرية باعتبارها تعبيراً عن حالة التحرر من مختلف القيود، التي تكبل الطاقات الابداعية والإنتاجية للإنسان، سواء كانت قيوداً مادية أو قيوداً معنوية

- كما تركز صورة العولمة على تصغير العالم في صورة القرية الكونية، وهو ما يعني نفي الدولة، وتأسيس عالم بدون دولة أو وطن أو أمة، فالعالم الذي تجري وراءه هو عالم المؤسسات والشبكات العالمية. أما الوطن أو الأمة فهو الفضاء المعلوماتي والمواقع التي تضعها شبكات الاتصال.

- تستخدم العولمة خطاباً ايدولوجياً يعبر عن هيمنة القوى الكبرى على بقية العالم، متخذة من شعار البقاء للأقوى منهجاً للتعبير عن سياسة هذا التفوق. وتأتي سيطرة الولايات المتحدة الامريكية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً لتصب في هذا السياق اعتماداً على الدور الذي تقوم به اكاديميا من خلال مفكرين وكتاب امثال فرنسيس فوكوياما، وميلتون فريدمان، وغيرهم كثير. وإعلامياً من خلال دور الاعلام الكبرى (صحافة، تلفزيون وسينما) بالإضافة الى دور الانترنت في الترويج للإنتاج الأمريكي عبر مختلف الصفحات الاعلامية.

- تستخدم العولمة لغة فلسفية، موظفة خطابا عقلانيا، على اساس ان الحركة العقلانية منحى فلسفي يؤكد على أن اكتشاف الحقيقة يكون أفضل باستخدام العقل، و التحليل الواقعي البعيد عن التفسيرات الغيبية.

- تسعى العولمة الى تحقيق اهداف تعود ايجابياتها على البعض دون الاخرين مما يعني ان العولمة لا تتحرك إلا في الاطار النفعي ومن اهم ما يسجل على النشاط الانساني في زمن العولمة ما يلي:
الأنانية: وهي صفة تدفع الفرد او مجموعة من الافراد للتحكم في الأسواق تحقيقاً لمصالحهم الذاتية دون تقدير لحاجة المجتمع أو احترام للمصلحة العامة.

الاحتكار: إذ يقوم الرأسمالي بعملية احتكار البضائع وتخزينها في المخازن الكبرى وانتظار فقدانها من السوق للنزول بها قصد بيعها بسعر مضاعف يبتز فيه المستهلكين الضعفاء.

والعولمة الاقتصادية التي ، تقودها شركات عدة تقوم على الاستعباد، فهي تحول دون حصول الافراد والشعوب على الحدود الدنيا من الوفرة ودون التمتع بالخير العام. وتقوم على الاستخدام القهري للطبيعة ونهب الموارد الطبيعية دون أي اعتبار لاختلال البيئة و التلوث على مستوى الطبيعة والمناخ.

كما ان العولمة ليست ظاهرة عفوية في التاريخ، بل هي مرتبطة مع مجموعة من الاسس الهامة، التي تشكل في رأينا القواعد الضرورية التي بنيت عليها هذه الظاهرة عبر تطورها، ولعل أبرز هذه الاسس ما يلي:

الأساس الاقتصادي:

ساهمت النظريات والأفكار الاقتصادية، في ظهور النظام الاقتصادي الجديد وفي إرساء فلسفة العولمة،

لقد تكون العالم الرأسمالي كما حددته الرأسمالية ابتداء من العام 1500م وخلال الفترة الماركانتيلية التي دامت ثلاثة قرون (1500-1800) تأسست قاعدة النظام الرأسمالي . وقد شهد القرن العشرون بالثورة ضد الرأسمالية فهاجمتها الاشتراكية من جهة جوهر علاقات النظام الرأسمالي، وحاربتها الحركات التحررية الوطنية في آسيا وإفريقيا، من جهة ظاهرة الاستقطاب والاستعمار، وقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر (1880-1945) تكوين رأسمالية الاحتكارات، تعبيرا عن ميلاد نظام امبريالي عالمي. اما عن تأثير الفكر الاقتصادي عبر العصور و القيم الجديدة التي جاءت بها العولمة فقد اتضح لنا ان العولمة ترتبط بفكر كل من مؤسسي

المدرسة الكلاسيكية مثل آدم سميث، توماس، روبرت مالتس، و دافيد ريكاردو، جون استوارت ميل، من خلال مساهماتهم الكبرى في وضع أسس الفكر الاقتصادي الحديث.

اما عن المؤسسات الاقتصادية والمالية الكبرى التي استند اليها مشروع العولمة في تفعيل حركتها و التنسيق العام بين آليات العولمة ممثلة في صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي والمنظمة العالمية للتجارة، ودور الشركات متعددة الجنسيات هو السمة المميزة للاقتصاد العالمي، وبهذا التنسيق يتولد فكر العولمة خطابا رسميا يرتوي من تلك البنود والتوجيهات والقيم التي وضعها فقهاء الاقتصاد في زمن العولمة. وتوصلنا في هذه الدراسة الي ما يلي:

(1) انها في رسمها لمعالم النظام الاقتصادي تخفي وراءها ايدولوجيا صارخة تعبر عن رؤية أحادية تحاول صهر جميع النشاطات الاقتصادية في فضاء واحد.

(2) إن بنودا عديدة تضمنتها هذه المؤسسات لا تأخذ بالاعتبار الخصوصيات الاقتصادية

للدول الضعيفة بل عكس ذلك فهي تفرض شروطها على الدول ذات الاقتصاد الهش.

(3) إن ما تضمنته قواعد وشروط هذه المؤسسات، لا تخدم إلا مصالح الكبار من الأشخاص والشركات، وهم أصحاب القوة والنفوذ واليد الطويلة في تحريك دواليب الاقتصاد.

اما الشركات المتعددة الجنسيات فتمثل الشرايين المغذية للنظام الاقتصادي العالمي و ذلك بممارساتها الاحتكارية للتجارة الدولية، و بتحكمها للسيولة النقدية، و سيطرتها على الوسائل و التقنيات الحديثة كل هذا جعلها تتحكم في التجارة العالمية و بالتالي تسيطر على النظام الاقتصادي.

فالعولمة هي أحدث أشكال النظام الرأسمالي الدولي والذي قام وما زال يعمل من أجل خدمة مصالح القوى الرأسمالية من دول ومؤسسات ضخمة متعددة القوميات، وأهم هذه المصالح موجودة في الولايات المتحدة الامريكية، و بيد الشركات الأمريكية، ومن خلال هذا المنظار فإن العولمة ليست سوى الشكل الجديد أو الأكثر حداثة للاستعمار بمفهومه الاقتصادي العام.

الاساس العلمي والتقني

إن الكشوف العلمية التي فتحت في بداية هذا القرن آفاقا جديدة تماما على صعيد البحث العلمي وتطبيقاته، مثل نظرية النسبية ونظرية

الكوانتا، والتي توجت باكتشاف كثير من الاجهزة كالراديو والتلفاز والتلغراف والهاتف، ومختلف الوسائل التي استعملت في الاتصال ، إن هذه الكشوف والتطبيقات العلمية الهائلة، التي شهدتها القرن الاخير كانت امتدادا مباشرا لذلك التحول الذي عرفته العلوم، وبكيفية خاصة الرياضيات والفيزياء والمنطق، كما كانت في نفس الوقت، تمهيدا للثورة المعلوماتية التي اجتاحت كل ميادين الواقع والوعي، حيث اصبحت المعلومات هي المحور الذي يتحكم في السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية هذه التحولات المذهلة بكل ميادينها ترتبط بمفاهيم وعلاقات جديدة، إنها تحركت وفي الوقت ذاته ولدت مفاهيمها وعلاقاتها ولغتها وأسئلتها وصعوباتها المتجددة ، وأنتجت بصورة غير مباشرة ظاهرة تسمى بالعولمة.

الاساس الايديولوجي

ان العولمة تركز على ايديولوجية جديدة منمقة تهدف الى زيادة سيطرة القوى الغربية اقتصاديا على بقية شعوب العالم . وأكثر من ذلك فهي تعني حاجيات طبقة محدودة من عمالقة المال و الإعلام و الاقتصاد، الذين يستعملون رأس المال ويستغلون المعلومات ليهيمنوا بهما على العالم، و يديرون بهما مقدراته. و أغلب صور الهيمنة هذه متأتية من الولايات المتحدة الأمريكية بفضل شركاتها العابرة للحدود و هيمنتها الإدارية على صندوق النقد الدولي، و البنك الدولي، و هذه المؤسسات هي التي تؤثر في حركة المال ، و كمية النقد و سعر صرفه ، وتنظيم الإنتاج و التحكم في مختلف الميزانيات.

و خلاصة ما سبق فان نظرية " أمركة العالم " تفسر بكل وضوح ما يدور في عالم اليوم من صور الهيمنة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية على العالم ، بالإضافة الى سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى توظيف العولمة لمصلحتها، هذا من جهة. و من جهة أخرى تمكنها فعلا من فرض هيمنتها على العالم عن طريق السيطرة و تعميم النموذج الأمريكي على جميع أوجه النشاطات الاقتصادية و السياسية و الثقافية، وما يعزز ما سبق قوله هو اتفاق بعض الزعماء الامريكيين على تجسيد الزعامة الامريكية للعالم وقيادته جاء عن "جورج بوش" في أوائل التسعينات "إن القرن القادم ينبغي أن يكون أمريكيا". و قول نكسون "يجب على أمريكا أن تقود العالم" ، و قول روزفلت في الأربعينات " إن قدرنا هو أمركة العالم. إن العولمة الحالية تحاول إعادة صياغة العالم وفق المقاييس الأمريكية كما أنها تجلي الهيمنة الأمريكية لكن هذه الهيمنة لا تستمر في السنوات القادمة بالنظر إلى المعطيات الاقتصادية المتاحة والتي ترجح قيام قوى اقتصادية مؤثرة في صيرورة العولمة وستظهر في الصين والهند والبرازيل.

- ولعل من أهم نتائج هذا البحث ما يلي:
- إن العولمة عبارة عن عملية مستمرة تشمل مجالات السياسات والاقتصاد والثقافة والاتصال.
 - تأخذ العولمة الطابع العالمي (بالرغم مما لها وما عليها)، وذلك على اعتبار أن كل مكوناتها لا تراعي الحدود الجغرافية للدولة القطرية، وشموليتها تصيب كل المجالات الحيوية للإنسان، حيث تتجلى العولمة في المجالات الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية.
 - العولمة الاقتصادية هي استمرار للنظام الرأسمالي.
 - اعتماد العولمة على آليات اقتصادية وارتكازها على مؤسسات مالية لتحقيق أهدافها.
 - بروز دور الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية في التحكم في مسار الاقتصاد العالمي.
 - الاعتماد على المعطيات التكنولوجية، والاستناد إلى التطور العلمي، والتكنولوجي. للعولمة أليتها الفاعلة تتمثل أساساً في تكنولوجيا المعلومات والشبكات المعلوماتية المتعددة الخدمات. والمتحكم في هذه الآليات التكنولوجية يعد مفتاح المشاركة في النظام الحالي للعولمة.
 - تتحرك العولمة وفق أيديولوجيا تركز عليها، لا جدال في أن العولمة هي نتاج الرأسمالية العالمية المعاصرة التي عممت صورتها.

وأخيراً أقول: إن الدراسات المتعلقة بالمستقبل، أصبحت تشغل بال الفلاسفة وعلماء الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة في مختلف الجامعات ومراكز البحث في العالم أكثر من أي وقت مضى. وإن البحث في موضوع العولمة الاقتصادية ليس أمراً يسيراً، لقد أصبح الباحثون يستشرفون المستقبل باحثين عن بدائل احتمالاته وإعداد العدة للتعامل معه. **ومهما كانت النتائج التي توصلنا إليها فإنها لا تحيط سوى بجانب بسيط من الموضوع، ويبقى الباب مفتوحاً أمام الباحثين لمعالجة الجوانب الخفية التي تلامس اهتمامات الناس وتعالج واحدة من أهم قضايا العصر.**

التوصيات

إن العولمة بوصفها لحظة من لحظات الرغبة في تكريس الهيمنة الغربية من خلال النموذج الأمريكي من جهة، ولحظة من لحظات افتقار هذا النموذج قدرته على الهيمنة الكاملة على الآخرين ، ستصبح وبالأعلى على الغربيين قبل غيرهم، وذلك بحكم الخلل الذاتي الذي يعتورها، وبحكم وعي العالم ويقظته وتحركه ضمن جمعيات (مناهضة العولمة الحالية) باتجاه نماذج أخرى للحياة، وبحكم ما وفرتة العولمة من شروط نفسية وثقافية واجتماعية وتقنية وعلمية واقتصادية وسياسية تساعد على السير قدما باتجاه العالمية بوصفها تحولا طبيعيا للوعي الإنساني البشري وللحضارة البشرية إلى أفق أكثر كونية . وعليه فاننا نتنبأ بتحول العالم إلى مرحلة تعدد الأقطاب المتكافئة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً أي عندما يصبح هناك قطب أوربي وقطب ياباني وآخر صيني وربما أقطاب أخرى وعلى مستوى من الندية مع الولايات المتحدة الأميركية التي تعتبر أحد أهم هذه الأقطاب في مواقع الهيمنة الرأسمالية. فاننا نوصي بما يلي:

- لا بد من التخلص من الهيمنة الخفية للعولمة الاقتصادية ومحاولة التكيف مع الواقع العملي الذي فرضته التحولات الحديثة عن طريق:
- **نشر الوعي الكافي بشأن العولمة قصد استشراف مستقبلها.**
- **توسيع مساحات الاستقلال الذاتي بالاعتماد على النفس .**

- تعزيز القدرات المعرفية والتقنية.
- امتلاك العدة الكافية لمواجهة التحديات المختلفة التي تفرضها.
- التعامل مع المؤسسات الاقتصادية العالمية وفق المعايير الصحيحة التي تخدم مصالح الشعوب .
- تهيئة الفرص لتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية، بإنشاء السوق الإسلامية المشتركة.
- حماية حقوق الانسان والأقليات .
- توزيع الثروات بالعدل .
- التداول على السلطة سلميا بمشاركة الجميع في صناعة القرار.
- امتلاك سلاح العلم وبناء المخابر والمراكز والمؤسسات التي تُخرِّج المبدعين والقيادات والنخب والمتخصصين في كلِّ الميادين، فتصبح مجتمعاتنا تحت قيادة وتوجيه العلم والعلماء والخبراء.
- تدعيم البرامج التربوية والتعليمية قصد مساهمة التطورات العالمية باستخدام الوسائل وتقنيات المتاحة عالميا، مع الاهتمام بتشجيع وتمويل ودعم المشاريع العلمية البحثية.
- إعادة بناء البنى الإدارية والاقتصادية والسياسية وفق استراتيجية جديدة تضع في الحسبان خدمة الافراد والمجتمع بالدرجة الاولى.
- بلورة استراتيجية عملية فعّالة للاستفادة من كل الفرص التي توفرها العولمة والعمل على التمكين لمجتمع قادر على مساهمة العولمة.
- تنمية حسن التحصين و الممانعة ، قصد بلوغ مستوى عدم القابلية للانهزام والاستسلام امام ما تفرضه الرأسمالية. وهذا الدور لابد ان تقوم به جماعة المفكرين والمثقفين والأدباء والعلماء .
- تقوية الصمود الثقافي ازاء العولمة التي تعمل على تنميط الأذواق والأعراف، وتدعو الى تعميم النمط الثقافي الاحادي في (السلوك ، الفن ، الاستهلاك ، القيم.....) فلا بد من تأكيد العلاقة الواعية مع الثقافة الفعالة والبناءة، ومحاولة إيصالها لكل أفراد المجتمع.

المصطلحات:

اقتصاد العولمة: مصطلح يطلق على الاقتصاد الذي فرضته العولمة ، من ملامحه زيادة معدلات التجارة العالمية، وتسارع عمليات تحريرها، وانضمام الدول مع بعضها للعمل المشترك تحت لواء منظمة التجارة العالمية ، وتحريك رأس المال العالمي، وحرية انتقال الأفراد والمعلومات

الخصخصة: هي عملية نقل ملكية مؤسسات إنتاج (أو ترويج) بعض السلع والخدمات من القطاع العام إلى القطاع الخاص. وكثيراً ما يستلزم الأمر القيام بتعديلات دستورية لإلغاء ملكية المجتمع، تلك الملكية العامة المنصوص عليها في الدستور (الثروات الجوفية، الأملاك العامة والمشاعة). بدأت هذه الموجة في إنجلترا في بداية الثمانينات، تحت زعامة **مارغريت تاتشر**، عندما قامت الحكومة ببيع شركات النقل و الاتصالات و البترول و الخدمات للقطاع الخاص. وازدادت قوة هذه الموجة خلال التسعينات، حينما تخلت الدول على التخطيط المركزي

الاستثمار: هو التغير في رصيد رأس المال خلال فترة زمنية محدودة، ولذلك فإن الاستثمار على خلاف رأس المال يمثل تدفق وليس رصيد قائم. وهذا يعني انه في حين يقاس رأس المال عند نقطة زمنية محددة، فإن الاستثمار يمكن قياسه خلال فترة زمنية معينة.

اقتصاد السوق: ينطبق على القرارات التي لا حصر لها والتي يتخذها منتجو السلعة الذين يخلقون العرض، ومستهلكو السلعة الذين يخلقون الطلب، والتي تسهم في تحديد مستوى سعر السلعة. ينطبق مصطلح السوق على قرارات الإنتاج والاستهلاك التي تتخذها المؤسسات والأفراد والتي تسفر مؤثراتها المشتركة عن تعيين سعر السوق للسلعة. تقوم فلسفة السوق كما هو معروف في الاقتصاد السياسي على وجود اقتصاد يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، والتخصص وتقسيم العمل، والتبادل النقدي السلعي على نطاق واسع. و يتيح هذا الاقتصاد حرية التملك والعمل والإنتاج والتحول والتنقل والتبادل، من خلال مؤسساته القائمة وتنظيماته والتشريعات والقوانين النافذة. ويستند إلى مبدأ كمال السوق، وهذا المبدأ يعني سيادة الحالة الطبيعية للسوق، وهي ظروف المنافسة الكاملة كشرط أساسي لعمل آلياته بكفاءة.

الانترنت: هي شبكة تبادل المعلومات العالمية السريعة، في جميع مجالات الحياة العلمية و الطبية و الثقافية و الاجتماعية و الإعلامية، بصفة عامة و المجالات الاقتصادية و التجارية و المالية و السياسية بصفة خاصة، لقد عملت الإنترنت على تغيير أوضاع العالم فأصبح الناس يعيشون في قرية صغيرة و تحول هذا الكوكب إلى مسرح مفتوح على كل الجهات. يمكن لأي واحد أن يتصل بالآخر بالصورة والصوت. و تعمل شبكة الإنترنت على تقديم الخدمات المعلوماتية إلى الجماهير الواسعة من العالم بدون رقابة من الدولة التي يعيش فيها الأفراد، كما تمكنهم من الوصول إلى أي مكان من العالم دون إذن من الدولة و دون تذكرة سفر.

البرغماتية: البرغماتية كلمة يونانية (progma) وتعني العملية والواقعية، واقتبس الرومان هذا المصطلح واستخدموا عبارة (progmaticus) وتعني المتمرس، وأول من استخدمها كتعبير فلسفي، الفلاسفة الأمريكيون: ووليامس جيمس 1842-1910 ، شارل بيرس 1840-1914 ، وجون ديوي 1854-1952. والبرغماتية كمصطلح سياسي فلسفي و تعني تفسير معاني الأفكار وفق النتائج المترتبة عليها، لا وفق المبادئ العامة، وهي عكس الميتافيزيقية والمثالية. ووفق هذه الرؤيا فان البرغماتية تركز على النتائج المترتبة على مقدمات الأفكار، وتوجه الفكر نحو الحركة ونحو المستقبل، وتجد البرغماتية جذورها في أفكار ومذاهب شتى، مثل فكرة العقل العملي، وفكرة البقاء للأصلح، وفكرة ربط الانسان بالواقع وشده نحو عالمه الأرضي. ووفقا للفلسفة البرغماتية، فان الحقائق متغيرة ونسبية، ولا وجود للحقائق المطلقة، والفكر الذي يحقق منفعة هو الفكر الصحيح، والمستقبل مفتوح أمام الخلق والإبداع والإضافات الجديدة.

البنك الدولي: هو مؤسسة مالية ومتعامل مصرفي أنشئت سنة 1945، و بدأ النشاط بها في جوان 1946، و كانت الحاجة الماسة لإنشاء هذا البنك هي توفير رأس المال الوفير لإعادة بناء و تعمير ما دمرته الحرب العالمية الثانية . وهو أساس مجموعة البنك العالمية يتوفر البنك على خمس مؤسسات وثيقة الترابط وهي:

- البنك الدولي للإنشاء والتعمير
- المؤسسة الإنمائية الدولية
- هيئة التمويل الدولية.
- وكالة ضمان الاستثمار المتعدد الأطراف
- المركز الدولي لتسوية منازعات الاستثمار .

التجارة الالكترونية: تعرف التجارة الالكترونية بأنها " مجموعة المعاملات الرقمية المرتبطة بأنشطة تجارية بين المشروعات بعضها البعض، وبين المشروعات والأفراد، وبين المشروعات والإدارة" ويتوسع هذا المفهوم ليشمل كافة أوجه النشاط الالكتروني للتجارة ما بين الأفراد و المؤسسات والإدارة، وتشمل التجارة الالكترونية أنشطة إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها وتسويقها وبيعها أو تسليمها للمشتري من خلال الوسائط الالكترونية.

التضخم: هو تخفيض قيمة النقد، يكون هناك تضخم عندما تزداد كمية النقد التي يتداولها الناس بسرعة أكبر من تزايد السلع التي يستطيعون شراءها، او عندما يريد الناس أن يستهلكوا أكثر مما يشتغلون. من أكبر آثار التضخم هو أنه مع اشتداد موجة الغلاء تفقد النقود إحدى وظائفها، وهي كونها مقياسًا للقيمة ومخزنًا لها، فكلما اشتدت موجة الغلاء انخفضت قيمة النقود مما يسبب اضطرابًا في المعاملات بين الدائنين والمدينين، وبين البائعين والمشتريين، وبين المنتجين والمستهلكين، وتشيع الفوضى داخل الاقتصاد المحلي، وإذا حدث ذلك فقد يتخلى الناس عن عملة بلدهم، ويلجئون إلى مقاييس أخرى للقيمة.

التقنية: يقصد بالتقنية "وسيلة تطبيق الاكتشافات أو الأساليب العلمية أو المعرفة المنظمة لإنتاج أدوات معنية، ونفهم من هذا أن ثورة الاتصالات اعتمدت على أساسين بارزين هما المعطيات العلمية من جهة، والوسائل التقنية التي تساهم في إنتاج هذه المعطيات.

ثورة الاتصالات: الثورة الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات التي قربت المسافات، واختصرت الأزمنة وجعلت العالم قرية واحدة ويعتبر مجال الاتصال من المجالات التي ولد فيها ما يعرف باقتصاد المعلومات، وهو العلم الذي يتخذ من شبكات المعلومات والاتصالات اللاسلكية أدوات لتقدمه، وله القدرة الكافية على تجاوز عائق المكان من خلال الشركات متعددة الجنسيات، وتكامل الاقتصاديات الإقليمية.

الثورة المعلوماتية: وتسمى الثورة الرقمية، في عام 1962 نحت فيليب درايفوس عبارة معلوماتية (Informatique من كلمة معلومة (Information) وكلمة آلية (Automatique). ليدل على العلم الذي تقوم عليه هذه التقنية (هندسة الحاسوب أو Computer science).

الحداثة: اتجاه فكري تخص الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على حد سواء، وهي بهذا المفهوم الاصطلاحي اتجاه جديد يشكل ثورة كاملة على كل ما كان وما هو كائن في المجتمع.

الحرية: فلسفيا هي حالة التحرر من القيود التي تكبل الإنسان وإنتاجه سواء كانت قيودا مادية أو قيودا معنوية ، فهي تشمل التخلص من التبعية لشخص أو جماعة ، والتخلص من الضغوط المفروضة على شخص ما لتنفيذ غرض ما ، أو التخلص من الإكراه والفرص .

اما سياسيا فالحرية أيضا إحدى أهم قضايا الشعوب وهي من أهم الأوتار التي يعزف عليها السياسيون ، فالكل يطمح لاستقلال بلاده وأن يكون شعبه حرا في اتخاذ القرارات لمصلحة الشعب أو الجماعة أو المجتمع الذي ينتمي إليه .

الديمقراطية: إن الديمقراطية في نظرنا هي منهج تقتضيه ضرورات الحياة يعتمد على مبادئ و مؤسسات تحقق بها الدولة مصالح الشعب، وخاصة استقراره الاقتصادي والسياسي إن الديمقراطية كما نجد تعريفها في التراث الإغريقي " تعني حكم الشعب " وهو تعريف مثالي في نظرنا لأنه لم يتحقق في التاريخ، ولا يمكنه أن يتحقق في المستقبل لأنه حتى في الدول الأكثر تقدما في مجال

الديمقراطية لم يتحقق حكم الشعب بصورة كلية، فلا يخل مجتمع من المعارضة لكن الحد الأدنى الذي اكتسبته الدول المسماة ديمقراطية هو حكم الكثرة (Polyarchy) الذي يسعى إلى الاقتراب من حكم الشعب، وهذا بفضل نشر الثقافة الديمقراطية، واتساع دائرة المشاركة السياسية في صناعة القرار، و سعي المؤسسات من أجل تنمية المجتمع على كل الأصعدة.

صندوق النقد الدولي: هو وكالة متخصصة من وكالات منظمة الأمم المتحدة، أنشئ بموجب معاهدة دولية في عام 1945، للعمل على تعزيز سلامة الاقتصاد العالمي. ويقع مقر الصندوق في واشنطن العاصمة الأمريكية. أنشئ هذا الصندوق بموجب **إتفاقية بريتون وودز** بنيوهمشير بالولايات المتحدة الأمريكية في 22 جويلية 1944، بحضور 45 دولة من أعضاء في الجات وتجسد بصورة كلية في 27 ديسمبر 1945 بحضور 29 دولة أمضت القرار. وتضم هذه المنظمة المالية 184 دولة عضو تكمن وظيفتها الأساسية في دعم استقرار الصرف، والمحافظة على التدابير المنظمة للصرف بين الدول الأعضاء، وإزالة القيود المفروضة على الصرف الأجنبي، والتي تعوق نحو التجارة الدولية.

الرأسمالية: الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعا في مفهوم الحرية، الرأسمالية هي ثمرة التطور الصناعي و النقلة النوعية في وسائل الإنتاج المتخلفة في العصور السابقة إلى الوسائل المتطورة في العصر الحديث وما تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض.

الشركات متعددة الجنسيات: لقد كانت الشركات المتعددة الجنسيات وراء تفعيل وتشجيع الحركة الاقتصادية المؤدية الى تحقيق أرباح و منافع هائلة وتمحورت مبادلات الشركات العظمى المتعددة الجنسيات حول أربعة قطاعات أساسية (البترو، السيارات، التكنولوجيا العالية و البنوك) جلها من الدول المصنعة المتقدمة، ولكن تعتمد هذه الأخيرة على خلق شبكة معتبرة من الفروع في الخارج، امتدادا لها، وتتضمن تلك الشركات العظمى أكبر حصص المبادلات العالمية، و تحقق 70% من الاستثمارات المباشرة في الخارج باعتبارها ممثلة للنشاط الأساسي لتوسعها.

و تقدم هذه الشركات قدرات فائقة في التسيير، و مهارة جيدة في مجال التحكم التكنولوجي، و إيجاد طرق النفوذ إلى الأسواق العالمية، و لكن يمكن أن تعتمد بالمقابل على الأسواق المحلية. لذا فهي (أي الشركات العظمى) تستفيد من وفرة اليد العاملة الرخيصة في سوق العمل.

ان اول من استخدم تعريف للشركات متعددة الجنسيات فهو R.vernon حيث يقول: "شركة متعددة الجنسيات هي شركة كبيرة لها فروعها الصناعية وتتواجد على الاقل في ستة دول

صراع الحضارات: ترتبط أطروحة " صراع الحضارات "
بمقالة المفكر و السياسي الأمريكي صامويل هنتغتون
و التي تناولتها الأدبيات الصحفية في أمريكا و العالم
قبل أن تصاغ في كتاب موسع بعنوان " صدام
الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي

و تدور الفكرة المركزية لهنتغتون في هذا الكتاب على
فرضية مؤداها أن المعايير الثقافية للشعوب و الأمم
هي التي ستكون سببا في النزعات و الصراعات التي
تحدث في العالم. و لم تعد تتحدد بالعوامل الاقتصادية
أو الادبولوجية .

العالمية: تعني العالمية وهي أطروحة قديمة مرتبطة بحاجة البشر على الدوام إلى إطار يجمعها، " حاجة الإنسانية إلى إطار عالمي جامع يحتضن البشرية في نطاق إنساني أخلاقي و سياسي واحد". ترجع أطروحة العالمية إلى عهد فلاسفة اليونان، فالرواقيون دعوا إلى دولة عالمية حيث دعا زعيمهم " زينون إلى حاضرة عالمية، أو مدينة العالم و يتلخص مبدؤها في أن كل الناس مواطنون إخوة تجمعهم حياة واحدة ونظام واحد للأشياء في ظل قانون الطبيعة الذي يتماشى مع المبادئ الأساسية للعدل والعقل.

التكتل الاقتصادي: ومن أمثلة ذلك تكتل الاتحاد الأوروبي، وتكتل دول النفط، وتكتل دول الآسيان، وتكتل دول الأوبيك. وينظر البعض إلى هذه التكتلات الاقتصادية الإقليمية على أنها خطوة نحو العالمية المطلوبة للتجارة الحرة بين دول العالم. أما في أمريكا فحدثت تكتلات أخرى كاتفاقية " نافتا " أو المنطقة الحرة لأمريكا الشمالية North American Free Trade Area وهي إتفاقية تخص أمور التجارة لأمريكا الشمالية تضم **الولايات المتحدة وكندا والمكسيك** ومن التكتلات الأخرى منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادي، و تم بمبادرة 18 دولة من مختلف الدول، منها **الولايات المتحدة واليابان والصين وماليزيا وكوريا و سنغافورة** وغيرها، ويهدف هذا التكتل لإنشاء منطقة التجارة الحرة .

العولمة الاقتصادية: ومن مظاهر العولمة الاقتصادية أيضا، نجد زيادة التبادل التجاري الحر بين الدول و "حرية التبادل في عمومها أخذت من طرف رجال الاقتصاد أفضل اختيار باعتبارها قضية تتطلبها المنافسة " وفتح أسواق جديدة وزيادة جودة السلع والخدمات، وانخفاض القيود المفروضة على التجارة الخارجية ، واندماج المؤسسات الكبرى في مجال إنتاج السلع والخدمات و ظهور تكتلات اقتصادية كبرى مثل الاتحاد الأوروبي، والنافتا NAFTA بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والآسيان ASEAN بقيادة ماليزيا واندونيسيا، ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة التي تأسست في 30- 9- 1961، وتضم منظمة OCDE ثلاثين عضوا.

العولمة السياسية: إن تقلص المسافات خلق رؤية سياسية جديدة تتجاوز الرؤية القومية، فالجميع يعلمون أنهم يعيشون على كوكب صغير، ما يزال ينكمش بصورة مستمرة، لم تعد مسؤولياتهم، ولا اهتماماتهم محددة، وفقا لخطوط رسمت بشكل عشوائي عبر العالم، فعلى كوكب صغير جدا لم يعد لهم من خيار، إلا أنهم مواطني العالم كله.

العولمة: العولمة تمثل ظاهرة تاريخية متداخلة اشد التداخل، ما زالت قيد التكوين تؤسس لمفاهيم عالمية تؤدي إلى دمج العالم وتوحيده اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وذلك برفع الحواجز والقيود أمام المال والتجارة والاستثمار والتوظيف بآليات تتحكم فيها القوى العظمى وتعبر عن هيمنة الأقوياء وفرض نفوذهم على الأطراف الأخرى من أجل تحقيق مصالحهم المختلفة.

الليبرالية: الليبرالية مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميدانين الاقتصادي والسياسي. و يعتبر الفرد هو المحور الرئيسي لفكرة الليبرالية، اذ الحرية لا ترتبط إلا بالفرد. ويرتبط جوهر الليبرالية بالتركيز على الفرد، مع التحرر من كل سلطان خارجي، و الليبرالية عرفت في النصف الثاني من القرن العشرين و تبلورت الأفكار الليبرالية على يد كثير من المفكرين و الفلاسفة ، ففي جانب السياسي يعتبر **جون لوك** 1632-1704 من أكبر المساهمين في بلورته ، و اقتصاديا كان لأدم سميث أكبر الإسهام في ذلك ، كما ساهمت فلسفة **جان جاك روسو** 1712-1778 و كذلك **جون استوارت ميل** 1806-1873 في بلورة الفكر الليبرالي.

الليبرالية الجديدة: تعود النيوليبرالية في أصلها، كما يشير اسمها (ليبرالية جديدة) إلى الليبرالية. والليبرالية هي ايدولوجيا (وتيار فكري اقتصادي - سياسي) لعب الدور الأساسي في ظهور وتطور الرأسمالية، كنظام اقتصادي واجتماعي وسياسي. والفكرة المركزية في الليبرالية تعتبر أن من شأن السوق، لوحدها فقط، وبدون تدخل أي جهة كائناً ما كانت، أن تؤمن توزيع الثروات والخدمات، وتوفير الاستثمار والتنمية.

مجموعة الدول الصناعية الكبرى: تجمع دولي وناذٍ للكبار، يضم في عضويته سبع دول هي: ألمانيا - الولايات المتحدة الأمريكية - كندا - فرنسا - بريطانيا - إيطاليا - اليابان ، وأصبح يضم ثماني دول بعد انضمام روسيا إليه عام 1998، يعقد اجتماعاته سنوياً لبحث أهم القضايا السياسية والاقتصادية التي تهم هذه الدول، وتنظم علاقاتها البينية، وتقيم العلاقات والمشاكل الاقتصادية الدولية.

المدرسة التجارية: التي جاءت فيما بعد فقد شددت على عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، بل اعتبرت تدخلها مضر بالأفراد، وحصر دورها في الدفاع وتحقيق الأمن وحراسة الوطن.

المدرسة الطبيعية: كانت الفكرة الرئيسية لدى الطبيعيين هي الاعتماد على فكرة القانون الطبيعي، مع التركيز على المذهب الفردي، الذي دعا إليه فلاسفة كبار: "جون لوك" و "دافيد هيوم" و "فولتير" و "جون جاك روسو".

ملتقى دافوس: هو منتدى الاقتصاد الدولي الذي يعقد في منتجع دافوس في الشهر الأول من كل عام ميلادي وهي مدينة صغيرة مرمية في أحضان جبال سويسرا ، يحتضن هذا الملتقى أغنى رجال العالم و رؤساء أكبر شركات الأرض مالا وتجارة، بالإضافة الى الزعماء من رؤساء ووزراء. ومن وجهة نظر سياسية فإن قادة العالم يرون في هذا الملتقى فرصة لهم لأن يضعوا أمام العالم أجندتهم المستقبلية.

منظمة التجارة العالمية: هي منظمة يقع مقرها على شاطئ بحيرة جنيف السويسرية أنشئت عام 1995م، وحلت محل اتفاقية **الجات**، لتعمل على تحويل الاقتصادات المحلية المغلقة على ذاتها، إلى اقتصاديات مفتوحة على الاقتصاد العالمي،

المواطنة العالمية: مصطلح يقصد به ان الناس في زمن العولمة لم تعد المواطنة لديهم محدودة في اوطانهم بل استطاعت ثورة المعلومات ووسائل الاتصال ان تربط الافراد بالصوت والصورة مما يجعلهم متقاربين وكأنهم يعيشون في وطن واحد هو العالم.

النظام الدولي الجديد: قد شاع استخدامه في أعقاب حرب الخليج الثانية، اثر تبني إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش لهذا المفهوم، وقيام الدوائر السياسية والأكاديمية والإعلامية الأمريكية بالترويج والتبشير به، مضفية عليه مسحة وصيغة إنسانية وأخلاقية، وربطه بجملة من القيم والمبادئ العليا في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان

نهاية التاريخ: " مصطلح يشير الى سيادة قيم الحضارة الغربية، وانتصار الديمقراطية الغربية ويعتبر **فرانسيس فوكوياما** من اكبر المروجين لهذه الفكرة عندما اشار إلى إن البشرية قد وقع اختيارها على النظام الرأسمالي مسلكا وحيدا في سبيل التقدم والرفي وهو ما يعني انتصار الغرب على غيره من الأمم الأخرى.

السيادة: كلمة السيادة لغة لها اصل في اللاتينية الكلاسيكية "superus" وتعني الحق المطلق في ممارسة السلطة السياسية دستوريا وقضائيا وعلى الرغم من تعدد التعريفات التي يوردها الباحثون لمفهوم السيادة الوطنية، فإن بينها جميعا قاسما مشتركا يتمثل في النظر إلى السيادة باعتبارها السلطة العليا للدولة في إدارة شئونها، سواء كان ذلك داخل إقليمها أو في إطار علاقاتها الدولية، وبالتالي فإن السيادة تشير إلى معنيين أحدهما إيجابي ويشير إلى قدرة الدولة -كوحدة سياسية مستقلة- على التصرف بحرية كاملة ودون أي قيود تفرض عليها، والآخر سلبي يقوم على عدم إمكانية خضوع الدولة لأي سلطة غير سلطتها.

الانفتاح الثقافي: الانفتاح الثقافي يعني به التفاعل الثقافي (الاخذ والعطاء) على أساس الاحترام، واستغلال جميع الفرص التي تتيحها العولمة من أجل تجديد الثقافات بجعلها حية، ومعطاءة وإبراز الخصوصيات بشكل تفاعلي، لا يلغي الآخر في ثقافته.

ولعل التطورات التقنية الحاصلة على مستوى الاتصال و المعلومات ، تساعد على تقارب الثقافات مع بعضها، وهو ما يعمق الوعي الحضاري عند كل الشعوب ويجعلها أكثر قرباً من بعضها . لكن من سلبيات هذا الانفتاح الثقافي تحوله إلى هيمنة ثقافة على أخرى بإلغائها، أو إزاحة خصوصياتها.

الاعلان العالمي لحقوق الانسان: يرتبط موضوع حقوق الانسان اشد الارتباط بالعلومة ، وقد يكون الترويج للعلومة وراء الادعاء أنها حامية لحقوق الإنسان، فقد دعمت العولمة هذه الحقوق بدرجة كبيرة التطور الحاصل على المستوى التكنولوجي حيث أدى انتقال المعلومات من شخص الى آخر عبر بفضل الإنترنت إلى انتقال أخبار الانتهاكات في كل مكان تقع فيه، مما جعل الناس أمام سمع و مرأى من بعضهم البعض كما أن حقوق الإنسان بلغت مستوى متقدم بفضل تشابك مجموعة من المنظمات و الجمعيات المدافعة عن حقوق الإنسان، و التي تعمل على مواجهة الانتهاكات المحلية و مساندة الإنسان حيثما كان.

تكنولوجيا الاتصال على أنها "مجموع التقنيات أو الادوات أو الوسائل أو النظم المختلفة التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي أو الجمعي أو الواسطي، و التي يتم من خلالها جمع المعلومات و البيانات المسموعة أو المكتوبة أو المصورة أو الرسومية أو المسموعة المرئية أو المطبوعة أو الرقمية "من خلال الحاسبات الالكترونية"،

الحاسوب : ويقال له الكمبيوتر، هو جهاز يقوم بمعالجة المعلومات وفق إجراء محدد. صرّفياً، والحاسب أو الكمبيوتر هو عبارة عن جهاز مصمم لمعالجة البيانات وذلك طبقاً لمجموعة كبيرة من التعليمات و الاوامر، يتكون الحاسوب من قسمين رئيسيين هم العتاد والبرمجيات و يقومان معا في تأدية وظيفة محددة جدا.

الإحتكار Monopoly : الإحتكار هو سيطرة شخص أو مجموعة من الأشخاص على إنتاج سلعة أو تقديم خدمة معينة يحتاجها الأفراد والجماعات حاجة ماسة، والمحتكر للسلعة أو الخدمة هو الذي يحدد السعر وكمية ونوعية الإنتاج

المواقع الالكترونية المهمة التي تم الاستناد اليها في فهم بعض الجوانب المرتبطة بالبحث.

منظمات مقاومة للعولمة:

اصدقاء العالم الدبلوماسي www.amis.monde-diplomatique.fr

ATTAC www.attac.org منظمة اطلاق

لجنة الغاء ديون العالم الثالث <http://users.skynet.be/cadtm>:

المركز الكندي للسياسات المتعاقبة www.policyalternatives.ca

مركز البحث حول العولمة <http://globalresearch.ca>

مراقبة التجارة العالمية www.citizen.org/trade

فريق البحث عن السلم والأمن www.grip.org

المنتدى العالمي للعولمة <http://www.ifg.org>

منظمة اوكسفام التضامنية <http://www.oxfamsol.be>

مركز الجنوب <http://www.southcentre.org>

شبكة العالم الثالث <http://www.twinside.org.sg>

الشركات متعددة الجنسيات <http://www.transnationale.org>

حركة التنمية العالمية www.wdm.org.uk

مؤسسات دولية:

ANASE-ASEAN - <http://www.aseansec.org>

البنك العالمي Banque Mondiale - World Bank - <http://www.worldbank.org>

CCNUCC- UNFCCC - <http://www.unfccc.org>

CNUCED - UNCTAD - <http://www.unctad.org>

البرلمان الاوربي <http://www.europarl.eu.int>

صندوق النقد الدولي FMI - IMF - <http://www.imf.org>

G-8 - <http://www.g7.utoronto.ca>

OCDE - OECD - <http://www.oecd.fr>

OIF - <http://www.francophonie.org>

PNUE-UNEP - <http://www.unep.org>

UNESCO - <http://www.unesco.org>

UNICEF - <http://www.unicef.org>

WTO – OMC - <http://www.wto.org>

لوبيات مؤيدة للعولمة:

ICC - International Chamber of Commerce

<http://www.iccwbo.org>

UNICE - European Employers' Confederation

<http://www.business-cohesion.org>

WEF (World Economic Forum – Forum économique mondial – DAVOS)

<http://www.weforum.com>

المصادر

والمراجع

المصادر والمراجع العربية المصححة أ - الكتب:

1. القرآن الكريم .
ابراهيم العيسوي، التجارة الالكترونية، الطبعة الاولى، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2003.
2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء الثالث، دار صادر ودار بيروت، بيروت لبنان، 1965.
3. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، الطبعة السابعة 1989.
4. أبو راشد عبد الله ، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطي. حذور، خلفيات، تحديات. الطبعة الأولى، دار الحوار اللاذقية سوريا، 1999.
5. أحمد العربي المشرقي، حقيقة العولمة ، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق سوريا، الطبعة الاولى 2003.
6. أحمد بدر، المدخل الى المعلومات و المكتبات ، دار المريخ، الرياض 1985.
7. أحمد خالد العلجوني، التعاقد عن طريق الانترنت ، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، عمان، 2002.
8. إدريس خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983.

9. إسماعيل صبري ، العولمة : هيمنة في المحالات الاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية. دار جهاد للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 1999.
10. أليسون جاغار، ر. راداكريشنان، ليندا كينتزر، ثاني مارلو. الدرجة صفر للتاريخ، أو نهاية العولمة، ترجمة عدنان حسن، الطبعة الأولى. دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية 2004.
11. انعام رعد ، الصهيونية الشرق اوسطية والخطة المعاكسة ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت 1979.
12. باسم علي خريسان، العولمة والتحدي الثقافي ، دار الفكر العربي، الطبعة الاولى سنة 2001.
13. بشير عباس العلاق، تطبيقات الانترنت في التسويق، الطبعة الاولى ، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، 2003.
14. بنيامين باربر ، عالم ماك: المواجهة بين التأقلم والعولمة، ترجمة أحمد محمود، إصدارات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1998.
15. بول كندي ، الاستعداد للقرن الواحد والعشرين ، ترجمة محمد عبد القادر غازي مسعود، دار الشروق ، عمان 1993.
16. بيتر إل. برغر و سامويل، بي، هنتغتون، عولمات كثيرة، التنوع الثقافي في العالم المعاصر، تعريب: د فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004.
17. توينبي (أرنولد)، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، الجزء الأول.
18. جاك دونللي، حقوق الإنسان العالمية، بين النظرية والتطبيق. ترجمة مبارك علي عثمان. مكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة الأولى 1998.
19. جان ادوارد سبنله ، الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه ، ترجمة تيسير شيخ الأرض، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، 1968م.
20. جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية ، ترجمة ناجي الدراوشة ، وزارة الثقافة، دمشق، الجزء الأول، 1984 .
21. _____ ، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة على مقلد، بيروت 1983.
22. جعفر حسن عتريسي، العولمة والعالم، إدارة وأدوات ، دار الحجة البيضاء بغداد، الطبعة الأولى 2001.
23. جلال أمين ، العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون الى جولة الاورغواي ، 1898- 1998، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان الطبعة الاولى، 1999.
24. _____ ، العولمة والدولة ، مركز الدراسات العسكرية، سلسلة كتب في كتاب، دمشق 2000.
25. جورج نهايز ، النظرية الاقتصادية، الإسهامات الكلاسيكية 1820- 1980. ترجمة، صقر أحمد صقر. المكتبة الأكاديمية 1997- الطبعة الأولى- القاهرة.

26. **جوزيف س. ناي، جون د. دوناھيو** الحكم في عالم يتجه نحو العولمة ، ترجمة شريف الطرح، مكتبة العبيكان، الرياض الطبعة الأولى، 2002.
27. **حسن حنفي وصادق جلال العظم** ، ما العولمة. دار الفكر، سوريا سلسلة حوارات لقرن جديد الطبعة الاولى 1999.
28. **حسين عمر**، تطور الفكر الاقتصادي، الكتاب الأول، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1994.
29. **حمدي عبد العظيم**، اقتصاديات التجارة الدولية، الطبعة الثانية، عالم الغد للنشر، مصر، 2000.
30. **خلف محمد الجراد**، معضلات التحزئة والتأخر وأفاق التكامل والتطور منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998.
31. **راسم محمد الجمال**، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى، سنة 1991.
32. **رزق الله هيلان**، مقدمات اقتصادية لعصر ينتهي ، دار الحصاد، دمشق، الطبعة الاولى 1998.
33. **رفعت السيد العوضي** ، التكامل الاقتصادي الإسلامي مقومات ونتائج أعماله في الدعوة الإسلامية، دار المنار القاهرة، الطبعة الاولى / 1409 هـ - 1989 .
34. **—** ، التكامل الاقتصادي الإسلامي مقومات ونتائج أعماله في الدعوة الإسلامية، دار المنار القاهرة، الطبعة الاولى / 1409 هـ - 1989 .
35. **روجه غارودي** ، العولمة المزعومة، الواقع ، الحذور، البدائل. تعريب محمد السبيطلي ، دار الشوكانى للنشر و التوزيع، صنعاء، 1998م.
36. **ريتشارد نيكسون** ، الفرصة السانحة، ترجمة احمد صديقي مراد، القاهرة ، دار الهلال 1992.
37. **زيجينيو بريجينسكي**، الفوضى، الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة مالك فاضل، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 1998.
38. **سعاد خيري** ، العولمة وحدة وصراع النقيضين ، عولمة الرأسمال والعولمة الانسانية، عام 1999.
39. **سلامة كيلة**، العولمة الراهنة ، آليات إعادة إنتاج النمط الرأسمالي العالمي، التمدد الرأسمالي ومصير الدولة والأمة، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 2003.
40. **سمير أمين**، من بعد الرأسمالية ، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (9)، بيروت، الطبعة الاولى ، سنة 1988.
41. **سمير أمين**، إمبراطورية الفوضى، ترجمة **سناء ابو شقرا**، دار الفرابي، بيروت، 1991.
42. **سمير صارم** ، معركة سياتل حرب من اجل الهيمنة ، دار الفكر، دمشق ط 2000.
43. **سمير كرم** ، الشركات المتعددة الجنسية، بيروت، معهد الإنماء العربي 1976.

44. **سمير مرقص**، الإمبراطورية الأمريكية: ثلاثة الشروة... الدين...
القوة- من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11 سبتمبر- الطبعة الأولى 2003-
مكتبة الشروق الدولية.
45. **سيار الجميل**، العولمة والمستقبل، استراتيجية تفكير، الأهلية
للنشر والتوزيع ط1، سنة 2000.
46. **السيد ولد أباه**، اتجاهات العولمة، إشكالات الألفية الجديدة، الطبعة
الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2001.
47. **سيف سعيد**، الوجود الامبريالي في الشرق الأوسط، مظاهره
ومخاطره، جوان دمشق، 1986.
48. **صابر فلحوط**، محمد البخاري، "العولمة والتبادل الإعلامي الدولي"،
منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى 1999 دمشق
49. **صلاح عباس**، العولمة وآثارها في البطالة والفقر التكنولوجي في
العالم الثالث. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى. 2004
50. **عادل المهدي** العلاقات النقدية الدولية، جهاز نشر وتوزيع الكتاب
الجامعي، جامعة حلوان، سنة 2000
51. **عادل المهدي**، "عولمة النظام الاقتصادي العالمي و منظمة التجارة
العالمية"، الدار المصرية اللبنانية، طبعة سنة الثانية 2004
52. **عامر ابراهيم قنديلجي**، **ايمان فاضل السمراني**، تكنولوجيا
المعلومات وتطبيقاتها، الطبعة الاولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع،
عمان 2002.
53. **عبد الحق الشكري** التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، كتاب
الأمة رقم (17)، ط1 / 1408 هـ الدوحة، قطر.
54. **عبد الحي زلوم**، نذر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
لبنان، الطبعة الثانية، سنة 2000
55. **عبد الفتاح التميمي**، **عماد محمد أبو عيد**، شركات الحاسوب و
الانترنت خطوة...خطوة، الطبعة الاولى، دار اليازوي العلمية للنشر
والتوزيع، عمان 2002.
56. **عبد الكريم بكار**، العولمة، طبيعتها، ووسائلها، تحدياتها، التعامل معها. الطبعة
الأولى، دار الاعلام للنشر والتوزيع، عمان 2000.
57. **عبد اللطيف حمزة**، "الإعلام له تاريخه ومذاهبه"، دار الفكر
العربي، دون ذكر مكان الطبع ولا السنة
58. **عبد المالك رومان الدناني**، الإعلام العربي وتحديات العولمة،
دراسة في النموذج البث الفضائي، بغداد، العراق 2004.
59. **عبدالله عثمان التوم**، **عبد الرؤوف محمد ادم**، العولمة دراسة
تحليلية نقدية، الطبعة الاولى، دار الوراق، لندن 1999.
60. **عزت السيد احمد**، انهيار مزاعم العولمة قراءة في تواصل
الحضارات وصراعاها، منشورات اتحاد الكتاب العرب عام 2000
61. **غازي حسين** - الشرق الاوسط الكبير بين الصهيونية العالمية
والامبريالية الامريكية منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005.
62. **فتحي ابو الفضل** "التجارة الخارجية"، القاهرة، دار الحقوق
للنشر، 1991.

63. **فرانسيس فوكوياما** ، نهاية التاريخ ، ترجمة حسين الشيخ، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان الطبعة الاولى 1993.
64. **فرانسيس فوكوياما** ، نهاية التاريخ وخاتمة البشر ترجمة حسين أحمد أمين-مركز الأهرام للترجمة والنشر- القاهرة. ط 01-1993.
65. **فهمي جدعان** ، الطريق إلى المستقبل، بيروت ، 1996
66. **قاسم حجاج**، العالمية والعولمة: نحو عالمية متعددة وعولمة إنسانية ، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر. ط 2003.
67. **قذافي قلعجي** ، أمريكا وغطرسة القوة ، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، سنة 1987 .
68. **كارل بوبر** ، بحثا عن عالم أفضل ترجمة احمد مستجير الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1999
69. **كامل أبو صقر** ، العولمة التجارية و الإدارية والقانونية، رؤية إسلامية، دار الوسام 2001.
70. **كامل بكري، أحمد مندور**، علم الاقتصاد، الدار الجامعية ، بيروت ، 1989
71. **كريستيان بالو**، الاقتصاد الرأسمالي العالمي: "المرحلة الاحتكارية والإمبريالية الجديدة" ترجمة- عدل عبد المهدي، دار ابن خلدون، بيروت، لبنان، طبعة الثانية. 1980
72. **كمال عبد الغني المرسي**، العلمانية والعولمة والأزهر ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1999.
73. **ماركس وانجلز**، رأس المال، المجلد الأول مجموعة النيل العربية، الطبعة الأولى سنة 2000.
74. **محسن احمد الخضير**، مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، الطبعة الأولى، مجموعة النيل العربية ، 2000.
75. **محمد ابراهيم أبو الهيجاء**، التعاقد بالبيع بواسطة الانترنت، ط 1، الدار العلمية الدولية ومكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
76. **محمد الأمين الشنقيطي** ، التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
77. **محمد الحسن** ، تحليلات فكرية في زمن العولمة، دار الاتحاد للنشر، تونس، الطبعة الاولى 2002.
78. **محمد حسنين هيكل** ، الانفجار، مركز الاهرام للترجمة والنشر - القاهرة 1990
79. **محمد حسين ابو العلا**، دكتاتورية العولمة قراءة تحليلية في فكر المثقف ، مكتبة مدبولي، القاهرة الطبعة الاولى 2004
80. **محمد دويدار**، مبادئ الاقتصاد السياسي، تاريخ علم الاقتصاد السياسي دار الجامعة الجديدة للنشر الإسكندرية 1999.
81. **محمد صالح الحناوي وآخرون**، مقدمة في الأعمال في عصر التكنولوجيا، الدار الجامعية، طبع ونشر و توزيع الاسكندرية 2004.
82. **محمد عابد الجابري** مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1995 .
83. العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، العدد 228، سنة 1998.

84. _____ ، قضايا في الفكر المعاصر (العولمة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1997.
85. **محمد علي القوزي**، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2002.
86. **محمد علي حوات**، العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى-2002.
87. **محمد لبیب شقير**، تاريخ الفكر الاقتصادي القاهرة 1956.
88. **محمد منير سعد الدين** "الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والإسلامي" العروس لطباعة والنشر، بيروت 1998
89. **محمد نبيل جامع**، اجتماعيات التنمية الاقتصادية لمواجهة العولمة وتعزيز الأمن القومي . دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة 2000.
90. **محمود خالد المسافر**، العولمة الاقتصادية هيمنة الشمال والتداعيات على الجنوب بيت الحكمة، بغداد ، الطبعة الاولى 2002
91. **محيى محمد مسعد** ظاهرة العولمة ، الأوهام والحقائق ، مكتبة الإشعاع
92. **مراد شلباية**، علي فاروق، مقدمة إلى الانترنت، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2001
93. **مصطفى حمدي**، العولمة آثارها ومتطلباتها ضمن كتاب العولمة الفرص والتحديات إدارة البحوث والدراسات، أبو ظبي 1998.
94. **مصطفى رشدي شيحة** ، "اتفاقات التجارة العالمية في عصر العولمة" ، دار الجامعة الجديدة ، الإسكندرية ، 2004
95. **مصطفى طلاس**، ملف العولمة ، مركز الدراسات العسكرية، دمشق 2000.
96. **منير محمد الجنيهي**، التبادل الإلكتروني للبيانات، دار الفكر الجامعي للنشر، الاسكندرية 2004.
97. **مهدي فضل الله**، فلسفة ديكارت ومنهجه، نظرة تحليلية ونقدية ، دار الطليعة، بيروت الطبعة الثانية 1986.
98. **الموسوي ضياء** ، النهج الامبريالي للعالم الإسلامي، حقائق وأوهام ، الطبعة الأولى طهران 1404 هـ .
99. **ميشال بينو موردان** " أمريكا المستندة، الولايات المتحدة و سياسة السيطرة على العالم ترجمة **حامد فرزات** منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق.
100. **ميشال كابرون** (تحت اشراف) اوربا في مواجهة الجنوب، العلاقات مع العالمين العربي والإفريقي . ترجمة أديب نعمة . دار الفرابي بيروت. لبنان الطبعة الاولى 1992
101. **نبيل علي** ثورة المعلومات : الحواش التقنية (التكنولوجيا) ندوة " العرب و العولمة " . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.
102. **نسمة أحمد البطريق**، "الإعلام والمجتمع في عصر العولمة"، دراسة في المدخل الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004
103. **هانتغتون صامويل**، صدام الحضارات ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق بيروت، 1995.

104. **هانس بيرمارتن، هارالدشومان - فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية**، ترجمة **عدنان عباس علي**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة **عالم المعرفة**، العدد 238، أكتوبر 1998.
105. **يحيى اليحياوي، العولمة اية عولمة؟ إفريقيا الشرق، المغرب**، 1999.
106. **يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار القلم، بيروت، لبنان دون ذكر سنة الطبع.
107. **يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية**، دار القلم، بيروت، لبنان دون ذكر سنة الطبع.

ب- المجلات والصحف

108. **أبو بكر محمد الهرش، " تكنولوجيا المعلومات والمستقبل"**، المجلة العربية للتوثيق والمعلومات. عدد 1 أبريل - ماي، تونس 1997.
109. **أبو راشد عبد الله**، " العولمة إشكالية المصطلح ودلالاته في الأدبيات المعاصرة "، مجلة المعلومات الدولية، السنة السادسة، عدد 58، خريف 1998.
110. **أحمد بن عثمان التويجري، " الدين والعولمة " مجلة الإسلام اليوم**، عدد 16/17 السنة 2000 م.
111. **أحمد خالد العلجوني، التعاقد عن طريق الانترنت، الطبعة الأولى**، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2002.
112. **إدريس هاني، "ماذا بعد الابدولوجيا"**، مجلة **لك الكلمة**، العدد 47، السنة الثانية عشر، ربيع 2005.
113. **أسامة أبو رشيد، "الثقافة العالمية الأخرى"**، مجلة **قضايا دولية** العدد 340، تموز 1996.
114. **إسماعيل صبري عبد الله "الكوكبة، الرأس مالية في مرحلة ما بعد الإمبريالية"** في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي، سلسلة **كتب المستقبل العربي**، العدد: 16 مركز دراسات الوحدة العربية.
115. **أمحزون، د. محمد**، " العولمة بين منظورين "، مجلة **البيان**، العدد 145، رمضان 1420 (ديسمبر 1999)، المنتدى الإسلامي، المملكة المتحدة ..
116. **برهان غليون، " العرب وتحديات العولمة الثقافية "**، محاضرة أقيمت في المجمع الثقافي، أبوظبي، في 10/04/1998 م.
117. **بطرس غالي**، "هدف الفرنكفونية: الدفاع عن التعددية الثقافية"، مجلة **السياسة الدولية**، العدد 133، سنة 1998.
118. **بول كندي مجلة الاكسبرس الفرنسية**، عدد 2080/23 أيار 1991.

119. **بيل جيتس** " المعلوماتية بعد الانترنت ، طريق المستقبل ". ترجمة **عبد السلام رضوان** عالم المعرفة "مجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، مارس 1998.
120. تقرير التنمية البشرية : برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، لعام 1999.
121. **جاء الله عبد الفضيل بخيت، عبد الله بن سليمان الباحث،** " دول العالم الإسلامي والعولمة الاقتصادية"، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى ، مكة المكرمة محرم 1424 هـ
122. **جورج اسبر**، " في الأنظمة الاقتصادية"، **جريدة النهار الاسترالية** 7/12/1989.
123. **حبيب الجنحاني**، "ظاهرة العولمة الواقع والآفاق"، **عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، دولة الكويت، المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثاني ، أكتوبر / ديسمبر 1999.
124. **حسين جمعة**، "العرب اليوم بين الواقع والطموح"، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق. 2005
125. **دفيد رويكوف**، "في مديح الثقافة الأمريكية"، ترجمة **احمد خضر** مجلة **الثقافة العالمية**، عدد 85، سنة 1997 .
126. **راسم محمد الجمال**، الاتصال والإعلام في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1991
127. **رأفت عبد العزيز غنيم**، "دور جامعة الدول العربية في تنمية وتسيير التجارة الالكترونية بين الدول العربية"، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، الإمارات العربية المتحدة، نوفمبر 2002.
128. **روني جان ديبوي**، "العولمة واندفاع الهويات"، مجلة **الأكاديمية المغربية**، العدد 12، السنة 1995، ص 155 .
129. **سعد العبيدي**، "العولمة وتجلياتها النفسية"، **مجلة النبأ**، العدد 52 كانون الأول 2001.
130. **سعد غالب ياسين**، " المعلوماتية وإدارة المعرفة رؤية استراتيجية عربية" مجلة **المستقبل العربي** العدد 2000 .
131. **سعيد زكريا**، "العولمة الثقافية هي الصيغة الأكثر الفعالية وحميمية... وخطراً" **جريدة الشرق الأوسط**، 12 ماي 2005 العدد :9662.
132. **سمير أمين**، "النزعة العسكرية الأمريكية في النظام الدولي الجديد"، **مجلة الوحدة** سوريا، العدد 90 مارس 1992.
133. **سيار الجميل** العرب والعولمة تحرير أسامة الخولي بيروت مركز دراسات الوحدة العربية العدد 228 شباط 1998
134. **سيار الجميل**، العرب والعولمة، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 228 شباط 1998.
135. **السيد ياسين** "نحو سياسة ثقافية عالمية" **جريدة الاهرام**، 24 ماي 2001 السنة 125، العدد 41807
136. **السيد ياسين**، "صياغة الهوية وعولمة الخيال في القرن الحادي والعشرين" مجلة **المنتدى** الأردن، المجلد 12 العدد 147 ديسمبر 1997.
137. **صادق جلال العظم**، " ما هي العولمة"، مجلة **الطريق**، بيروت العدد 4 تموز/ آب 1997 .

138. **صامويل برنستين**، "فلسفة سان سيمون للتاريخ" مجلة **العلم و المجتمع**، العدد السنة 1948
139. **طه حسيب**، "العولمة وتأثيرها في المجتمع والدولة" جريدة **الاتحاد** العدد 9437 الاثنين 7/5/2001.
140. **الطيب ولد العروسي** "العولمة ارث مخيف وافق مفتوح" ، جريدة **الأسبوع الأدبي** سوريا العدد 974 بتاريخ 17-9-2005
141. **عبد الاله بلقزيز** "العولمة و الهوية الثقافية عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة" مجلة **المستقبل العربي** العدد 229-1998.
142. **عبد الإله بلقزيز** ، الثقافة العربية أمام تحدي البقاء ، مجلة **شؤون عربية** العدد 79 سنة 1994.
143. **عبد الحكيم محمد بدران**: عرض لكتاب :بناء لحضارة جديدة -تأليف الفين وهايدي توفلر، ترجمة سعد زهران، ضمن **مجلة العربي**، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 466، سبتمبر 1997 م .
144. **عبد الخالق عبدالله**، "العولمة: جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها"، **عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، دولة الكويت، المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثاني ، أكتوبر/ ديسمبر 1999.
145. **عبد الدائم عبد الله** ، "العرب والعالم بين صدام الثقافات وحوار الثقافات"، مجلة **المستقبل العربي**، العدد 203 عام 1996
146. **عبد الفتاح فكهاني** " الهيمنة الأمريكية تثير نقاشا فلسفيا" في باريس يتحدثون عن نهاية التاريخ، جريدة **القلم**، المغرب 13/02/1992.
147. **عبد اللطيف** " العولمة وحقوق الانسان "، مجلة **المناظر** ، عدد 5 - مارس 2005
148. **عبد اللطيف بلغرسة** ، "آثار العولمة المالية على المؤسسات المصرفية في إطار التجارة الالكترونية"، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيذر، بسكرة، العدد 5، ديسمبر 2003.
149. **عبد الله بن صالح العبيد**، "الحضارات والثقافات، وئام أو صدام"؟ بحث مقدم إلى مؤتمر باريس للمنظمات الخيرية والإنسانية باريس 9-10 / 01 / 2003 م.
150. **عبد المجيد صويلح واحمد راشدي** ، "تاريخ الأنترنت حدوده ونقاط ضعفه" جريدة **اليوم** تاريخ 17 أكتوبر 2001.
151. **علي أحمد**: - العولمة والتحديات التربوية ، مجلة **العلوم والتربية** ، العدد التاسع ، معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة ، يناير 1998.
152. **علي خليفة الكوري**، "مفهوم الديمقراطية المعاصرة"، سلسلة **كتب المستقبل العربي** 19. المسألة الديمقراطية في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية.
153. **علي عقلة عرسان**، العولمة والثقافة ، مجلة الفكر السياسي، العدد الخامس، السنة الثانية شتاء 1999.
154. **الفرد فرج** ، "العولمة في مرآة الثقافة العربية". **الأهرام** 15/10/1998 مصر.
155. **فرنسيس فوكوياما** " نهاية التاريخ ". حلقات متسلسلة من كتابه نشرت جريدة الخبر الجزائرية- الحلقة 15- 25 سبتمبر 1994

156. **فهد العرابي الحارثي**، "العولمة عصر سيطرة الثقافة الأمريكية على سائر الثقافات"، مجلة **عالم الاقتصاد**، العدد 86.
157. **فيصل دراج**، "النظام الدولي الجديد وايدولوجيا نهاية التاريخ" مجلة **الطريق**، العدد 04 أوت 1995.
158. **كمال عبد اللطيف**، "أسئلة العولمة ملاحظات حول تشكل مفهوم العولمة في الكتابات العربية" مجلة **الفكر السياسي**، فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق العددان الرابع والخامس السنة الثانية شتاء 1998 - 1999.
159. **ليلى شرف**، "التحديات التي تواجه الإعلام العربي في المرحلة القادمة"، مجلة **الرسالة**، دمشق المركز العربي للدراسات الاستراتيجية العدد الخامس تشرين الأول 1997.
160. **مازن البندك**، "نظرية العالم الأول. نهاية التاريخ". مجلة **الجيل**. عدد ديسمبر 1989.
161. **محمد آدم**، التكنولوجيا و الاقتصاد في خدمة الإنسان و التنمية، مجلة **النبا**، العدد 44 نيسان 2000.
162. **محمد الحماد**، "العرب وقطار العولمة السريع". مجلة **المنتدى** الأردن، العدد 156 سنة 1998.
163. محمد اليماني، "اساليب غير تقليدية لحل مشاكل اقتصادية تقليدية"، صحيفة الجزيرة، المملكة العربية السعودية، الأربعاء 23 من رمضان 1426هـ العدد 12081
164. **محمد حسين هيكل**، "العرب على اعتاب القرن الواحد والعشرين"، جريدة الخبر عدد 16 - 06 - 1997
165. **محمد عابد الجابري**، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.
166. **محمد عابد الجابري**، "عشر أطروحات حول العولمة والهوية الثقافية"، جريدة السفير بيروت عدد 24/12/1998م
167. **محمد عبد العزيز ربيع**، "الاطار التاريخي للعولمة" صحيفة **الاتحاد**، عدد الاربعاء 18/05/2005، الامارات العربية المتحدة
168. **محمود حيدر**، "المباني المعرفية للمحافظين الامريكيين الجدد، فلسفة التدمير الخلاق"، مجلة **الفكر السياسي**، العدد 17، السنة الخامسة، خريف شتاء 2002.
169. **مدكور، إ. علي أحمد**، العولمة والتحديات التربوية، مجلة **العلوم والتربية**، العدد التاسع، معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة، يناير 1998.
170. **مصطفى العبد الله الكفري**، العولمة الاقتصادية وفرض هيمنة الاقتصاد الرأسمالي، مجلة **الحوار المتمدن**، عدد 1148 الصادرة بتاريخ 26/2/2005.
171. **ممدوح تمار**، الإنترنت اقتصاد القرن الواحد والعشرين، مجلة عالم الاقتصاد، العدد 79.
172. **موسى الزعبي**، "الإستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة حرب على المنافسين أعداء وأصدقاء" مجلة الفكر السياسي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا، شتاء، 2005.

173. **ميسر حمدون سليمان**، "الاتصالات السلوكية واللاسلكية في الوطن العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1982.
174. **ميشال غلوك**، "أربعة أطروحات حول عولمة أمريكا" مجلة **الثقافة العالمية**، عدد 85 1997.
175. **ميشل اده**، "مستقبلنا وتحديات العولمة"، مجلة **المعرفة**، دمشق العدد 410 نوفمبر 1997.
176. **نايف علي عبید** "العولمة والعرب" مجلة **المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.
177. **نبيل علي**، "الثقافة العربية وعصر المعلومات"، سلسلة عالم **المعرفة** العدد 276 (ديسمبر 2001).
178. **نبيل مرزوق** "حول العولمة والنظام الاقتصادي العالمي الجديد"، مجلة **الطريق**، العدد 64 جويليه-أوت 1997.
179. **نزيه الشوقي**، "الثقافة الهدامة والإعلام الأسود من هيروشيما إلى بغداد ومن خراب الروح إلى العولمة" دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2005
180. **هانس بيرمارتن-هارالدشومان** مجلة أوراق اقتصادية:، فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة مجلة أوراق اقتصادية
181. **هرت.أ. شيللر**، "المتلاعبين بالعقول"، سلسلة **عالم المعرفة**، رقم 106، الكويت 1986.
182. **وليدة عودة**، "التطورات الاقتصادية العالمية واتجاهات العولمة" مجلة **أوراق اقتصادية**، العدد 13، بيروت، ايلول 1997.
183. **يوحنا قوي** "التكنولوجيا الحديثة للاتصال، و واقع الخطاب الإعلامي العربي"، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الرابع لجامعة فيلادلفيا، الثقافة العربية في القرن القادم بين العولمة والخصوصية، الأردن، 1998.

القواميس والموسوعات

184. إحسان محمد الحسن، **موسوعة علم الاجتماع**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 1999.
185. **روميانتسيف.ام**، **موسوعة الاقتصاد السياسي السوفيتية**، وضع مجموعة من العلماء، الجزء الثالث، دار الموسوعة السوفيتية، موسكو 1979
186. **عبد الرحمان بدوي**، **موسوعة الفلسفة**، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الاولى، 1984.
187. **عبد المنعم الحفني**، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، سنة 2000.
188. **المنجد في اللغة والإعلام**، دار المشرق، بيروت، الطبعة الحادية والثلاثون. 1987.
189. نخبة من أساتذة علم الاجتماع جامعة الإسكندرية، **المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية

190. **محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي** القاموس المحيط الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1995

.Références en langues étrangères

A- Ouvrages

1. **Adda jacques**, la mondialisation de l'économie, tome : 1, genèse, 3ème édition, la découverte, Paris, 1998
2. **Adda jacques**, la mondialisation de l'économie, tome : 2, problèmes, 3ème édition, la découverte, Paris, 1998
3. **Alain Leon, Thierry Sauvin**, de l'économie internationale à l'économie global, édition ellipses, Paris, 2005
4. **Alan Samuelson**, Les grands courant de la pensée économiques 5ème édition, presses universitaire, de Grenoble 1997.
5. **Alexandre Adler**, le communisme 1èr édition, presse universitaires de France, Paris, 2001
6. **Armand Mattelart** , diversité culturelle et mondialisation , 1er édition , la découvret, Paris, 2005
7. **Armand Zacharie, Oliver Malvoisin**, FMI : la main visible, édition Labor , Bruxelles 2003
8. **Bacconnier. G , B. Benoit et L, Saussac** , la mondialisation en fiches, édition Bréal, Paris, 2005.
9. **Bernard poulet-** le pouvoir du monde quand un journal veut changer la France éditions la découverte Paris 2003 .
10. **Bertrand Russel**, History of Westen philosophy ,4th edition .inp London, 1954
11. **Brunot Benoît** – la mondialisation en fiches, genèse, acteurs, enjeux, édition Breal, Paris 2005
12. **Christian Chavagneux**, économie politique internationale, 1ère édition, la découverte, Paris, 2004
13. **Christian Han**, l'union européenne, 12 ème édition, la découverte, Paris, 2004.
14. **Christopher .L , Gilbert David Vines** , the world bank structure and policies ,Cambridge university press , first published 2000

15. **Claud, Neuschneider**, Jean Marie-antoinette, Gille de Margerie, Olivier Dousset, Gérard Carle la communication dans tous ses états, édition Syros, Paris, 1986
16. **Coriat, Benjamin** .Globalization ,Variety ,and mass in the production New Competitive Age : The Metamorphosis of mass Production
17. **Cyrille Iacu, Florence Pisani, Philipe Weber**, l'économie mondiale édition la découverte, Paris, 2005.
18. **Daniel Lochak**, les droits de l'homme, 1ère édition, la découverte Paris 2005
19. **Dominique Plihon**, le nouveau capitalisme, 1ère édition, la découverte, Paris, 2004
20. **Domonique le court**, la philosophie des sciences, 1ère édition, presses universitaires de France, Paris, 2001
21. **Egan, Kieran**, .The educated mind- how cognitive tools understanding, the university of Chicago press, The united state of America
22. **Eric Guichard** comprendre l'usage de l'Internet, édition d'Ulm, Paris, 2001
23. **Eric Heyer** OFCE l'économie française 2006, OFCE observatoire Française des conjonctures économique, la découverte, paris, 2005.
24. **Fichant M. Pêcheux, M** Sur l'Histoire des Sciences, Paris: F. Maspero, 1971.
25. **Floris Cohen A, H** The Scientific Revolution, , Chicago & London: the University of Chicago Press, 1994.
26. **Francois chesnais** – la mondialisation du capital, Syros, paris, 1994.
27. **François Lemoine**. L'économie chinoise, 3eme édition. la découverte, Paris 2003.
28. **Francoise Barret-ducrocq**, quelle mondialisation ? Académie universelle des cultures, édition grasset, Paris, 2004
29. **Frédérique Sachwald**, l'Europe et la mondialisation, 1ère édition, Flammarion, paris 1997
30. **Gaston BACHLARD** « la formation de l'esprit scientifique ».
31. **GEMDEV** coordonné par Michel BEAUD, Oliver DOLLFUS, Christian GRATALOU, Philippe HUGAN , Gérard KEBABDJIAN, Jacques LEVEY -la mondialisation , les mots et les choses ,édition Karthala, 1999, Paris
32. **George Soros**, guide critique de la mondialisation, traduit de l'anglais par Fortunate Israël, édition Plon Paris, 2002,
33. **Gerard lafay**- comprendre la mondialisation -4ème édition economica, Paris, 2002
34. **Gérard Marie Henry**, 100 questions sur la mondialisation ,1er édition Studyrama, Paris 2003.
35. **Guillaume Devin**, sociologie de relation international , 1ère édition, la découverte Paris 2002.
36. **Guy Hernet**, la démocratie, 1ère édition, Flammarion, paris, 1997.

37. **Habermas. J** Après l'état nation, Paris fayard 2000
38. **Hubert Védrine** with **Dominique Moisi**, France in an Age of Globalization (Washington, DC): Brookings Institution Press, 2001.
39. **Ivan Luard** . The globalization politics the changed focus of political action in the modern world, Handmells, Basingstoke, Hamchire, Macmillan, 1990.
40. **Jackson . J**, the world trading system, IMT Cambridge, Massachusetts, 1991
41. **Jacques B. Gelinas** la globalisation du monde, laisser faire ou faire, écosociété, Canada, 2000.
42. **Jacques Brosseul**, un monde meilleur, pour une nouvelle approche de la mondialisation , édition Armand colin, Paris, 2005.
43. **Jacques Fantanel**, la globalisation en analyse, géoéconomie et stratégie des acteurs , édition cotée cours, Paris, 2005.
44. **Jacques PERRIN**, les transferts de la technologie , éditions la découverte Paris, 1984.
45. **Jean- Christophe Gras**, la gouvernance de la mondialisation, 1ère édition, la découverte, Paris, 2004.
46. **Jean Cluzel**, la télévision , 1ère édition, Flammarion, paris, 1996.
47. **Jean Marc, SIROEN**, la régionalisation de l'économie mondiale , la découverte, Paris, 2005.
48. **Jean marie CHEVALIER, Olivier Pastré**. où va l'économie mondiale ? scénarios et mesures d'urgence, édition Odile Jacob, Paris, 2002.
49. **Jean- paul Betbège**, les 100 mots de l'économie 1ère édition, presses universitaires de France, Paris, 2005.
50. **Jean Servier**, l'idéologie, 1ère édition, presses universitaire de France, Paris, 1982.
51. **Jean-Pierre Warnier**, La mondialisation de la culture , éditions la découverte, collection Repères, Paris.
52. **John TOMLINSON** , globalization and culture ,Chicago university press, 1999
53. **John. Dunning** The advent of alliance capitalism ,the New globalism and developing countries U.N, 1997
54. **Jonathan Friedman**, Global system, Globalization and the Parameters of Modernity, 1995.
55. **Koyré. A** Galilée et la révolution scientifique (1943, 1955).Etudes d'Histoire de la Pensée, Gallimard, Paris, 1973.
56. **Kumiharu Shigehara** , mondialisation , technologie et emploi. **le figaro** 07 – 11 -1997
57. **Laurent Batsch**, le capitalisme financier , 1er édition, la découverte Paris, 2002.

58. **Luis PORCHER**, télévision, culture, éducation , édition Armand colin, Paris 1994
59. **Luis Sabourin**, organismes, économie internationaux , édition la documentation française, Paris, 1994.
60. **M.Fichant & M.Pêcheux**, sur l'Histoire des Sciences , F. Maspero, Paris, 1971.
61. **Mac Grawhill**, économie moderne, Paris, 1982
62. **Malcolm Water**. Globalization, Rutledge .London, 1995.
63. **Malthus T.R.** Essay on the principle of population 1st edition, chap 1, economic classics series.
64. **Marc-Lavoie**, « l'économie post-keynésienne ». 1er édition la découverte, paris 2004
65. **Maxime Lefebvre**, « la politique étrangère américaine », 1ère édition, presses universitaires de France, Paris, 2004.
66. **Michel BEAUD**, Oliver DOLLFUS, Christian GRATALOU, Philippe Hugan , Gérard KEBABDJIAN, Jacques LEVEY , la mondialisation , les mots et les choses ,édition karthala Paris , 1999 .
67. **Michel Lelart** « le fonds monétaire international » 2eme édition, presses universitaire de France, Paris, 1995
68. **Michel, PEOROT et Morice BEDOIN**, la révolution industrielles, enjeux scientifiques et enjeux d'adaptation , édition presse universitaires, de Lyon 1988
69. **Minsky, Mervyn**, the society of mind''- Simon and Schruster. Inc New york. 1985
70. **Nasser – Mansouri –Guilani** - la mondialisation a l'usage des citoyens VO édition de l'atelier, Paris, 2004.
71. **Olivier Bloch** le matérialisme 2ème édition, presses universitaire de France, Paris, 1995
72. **Pierre ALBBERT et André jean TUDESQ**, histoire de la radio, télévision que-sai, je ? 5^{ème} édition 1996 presse universitaires de France-
73. **Pierre ALBERT**, les medias dans la monde , éditions marketing, Paris, 1994.
74. **Pierre Duhem**, Etudes sur Leonard de Vinci. Vol.III: Les Précurseurs Parisiens de Galilée (1913), Editions des Archives Contemporaines, Gordon and Breach Science Publishers 1984
75. **Pierre Fougeyrollas**, Marx , 2ème édition presse universitaire de France, Paris, 1992.
76. **Pierre MIQUEL** histoire de la radio et la télévision , édition libraire académique, Paris, 1984.
77. **Posteman Neil**, Technopoly- the surrender of culture to technology vintages banks, The United States of America. 1992.

78. **Rachid SFAR-** mondialisation, régulation et solidarité, plaidoyer pour des reformes internationales et un programme de relance économique au profit de tous les pays, L'harmattan, Paris, 1999.
79. **Raoul, marc- Gennar** ATTAC pour une mondialisation a finalité humaine, édition vista, 2002
80. **Régis Bénichi** - la mondialisation aussi a une histoire **Revue L'histoire** N° 254 Mai 2001
81. **René PREDAL**, les medias et la communication audiovisuelle, les éditions d'organisation, Paris, 1995.
82. Robert A Dahl, "Democracy .and its critics", New haven, Yale university, press, 1989.
83. **Robert.O.Kebane. And Joseph S.Nye.JR** Power and Interdependence in the information age.
84. **Ronald Robertson**, "Globalisation Social Theory and Global Culture", London: Sage 1992.
85. **Serge FDIDA** Des autoroutes de l'informations au cyberspace, éditions flammario, Paris, 1979.
86. **Smith, Adam** recherche sur la nature et la cause de la richesse des nations, édition Gallimard Paris, livre 1, chapitre 2
87. **Stiglits .J**, la grande désillusion, Fayard, Paris 2002.
88. **Susan George, Martin wolf**, pour et contre la mondialisation libérale, traduit de l'anglais, par william Olivier Desmond, édition Grasset les échos, 2002 .
89. **Sylvan Allemand , Jean Claude, Ruano borbalon**, la mondialisation, économie et société, édition la cavalier bleu, paris, 2005.
90. **Tristan Mattelart**, la mondialisation des medias contre la censure –tiers monde et audiovisuel sans frontières, édition de bœck université, Bruxelles 1er édition, 2002.
91. **Vincent BANDRAND** lés éléments clés de la mondialisation, collection studyrama, Paris, 2002.
92. **Vincenzo Galilei**, "Science in a Renaissance Society" in W.P.D. Wightman,
93. **Yann Moulier- Boutang** qu'est que la globalisation ? université de tous savoirs, Odile Jacob, paris, 2004.
94. **Yves –François le Coadic**, la science de l'information 3 ème édition, presses universitaire de France, Paris, 2004.
95. **Yves, Sabbagh** le libéralisme contre la mondialisation, office d'édition, Impression, librairie (O.E.I.L) paris, 1999.

B- article dans les revues et les journaux

96. **Andrew Arato** – avec (Christophe Bertram - Nicole gnesotto - Ghassan Salamé) « Agir, entre solidarités et conflits ». colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international. 9- 03- 2006 CERI Paris
97. **Andrew Hurrell** – Avec Pierre Hassner- « l'ordre international entre diversité et égalité, l'ordre nucléaire entre inégalité et réciprocité », colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international 10- 03- 2006 CERI Paris.
98. **Armand Mattelart** , « Bataille à l'UNESCO sur la diversité culturelle » **le monde diplomatique** du 1-10-2005
99. **Basma Kodmani**- avec (Pierre Rosanvallon - Jacques Rupnik- Francis Fukuyama -) « peut-on exporter la démocratie » ? colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international 9- 03- 2006 CERI Paris.
100. **Bernard Lewis** “The west and the middle East” **Foreign affairs** 1997
101. **Bernard Benhamou**, « enjeux politiques et technologiques de la mondialisation », conférence au centre George Pompidou, le 22-5-2006.
102. **Bernard Cassen**, « Reconquérir les espaces démocratiques confisqués par la mondialisation libérale », conférence au centre George Pompidou, le 03-4-2006.
103. **Christophe Bertram** – avec (Andrew Arato - Nicole gnesotto - Ghassan Salamé) « Agir, entre solidarités et conflits ». colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international. 9- 03- 2006 CERI Paris.

104. **Christophe hein.** « Quel avenir quand l'état flanche » ? **Revue de courrier international** du 04-11-2004
105. **Claude Hagège,** « contre la menace de la langue unique » – **le monde** du 03-03-2006
106. **Darly Delano** “global economic growth makes came back” **building design and constriction** June 2002
107. **David le breton** « la mondialisation ennemie de de l'être » **libération** du 8 -8- 2003
108. **David Thesmar** , « Pourquoi les français se méfient du capitalisme financière ». conférence au centre George Pompidou, le 20-02-2006.
109. **David, Rothkophy,** “in praise of cultural imperialism”, **Foreign policy** summer-1997.
110. **De.Jonquières.C.** « Des réformes qui ne sont pas allée assez loin» dossier "la mondialisation est-elle inévitable ? **le monde diplomatique**, débat public, 7 mai 1997
111. **Dominique Martin, Jean – Luc Metzger , Philippe Pierre** « La mondialisation menace –t-elle- le travail ? » **revue sciences humaines** N°150 Juin 2004.
112. **Douglas.S. massey** ,« mondialisation et migration »,(l'exemple des état unis d'Amérique) **revue Futurible** .26-02- 2003
113. **Erik Izraelewicz** , « la mondialisation économique peut-elle se réguler » ? conférence au centre George Pompidou, le 06-03-2006.
114. **Francis Fukuyama**-avec (Pierre Rosanvallon - Jacques Rupnik- Basma Kodmani-) « peut-on exporter la démocratie » ? colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international 9- 03- 2006 CERI Paris
115. **Gary Gereffi,** « l'évolution de chaînes de valeur mondiales à l'ère d'Internet, commerce électronique et développement », séminaires du centre de développement, OCDE,
116. **Ghassan Salamé** -avec (Christophe Bertram - Nicole gnesotto - Andrew Arato) « Agir, entre solidarités et conflits ». colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international. 9- 03- 2006 CERI Paris.
117. **Hawken . Paul** “globalization equals conformity and loss of diversity”, **whole earth.** Springs 2002 issues 107
118. **Ithiel de sola pool** “the changing flow of television”, **journal of communication**, vol 27 N°:02, 1977
119. **Jacques Rupnik**- avec (Pierre Rosanvallon - - Basma Kodmani- Francis Fukuyama) « peut-on exporter la démocratie » ? colloque

- éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international 9- 03- 2006 CERI Paris.
120. **Jean Luis Guigou** « Internet et nous, L'homme dans la cité numérique : le printemps de médiateur », les nouveaux cahiers de L'IREPP : n° 21 Juin 1979 Paris
 121. **Jean-Claude** « Empereur .Mondialisation / globalisation et méta-mutation » **la gazette** -n° :46 septembre 2001 France
 122. **Jean-Claude, Ruano-Borbalon** , « un seul monde ? » **revue sciences humaines** N° juin, juillet 1997
 123. **Joel Decaillon** , « Compétitivité mondiale , cobésion sociale et model social européenne sont-ils compatibles » ? conférence au centre George Pompidou, le 20-02-2006.
 124. **John Maynard Keynes**, "The End of Laissez-Faire (1926) ", in: Essays in Persuasion London, New York: W.W. Noron and Co., 1963),
 125. **Kearney, A.T.** “Measuring Globalization” -**Foreign Policy Magazine** N°: 1779 USA
 126. **kiven watkins** “making globalization work for the poor” **finance and development** march 2002 v39 I1
 127. **Lara Marlowe**, “French Minister Urges Greater UN Role to Counter US Hyper power,” **The Irish Times**, 4 November 1999
 128. **Leonardo le blanc** “cultural globalization “**offshore**, Nov 2001 v61 I11.
 129. **Léon-Dufour S.** « Les ONG nouvelle puissance mondiale », **le figaro économique** 2 déc. 2005
 130. **Levit Théodore**, “the globalization of markets”, **Harvard Bissness review**, Harvard , May – June 1983.
 131. **Mac Grawhill**, « économie moderne », Paris, 1982
 132. **Marcel gauchet**, « quand les droits de l'homme devienne une politique » **le débat** n°110 août 2000.
 133. **Mohamed Deouas** «Africa faces challenges of globalization » **finance and development** Decembre2001 V38
 134. **Nicole gnesotto** – avec (Christophe Bertram - Andrew Arato - Ghassan Salamé) « Agir, entre solidarités et conflits », colloque éthique et relation international : choc des identités, démocratie et ordre international. 9- 03- 2006 CERI Paris.
 135. **Nye S. Joseph, Owens William A.**, « America's Information Edge», in **Foreign affairs**, mars-avril 1996,
 136. **Paul Benkimoun** « le nombre de personnes infectées par le VIH à dépasser les 40 millions en 2005 ». **Le monde diplomatique** 22-11-2005

137. **Petit .M**, will globalization go bankrupt, **Foreign policy** sep-October 2001
138. **Philippe Martin** – Mondialisation et territoires conférence au centre George Pompidou, le 20-02-2006.
139. **Philippe pierre**. « Mondialisation le rêve K.O », **libération** du 09 - 03 -2004
140. **Pierre Hassner** - Avec Andrew Hurrell -« l'ordre international entre diversité et égalité, l'ordre nucléaire entre inégalité et réciprocité ». colloque éthique et relation internationale : choc des identités, démocratie et ordre international 10- 03- 2006 CERI Paris.
141. **Pierre Jacquet** –« comment gouverner la mondialisation » ? conférence au centre George Pompidou, le 06-03-2006.
142. **Pierre Rosanvallon** , avec (Francis Fukuyama - Jacques Rupnik-Basma Kodmani-) « peut-on exporter la démocratie » ?_colloque éthique et relation internationale : choc des identités, démocratie et ordre international 9- 03- 2006 CERI Paris.
143. **R.S.Westfall**, “Science and technology during the Scientific Revolution: an empirical approach”, in J.V. Field & F.A.J.L **Renaissance and Revolution** , James (editions)
144. **Robert Kagan** and William Kristol, “The Present Danger,” The National Interest (Spring 2000).
145. **Samuel P. Huntington**. “Why international primary. Matters”, international security, Vol. 17, No. 4, spring,1993
146. **Sebastian Mallaby**, « the globophobes guru”, the Washington post, Nov12 2001.
147. **Secretary Davos**, “Remarks by the President at World economic Forum “White House, Office of the press. Switzerland 29 /01/2000.
148. **Stanly Hoffman**, “clash of globalizations” **foreign affairs** jully-august 2002 V81
149. **Sylvain Allmand**, « vers une alimentation mondialisée » Revue **Sciences Humaines** N° 153 octobre 2004.
150. **Thierry verdier** « Vers une mondialisation socialement responsable ». conférence au centre George Pompidou, le 20-02-2006.
151. **William Drozdiak**, “Even Allies Resent U.S. Dominance,” Washington Post, 4 November 1997.

.Dictionnaires et encyclopédies

152. **Alain Beiton ,christine Dollo, Antone Cazorla ,Anne – MaryDray** , dictionnaire des sciences économique , édition Armand colin, Paris, 2001.
153. **Anne H .Soukhanov**, Encarta - world English dictionary, first edition St Martin's, New York, 1999.
154. **Froincois de Bernarrd**. Dictionnaire critique de la mondialisation, édition de pré aux clercs, Paris 2002.
155. **Jean du Bois**, Larousse, dictionnaire du lange français, sous la direction de lexis édition la rousse, 1994.
156. **Jean-yves capul, Olivier Garnier**, dictionnaire d'économies de science sociales édition Hatier, 2^{ème} édition, paris, 1994.
157. **Michel Blay** (sous la direction) grande dictionnaire de la philosophie édition CNRS, Paris, 2005
158. **Lucien SFEZ** , dictionnaire critique de la communication -tome 2 ,presse universitaires de France Paris, 1^{er} édition, 1993,
159. **Philippe Raymand et Stéphane Rials** (sous la direction) Dictionnaire de philosophie ,1^{er} édition Quadrige 2003 Paris.

160. **Serge cordellier**, le dictionnaire historique et géopolitique du 20ème siècle. 2ème édition la découverte, paris, 2002.

161. The International Encyclopedia of business & Management”.1996.

مراجع من شبكة الانترنت:

1. **ابراهيم الداوقي**، "العولمة باب للغنى . بوابة للفقر والهيمنة"، مجلة عالم الغد، العدد الرابع، ربيع 2005 النمسا
www.freemediawatch.org
2. **ابراهيم القادري بوتشيش**، "مستقبل كتابة التاريخ العربي في ظل العولمة الثقافية" . www.fikrwanakd.aljabiriabed.com
3. **بشار الشداد اليحياوي** ، "لغة العولمة" ، مجلة المدى.
www.almadapaper.com
4. **بناصر البعزاتي** "كيف حصلت الثورة العلمية في أوروبا؟"
www.fikrwanakd.aljabiriabed.com
5. **توم نيران**- "نهاية العالم الحر"، 1 كانون الاول 2004 مجلة المنتدى الديمقراطي المفتوح <http://www.opendemocracy.net>
6. **جميل حامد** ، "العولمة والنظام العالمي الجديد" جريدة الصباح ، فلسطين العدد: 458 www.alsbah.net
7. **جورج اسبر**، "في الأنظمة الاقتصادية" ، جريدة النهار الأسترالية - 7/12/1989
www.narwanour.com/soledu/1
8. **جون دي. سوليفان** "الديمقراطية ونظام الحكم والأسواق المفتوحة" ، مجلة مواقف اقتصادية، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية ، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>
9. **حسن الضيقة** "ملاحظات حول موضوعات حقوق الإنسان في الفكر المعاصر" www.mafhoum.com/press4/130s27
10. الدولة الاسلامية ومفهوم الدولة العالمية
www.nezem.org/arabic/dawla-aalamiyah/index
11. **سمير أمين** ، "مرحلة جديدة لرأسمالية أم دورة تجميل للرأسمالية مترهلة" ، منتدى العالم الثالث. www.forumtiermonde.net/arabic/article

12. **سوزان أف. مارتين** "التحويلات المالية كأداة للتنمية" مجلة
مواقف اقتصادية مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية
سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>
13. **عبد الرحمن تيشوري** ، "العولمة مرة أخرى تروج للعصر
الأمريكي"، الحوار المتمدن العدد 1404 بتاريخ 2005-12-19
<http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp>
14. عبد القادر عزوز ، " الشركات متعددة الجنسيات ودورها في الاقتصاد الدولي"
يومية الجماهير تصدر بسوريا عدد 8-3-2006 <http://jamahir.alwehda.gov.sy>
15. العلاقات الصينية الجزائرية= مجلة الصين اليوم العدد 3 مارس 2004
www.chinatoday.com.cn/Arabic
16. **فاتح الخطيب** "الرعب القادم" الحوار المتمدن العدد 1075
بتاريخ 1-11-2005 <http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=29598>
17. **غضبان مبروك** "العولمة والسيادة"
www.mafhoum.com/press4/130s27
18. **فرنك فالتر شتاينماير** Frank- Walter Steinmeier "في سبيل
إصلاح نظام الأمم المتحدة" خطاب وزير الخارجية الألماني فيشر أمام
الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها التاسعة والخمسين، نيويورك في
23 سبتمبر 2004 انظر موقع وزارة الخارجية الألمانية www.almania-info.diplo.de
19. **فهامي هويدي** - جريدة الأهرام 27/6/1989 م
www.almoslim.net/admin
20. **كوبنتن بيل** ، صحيفة الفيناشيال تايمز الاقتصادية الأحد 20-11-
2005 ، العدد 4423 المقال مترجم من طرف الموقع الرسمي لمدينة
الرياض www.Arriadh.com/économique
21. **مأمون الجنان**. "العولمة والأمركة". جريدة الأسبوع الأدبي العدد
964 بتاريخ 2/ 7/ 2005 www.awu-dam.org
22. **محمد الأطرش**، "العرب والعولمة ما العمل؟" مجلة فكر ونقد
www.fikrwanakd.aldjabiriabed.com
23. **محمد عمارة** "أسئلة عقلية حول هيمنة العولمة"
www.balag.com/islam/z003zncj
24. **محمود اللبابيدي** ، "الاقتصاد الإسلامي مقامه بين الاقتصاديين
الرأسمالي والشيوعي" ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب، مجلة
رسالة ، www.taghrib.org/arabic
25. **مخايل بنيامين داود** "الاثنيات في ظل العولمة رؤى في الابعاد
السياسية" www.ado-world.org/pub/athra
26. **مطانيوس حبيب** "العولمة وتداعياتها الاقتصادية" لجان إحياء
المجتمع المدني في سوريا www.mowaten.org
27. **ناصر بن سليمان العمر** "رسالة المسلم في حقبة العولمة" مركز
الدراسات الإسلامية بقطر- لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في ربيع
أول/1424 www.almoslim.net

28. **نزیه الشوفي** "الثقافة الهدامة والإعلام الأسود من هيروشيما إلى بغداد ومن خراب الروح إلى العولمة" ، دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2005. <http://www.awu-dam.org>
29. **هشام صالح**، "المثقفون الأمريكيون ومصير العالم" - مجلة البلاغ info@balagh.com
30. **هورست كوهلر**، "شراكة عالمية في التنمية الاقتصادية الإفريقية" ، مجلة مواقف اقتصادية ، مجلة الكترونية تصدرها وزارة الشؤون الخارجية الأمريكية، سبتمبر 2001 <http://usinfo/state/gov/journals>
31. **هيثم بن الجواد الحداد**، "العولمة اللغوية" haitham/123@hotmail.com
32. **الياس سابا**، "العولمة والإمبراطورية الجديدة" جريدة السفير لبنان الأربعاء 19 مارس 2003 www.assafir.com
33. <http://Cyberatlas.internet.com> احصائيات السكان المستعملين للانترنت
34. **Tom FARLEY** -Telephone history , www.affordablephones.net/history/telephone.htm
35. www.nielsen-metratings.com احصائيات السكان